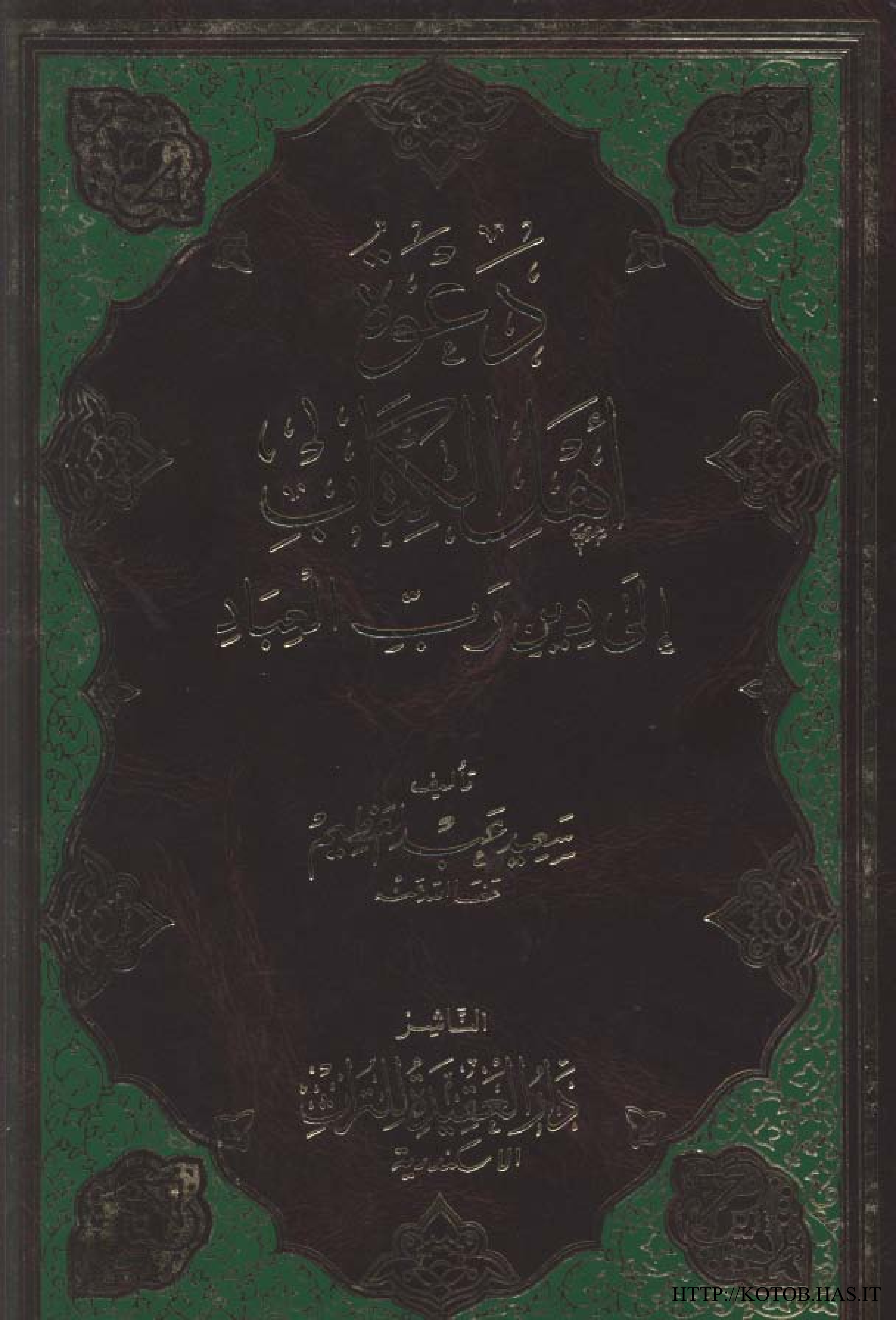
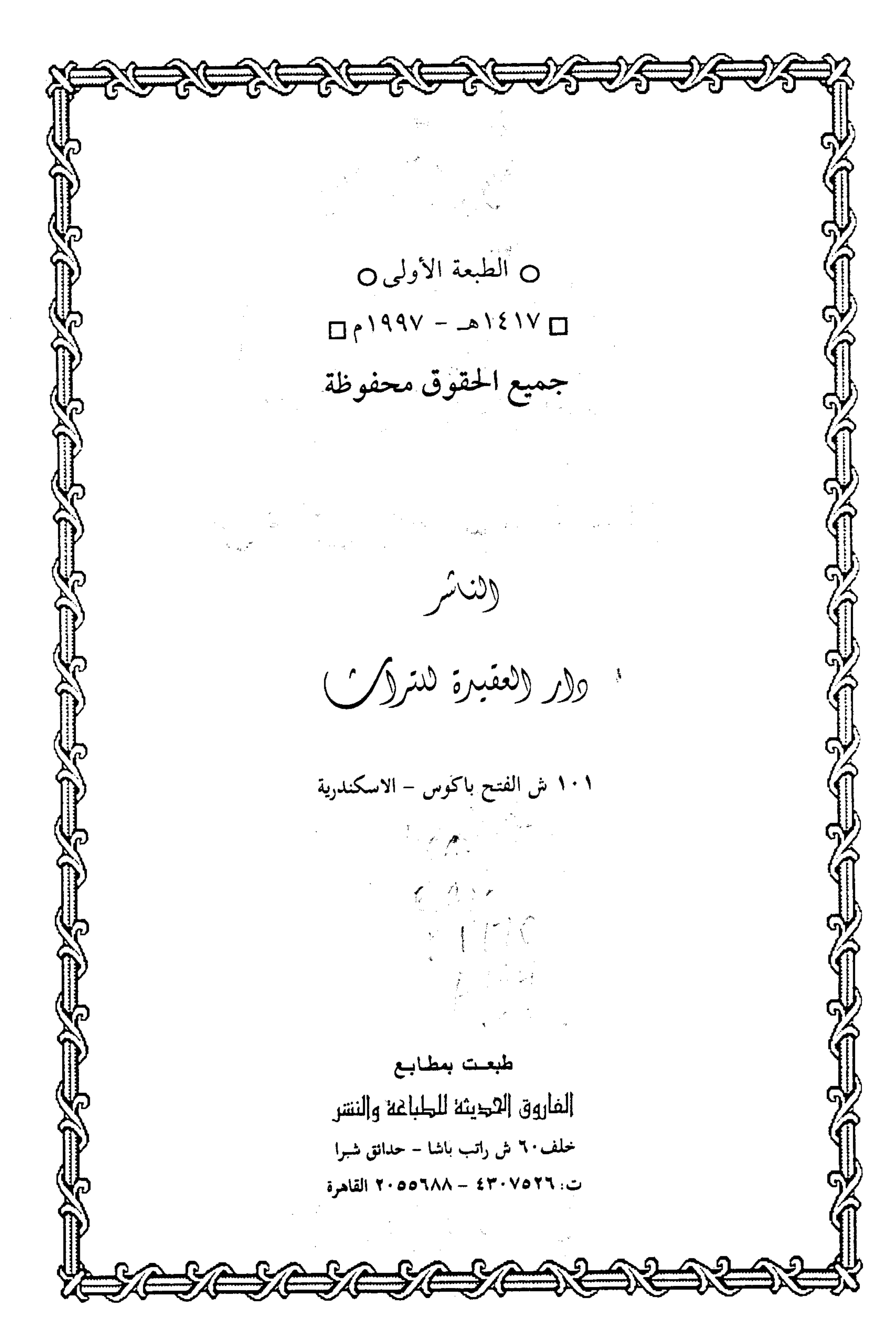

دعوة
أهل الكتاب
إلى دين رب العباد
تأليف
سعيد عبد العظيم
الناشر
دار العقيدة للتراث
الإسكندرية
HTTP://KOTOB.HAS.IT

دعوة أهل الكتاب إلى دين رب العباد

تأليف

سعيد عبد العظيم
عفا الله عنه

الناشر
دار العقيدة للتراث



○ الطبعة الأولى ○

□ ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م □

الناشر

دار العقيدة للتراث

١٠١ ش الفتح باكوس - الاسكندرية

طبعت بمطابع

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر

خلف ٦٠ ش راتب باشا - حدائق شبرا

ت: ٤٣٠٧٥٢٦ - ٢٠٥٥٦٨٨ القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله

﴿ يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ .
(آل عمران : ١٠٢)

﴿ يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءاً ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ، إن الله كان عليكم رقيبا ﴾ (النساء : ١)

﴿ يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً ، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾ .
(الأحزاب : ٧٠ : ٧١)

أما بعد ،،،

فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

أصبحت الدول الإسلامية لأسباب عديدة تسمى بدول العالم الثالث وفرض عليها واقع الدول المتخلفة ثم أطلق عليها فيما بعد اسم الدول النامية وأضيف إليها دول أمريكا اللاتينية وبدونها يمكننا أن نسميها العالم الإسلامي وتم تحريف معاني التاريخ والجغرافيا !!! فالعصور الوسطى هى العصور المظلمة !!!ـ وهذا يصح بالنسبة لأوربا ـ أما بالنسبة للمسلمين فالأمر ليس كذلك بل على العكس فهذه الفترة هى أزهى عصور التاريخ ولايفوتنا أن تاريخ البشرية يبدأ بنبي مكلّم أي

بمرتبة من أعلى مراتب الهداية ثم تتواصل حلقات التاريخ في حس المسلم

﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ (فاطر : ٢٤)

﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ .
(النساء : ١٦٥)

ولا ندري كيف صارت أوربا في وسط الدنيا بينما وضع العالم الإسلامي شرقاً من الدنيا !!! بينما الناظر إلى خريطة الجغرافيا يجد أن مهبط الوحي وكأنما أريد له أن يتزحزح عن مكانه في وسط الدنيا ولا يخفى على أحد حالة التدهور والضعف التي أصابت المسلمين فدينهم في واد وهم في واد آخر وانقسمت العبادات والساعات في حسهم وانفصلت الأرض عن السماء والدنيا عن الآخرة في حياتهم وصارت اللغة العربية ـ لغة القرآن ـ في ذيل اللغات وتم إقصاء الشريعة وقد تغيرالكثير من المفاهيم عند المسلمين حتى مايتعلق منها بالعقيدة والولاء والبراء فاتخذوا أعدائهم من اليهود والنصارى والملاحدة ... أحباباً واخواناً وأصدقاء !!! وراجت عليهم شعارات الوطنية والقومية والسلام والتعايش السلمي وزمالة الأديان ..... متناسين مايأمرهم به دينهم كقوله تعالى :

﴿ والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير﴾
(الأنفال : ٧٣)

قال الحافظ ابن كثير : « ومعنى قوله « إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفسادكبير» أي إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين وإلا وقعت فتنة في الناس وهو التباس الأمر في اختلاط المؤمنين بالكافرين فيقع بين الناس فساد منتشر عريض طويل » وهذا ماحصل في هذا الزمان والله المستعان .

وثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال :

« والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولانصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار» رواه مسلم .

لقد أهتزت هذه الأمور المعلومة من الدين بالضرورة بل كادت الأمة التي تتشرف بالإنتساب لدين الله وسادت الدنيا حيناً من الدهر تنسى سنن الصراع والتدافع بين الخير والشر والإيمان والكفر والحق والباطل ﴿ **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض** ﴾ (البقرة : ٢٥١)

إن الصراع الذي قام بين الكنيسة والعلماء الماديين قد جعلهم يشعرون بحق أن ماتقوله الكنيسة رجعية وانحطاط وتأخر وخرافة وأنه لكي يتم التقدم والتطور والأخذ بأسباب العلم فلا بد من فصل الدين عن الدولة وأن ينفصل رجال هذا الجانب عن ذاك ثم كانت الطامة عندما خيل الأعداء لضعاف البصر والبصيرة من هذه الأمة أن طريقهم الوحيد إلى التقدم هو طريق أوربا الظافرة وأن عليهم أن ينبذوا دينهم كما نبذت أوربا دينها وإلا فسيظلون سائرين في الرجعية والإنحطاط والتأخر والخرافة !!!.

ولا ننكر رواج هذه البضاعة البائرة وسط الكثيرين حتي من أبناء المسلمين وإلا فلماذا كانت المناداة بالدولة المدنية والحرص على استمرار العمل بالقوانين الوضعية بل والهمز والغمز واللمز تارة والطعن الصريح تارة أخرى في دين الله والتشهير والتشويه وإلصاق التهم الكاذبة لكل من يلتزم بشرع الله ويحاول العودة بنفسه وبالأمة من حوله لكتاب الله ولسنة رسوله ﷺ .

إن الدنيا بأسرها وهى أشبه بقرية صغيرة تلمس تحولاً كبيراً تجاه التدين وهذا الأمر لا يقتصر على المسلمين بل يتعداهم لغيرهم من اليهود والنصارى وخصوصاً بعد أن تقلص دور الشيوعية وذاق الناس الأمرين من الإلحاد وباءت نظريات كثيرة بالفشل الذريع ولم تصل البشرية بالعلم المادي التجريبي إلى بر الأمن والأمان وفي ذلك يقول الكاتب المشهور سومرت موم « إن أوربا قد نبذت اليوم إلهها وآمنت بإله جديد هو العلم ولكن العلم كائن متقلب فهو يثبت اليوم مانفاه بالأمس وهو ينفي غداً مايثبته اليوم لذلك تجد عبّاده في قلق دائم لا يستقرون » .

لقد وجدوا أن الحياة بغير الله سراب وضياع واضطراب وقلق ومصحات نفسية ومستشفيات عقلية وكأس وغانيةو عربدة وانتحار فكان لا بد من العودة للدين استجابة للكتب المنزلة ولدعوة الأنبياء والمرسلين وتلبية لنداء الفطرة السليمة والعقول المستقيمة .

ولكن يبقى أن نحدد ماهو الدين الذي نعنيه ونقصده ؟ ماهو الدين الذي سينتشل البشرية من وحل الضياع وينتقل بها من هذه الدار بسلام إلى دار السلام ؟ ماهو الدين الذي يرضى عنه خالق العباد ورب البشر ؟ هل هو اليهودية أم النصرانية أم الإسلام ، أم القيم الروحية المأخوذة من هذه الأديان ؟

إن الدين الذي يحقق لنا سعادة الدارين هو دين الإسلام لا شيء سواه ، بل لن ينصلح آخر الدنيا إلا بما انصلح به أولها فلا بد من الرجوع لهدي الأنبياء والمرسلين **﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾** (الأنعام : ٩٠)

من لدن آدم حتى رسول الله ﷺ وكلهم كان على الإسلام .

﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ (آل عمران : ١٩) **﴿ومن يبتغ غيرالإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾**. (آل عمران : ٨٥)

وقد ثبتت النصوص الشرعية بنزول عيسى عليه الصلاةوالسلام في آخر الزمان ، يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويحكم بحكم الإسلام وهذا هو الذي ندين به وندعو البشرية عامة واليهود والنصارى خاصة أن يسارعوا للعمل بمقتضاه

قال تعالى : **﴿ فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لامرد له من الله يومئذ يصدعون من كفر فعليه كفره ومن آمن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون ﴾** الروم (٤٣ ـ ٤٤)ولا يشفع لهم كثرتهم وقلة عدد المسلمين أو قوتهم وضعف المنتسبين للإسلام أو التبعية الذليلة لليهود والنصارى من المتخاذلين

المحسوبين على الإسلام، فالإسلام آت وحزب الله هم الغالبون والحق لايُعرف بكثرة ولا بقلة فاعرف الحق تعرف أهله واعرف الباطل تعرف من أتاه واسلك طريق الهدى ولا يضرك قلة السالكين وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين فإن أبيتم رددنا معكم قول ربنا ﴿ **وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون، وانتظروا إنا منتظرون، ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وماربك بغافل عما تعملون** ﴾

(هود : ١٢١، ١٢٢، ١٢٣) .

وهذه دعوتنا لكم مدعمة بالحجج والبراهين تفندكل ماعداها بإذن الله مما عليه أهل الكتاب[١] من اليهود والنصارى راجين بها وجه الله والنفع .

قال تعالى :

﴿ **يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم** ﴾(الشعراء : ٨٨، ٨٩)

وآملين لكم الخير إذا أسلمتم وجوهكم لله ، فأسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ونصيحتي لك أن تتجرد من العصبية المقيتة والهوى البغيض وتقليد الآباء والأجداد بالباطل ولا تلتفت لواقع المسلمين المنحرف عن دينهم فلعلك تكون واحداً ممن يعالج هذا الأمر الواقع بإذن الله ، وماذلك على الله بعزيز ، ولا يختلطن عليك التزييف والتمييع كعبارات أهل الإيمان وأهل الأديان (ويقصدون بها اليهود والنصارى والمسلمين) فدين الحق واحد والأديان الباطلة كثيرة لا تنحصر وكل الطرق مسدودة إلا طريق رسول الله ﷺ فهو الطريق الموصل إلى الله .

والتوحيد توحيدان توحيد المُرسل وتوحيد متابعة الرسول ﷺ وهذا مقتضى قولنا : لا إله إلا الله محمد رسول الله .

---

(١) أهل الكتاب هم من يدينون بكتاب سماوي ويتبعون نبياً من الأنبياء ومنهم اليهود أتباع نبي الله موسى عليه السلام الذي تنزلت عليه التوراة والنصارى أتباع عيسى عليه السلام الذي تنزل عليه الإنجيل ، ومن بقي على ملة نبيه منهم ولم يدرك زمن بعثة النبي ﷺ أو أدرك زمنه ولم تبلغه دعوته فهو مؤمن ، ومن بقي على ملته بعد أن علم ببعثته ودعوته عليه الصلاة والسلام يدخل في زمن الكافرين .

وهذا أوان الشروع في المقصود . والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولاقوة إلا بالله وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

الأسكندرية في ٦ من شوال سنة ١٤١٦هـ

الموافق ٢٥ من فبراير سنة ١٩٩٦م

تعالوا إلى كلمة سواء

في كتاب النبي ﷺ إلى هرقل :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى ، أسلم تَسْلم يؤتك الله أجرك مرتين وإن توليت فإن عليك إثم الأريسين[1] ﴿**قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولانشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون**﴾ (آل عمران : ٦٤) رواه مسلم .

والخطاب في الآية يتوجه لليهود والنصارى جميعاً لأنهم جعلوا أحبارهم في الطاعة لهم كالأرباب والكلمة السواء هي الكلمة العادلة المستقيمة التي ليس فيها ميل عن الحق وهى أن لانعبد إلا الله وقد نهاهم سبحانه عن اتخاذهم بعضهم بعضاً أرباباً من دونه فقال جل وعلا : ﴿ **ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله** ﴾ (آل عمران : ٦٤)

أي لا نتبعه في تحليل شئ أو تحريمه إلا فيما حلله الله تعالى وهونظير قوله تعالى : ﴿ **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله** ﴾ (التوبة : ٣١) .

معناه أنهم أنزلوهم منزلة ربهم في قبول تحريمهم وتحليلهم لما لم يحرمه الله ولم يحله الله ثم قال سبحانه : ﴿ **فإن تولوا** ﴾ أي أعرضوا عما دعوا إليه فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون أي متصفون بدين الإسلام منقادون لأحكامه معترفون بما لله علينا في ذلك من المنن والإنعام غير متخذين أحداً رباً لا عيسى ولا عزيراً ولا الملائكة لأنهم بشر مثلنا تحدث كحدوثنا ولا نقبل من الرهبان شيئاً بتحريمهم علينا مالم يحرمه الله علينا فنكون قد اتخذناهم أرباباً .

وروى أنس بن مالك قال : قلنا يارسول الله أينحني بعضنا لبعض ؟ قال : لا. قلنا : أيعانق بعضنا بعضاً ؟ قال لا . ولكن تصافحوا » أخرجه ابن ماجه في سننه .

---

١ ـ الفلاحين .

رضينا بالله رباً

قال ابن القيم رحمه الله : لاإله إلا هو الذي تألهه القلوب محبة وإجلالاً وإنابة وإكراماً وتعظيماً وذلاً وخوفاً ورجاءاً وتوكلاً .

وقال ابن رجب رحمه الله : لا إله إلا هو الذي يطاع فلا يعصى هيبة له وإجلالاً ومحبة وخوفاً ورجاء وتوكلاً عليه وسؤالاً منه ودعاءً له ، ولايصلح ذلك كله إلا لله عزوجل فمن أشرك مخلوقاً في شئ من هذه الأمور التي هى من خصائص الإلهية كان ذلك قدحاً في إخلاصه في قول : لا إله إلا الله ونقصاً في توحيده وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب مافيه من ذلك ، وهذا كله من فروع الشرك.

وقال البقاعي : لا إله إلا الله أي انتفى إنتفاء عظيماً أن يكون معبود بحق غير الملك الأعظم فإن هذا العلم هو أعظم الذكرى المنجية من أهوال الساعة وإنما يكون علماً إذا كان نافعاً وإنما يكون نافعاً إذا كان الإذعان والعمل بما تقتضيه ، وإلا فهو جهل صرف ويقول تعالى في السورة التي تعدل ثلث القرآن ﴿ **قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفواً أحد** ﴾(الاخلاص) فأخبر عن نفسه بالأحدية المطلقة التي تتناول وحدة الذات والصفات والأفعال وبأنه الصمد يعني السيد الغني الذي يصمد إليه الخلق ويقصدونه في حوائجهم ثم نفى عن نفسه الولد لتمام ملكه وغناه فهولا يحتاج إليه وكذلك نفى أن يكون غيره والداً له فيكون أصلاً له سابقاً عليه ثم نفى أن يكون أحد كفواً له أي مماثلاً ومشابهاً .

وفي تفسير قوله سبحانه : ﴿ **ماتخذ الله من ولد وماكان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون** ﴾ (سورة المؤمنون : ٩١) يقول شارح الطحاوية : [١]

فتأمل هذا البرهان الباهر بهذا اللفظ الوجيز الظاهر فإن الإله الحق لا بد أن يكون خالقاً فاعلاً يوصل إلى عابده النفع ويدفع عنه الضر فلو كان معه سبحانه إله آخر

---

(١) العقيدة الطحاوية ـ الطحاوي .

يشركه في ملكه لكان له خلق وفعل وحينئذ فلا يرضى تلك الشركة بل إن قدر على قهر ذلك الشريك وتفرده بالملك والإلهية دونه فعل وإن لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه وذهب بذلك الخلق كما ينفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعض بملكه إذا لم يقدر المنفرد على قهر الآخر والعلو عليه فلابد من أحد ثلاثة أمور :

(١) إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه .

(٢) وإما أن يعلو بعضهم علي بعض .

(٣) وإما أن يكونوا تحت قهر ملك واحد يتصرف فيهم كيف يشاء ولا يتصرفون فيه بل يكون وحده هو الإله وهم العبيد المربوبون المقهورون من كل وجه.

وانتظام امر العالم كله وإحكام أمره من أدل دليل على أن مدبره إله واحد وملك واحد ورب واحد لا إله للخلق غيره ولا رب لهم سواه .... فالعلم بأن وجود العالم عن صانعين متماثلين ممتنع لذاته مستقرفي الفطرة معلوم بصريح العقل بطلانه ، فكذا تبطل إلهية اثنين ، فالأية الكريمة موافقة لما ثبت واستقر في الفطرة من توحيد الربوبية دالة مثبتة مستلزمة لتوحيد الإلهية أ . هـ .

وتوحيد الربوبية يعنى الإقرار بأن الله هو الخالق الرازق المحي المميت وهذا يستوي فيه كل الخلق ولا ينكره إلا الدهريون قديماً والشيوعيون حديثاً ولا يوجد بين طوائف البشر من يقول بوجود ربين أو إلهين متكافئين في الصفات والأفعال حتى أهل التثليث من النصارى الذين يجعلون الآلهة ثلاثة الآب والإبن والروح القدس لا يجعلون هذه الأقانيم الثلاثة بدرجة واحدة بل الآب عندهم هو الأقنوم الأول والإله الأكبر .

أما توحيد الألوهية فهو استحقاقه سبحانه أن يُعبد وحده لا شريك له ، وقد غلط البعض كالشيخ محمد عبده في اعتباره توحيد الربوبية والإنفراد بالخلق هو الغاية العظمى من بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام فإن هذا النوع من التوحيد كانت تقر به الأمم التي بعثت إليها الرسل ولم يقع نزاع فيه بينهم وبين الرسل وإنما

كان النزاع في توحيد الألوهية والعبادة ، ولهذا لم يجئ على لسان الرسل عليهم السلام الدعوة إلى اعتقاد أن الله هو وحده ، وإنما كان مدار دعوتهم هو عبادة الله وحده لا شريك له فكل منهم كان مفتتح دعوته لقومه :

﴿ **اعبدوا الله مالكم من إله غيره** ﴾ (الأعراف : ٦٥) .

وقد أحسن العلامة السيد رشيد رضا حين قال مستدركاً على أُستاذه [(١)] : فات الأُستاذ أن يصرح بتوحيد العبادة وهو أن يُعبد الله وحده ولا يُعبد غيره بدعاء ولا بغير ذلك مما يتقرب به المشركون إلى ماعبدوا معه من الصالحين والأصنام وغير ذلك كالنذور والقرابين تذبح بأسمائهم أو عند معابدهم ، هذا التوحيد هو الذي كان أول مايدعو إليه كل رسول قومه بقوله : ﴿ **اعبدوا الله مالكم من إله غيره** ﴾ أ . هـ .

يضاهئون قول الذين كفروا من قبل

فطر الله عباده على توحيد ه والإقرار بوجوده وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى :

﴿ **فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله** ﴾(الروم : ٣٠) .

ويقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه ويمجسانه وينصرانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء »

وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى : « **خلقت عبادى حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم** » فهذه الآيات والأحاديث تدل صراحة على أن التوحيد هو الأصل والشرك طارئ عليه وأن الناس كانوا أولاً على هدى قبل أن تنحرف بهم الأهواء وتزلهم الشياطين ولسنا بحاجة لإيراد الأبحاث العلمية القائمة على التجربة التي تؤيد أن أمرالتوحيد والتدين أصيل في النفس الإنسانية وأنه لم يحدث نتيجة لعوامل اقتصادية أو اجتماعية كما يزعم بعض السطحيين .

---

(١) محمد عبده .

يقول ابن عباس رضي الله عنهما :

« **كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على التوحيد** ».

قال تعالى : ﴿ **كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين** ﴾ (البقرة : ٢١٣)وهذه الأمةكانت متفقة على الحق والهدى وهذا هو المأثور عن ابن عباس وأبي بن كعب وابن مسعود وعكرمة وقتادة وأبي العالية ومجاهد وغيرهم مما يكاد يكون إجماعاً وهذا هو الموافق للواقع .

وقد ذكر سبحانه عن قوم نوح أنهم قالوا:﴿ **لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسرا** ﴾(نوح : ٢٣) وهؤلاء كانوا رجالاً صالحين فلما ماتوا عكف قومهم على قبورهم ليتأسوا بهم في العبادة ثم زين لهم الشيطان أن يتخذوا لهم صوراً ليتذكروا كلما رأوها كيف كان نشاط هؤلاء في عبادة الله فيكون ذلك أدعى إلى الإقتداء بهم فلما طال عليهم الأمد وانقرض ذلك الجيل وجاء جيل آخر أوهمهم الشيطان أن آباءهم كانوا يعبدون هذه الصور ويستسقون بها فعبدوها .

والغلو في الصالحين داء وبيل ابتلى به أهل الكتاب قال تعالى : ﴿ **وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون** ﴾ (التوبة : ٣٠) .

وهذا القول في عزير نقل عن بعض أشراف اليهود كسلام بن مشكم ونعمان بن أبي أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف أنهم قالوه للنبي ﷺ وأقوال السادة عادة مشهورة في الناس يُحتج بها وحكى الطبري أن عزيراً لما جاء بني إسرائيل بالتوارة المدفونة قالوا : إن هذا لم يتهيأ له إلا وهو ابن الله وظاهر قول النصارى أن المسيح ابن الله إنما أرادوا بنوة النسل كما قالت العرب في الملائكة كذلك يقتضي قول الضحاك والطبري وغيرهما ،وهذا أشنع الكفر .

قال أبو المعالي : أطبقت النصارى على أن المسيح إله وأنه ابن إله.

قال ابن عطية : ويقال إن بعضهم يعتقدها بنوة حنو ورحمة . وهذا المعنى أيضاً

لا يحل أن تطلق البنوة عليه وهوكفر وقوله تعالى : ﴿ **ذلك قولهم بأفواههم** ﴾ المعنى أنه لما كان قول ساذج ليس فيه بيان ولا برهان وإنما هو قول بالفم مجرد نفس دعوى لا معنى تحته صحيح لأنهم معترفون بأن الله سبحانه لم يتخذ صاحبة فكيف يزعمون أن له ولداً ، فهوكذب وقول لساني فقط بخلاف الأقوال الصحيحة التي تعضدها الأدلة ويقوم عليها البرهان .

ومعنى يضاهئون قول الذين كفروا من قبل على ثلاثة أقوال :

١ ـ يشابهون قول عَبَدَة الأوثان .

٢ ـ قول الكفرة : الملائكة بنات الله .

٣ ـ قول أسلافهم فقلدوهم في الباطل واتبعوهم على الكفر كما أخبر عنهم بقوله : ﴿ **إنا وجدنا آباءنا على أمة** ﴾(الزخرف : ٢٣)

﴿ **قاتلهم الله أنى يؤفكون** ﴾ (التوبة : ٣٠)

قال القرطبي : أي لعنهم الله يعني اليهود والنصارى لأن الملعون كالمقتول .

وقال ابن عباس : كل شئ في القرآن قَتْل فهو لعن وقيل : بل هو دعاء عليهم أو تعجب منهم .

النصارى يعتقدون في المسيح مايعتقده الهنود في كرشنة !!!

جاء في كتاب «مقارنات الأديان ـ الديانات القديمة» « لمحمد أبو زهرة مانصه :
وقد عقد صاحب كتاب« العقائد الوثنية في الديانة النصرانية» موازنة بين أقوال الهنود في كرشنة وأقوال المسيحيين في المسيح فتقارب الإعتقاد حتى أوشك أن يتطابق وإذا كانت البرهمية أسبق من النصرانية المحرفة فقد عُلم إذن المشتق والمشتق منه ، والأصل وماتفرع عنه وعلي المسيحيين أن يبحثوا عن أصل دينهم .
ولننقل لك بعضاًمن هذه الموازنة علي سبيل المثال وغيره يقاس عليه

[أقوال الهنود الوثنيين في كرشنة ابن الله]

كرشنة : « هو المخلص والفادي والمعزي والراعي الصالح والوسيط وابن الله والأقنوم الثاني من الثالوث المقدس ، وهو الآب والإبن وروح القدس » .

١ ـ قد مجد الملائكة ديفاكي والدة كرشنة ابن الله وقالوا يحق للكون أن يفاخر بابن هذه الطاهرة .

٢ ـ عرف الناس ولادة كرشنة من نجمه الذي ظهر في السماء .

١ ـ كتاب تاريخ الهند المجلد الثاني ص ٣٢٩
٢ ـ كتاب تاريخ الهند المجلد الثاني ٣١٧ ، ٣٦٧

[أقوال النصارى المسيحيين في يسوع المسيح ابن الله]

يسوع المسيح : « هو المخلص والفادي والمعزي والراعي الصالح والوسيط وابن الله والأقنوم الثاني من الثالوث المقدس ، وهو الآب والإبن وروح القدس » .

١ ـ دخل الملاك على مريم العذراء والدة يسوع المسيح وقال لها سلام لك أيها المنعم عليها ، الرب معك .

٢ ـ لما ولد يسوع المسيح ظهر نجمه في المشرق وبواسطة ظهور نجمه عرف الناس محل ولادته .

١ ـ إنجيل لوقا الإصحاح الثالث ص ٢٨ ، ٢٩ وإنجيل مريم الإصحاح السابع
٢ ـ إنجيل متى الإصحاح الثاني العدد ٣

٣ ـ لما ولد كرشنة سبحت الأرض وأنارها القمر بنوره وترنمت الأرواح وهامت ملائكة السماء فرحا وطرباً ورتل السحاب بأنغام مطربة.

٣ ـ لما ولد يسوع المسيح رتل الملائكة فرحاً وسروراً وظهر من السحاب أنغام مطربة .

٤ ـ كان كرشنة من سلالة ملوكانية ولكنه ولد في غار بحال الذل والفقر.

٤ ـ كان يسوع المسيح من سلالة ملوكانية ويدعونه « ملك اليهود» ولكنه ولد في حالة الذل والفقر بغار

٥ ـ لما ولد كرشنة أضيء الغار بنور عظيم وصار وجه أمه ديفاكي يرسل أشعة نور ومجد .

٥ ـ لما ولد يسوع المسيح أضيء الغار بنور عظيم أعيا بلمعانه عيني القابلة وعيني خطيب أمه يوسف النجار.

٦ ـ ومن بعد ماوضعته صارت تبكي وتندب سوء عاقبة رسالته فكلمها وعزاها .

٦ ـ وقال يسوع المسيح لأمه وهو طفل : يامريم أنا يسوع ابن الله وجئت كما أخبرك جبرائيل الذي أرسله أبي إليك وقد أتيت لأخلص العالم .

٧ ـ وعرفت البقرة أن كرشنة إله وسجدت له .

٧ ـ وعرف الرعاة يسوع وسجدوا له .

٨ ـ آمن الناس بكرشنة واعترفوا بلاهوته وقدموا له هدايا من صندل وطيب .

٨ ـ وآمن الناس بيسوع وقالوا بلاهوته وأعطوه هدايا من طيب ومر.

---

٣ ـ كتاب فشنوبورانا ص ٥٠٢ .
٤ ـ كتاب دوان ص ٢٩٧ .
٥ ـ دوان ص ٢٩٧ .
٦ ـ تاريخ الهند المجلد الثاني ص ٣١١ .
٧ ـ داون ص ٢٧٩ .
٨ ـ كتاب الديانات الشرقية ص ٥٠٠ ، وكتاب الديانات القديمة المجلد الثاني ص ٣٥٣ .

٣ ـ إنجيل لوقا الإصحاح الثاني العدد ١٣ .
٤ ـ دوان ص ٢٧٩ .
٥ ـ إنجيل ولادة يسوع المسيح الإصحاح ١٢ والعدد ١٣ .
٦ ـ إنجيل الطفولية الإصحاح الأول العدد الثاني والثالث .
٧ ـ إنجيل لوقا الإصحاح الثاني عدد ٨ ـ ١٠ .
٨ ـ إنجيل متى الإصحاح الثاني العدد ٢ .

٩ ـ وسمع نبي الهنود « نارد » بمولد الطفل الإلهي كرشنة فذهب وزاره في « توكول » وفحص النجوم فتبين له من فحصها أنه مولود إلهي يعبد .

١٠ ـ لما ولد كرشنة كان « نآندا» خطيب أمه ديفاكي غائباً عن البيت حيث أتى إلى المدينة كي يدفع ماعليه من الخراج للملك.

١١ ـ ولد كرشنة بحال الذل والفقر مع أنه من عائلة ملوكانية .

١٢ ـ وسمع ناندا خطيب أمه ديفاكي والدة كرشنة نداء من السماء يقول له : قم وخذ الصبي وأمه فهربهما إلى كاكول واقطع نهر جمنة لأن الملك طالب إهلاكه .

٩ ـ ولما سمع يسوع في بيت لحم اليهودية في أيام هيرودس الملك إذ المجوس من المشرق قد جاؤا إلى أورشليم قائلين : أين هو المولود ملك اليهود .

١٠ ـ ولما ولد يسوع كان خطيب أمه غائباً عن البيت وأتى كي يدفع ماعليه من الخراج للملك .

١١ ـ ولد يسوع المسيح بحال الذل والفقر مع أنه من سلالة ملوكانية .

١٢ ـ وأنذر يوسف النجار خطيب مريم والدة يسوع بحلم كي يأخذ الصبي وأمه ويفربهما إلى مصر لأن الملك طالب إهلاكه .

---

٩ ـ تاريخ الهند المجلد الثاني ص ٣١٧ .
١٠ ـ كتاب فشنو بورانا الفصل الثاني من الكتاب الخامس .
١١ ـ التنقيبات الآسيوية المجلد الأول . ص ٢٥٩ ، وتاريخ الهند المجلد الثاني ص ١٣٠ .
١٢ ـ كتاب فشنو بورانا الفصل الثالث .

٩ ـ إنجيل متى الإصحاح الثاني عدد ١ ، ٢ .
١٠ ـ إنجيل لوقا الإصحاح الثاني من عدد ١ ـ ١٧
١١ ـ انظر تعداد نسبه في إنجيل متى وإنجيل لوقا.
١٢ ـ إنجيل متى الإصحاح الثاني عدد ١٣ .

١٣ ـ وسمع حاكم البلاد بولادة كرشنة الطفل الإلهي وطلب قتل الولد وكي يتوصل إلى أمنيته أمر بقتل كافة الأولاد الذكور الذين ولدوا في الليلة التي ولد فيها كرشنة.

١٣ ـ وسمع حاكم البلاد بولادة الطفل يسوع الإلهي وطلب قتله وكي يتوصل إلى أمنيته أمر بقتل كافة الأولاد الذين ولدوا في الليلة التي ولد فيها يسوع المسيح .

١٤ ـ واسم المدينة التي ولد فيها كرشنة « مطرا » وفيها عمل الآيات العجيبة ولم تزل محل التعظيم والإحترام عند الهنود العابدين للأوثان القائلين

١٤ ـ واسم المدينة التي هاجر إليها يسوع المسيح في مصر لما ترك اليهودية« المطرية» ويقال إنه عمل فيها آيات وقوات عديدة

عن كرشنة إنه ابن الله وإنه الله إلى يومنا هذا .

١٥ ـ كانت ولادة القديس راما قبل ظهور كرشنة في الناسوت بزمن قليل وقد سعى فانسا ملك البلاد في إهلاك القديس راما وإهلاكه كرشنة أيضاً .

١٥ ـ وكانت ولادة يوحنا المعمدان قبل ولادة يسوع المسيح بزمن قليل وقد سعى الملك هيرودس في إهلاك الطفل يسوع المسيح وكان يوحنا مبشراً بولادة يسوع المسيح .

---

١٣ ـ دوان ص ٢٨٠ .
١٤ ـ تاريخ الهند المجلد الثاني ص ١٧ ، والتنقيبات الآسيوية المجلد الأول ص ٢٥٩ .
١٥ ـ تاريخ الهند المجلد الثاني ص ٣١٦ .

١٣ ـ إنجيل متى الإصحاح الثاني .
١٤ ـ المقدمة على إنجيل الطفولية تأليف هيجين .
١٥ ـ إنجيل تاريخ ولادة يسوع المسيح الإصحاح السادس .

١٦ ـ وربي كرشنة بين الرعاة ولما جئ به إلى مطرا كان في احتياج عظيم إلى التعليم فأتى له بمعلم خبير وفي وقت قليل فاق على أستاذه في العلوم وأعياه في المسائل العلمية السنسكريتية الدقيقة .

١٦ ـ وأرسل يسوع المسيح إلى المعلم زاخوس كي يعلمه فكتب له أحرف ألف باء وقال ليسوع قل ـ ألف ـ فقال الرب يسوع أخبرني أولاً عن معنى حرف الألف ومن بعده أقول حرف الباء فتهدد المعلم يسوع بالضرب فقام يسوع وفسر معنى الألف والباء وأخبره عن الحروف المستقيمة والحروف المنحنية والحروف المثناة والتي لها نقط وحركات والتي ليس لها نقط ولماذا وضعت في هذا الترتيب أي بعض الحروف قبل غيرها وطفق يخبر عن أشياء لم يسمع بها المعلم من قبل ولم يقرأها في كتاب .

١٧ ـ وفي أحد الأيام كان كرشنة سائراً مع قطيع من البقر فاختاروه ملكاً عليهم وذهبت كل بقرة إلى المكان الذي عينه لهاهذا الملك

١٧ ـ وفي شهر آزار جمع يسوع الأولاد ورتبهم كأنه ملك عليهم وإذا مر بهم أحد كانوا يأخذونه غصباً و يأمرونه بالسجود للملك .

---

١٦ ـ دوان ص ٢٨٠ وتاريخ الهند المجلد الثاني ص ٣٢١ .

١٧ ـ تاريخ الهند المجلد الثاني ص ٣١٢ .

١٦ ـ إنجيل الطفولية الإصحاح العشرين عدد ١ ـ ٨ .

١٧ ـ إنجيل الطفولية الإصحاح ١٨ ص عدد ١ ـ ٣ .

١٨ ـ وفي أحد الأيام لسعت الحية بعض أصحاب كرشنة الذين يلعب معهم فماتوا فأشفق عليهم لموتهم الباكر ونظر إلى ألوهيته .

١٩ ـ وسرق بعض أصحاب كرشنة مع عجولهم وأخفاهم السارقون في غار فخلق كرشنة أصحاباً وعجولاً مثلهم في الشكل والهيئة .

٢٠ ـ وأول الآيات والعجائب التي عملها كرشنة شفاء الأبرص .

٢١ ـ وأوتي كرشنة بامرأة فقيرة مقعدة معها إناء فيه طيب وزيت وصندل وزعفران وغيرذلك من أنواع الطيب فدهنت منه جبين كرشنة بعلامة مخصوصة وسكبت الباقي على رأسه.

١٨ ـ وبينما كان يسوع يلعب لسعت الحية أحد الصبيان الذين كان يلعب معهم فلمس يسوع ذاك الصبي بيده فعاد إلى حال صحته.

١٩ ـ وأخفى الأولاد الذين يلعبون مع يسوع أنفسهم في فرن فبدلوا إلى هيئة جداء فناداهم يسوع تعالوا إلى هنا يأيها الأولاد لنعلب فأعيدت تلك الجداء إلى هيئتهم الأولى صبياناً .

٢٠ ـ وأول الآيات والعجائب التي عملها يسوع المسيح هي شفاء الأبرص.

٢١ ـ وفيما كان يسوع في بيت عتيا في بيت سمعان الأبرص تقدمت إليه امرأة معها قارورة طيب كثيرة الثمن فسكبته على رأسه وهو متكئ .

---

١٨ ـ تاريخ الهند المجلد الثاني ص ٣٤٣ .
١٩ ـ تاريخ الهند المجلد الثاني ص ١٥ ، وكتاب خرافات الآريين المجلد الثاني ص ١٣٦ .
٢٠ ـ تاريخ الهند المجلد الثاني ص ٣١٩ .
٢١ ـ تاريخ الهند المجلد الثاني .

١٨ ـ إنجيل الطفولية الإصحاح ١٨ .
١٩ ـ إنجيل الطفولية الإصحاح ١٨ .
٢٠ ـ إنجيل متى الإصحاح الثامن العدد الثاني.
٢١ ـ إنجيل متى الإصحاح السادس والعشرين عدد ٦، ٧ .

٢٢ ـ كرشنة صلب ومات على الصليب .

٢٣ ـ لما مات كرشنة حدثت مصائب وعلامات شر عظيم وأحاط بالقمر هالة سوداء وأظلمت الشمس في وسط النهار وأمطرت السماء ناراً ورماداً وتأججت أشعة نار حامية وصار الشياطين يفسدون في الأرض وشاهد الناس ألوفاً من الأرواح في جو السماء يتراواحون صباحاً ومساء وكان ظهورها في كل مكان .

٢٤ ـ وثقب جنب كرشنة بحربة.

٢٥ ـ وقال كرشنة للصياد الذي رماه بالنبلة وهو مصلوب اذهب أيها الصياد محفوفاً برحمتي إلى السماء مسكن الآلهة .

٢٦ ـ ومات كرشنة ثم قام من بين الأموات.

٢٢ ـ يسوع صلب ومات على الصليب.

٢٣ ـ لما مات يسوع حدثت مصائب جمة متنوعة وانشق حجاب الهيكل من فوق إلى تحت وأظلمت الشمس من الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة وفتحت القبور وقام كثيرون من القديسين وخرجوا من قبورهم .

٢٤ ـ وثقب جنب يسوع بحربة.

٢٥ ـ وقال يسوع لأحد اللصين اللذين صلبا معه الحق أقول لك إنك اليوم تكون معي في الفردوس .

٢٦ ـ ومات يسوع ثم قام من بين الأموات .

---

٢٣ ـ كتاب ترقي التصورات الدينية المجلد الأول ص ١٧ .
٢٤ ـ دوان ص ٢٨٣ .
٢٥ ـ فشنو بورانا ص ٢٨٢ .
٢٦ ـ دوان ص ٢٨٢ .

٢٣ ـ إنجيل متى الإصحاح الثاني والعشرين ، وإنجيل لوقا أيضاً .
٢٤ ـ دوان ص ٢٨٢ .
٢٥ ـ إنجيل لوقا الإصحاح الثالث والعشرين عدد ٣ ، ٤ .
٢٦ ـ إنجيل متى الإصحاح ٢٨ .

٢٧ - ونزل كرشنة إلى الجحيم.

٢٨ - وصعد كرشنة بجسده إلى السماء وكثيرون شاهدوه صاعداً .

٢٩ - ولسوف يأتي كرشنة في اليوم الأخير ويكون ظهوره كفارس مدجج بالسلاح وراكب على جواد أشهب وعند مجيئه تظلم الشمس والقمر وتزلزل الأرض وتهتز وتتساقط النجوم من السماء .

٣٠ - وهو أي كرشنة يدين الأموات في اليوم الأخير .

٣١ - ويقولون عن كرشنة : الخالق لكل شئ ولولاه لما كان شئ مما كان فهو الصانع الأبدي .

٣٢ - كرشنة الألف والباء وهو الأول والوسط وآخر كل شئ .

٢٧ - ونزل يسوع إلى الجحيم.

٢٨ - وصعد يسوع إلى السماء . وكثيرون شاهدوه صاعداً .

٢٩ - ولسوف يأتي يسوع في اليوم الأخير كفارس مدجج بالسلاح وراكب على جواد أشهب وعند مجيئه تظلم الشمس والقمر وتزلزل الأرض وتهتز وتتساقط النجوم من السماء .

٣٠ - ويدين يسوع الأموات في اليوم الأخير .

٣١ - ويقولون عن يسوع المسيح : إنه الخالق لكل شئ ولولاه لما كان شئ مما كان فهو الصانع الأبدي .

٣٢ - يسوع الألف والباء وهو الأول والوسط وآخر كل شئ .

---

٢٧ - دوان ص ٢٨٢ .
٢٨ - دوان ص ٢٨٢ .
٢٩ - دوان ص ٢٨٢ .
٣٠ - دوان ص ٢٨٣ .
٣١ - دوان ص ٢٨٢ .
٣٢ - دوان ص ٢٨٢ .

٢٧ - دوان ص ٢٨٢ ، وكذلك كتاب الإيمان المسيحي .
٢٨ - إنجيل متى الإصحاح الرابع والعشرين .
٢٩ - إنجيل متى الإصحاح ٢٤ .
٣٠ - إنجيل متى الإصحاح ٢٤ العدد ١ ، ٣، ورسالة الرومانيين.
٣١ - إنجيل يوحنا الإصحاح الأول من عدد ١ ، ٣ ، ورسالة كورنسوس الأولى افسس الأصحاح الثالث العدد ٩ .
٣٢ - سفر الرؤية الإصحاح الأول العدد ٨ .

٣٣ـ لما كان كرشنة على الأرض	٣٣ـ لما كان يسوع على الأرض
حارب الأرواح الشريرة غير مبال	كان يحارب الأرواح الشريرة غير
بالأخطار التي كانت تكتنفه ونشر	مبال بالأخطار التي كانت تكتنفه
تعاليمه بعمل العجائب والآيات	وكان ينشر تعاليمه بعمل العجائب
كأحياء الميت وشفاء الأبرص	والآيات كإحياء الميت وشفاء
والأصم والأعمى وإعادة المخلوع كما	الأبرص والأصم والأخرس
كان أولا ونصرة الضعيف على القوي	والأعمى والمريض وينصر الضعيف
والمظلوم على ظالمه وكانوا إذ ذاك	على القوي والمظلوم على ظالمه
يعبدونه ويزدحمون عليه ويعدونه إلهاً .	وكان الناس يزدحمون عليه ويعدونه إلهاً .
٣٤ـ كان كرشنة يحب تلميذه	٣٤ـ كان يسوع يحب تلميذه
أرجونا أكثر من بقية التلاميذ .	يوحنا أكثر من بقية التلاميذ .

٣٣ـ انظر الإنجيل والرسائل ترى كثيراً من هذا الذي ذكرناه .

٣٤ـ كتاب بها كافات كيتا . ٣٤ـ إنجيل يوحنا الإصحاح ١٣ العدد ٢٣ .

٣٥ ـ وفي حضور أرجونا بدلت
هيئة كرشنة وأضاء وجهه كالشمس
ومجد العلي واجتمع إله الألهة فأحنى
أرجونا رأسه تذللا ومهابة وتكتف
تواضعا وقال باحترام : الآن رأيت
حقيقتك كما أنت وإني أرجو رحمتك
يارب الأرباب فعد واظهر في ناسوتك
ثانية أنت المحيط بالملكوت .

٣٥ ـ وبعد ستة أيام أخذ يسوع
بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه وصعد
بهم إلى جبل عال منفردين وتغيرت
هيئته قدامهم وأضاء وجهه كالشمس
وصارت ثيابه بيضاء كالثلج وفيما
هويتكلم إذا سحابة نيرة ظللتهم
وصوت من السحابة قائل هذا هو
ابن الحبيب الذي سررت له اسمعوا
ولما سمع التلاميذ سقطوا على وجوههم
وخافوا جداً .

٣٦ ـ وكان كرشنة خيرالناس
خلقاً وخلقاً وعلماً بإخلاص ونصح
وهوالطاهر العفيف مثال الإنسانية
وقد تنازل رحمة ووداعة وغسل
أرجل البرهميين وهو الكاهن

٣٦ ـ وكان يسوع خير الناس
خلقاً وعلماً بإخلاص وهو الطاهر
العفيف مكمل الإنسانية ومثالها وقد
تنازل رحمة ووداعة وغسل أرجل
التلاميذ وهو الكاهن العظيم القادر

---

٣٥ ـ كتاب مورس وليمس المدعو «دين الهنود» ص ٢١٥ .
٣٦ ـ المرجع السابق ص ١٤٤ .

٣٥ ـ إنجيل متى الإصحاح ١٧ من عدد إلى ٩ .
٣٦ ـ إنجيل يوحنا الإصحاح ١٣ .

العظيم برهما وهو العزيز القادرظهر لنا بالناسوت .

ظهرلنا بالناسوت.

٣٧ـ كرشنةهو برهما العظيم القدوس وظهوره بالناسوت سر من أسراره العجيبة الإلهية .

٣٧ ـ يسوع هويهوه العظيم القدوس وظهوره في الناسوت سر أسراره العظيمةالإلهية .

٣٨ـ كرشنة الأقنوم الثاني من الثالوث المقدس عند الهنود الوثنين القائلين بألوهيته .

٣٨ـ يسوع الأقنوم الثاني من الثالوث المقدس عند النصارى .

٣٩ ـ وأمر كرشنة كل من يطلب الإيمان بإخلاص أن يترك أملاكه وكافة مايشتهيه ويحبه من مجد هذا العالم ويذهب إلى مكان خال من الناس ويجعل تصوره في الله فقط .

٣٩ـ وأمر يسوع كل من يطلب الإيمان بإخلاص أن يفعل كما يأتي وأما أنت فمتى صلبت فادخل إلى مخدعك وأغلق بابك وصل إلى أبيك الذي في الخفاء فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية.

٤٠ ـ وقال كرشنة لتلميذه

٤٠ ـ فإذا كنتم تأكلون أو

٣٧ـ فشنو بورانا ص ٤٩٢ عند شرح حاشية عدد ٣ .

٣٨ ـ كتاب مورس وليمس المدعو العقائد .

٣٩ـ ديانة الهنود الوثنية ص ٢١١ .

٤٠ ـ مورس وليمس ديانة الهنود الوثنيين ص ٢١١ .

٣٧ـ رسالة ثيمو ثاوس الأولى الإصحاح الثالث .

٣٨ ـ انظر كافة كتبهم الدينية وكذلك الأناجيل والرسائل .

٣٩ـ إنجيل متى الإصحاح ٦ عدد ٦ .

٤٠ ـ رسالة كورنسوس الأولى الإصحاح العاشر من عد د ١ : ٣ .

الحبيب أرجونا إنه مهما عملت ومهما أعطيت الفقير ومهما أكلت ومهما قربت من قربان ومهما فعلت من الأفعال المقدسة فليكن جميعه بإخلاص لي أنا الحكيم والعليم ليس لي ابتداء وأنا الحاكم المسيطر والحافظ.

تشربون أو تفعلون شيئاً فافعلوا كل شيء لمجد الله .

٤١ ـ قال كرشنة أنا علة وجود الكائنات في كانت وفي تحل وعلي جميع مافي الكون يتكل وفي يتعلق كاللؤلؤ المنظوم في خيط .

٤١ ـ من يسوع وفي يسوع وليسوع كل شيء كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء به كان .

٤٢ ـ وقال كرشنة أنا النور الكائن في الشمس والقمر وأنا النور الكائن في اللهب وأنا نور كل مايضيء ونور الأنوار ليس في ظلمة.

٤٢ ـ ثم كلمهم يسوع قائلاً : أنا هو نور العالم من يتبعني فلا يمشي في الظلمة.

٤٣ ـ قال كرشنة أنا الحافظ للعالم وربه وملجؤه وطريقه .

٤٣ ـ قال يسوع أنا هو الطريق الحق والحياة ليس أحد يأتي الأب إلا بي .

---

٤١ ـ مورس وليمس ديانة الهنود الوثنيين ص ٢١٢ .

٤٢ ـ كتاب موريس وليمس ديانة الهنود ص ٢١٣ .

٤٣ ـ دوان ص ٢٨٣ .

٤١ ـ إنجيل يوحنا الإصحاح الأول من عدد ٣١ .

٤٢ ـ إنجيل يوحنا الإصحاح ٨ العدد ١٢ .

٤٣ إنجيل يوحنا الإصحاح الرابع عشر عدد ٦ .

٤٤ ـ وقال كرشنة ، أنا صلاح الصالح وأنا الإبتداء والأوسط والأخير والأبدي وخالق كل شئ وأنا فناؤه ومهلكه .

٤٤ ـ وقال يسوع ، أنا هو الأول والآخر ولي مفاتيح الهاوية والموت.

٤٥ ـ وقال كرشنة لتلميذه الحبيب لاتحزن ياأرجونا من كثرة ذنوبك أنا أخلصك منها فقط تثق بي وتتوكل علي واعبدني واسجد لي ولا تتصور أحداً سواي لأنك هكذا تأتي إلى المسكن العظيم الذي لاحاجة فيه لضوء الشمس والقمر اللذين نورهما مني .

٤٥ ـ وقال يسوع للمفلوج : ثق يابني مغفورة لك خطاياك يابنى أعطني قلبك والمدينة لاتحتاج إلى شمس ولا إلى قمر ليضيئنا فيها الحروف سراجها .

---

٤٤ ـ كتاب موريس وليمس ديانة الهنود والوثنين ص ٢١٣ .

٤٥ ـ كتاب موريس وليمس ديانة الهنود الوثنيين ص ٢١٣ .

٤٤ ـ رؤيا يوحنا الإصحاح الأول من عدد ١٧ ـ ١٨ .

٤٥ ـ إنجيل متى الإصحاح ٩ عدد ٢ ، وسفر الأمثال الإصحاح ٣٢ عدد ٢٦ ، وسفر الرؤيا الإصحاح ١٢ عدد ٢٣ .

تطابق اعتقاد النصاري علي اعتقاد الهنود في بوذا !!!!

جاء في نفس المصدر مانصه : « ومن الغريب أن الأوهام التي جعلها بوذيوا التبت أوصافاً لبوذا تتوافق مع ماينحله المسيحيون بشخصية المسيح بعد تغيير النصرانية وهاهي ذي بعض المقابلات بينهما لتعرف وجه التطابق :

أقوال الهنود الوثنيين في بوذا ابن الله	أقوال النصارى المسيحيين في المسيح ابن الله
١ ـ كان تجسد بوذا بواسطة حلول روح القدس على العذراء مايا .	١ ـ كان تجسد يسوع المسيح بواسطة حلول الروح القدس على العذراء مريم .
٢ ـ لما نزل بوذا من مقعد الأرواح ودخل في جسد العذراء مايا صار رحمها كالبلور الشفاف النقي وظهر بوذا فيه كزهرة جميلة .	٢ ـ لما نزل يسوع من مقعده السماوي ودخل في جسد مريم العذراء صار رحمها كالبلور الشفاف النقي وظهر فيه يسوع كزهرة جميلة .
٣ ـ وقد دل على ولادة بوذا نجم ظهر في أفق السماء ويدعونه « نجم بوذا » .	٣ ـ وقد دل على ولادة يسوع نجم ظهر في المشرق وقال دوان : من الواجبات أن يدعى « نجم المسيح ».
٤ ـ لما ولد بوذا فرحت جنود السماء ورتلت الملائكة أناشيد المجد للمولود المبارك قائلين : ولد اليوم	٤ ـ لما ولد يسوع فرحت ملائكة السماء والأرض ورتلوا الأناشيد حمداً للواحد المبارك قائلين المجد لله

بوذا على الأرض كي يعطي الناس المسرات والسلام ويرسل النور إلى المحلات المظلمة وتهب بصراً للعمي.	في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة .
٥ ـ وعرف الحكماء بوذا وأدركوا أسرار لاهوته ولم يمض يوم على ولادته حتى حياه الناس ودعوه إلها .	٥ ـ وقد زار الحكماء يسوع وأدركواأسرار لاهوته ولم يمض يوم على ولادته حتى دعوه إله الآلهة.
٦ ـ وأهدوا بوذا وهو طفل هدايا من مجوهرات وغيرها من الأشياء الثمينة .	٦ ـ وأهدوا يسوع وهو طفل هدايا من ذهب وطيب ومر .
٧ ـ لما كان بوذا طفلا قال لأمه مايا إنه أعظم الناس جميعاً .	٧ ـ لما كان يسوع طفلا قال لأمه مريم (أنا ابن الله) .
٨ ـ كان بوذا ولداً مخيفاً وقد سعى الملك بميسارا وراء قتله لما أخبره أن هذا الغلام سينزع الملك من يده إن بقي حياً .	٨ ـ كان يسوع ولداً مخيفاً سعى الملك هيرودوس وراء قتله كيلا ينزع الملك من يده .

---

٥ ـ دوان ص ٢٩٠ .
٦ ـ دوان ص ٢٩٠ .
٧ ـ كتاب هردي المدعو العقائد البوذية ص ١٤٥ ، ١٤٦ .
٨ ـ كتاب تاريخ البوذية تأليف نيل ص١٠٣ ـ ١٠٤ .

٥ ـ إنجيل متى الإصحاح الثاني عدد ١ إلى ١١ .
٦ ـ إنجيل متى الإصحاح ٢ عدد ١١ .
٧ ـ إنجيل الطفولية الإصحاح ١ عدد ٣ .
٨ ـ إنجيل متى الإصحاح الثاني العدد الأول .

٩ ـ لما أرسل بوذا إلى المدرسة

أدهش الأساتذة مع أنه لم يدرس

من قبل وفاق الجميع في الكتابة

والرياضيات والعلوم العقلية والهندسة

والتنجيم والكهانة والعرافة .

١٠ ـ لما صار عمر بوذا اثنتي

عشرة سنة دخل الهياكل وصار

يسأل أهل العلم مسائل عويصة ثم

يوضحها لهم حتى فاق كافة مناظريه .

١١ ـ ودخل بوذا مرة أحد

الهياكل فقامت الأصنام من أماكنها

وتمددت عند رجليه سجوداً له .

١٢ ـ ويصلون نسب كوتاما بوذا

من أبيه « صدودانا » في أناس كلهم

من سلالة ملوكانية إلى ماها سماطا

وهو على زعمهم أول ملك صار

٩ ـ لما أرسل يسوع إلى المدرسة

أدهش أستاذه ذاخيوس وقال لأبيه

يوسف « لقد أتيتني بولد لأعلمه

مع أنه أعلم من كل معلم ».

١٠ ـ لما صار عمر يسوع اثنتي

عشرة سنة جاءوا به إلى أورشليم

وصار يسأل الأحبار والعلماء مسائل

مهمة ثم يوضحها لهم وأدهش الجميع .

١١ ـ وكان يسوع مارا قرب

حاملي الأعلام فأحنت الأعلام

رؤوسها سجوداً له .

١٢ ـ ويعدون سلالة يسوع من

أبيه يوسف في أشخاص مختلفين

وكلهم من سلالة ملوكانية إلى آدم

أبي البشر وكثير من الأسماء

---

٩ ـ كتاب هردي « العقائد البوذية » ، وتاريخ الديانة البوذية لنيل .

١٠ ـ بنصن « الملاك المسيح » ص ٣٧ .

١١ ـ بنصن « الملاك المسيح » ٦٧ ـ ٦٩ .

١٢ ـ دوان ص ٢٩١ .

٩ ـ إنجيل الطفولية الإصحاح ٢٠ عدد ، وإنجيل لوقا .

١٠ ـ إنجيل الطفولية الإصحاح ٢١ عدد ٢١ .

١١ ـ إنجيل نيكوديموس الإصحاح الأول العدد ٢٠ .

في الدنيا والحوادث والأنساب
المذكورة في كتاب « بيوراز » البرهمي
وجد في أنسابه غير أنه لا يمكن
تحقيق الحوادث ونسبتها مع غيرها
وسبب ذلك هو أن مؤرخي البوذية
اخترعوا فيها أسماء تمكنهم من
إعلان نسب حكيمهم فوق اعتبارهم
إياه إلها .

والحوادث المذكورة في سلالته
مذكورة في التوراة كتاب اليهود .

١٣ ـ لما عزم بوذا على السياحة
قصد التعبد والتنسك وظهر عليه
« مارا » أي الشيطان كي يجربه.

١٣ ـ لما شرع يسوع في التبشير
ظهر له الشيطان كي يجربه .

١٤ ـ وقال مارا « الشيطان »
لبوذا لاتصرف حياتك في الأعمال
الدينية لأنك بمدة سبعة أيام تصير
ملك الدنيا .

١٤ ـ وقال « أي إبليس » له
(أي يسوع) أعطيك هذه « أي الدنيا »
جميعها إذاخررت وسجدت لي .

١٥ ـ فلم يعبأ بوذا بكلام
الشيطان بل قال له اذهب عني .

١٥ ـ فأجابه المسيح وقال اذهب
ياشيطان .

---

١٣ ـ دوان ص ٢٩٢ .
١٤ ـ دوان ص ٢٩٢ .
١٥ ـ دوان ص ٢٩٢ .

١٣ ـ إنجيل متي الإصحاح ٤ عدد ١ ـ ٨ .
١٤ ـ إنجيل متي الإصحاح ٤ من ١٠ ـ ١١ .
١٥ إنجيل لوقا الإصحاح ٤ عدد٨ .

١٦ ـ ولما ترك مارا « أي الشيطان » تجربة بوذا أمطرت السماء زهراً وطيباً ملأ الهواء طيب عرفه .

١٦ ـ ثم تركه إبليس وإذا ملائكة قدجاءت فصارت تخدمه .

١٧ ـ وصام بوذا وقتاً طويلا .

١٧ ـ وصام يسوع وقتاً طويلاً .

١٨ ـ وقد عمد بوذا المخلص حين عمادته بالماء وكان روح الله حاضراً وهو لم يكن الإله العظيم فقط بل وروح القدس الذي فيه صار تجسد كوتاما لما حل على العذراء مايا .

١٨ ـ ويوحنا عمد يسوع بنهر الأردن وكانت روح الله حاضرة وهو لم يكن الإله العظيم فقط بل والروح القدس الذي فيه تم تجسده عندما حل بالعذراء مريم فهو الآب والإبن وروح القدس .

١٩ ـ ولما كان بوذا على الأرض في أواخر أيامه بدلت هيئته وهو إذ ذاك على جبل « بندافا » أي الأصفر المبيض في « سيلان » ونزل عليه بغتة نور أحاط برأسه على شكل إكليل ويقولون إن جسده أضاء

١٩ ـ ولما كان يسوع على الأرض بدلت هيئته « وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه وصعد بهم إلى جبل عال منفردين وتغيرت هيئته قدامهم وأضاء وجهه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالنور.

---

١٦ ـ دوان ص ٢٩٢ .
١٧ ـ دوان ص ٢٩٢ .
١٨ ـ كتاب المسيح ص ٤٥ تأليف بمصن
١٩ ـ كتاب الملاك المسيح ص ٤٥ .

١٦ ـ إنجيل متى الإصحاح ٤ عدد ١١ .
١٧ ـ إنجيل متى الإصحاح ٤ عدد ٢ .
١٨ ـ إنجيل متى الإصحاح ٧ عدد ١، ٢ .

منه نور عظيـم وصـــــار كتمثال من

ذهب براق مضيء كالشمس أو كالقمر

وحينئذ تحول إلى ثلاثة أقسام مضيئة

وحينمارأى الحاضرون هذا التحـول

في هيئته قالوا ماهذا بشـــراً إن هـو

إلا إله عظيم .

٢٠ ـ وعمل بوذا عجائب وآيات مدهشة لخير الناس وكافة القصص المختصة فيه حاوية لذكرى أعظم العجائب مما يمكن تصوره .	٢٠ ـ وعمل يسوع عجائب وآيات مدهشة لخير الناس وكافة القصص المختصة فيه حاوية لذكرى أعظم العجائب مما يمكن تصوره .
٢١ ـ وفي صلاتهم لبوذا يتأمل المؤمنون به دخول الفردوس .	٢١ ـ وفي صلاتهم ليسوع يتأمل المؤمنون بألوهيته دخول الفردوس .
٢٢ ـ لما مات بوذا ودفن انحلت الأكفان وفتح غطاء التابوت بقوة غير طبيعية « أي بقوة إلهية » .	٢٢ ـ لما مات يسوع ودفن انحلت الأكفان وفتح القبر بقوة إلهية .
٢٣ ـ وصعد بوذا إلى السماء بجسده لما أكمل عمله على الأرض .	٢٣ ـ وصعد يسوع بجسده إلى السماء من بعد صلبه لما كمل عمله في الأرض .

٢٠ ـ دوان ص ٢٩٣ . ٢٠ ـ إنجيل متى الإصحاح ٨ عدد ٢٨ ـ ٣٤ وغيره .

٢١ ـ دوان ص ٢٩٣ . ٢١ ـ دوان ص ٢٩٣ .

٢٢ ـ كتاب بنصن الملاك المسيح ٤٩ . ٢٢ ـ إنجيل متى الإصحاح ٢٨ ، وإنجيل يوحنا الإصحاح ٢٠ .

٢٣ ـ دوان ص ٢٩٣ . ٢٣ ـ أعمال الرسل الإصحاح الأول عدد ١ ـ ١٢ .

٢٤ ـ ولسوف يأتي بوذا مرة ثانية إلى الأرض ويعيد السلام والبركة فيها .

٢٥ ـ وسيدين بوذا الأموات.

٢٦ ـ بوذا الألف والباء ليس له انتهاء وهو الكائن العظيم والواحد الأزلي .

٢٧ ـ قال بوذا فلتكن الذنوب التي ارتكبت في هذه الدنيا على ليخلص العالم من الخطيئة.

٢٨ ـ قال بوذا أخفوا الأعمال الحسنةالتي تفعلونهاواعترفوا بذنوبكم علانية .

٢٩ ـ ويصفون بوذا أنه ذات من نور غير طبيعية والشرير مارا

٢٤ ـ ولسوف يأتي يسوع مرة ثانية إلى الأرض ويعيد السلام والبركة فيها .

٢٥ ـ وسيدين يسوع الأموات.

٢٦ ـ يسوع الألف والباء ليس له انتهاء وهو الكائن العظيم والواحد الأبدي .

٢٧ ـ يسوع هومخلص العالم وكافة الذنوب التي ارتكبت في العالم تقع عليه عن الذين اقترفوها ويخلص العالم.

٢٨ ـ قال يسوع أخفوا الأعمال الحسنة التي تفعلونها واعترفوا بذنوبكم علانية.

٢٩ ـ ويصفون يسوع أنه ذات من نور طبيعية شمس بر وعدوه

---

٢٤ ـ دوان ص ٢٩٣ .
٢٥ ـ دوان ص ٢٩٣ .
٢٦ ـ دوان ص ٢٩٣ .
٢٧ كتاب مولر المدعو تاريخ الآداب السنسكرتية ص ٨٠ .
٢٨ ـ مولر كتابه المدعو العلوم الدينية ص ٢٨ .
٢٩ ـ بنصن الملاك المسيح ص ٢٩ ودوان ص ٢٩٤ .

٢٤ ـ أعمال الرسل الإصحاح الأول .
٢٥ ـ إنجيل متى الإصحاح ٦ عدد ٢٢ .
٢٦ ـ إنجيل يوحنا الإصحاح ١ عدد ١ .
٢٧ دوان ص ٢٩٣ وكذلك التعليم المسيحي .
٢٨ ـ إنجيل متى الإصحاح ٦ عدد ١ ورسالة يعقوب .
٢٩ ـ إنجيل يوحنا الإصحاح ٤ العدد ١ وإنجيل لوقا .

ويدعونه أيضاً الحية ذات مظلمة غير طبيعية. الشيطان الحية القديمة

٣٠ ـ وفي أحد الأيام إلتقى أناندا تلميذ بوذا وهو سائر في البلاد بالمرأة مناجي « وهى من سبط الكندلاس المرذولين قرب بئر ماء فطلب منها قليلاً من الماء فأخبرته عن سبطها وأنه لا يجوز له أن يقترب منه لأنها من سبط محتقر فقال لها ياأختي إني لم أسألك عن سبطك وعن عائلتك انما سألتك شربة ماء فصارت من ذاك الحين تلميذة بوذية .

٣٠ ـ وفي أحد الأيام قعد يسوع قرب بئر ماء بعد ماسار مسافة حتى كاد ينهكه التعب وبينما هو قرب البئر عند مدينة السامرة أتت امرأة سامرية لتملأ جربتها من البئر فقال لها يسوع اسقيني شربة ماء فقالت له المرأة السامرية أنت يهودي وكيف تطلب مني شربة ماء فإن اليهود لا يستحلون معاملة السامريين .

٣١ ـ قال بوذا إنه لم يأت لينقض الناموس كلا بل أتى ليكمله وقد سره عد نفسه حلقة في سلسلة المعلمين الحكماء .

٣١ ـ قال يسوع لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ماجئت لأنقض بل لأكمل.

٣٢ ـ وبحسب تعليم بوذا يجب أن تكون كافة أعمالنا مع أهلنا وجيراننا بالمحبة والحسنى .

٣٢ ـ وقال يسوع أحبوا أعدائكم باركوا لاعنيكم أحسنوا إلى مبغضيكم .

٣٣ ـ وفي أوائل أيام بوذا التي

٣٣ ـ وفي أوئل أيام يسوع التي

---

٣٠ ـ كتاب مولر المدعو العلوم الدينية ص ١٤٠ .
٣١ ـ كتاب بنصن الملاك المسيح ص ٤٧، ٤٨ .

٣٠ ـ إنجيل يوحنا الإصحاح ٤ عدد ١ : ١١ .
٣١ ـ إنجيل متى الإصحاح ٥ عدد ١٧ .
٣٢ ـ إنجيل متى الإصحاح ٥ عدد ٤٤ .
٣٣ ـ إنجيل متى الإصحاح ٤ عدد ١٣ ـ ٢٥ .

علم وبشر فيها ذهب إلى مدينة بينارس
وعلم فيها فتبعه كوندينا ثم تبعه أربعة
رجال آخرين وصاروا جمعيهم
تلامذة له ومن ذلك الحين صار أينما
علم وكرز يتبعه رجال ونساء كثيرون
ويصيرون من أتباعه وتلاميذه .

٣٤ ـ وقال بوذا للذين صاروا
تلامذة ليتركوا الدنيا وغناهم وينذروا
عيشة الفقر والفاقة .

٣٥ ـ وجاء في كتاب البوذية
القانونية المقدسة أن الجموع طلبوا
من بوذا علامة « أي آية » ليؤمنوا به .

٣٦ ـ لما اقترب انتهاء أيام بوذا
على الأرض وعلم الحوادث المقبلة
التي ستقع قال لتلميذه أناندا مايأتي :
ياأناندا متى أنا ذهبت لاتظن أنه لم

علم وبشر فيها إلى مدينة كفر
ناحوم وعلم فيها فتبعه من ذاك الحين
أربعة رجال صيادين وصاروا تلاميذ
له ومن هذا الحين صار أينما كرز يتبعه
رجال ونساء كثيرون يؤمنون به .

٣٤ ـ وقال يسوع للذين صاروا
تلامذة له ليتركوا غناهم وينذروا
عيشة الفقر والفاقة .

٣٥ ـ وجاء في كتب النصارى
المقدسة أن الجموع طلبوا من يسوع
آية لكي يؤمنوا به .

٣٦ ـ لما اقترب انتهاء أيام يسوع
على الأرض أخبر عن الحوادث التي
ستقع من بعده وقال لتلاميذه : اذهبوا
وتلمذوا جميع الأمم وعلموهم أن

---

٣٤ ـ هاردي في كتابه المدعو الرهبانية في الشرق ص ٥ ، ٦٢ .
٣٥ ـ كتاب علم الأديان ص ٣٧ تأليف مولر .
٣٦ ـ كتاب المونا شيزم الشرقية ص ٢٣٠ تأليف هاردي .

٣٤ ـ إنجيل متى الإصحاح ٨ عدد ١٩ ، ٢٠ والإصحاح ١٦ عدد ٣٥ ، ٢٦ .
٣٥ ـ إنجيل متى الإصحاح ١٢ عدد ١٢ .
٣٦ ـ إنجيل متى الإصحاح ٢٤ وإنجيل مرقس الإصحاح ٨ عدد ٣١ .

يعد لبوذا وجود كلا ، فالكلام الذي
قلته والفرائض التي افترضتها تكون
خلفاً عني وهى لك كذاتي أنا .

٣٧ـ وجاء في التعاليم البوذية
أن إنفاق الإنسان لما له من أعظم
الصعوبات ومن ينفق غناه هو أشبه
بمن يهب روحه : لأن النفس تبخل
بالمال وتتمسك به وبوذا قد وهب
ونذر حياته شفقة وحنوا الخير
الناس فلماذا نتمسك بغناء الدنيا
الزهيد ولما تخلص بوذا من حب
المشتهيات الدنيوية وملذاتها نال
المعرفة الإلهية وصار الرأس فليعمل
الرجل الحكيم الهاجر لملذات الدنيا
الخير مع كل أحد حتى تقديم نفسه
فداء عن الغير عندها يصل إلى
المعرفة الحقيقية

٣٨ـ وكان قصد بوذا تشييد
مملكةدينية أي مملكة سماوية .

يحفظوا هم جميع ماأوصيتكم به وها
أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر .

٣٧ـ وإذا واحد تقدم وقال
له أيها المعلم الصالح أي صلاح أعمل
ليكون الحياة الأبدية قال له يسوع :
إن أردت أن تكون كاملا فاذهب
وبع أملاكك واعط الفقراء فيكون
لك كنز في السماء وتعال اتبعني
لاتكنزوا لكم كنوزا على الأرض
حيث يفسد السوس والصدأ وحيث
ينقب السارقون ويسرقون بل اكنزوا
لكم كنوزا في السماء حيث لا يفسد
سوس ولا صدأ وحيث لا ينقب
سارقون ولا يسرقون

٣٨ـ ومن ذلك الزمان ابتدأ
يسوع يكرز يقول توبوا لأنه

٣٧ـ مولر في كتاب علوم الدين ص ٢٤٤ .
٣٨ـ بيل تاريخ البوذية ص ١٠ .

٣٧ـ إنجيل متى الإصحاح ٦ عدد ١٩ ، ٢٠ .
٣٨ـ إنجيل متى الإصحاح ٤ عدد ٧ .

اقترب ملكوت السموات .

٣٩ ـ وقال بوذا الآن أحببت إدارة دولاب الشريعة العظيم ومن أجل هذا فإني ذاهب إلى مدينة بينارس لأهب نوراً للتائهين في الظلام وأفتح باب الحياة للإنسانية .

٣٩ ـ من بعد تجربة الشيطان ليسوع ابتدأ يسوع بتأسيس مملكة دينية ومن أجل هذا الغرض ذهب إلى مدينة كفر ناحوم ومن ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول توبوا لأنه قد اقترب ملكوت الله الشعب الجالس في ظلمة أبصر نوراً عظيماً والجالسون في كورة الموت وظلاله أشرق عليهم نور.

٤٠ ـ وقال بوذا للتلميذ الحبيب أناندا إن كلامي لا ريب فيه فلا يزول قطعياً ولو وقعت السموات على الأرض وابتلع العالم وجفت البحار واندك جبل سومر وصار قطعاً .

٤٠ ـ الناموس أعطي لموسى أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صار الحق أقول لكم السماء والأرض تزول ولكن كلامي لا يزول .

٤١ ـ قال بوذا لا يوجد شئ

٤١ ـ قال يسوع : قد سمعتم أنه

---

٣٩ ـ بيل تاريخ البوذية ص ١٤٤ .
٤٠ ـ بيل تاريخ البوذية ص١١ .
٤١ ـ كتاب تقدم الأفكار الدينية المجلد الأول ص ٢٢٨ .

٣٩ ـ إنجيل متى الإصحاح ٤ عدد ٢١، ١٧ .
٤٠ ـ إنجيل يوحنا الإصحاح الأول عدد ١٧ ، وإنجيل لوقا.
٤١ ـ إنجيل متى الإصحاح الخامس عدد ٢٧ ـ ٢٨

أعظم فعلاً في الإنسان من الإشتهاء
والهواء الشهواني ولحسن الحظ
والسعادة لا يوجد سوى اشتها ء
شهواني واحد ولوكان يوجد اشتهاء
آخر لما كان على وجه الأرض رجل
يتبع الحق فاحترسوا من تحقيق
بصركم في النساء وإن كنتم مجتمعين
معهن فاجعلوا اجتماعكم كأنكم غير
حاضرين معهم وإذا كلمتوهن
فاحترسوا على قلوبكم .

قيل للقدماء لاتزن وأما أنا فأقول
لكم إن كل من ينظر إلى إمرأة
ليشتهيها فقد زنى بها قلبه.

٤٢ ـ وقال بوذا الرجل العاقل
الحكيم لا يتزوج قط ويري الحياة
الزوجية كأتون نار متأججة ومن
لم يقدر على المعيشة الرهبانية يجب
عليه الإبتعاد عن الزنى .

٤٢ ـ فحسن للرجل أن لايمس
امرأة ولكن إن لم يضبطوا أنفسهم
فليزوجوا لأن التزويج أصلح من
التحرق .

٤٣ ـ ومن جملة التعاليم البوذية
قولهم إذا أصاب الإنسان حزن

٤٣ ـ وفيما هو مجتاز رأى إنساناً
أعمى منذ ولادته فسأله تلاميذه

---

٤٢ ـ ريس دانس في كتابه المدعو البوذية ص ١٠٣ .
٤٣ ـ ريس دانس في كتابه المدعو البوذية ص ١٠٤ .

٤٢ ـ رسالة كورنثوس الأولى الإصحاح ٧ عدد ١ ـ ١٩ .
٤٣ ـ إنجيل يوحنا الإصحاح التاسع عدد ١ ، ٢ .

وآلام وبؤس وقنوط فإن ذلك يدل على أنه ارتكب آثاماً وهذه الآلام جزاء عليها وإذا لم يكن ارتكب شيئاً من حياته لا بد أن يكون قد ارتكبه في أحد الأدوار السابقة من ظهوره « أي في أحد أدوار تقمصه ».

قائلين : يامعلم من الخطأ هذا أم أبواه حتى ولد أعمى.

٤٤ ـ كان بوذا يعلم أفكار الناس عندما يدير تصوراته نحوهم ويقدر على معرفة أفكار المخلوقات كلها .

٤٤ ـ كان يسوع يعلم أفكار الناس عندما يدير تصوراته نحوهم وأنه قادر على معرفة أفكار المخلوقات كلها .

٤٥ ـ وجاء في كتاب الصومادیفا حكاية منسوبة لأحد القديسين البوذيين أنه أقلع عينه ورماها لأنها شككته .

٤٥ ـ قال يسوع فإن كانت عينك اليمين تعثرك فاقلعها وألقها عنك .

٤٦ ـ لما عزم بوذا على التنسك كان راكباً جواداً يدعى كنتاكو ففرشت الملائكة طريقه بالزهر .

٤٦ ـ لما كان يسوع داخلا أورشليم راكباً على حمار فرشت له الجموع الطريق بأغصان النخيل .

---

٤٤ ـ هردي في كتابه المدعو خرافات البوذيين ص ١٨ .
٤٥ ـ كتاب مولر المسمى العلوم الدينية ص ٥٤٢ .
٤٦ ـ هردي في كتابه المسمى خرافات البوذيين ص ١٣ .

٤٤ ـ إنجيل يوحنا الإصحاح الرابع كلامه مع المرأة السامرية .
٤٥ ـ إنجيل متى الإصحاح ٥ عدد ٢٩ .
٤٦ ـ إنجيل متى الإصحاح ٢١ عدد ١، ٩ .

« ويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم »

حذر سبحانه من التبديل والتغيير والزيادة في الشرع فكل من بدّل وغيّر أو ابتدع في دين الله ماليس منه ولا يجوز فيه فهو داخل في هذه الآية

﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾ (البقرة : ٧٩).

وفيها وعيد شديد وعذاب أليم لكل من صنع ذلك ونسبه إلى الله وقد حذر رسول الله ﷺ أمته لما قد علم مايكون في آخر الزمان فقال : « **ألا إن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة** » فحذرهم أن يُحدثوا من تلقاء أنفسهم في الدين خلاف كتاب الله أو سنته أو سنة أصحابه فيضلوا به النَاس .

وقد وصف الله تعالى مايأخذونه بالقلة إما لفنائه وعدم ثباته وإما لكونه حراماً لأن الحرام لا بركة فيه ولا يربو عند الله. قال ابن اسحاق وغيره كانت صفة رسول الله ﷺ في كتابهم رَبْعه أسمر فجعلوه آدم سميْطا طويلاً وقالوا لأصحابهم وأتباعهم : انظروا إلى صفة النبي ﷺ الذي يبعث في آخر الزمان ليس يشبهه نعت هذا . وكانت للأحبار والعلماء رئاسة ومكاسب فخافوا إن بينوا أن تذهب مآكلهم ورئاستهم فمن ثم غيروا .

حال الأناجيل الموجودة

الإنجيل معناه البشارة بالعبرية ، والأناجيل المعروفة لدى النصارى أربعة (متى ويوحنا ولوقا ومرقص) أماإنجيل برنابا فلا تعترف به الكنيسة وهذه الأناجيل تختلف فيما بينها وقد ألفها التلاميذ بعد رفع المسيح وهى تتسم بإنقطاع السند وعدم العلم بالمؤلف الحقيقي والمترجم ولم تسلم من المسخ والتحريف بالزيادة والحذف وهذه الأربعة المذكورة هى التي أقرتها الكنيسة وإلا فالأناجيل تزيد على المائة ويعتبر إنجيل (متى) أقدمها وهو مترجم والأصل مفقود ثم هناك اختلاف في

إنجيل مرقص وهل هو بطرس أم مرقص الذي كان ينكر ألوهية عيسى ، أما بالنسبة للوقا فقد كان من تلاميذ بولس وكان بولس يهودياً متعصباً على المسيحية وأباح لهم أكل الميتةوشرب الخمر ويأتي بعده يوحنا الذي تعتمد الكنيسة في معتقدها عليه مع علمها اليقيني بعدم صحة نسبة هذا الإنجيل إليه .

وهذه الأناجيل جميعاً تختلف عن الإنجيل المنزل على عيسى صلوات الله وسلامه عليه ولم يذكر نسب المسيح إلا في الإنجيلين (متى ولوقا) فقد انفردا بذكر النسب واختلفا اختلافاً كبيراً في نسبه بل والتناقض بينهما واضحاً لا يمكن معه التوفيق فنسبه في لوقا ينتهي إلى يهود بن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم وكذلك متى وفي لوقا من أولاد ناثان بن داود وأن آباء المسيح غير سلاطين وغير مشهورين وفي متى من أولاد سليمان وأن آباء المسيح سلاطين مشهورين !!! ‹

فالقوم يكتبون بلا تحقيق ويؤمنون بلا تثبت ويصدقون بكل مايُلقى عليهم من رؤساء الدين في الكتاب المقدس وغيره وإن شئت قلت هم قوم بلا إسناد فلا سند متصل صحيح عندهم فكيف يوثق بأخبارهم ومن المعلوم أن الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ماشاء كما قال ابن المبارك رحمه الله لما قيل له : مابال هذه الأحاديث الموضوعة،قال تعيش لها الجهابذة .

إنجيل برنابا

وهو أقربها إلى الحق والصواب وقد جاء فيه مايلي : « ماأسعد الزمن الذي سيأتي فيه إلى العالم ، صدقوني إني رأيته وقدمت له الإحترام كما رآه كل نبي لأن الله يعطيهم من روحه نبّوة ولما رأيته امتلأت عزاءً قائلاً : يامحمد ليكن الله معك وليجعلني أهلاً أن أحل سَيْرَ حذائك لأني إن نلت هذا صرتُ نبياً عظيماً وقدوس الله ...... »

وجاء في إنجيل « يوحنا» وهو من الأناجيل المعتمدةعند النصارى لفظ فارقليط وهو معرب من اللفظ اليوناني الأصل « باركلي طوسن » ومعناه « المعزِّي ، والمعين والوكيل » ويشابهه لفظ « بير كلوطوس » ومعناه « محمد وأحمد ومحمود » .

يري صاحب كتاب « إظهارالحق » العلامة « رحمة الله الهندي » :

(أنه من الواضح أن التفاوت بين اللفظين يسير جداً وأن الحروف اليونانية كانت متشابهة وأن تصحيف بيركلوطوس إلى « باركلي طوس » من الكاتب في بعض النسخ قريب القياس ثم رجح أهل التثليث هذه النسخة على النسخ الأ خرى ......)

وأهل التثليث هم النصارى الذين يقولون : إن الله هو الآب والإبن عيسى وروح القدس (جبريل) وقد حكى القرآن الكريم قولهم حين قال تعالى : ﴿ **لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ....** ﴾(سورة المائدة : ٧٣) تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا وهكذا فأنت ترى أن لفظ « المعزي أو فارقليط » المذكور في الأناجيل المعتمدة عندهم هو التبشيربإسمه « محمد » أو « أحمد » وهذه البشارة هى المذكورة حكاية عن المسيح في قوله جل وعلا : ﴿ **ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد** ﴾ (الصف : ٦)

كنت في المطبعة يوماً في السبعينات وتقابلت هناك مع رجل يُدعي « بسة » يطبع كتباً للكنيسة ودار حوار بيننا فقلت له : بشارة النبي ﷺ باسمه الصريح مذكورة في إنجيل برنابا فرد عليّ قائلاً : برنابا كان زانياً ولذلك طردته الكنيسة !! فانتهى الحوار وانصرفنا .

«اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله »

روى الترمذي عن عدي بن حاتم قال : أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب فقال : « **ماهذا ياعدى ، اطرح عنك هذا الوثن** » وسمعته يقرأ في سورة براءة قوله تعالى : ﴿ **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم** ﴾ (سورةالتوبة : ٣١) ثم قال : « **أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه** » قال : هذا حديث غريب ،

وأخرج ابن سعد وعبد بن حميد والترمذي وحسنه وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في سننه عن عدي بن حاتم قال : أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ في سورة براءة في قوله تعالى : ﴿ **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله** ﴾

فقال : **أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه** »وأخرجه أيضاً أحمد وابن جرير ، وقد سُئل حذيفة عن هذه الآية هل عبدوهم ؟ فقال : لا ولكن أحلوا لهم الحرام فاستحلوه وحرموا عليهم الحلال فحرموه .

والأحبار من اليهود والرهبان من النصاري أو الأحبار العلماء والرهبان العباد وكان عبد الله بن المبارك يقول :

وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها .

وينبغي التفريق بين من تابع في الإعتقاد وبين من تابع في العمل كما ذكر ابن تيمية فمن اعتقد حل الخمر مع معرفته بأن الله حرمها يكفر بعكس من شربها معتقداً حرمتها لضعف إيمانه مع إقراره على نفسه بالذنب فهذا يفسق وله حكم أهل الذنوب والمعاصي .

مجمع قسطنطين وقانون الإيمان

كان هذا المجمع في نيقية سنة ٣٢٥ م في عشرين من مايو وقد عُقد بأمر الإمبراطور الروماني قسطنطين وقد حضره بنفسه وحشرله البطارقة والأساقفة من سائر الآفاق للإتفاق على عقيدة واحدة حتى اجتمع منهم ألفان وثمانية وأربعون أسقفاً وكانوا مختلفي الآراء متبايني الأهواء فكثر لغطهم.

ولم يتفق منهم إلا ٣١٨ أسقفاً على رأي، وناظروا فيه بقية الأساقفة وظهروا عليهم وكان السبب في عقد هذا المجمع قول آريوس (أن يسوع المسيح ليس أزلياً وإنما هومخلوق من الآب وأن الإبن ليس مساوياً للآب في الجوهر) وقرر المجمع تحريم بدعة آريوس وحرق كتبه وقد فصل المجمع أيضاً في مشكلة تحديد اليوم الذي يقع فيه عيد الفصح أي يوم القيامةوفي مشكلة معمودية الهراطقة (المبتدعة) العائدين إلى المسيحية وفي غير ذلك من المسائل وقد عقد الملك لهؤلاء الأساقفة مجلساً خاصاًجلس في وسطه ودفع إليهم خاتمه وسيفه وقضيبه وقال لهم : سلطتكم على المملكة فاصنعوا مافيه قوام دينكم وصلاح أمتكم فباركوه عليه وقلدوه سيفه وقالوا له : أظهر دين النصرانية وذب عنه ودفعوا إليه الأمانة التي اتفقوا على وضعها فلا يكون عندهم نصراني من لم يقر بها ولا يتم قربان إلا بها وهذه الأمانة يسميها النصارى الآن

« **قانون الإيمان** » ونصها مايلي :

« نؤمن بالله الواحد الآب مالك كل شئ صانع مايري ومالا يري وبالرب الواحد يسوع بن الله الواحد بكر الخلائق كلها الذي ولد من أبيه قبل العوالم كلها وليس بمصنوع إله حق من إله حق من جوهر أبيه الذي بيده أتقنت العوالم وخلق كل شئ الذي من أجلنا معشرالناس ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس وصار إنساناً وحمل به ثم ولد من مريم البتول وأولم وأوجع وقتل وصلب ودفن وقام في اليوم الثالث وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه وهومستعد

للمجئ مرة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء، ونؤمن بروح القدس الواحد روح الحق الذي يخرج من أبيه روح محيية وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا وبجماعة واحدة قدسية جايلتقية وبقيامة أبداننا والحياة الدائمة أبد الآبدين »
فصرحوا فيها بأن المسيح رب وأنه ابن إله وإنه بكره ليس له ولد غيره وأنه ليس بمصنوع .... أي ليس بعبد مخلوق بل هو رب خالق وأنه إله حق استل وولد من إله حق وأنه مساو لأبيه في الجوهر وأنه بيده أتقنت العوالم وهذه اليد التي أتقنت العوالم بها عندهم هى التي ذاقت حر المسامير كما صرحوا به في كتبهم ثم تعددت مجامعهم وفي كل مرة يعلنون تمسكهم بهذه العقيدة ويزيدون عليها ضلالات ويلعنون ويكفرون كل من خرج عليها من أساقفتهم .

ففي عام ٤٥٠ م قرر مؤتمر الكنيسة البزنطية تحت رعاية الإمبراطور بولشير المنعقد بمدينة خلقيدون بآسيا الصغرى اعتبار نسطور وجماعته خارجين عن الجماعة المسيحية المؤمنة ومستحقين للعنة الرب والمسيح بسبب أنهم أنكروا وجود ثلاث ذوات مستقلة وقالوا إن هذه الألفاظ : الله والكلمة والروح القدس ترجع مدلولاتها إلى شئ واحد ولاتدل على ذوات ثلاث في واقع الأمر بل الله هوالذات الواحدة وهو وحده أصل العالم وكلمته على معنى علمه والروح القدس على معنى القوة المدبرة حالان أو اعتباران لذاته » .

وفي المجمع التاسع وكان رئيس هذا المجمع بترك قسطنطينية وبترك أنطاكية ولم يكن لبيت المقدس والإسكندرية بترك لعنوا من تقدم من القديسين الذين خالفوهم وسموهم واحداً واحداً وهم جماعة ولعنوا أصحاب المشيئة الواحدة ولما لعنوا هؤلاء جلسوا فخلصوا الأمانة المستقيمة بزعمهم فقالوا : « نؤمن بأن الواحد من اللاهوت الإبن الوحيد الذي هو الكلمة الأزلية الدائم المستوي مع الآب الإله في الجوهر الذي هو ربنا يسوع المسيح بطبيعتين تامتين وفعلين ومشيئتين في أقنوم واحد ووجه واحد يُعرف تاما بلاهوته تاما بناسوته وشهدت كما شهد مجمع الخيلقدونية

على ماسبق أن الإله الإبن في آخر الأيام اتحد مع العذراء السيدة مريم القديسة جسداً إنساناً بنفسين وذلك برحمة الله تعالى محب البشر ولم يلحقه اختلاط ولا فساد ولا فرقة ولافصل ولكن هو واحد يعمل بما يشبه الإنسان أن يعمله في طبيعته ومايشبه الإله يعمل في طبيعته الذي هو الإبن الوحيد والكلمة الأزلية المتجسدة إلى أن صارت في الحقيقة لحماً كما يقول الإنجيل المقدس من غير أن تنتقل عن محلها الأزلي وليست بمتغيرة ولكنها بفعلين ومشيئتين وطبيعتين إلهي وإنسي الذي بهما يكون القول الحق وكل واحدة من الطبيعتين تعمل مع شركة صاحبتها مشيئتين غير متضادين ولا متضارعتين ولكن مع المشيئة الإنسية في المشيئة الإلهية القادرة على كل شئ » .

ثم كان لهم « مجمع عاشر » لما مات ملك قسطنطينية وولي بعده ابنه واجتمع فريق المجمع السادس وزعموا أن اجتماعهم كان على الباطل فجمع الملك مائة وثلاثين أسقفاً فثبتوا قول المجمع السادس ولعنوا من لعنهم وخالفهم وثبتوا قول المجامع الخمسة ولعنوا من لعنوا وانصرفوا فانقرضت هذه المجامع والحشود وهم علماء النصارى وقدماءهم وناقلوا الدين إلى المتأخرين وإليهم يستند من بعدهم . وقد اشتملت هذه المجامع العشرة المشهورة على زهاء أربعة عشر ألفاً من الأساقفة والبتاركة والرهبان كلهم يكفر بعضهم بعضاً ويلعن بعضهم بعضاً فدينهم إنما قام على اللعنة بشهادة بعضهم على بعض وكل منهم لاعن ملعون .

المسيح لم يفوضهم في التشريع

هم يقرون أن المسيح قال : « إنما جئتكم لأعمل بالتوراة وبوصايا الأنبياء قبلي وماجئت ناقضاً بل متمماً ولأن تقع السماء على الأرض أيسر عند الله من أن أنقض شيئاً من شريعة موسى ومن نقض شيئاً من ذلك يُدعى ناقضاً في ملكوت السماء»[1] وقال لأصحابه : « اعملوا بما رأيتموني أعمل وارضوا من الناس بما أرضيتكم به

١ ـ الإصحاح الخامس من متي الآية (١٧) ومابعدها

ووصوا الناس بما وصيتكم به وكونوا معهم كما كنت معكم وكونوا لهم كما كنت لكم »[1] ومازال أصحاب المسيح بعده على ذلك قريباً من ثلاثمائة سنة كما يذكر الإمام ابن القيم رحمه الله ثم أخذ القوم في التغيير والتبديل والتقرب إلى الناس بما يهوون ومكايدة اليهود ومناقضتهم بما فيه ترك دين المسيح والإنسلاخ منه جملة فرأوا اليهود قد قالوا في المسيح : إنه ساحرمجنون ممخرق ولد زنية فقالوا : هوإله تام وهو ابن الله !! ورأوا اليهود يختتنون فتركوا الختان ! ورأوهم يبالغون في الطهارة فتركوها جملة ، ورأوهم يتجنبون مؤاكلة الحائض وملامستها ومخالطتها جملة فجامعوها !! ورأوهم يحرمون الخنزير فأباحوه وجعلوه شعار دينهم ورأوهم يحرمون كثيراً من الذبائح والحيوان فأباحوا مادون الفيل إلى البعوضة وقالوا : كل ماشئت ودع ماشئت لاحرج ورأوهم يستقبلون بيت المقدس في الصلاة فاستقبلوا هم الشرق ورأوهم يحرمون على الله نسخ للشريعة شرعها فجوزوا هم لأساقفتهم وبتاركهم أن ينسخوا ماشاءوا ويحللوا ماشاءوا ويحرموا ماشاءوا ورأوهم يحرمون السبت ويحفظونه فحرموا هم الأحد وأحلوا السبت مع إقرارهم بأن المسيح كان يعظم السبت ويحفظه ورأوهم ينفرون من الصليب فإن في التوراة « ملعون من تعلق بالصليب »[2] والنصارى تقر بهذا فعبدوا هم الصليب وهكذا ذهبت النصارى تنقض شريعة موسى وعيسى شريعة شريعة مكايدة لليهود ومغايظة لهم واحتيالاً بذلك على الأمم ليحببوهم إلى دين المسيح ويدخلوهم فيه وكانوا كلما أرادوا إحداث شئ اجتمعوا مجمعاً وافترقوا فيه على مايريدون احداثه !!

صناديق الغفران

ليس عند النصاري علي من زنا أو لاط أو سكر حد في الدنيا أبداً ولا عذاب في الآخرة لأن القس والراهب يغفره لهم فكلما أذنب أحدهم ذنباً أهدى للقس هدية أو أعطاه شيئاً ليغفر له به !! وإذا زنت امرأة أحدهم بيتها عند القس ليطيبها له فإذا

١ـ الإصحاح الثالث والعشرون من متي .

٢ ـ سفر التثنية الإصحاح (٢١) الآية (٢٣).

انصرفت من عنده وأخبرت زوجها أن القس طيبها قبل ذلك منها وتبرك به!!

مَن يطيب من ، ومن يطهر من ؟! وأين هذا من قوله سبحانه : ﴿ **وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون** ﴾ (البقرة : ١٨٦) وقوله تعالى : ﴿ **نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم وأن عذابى هو العذاب الأليم** ﴾ (الحجر : ٤٩ ، ٥٠) .

وقوله عزوجل : ﴿ **والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفرالذنوب إلا الله ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون** ﴾
(آل عمران : ١٣٥) .

فالتوبة النصوح يشترط فيها الندم على مامضى والعزم على عدم العودة فيه مرة ثانية والإقلاع بالجوارح عن كل مايغضب الله ورد الحقوق لأصحابها إن تعلقت المظلمة بالآدميين .

قال تعالى : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا** ﴾ (التحريم : ٨) .

أول من ابتدع اللاهوت والناسوت في شأن المسيح هو بولس وأول من ابتدع شارة الصليب قسطنطين

انتهى عصر دقيانوس وقصته مع أصحاب الكهف معلومة ثم قام بعده قيصر آخر وفي زمنه جعل في انطاكية بتركاً يسمي « بولس الشمشاطي» وهو أول من ابتدع في شأن المسيح اللاهوت والناسوت وكانت النصارى قبله كلمتهم واحدة أنه عبد رسول مخلوق مصنوع مربوب لا يختلف فيه اثنان منهم فقال بولس هذا ـ وهو أول من افسد دين النصارى ـ إن سيدنا المسيح خُلق من اللاهوت إنساناً كواحد منا في جوهره وأن ابتداء الإبن من مريم وأنه اصطفي ليكون مخلصاً لجوهرالإنسي صحبته النعمة الإلهية فحلت فيه بالمحبة والمشيئة ولذلك سمي ابن الله وقال إن الله جوهرواحد وأقنوم واحد .

« قال سعيد بن البطريق » : وبعد موته اجتمع ثلاثة عشر أسقفاً في مدينة انطاكية ونظروا في مقالة « بولس » فأوجبوا عليه اللعن فلعنوه ولعنوا من يقول بقوله وانصرفوا .

ثم ذكر سعيد بن البطريق ماكان من قسطنطين وكيف أنه كان مبغضاً للشر محباً للخير فلما سمع أهل رومية به وأن أهل مملكته معه في هدوء وسلام كتب رؤسائهم إليه يسألونه أن يخلصهم من عبودية ملكهم فلما قرأ كتبهم اغتم غماً شديداً وبقي متحيراً لايدري كيف يصنع » .

قال سعيد بن البطريق : « فظهر له على مايزعم النصارى نصف النهار في السماء « صليب » من كوكب مكتوباً حوله « بهذا تغلب » فقال لأصحابه رأيتم مارأيت ؟ قالوا : نعم فآمن حينئذ بالنصرانية فتجهز لمحاربة قيصر المذكور وصنع صليباً من ذهب وصيره على رأس الجند وخرج بأصحابه فأعطى النصر على قيصر فقتل من أصحابه مقتلة عظيمة وهرب الملك ومن بقي من أصحابه فخرج أهل رومية إلى قسطنطين بالإكليل الذهب وبكل أنواع اللهو واللعب فتلقوه وفرحوا به فرحاً عظيماً فلما دخل المدينة أكرم النصارى وردهم إلى بلادهم بعد النفي والتشريد وأقام أهل رومية بضعة أيام يُعيِّدون للملك وللصليب ...وقد ذكر يوسابيوس القيصري في كتابه « حياة قسطنطين العظيم » ترجمة القمص مرقس داود مانصه : « أن الله أظهر لقسطنطين وهو يصلي هيئة صليب من نور في السماء في منتصف النهار وكتبت تحته عبارة تنصحه بأنه بهذا يغلب ثم ظهر له في نومه مسيح الله وأمره بأن يستعمل في حروبه علماً مصنوعاً على شكل صليب .

تعليق على اتخاذ النصارى للصليب

لاندري كيف ساغ القوم أن يعظموا الصليب بل ويعبدوه بهذه الكيفية وقد ورد في التوراة « ملعون من تعلق بالصليب » وهم يقرون أن المسيح قال : « إنما جئتكم لأعمل بالتوراة وبوصايا الأنبياء قبلي وماجئت ناقضاً بل متمماً .... » وهل كان

أوائلهم وأصحاب عيسى على باطل وضلال ونقصان عندما لم يتخذوا الصليب وهل كان أمرهم ينتقصه مجئ قسطنطين بشارة الصليب ؟! وهل يسوغ لهم مخالفة المسيح بفعل قسطنطين وغيره ؟!! وهل يصح ترك نصوص الإنجيل عندهم بما يراه قسطنطين يقظةً أو مناماً ؟! وهل هم يقصرون هذا الأمر على قسطنطين. أم هو أمر مطرد عندهم؟! نحن لا ننتظر إجابة من النصارى فأمرهم أوضح من أن يخفى على من عنده شئ من الفطرة أو العقل البسيط فإن زعموا أن المسيح قُتل على الصليب قلنا : هذه مقدمة بحاجة لإثبات وبرهان ثم لو صحت ـ وهي غير صحيحة ـ فكيف تعظمون وتعبدون ماصُلب عليه إلهكم ومعبودكم ؟! وهل يستطيع الإنسان أن ينظر للسكين التي ذبح بها ابنه ؟! .

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ولا تجعله ملتبساً علينا فنضل واجعلنا للمتقين إماماً .

النصارى أشد الأمم اختلافاً في معبودها ونبيها ودينها

يقول الإمام ابن القيم[1]: « فلو سألت الرجل وامرأته وابنته وأمه وأباه عن دينهم لأجابك كل منهم بغيرجواب الآخر ولو اجتمع عشرة منهم يتذاكرون الدين لتفرقوا عن أحد عشر مذهباً مع اتفاق فرقهم المشهورة اليوم على القول بالتثليث وعبادة الصليب وأن المسيح ابن مريم ليس بعبد صالح ولا نبي ولا رسول وأنه إله في الحقيقة وأنه هو خالق السموات والأرض والملائكة والنبيين وأنه هو الذي أرسل الرسل وأظهر على أيديهم المعجزات والآيات وأن للعالم إلهاً هوآب والد لم يزل، وأن ابنه نزل من السماء وتجسم من روح القدس ومن مريم وصار وهو ابنها الناسوتي إلهاً واحداً ومسيحاً واحداً وخالقاً واحداً ورازقاً واحداً وحبلت به مريم وولدته ، وأخذ وصلب وألم ومات ودفن وقام بعد ثلاثة أيام وصعد إلى السماء وجلس عن يمين

---

١ ـ هداية الحياري ٣٠٧ ومابعدها .

أبيه ، قالوا والذي ولدته مريم وعاينه الناس وكان بينهم هو الله وهو ابن الله وهو كلمة الله فالقديم الأزلي خالق السموات والأرض هو الذي حبلت به مريم وأقام هناك تسعة أشهر وهو الذي ولد ورضع وفطم وأكل وشرب وتغوط وأخذ وصلب وشد بالحبال وسمرت يداه ثم اختلفوا : فقالت « اليعقوبية » ....إن المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين : إحداهما .. طبيعة الناسوت والأخرى طبيعة اللاهوت وأن هاتين الطبيعتين تركبتا فصار إنساناً واحداً وجوهراً واحداً وشخصاً واحداً فهذه الطبيعة الواحدة والشخص الواحد هوالمسيح وهو إله كله وإنسان كله وهو شخص واحد وطبيعة واحدة من طبيعتين وقالوا : إن مريم ولدت الله وأن الله سبحانه قبض وصلب وسمر ومات ودفن ثم عاش بعد ذلك . [1]

وقالت الملكية وهى الروم نسبة إلى دين الملك إن الإبن الأزلي الذي هو الكلمة تجسدت من مريم تجسداً كاملاً كسائر أجساد الناس وركبت في ذلك الجسد نفساً كاملة بالعقل والمعرفة والعلم كسائر أنفس الناس وأنه صار إنساناً بالجسد والنفس الذين هما من جوهرالناس وإلها بجوهر اللاهوت كمثل أبيه لم يزل وهو إنسان بجوهر الناس مثل إبراهيم وموسى ودواد وهو شخص واحد لم يزد عدده ، وثبت له جوهر اللاهوت كما لم يزل ، وصح له جوهر الناسوت الذي لبسه من مريم وهوشخص واحد لم يزد عدده وطبيعتان ولكل واحدة من الطبيعتين مشيئة كاملة فله بلاهوته مشيئة مثل الآب وله بناسوته مشيئة إبراهيم وداود

وقالوا : إن مريم ولدت « المسيح » وهو اسم تجمع اللاهوت والناسوت وقالوا :

إن الذي مات هوالذي ولدته مريم وهو الذي وقع عليه الصلب والتسمير والصفع والربط بالحبال واللاهوت لم يمت ولم يألم ولم يدفن قالوا :

وهوإله تام بجوهر لاهوته وإنسان تام بجوهر ناسوته وله المشيئتان : مشيئة اللاهوت ومشيئة الناسوت .....

---

١ ـ وهذا مذهب النصارى الأرثوذكس وهؤلاء عناهم سبحانه بقوله : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ﴾ .

فأتوا بمثل ماأتى به اليعقوبية من أن مريم ولدت الإله إلا أنهم بزعمهم نزهوا الإله عن الموت وإذا تدبرت قولهم[1] وجدته في الحقيقة هو قول اليعقوبية مع تنازعهم وتناقضهم فيه فاليعقوبية أطرد لكفرهم لفظاً ومعنى .

وأما النسطورية فذهبوا إلى القول بأن المسيح شخصان وطبيعتان لهما مشيئة واحدة وأن طبيعة اللاهوت لما وجدت بالناسوت صار لهما إرادة واحدة واللاهوت لا يقبل زيادة ولا نقصانا ولا يمتزج بشيء والناسوت يقبل الزيادة والنقصان فكان المسيح بذلك إلهاً وإنساناً فهو الإله بجوهر اللاهوت الذي لا يقبل الزيادة والنقصان وهو إنسان بجوهر الناسوت الذي يقبل الزيادة والنقصان وقالوا : إن مريم ولدت المسيح بناسوته وإن اللاهوت لم يفارقه قط .

وكل هذه الفرق استنكفت أن يكون المسيح عبد لله وهو لم يستنكف من ذلك ورغبت به عن عبودية الله وهو لم يرغب عنها بل أعلى منازل العبودية عبودية الله ومحمد وإبراهيم خير منه وأعلى منازلهما تكميل مراتب العبودية فالله رضيه أن يكون له عبداً فلم ترض المثلثة بذلك

وقالت « الآريوسية » منهم وهم أتباع آريوس : إن المسيح عبد الله كسائر الأنبياء والرسل .

وهو مربوب مخلوق مصنوع وكان النجاشي على هذا المذهب وإذا ظفرت المثلثة بواحد من هؤلاء قتلته شر قتلة وفعلوا به مايفعل بمن سب المسيح وشتمه أعظم سب .

الفاتيكان يبرئ اليهود من دم المسيح !!

من المعلوم أن اليهود هم شيوخ النصارى في نقل الصلب وأمره ، وإلا فهذا الحدث لم يحضره أحد من النصارى وإنما زعمه اليهود وقالوا : قتلناه وصلبناه وأخبار النصارى وأخبار اليهود عن المسيح لا يُلتفت إليها لإختلافهم في شأنه أشد

---

١ ـ وهذا قول النصارى الكاثوليك .

الإختلاف وعدم تيقنهم لجميع أمره ، ولذلك قلنا للنصارى فإن صدقتم اليهود في الصلب فصدقوهم في سائر ماذكروه ، وإن كذبتموهم فيما نقلوه عنه فما الموجب لتصديقهم في الصلب وتكذيب أصدق الصادقين الذي قامت البراهين القطعية على صدقه أنهم ماقتلوه وماصلبوه ، بل صانه الله وحماه وحفظه وكان أكرم على الله وأوجه عنده من أن يبتليه بما تقولون أنتم واليهود .

والنصرانية تقوم على عقيدة الصلب والفداء ولاندري ماهي حالة القوم وماهي عقيدتهم بعد أن استصدر اليهود وثيقة من الفاتيكان في روما تبرئ ساحتهم من قتل المسيح ؟! وهل سيتُهم الفاتيكان بالعمالة لليهود ؟! وهل التآخي معهم من الممكن أن يأتي على حساب العقيدة في أساسها وصلبها وماموقف الأرثوذكس وغيرهم من طوائف النصارى من فعلة الفاتيكان الكاثوليكي ؟

ومن قتل المسيح إذن في اعتقاد الكاثوليك والفاتيكان وهل هم مازالوا نصارى ؟

عموماً نحن كمسلمين نؤمن أن المسيح لم يُقتل قال تعالى :

﴿ **وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم** ﴾ (النساء : ١٥٧) .

وأن الله تعالى ألقى شبه المسيح على يهوذا الخائن فقتله اليهود ظانين أنهم قتلوا المسيح قال تعالى : ﴿ **بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً** ﴾ (النساء : ١٥٨)

وهو الآن في السماء ينتظر الإذن بالنزول فينزل قرب قيام الساعة يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويحكم بحكم الإسلام وهو ماسنبينه فيما بعد بالتفصيل بإذن الله .

لاتغلو في دينكم غير الحق

الغلو هنا مجاوزة الحد ، وقد ورد التحذير منه في أكثر من موضع من كتاب الله قال تعالى : ﴿ **قل ياأهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم غير الحق ولاتتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل** ﴾(المائدة : ٧٧) .

وقال تعالى : ﴿ **ياأهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم ولاتقولوا على الله إلا الحق إنماالمسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولاتقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له مافى السموات ومافى الأرض وكفى بالله وكيلاً** ﴾ (النساء : ١٧١) .

ويعني بذلك فيما ذكره المفسرون غلو اليهود في عيسى حتى قذفوا مريم وغلو النصارى فيه حتى جعلوه رباً فالإفراط والتقصير كله سيئة وكفر ولذلك قال مطّرف ابن عبد الله : الحسنة بين سيئتين.

وفي صحيح البخاري عن النبي ﷺ « لاتطروني كما أطرت النصارى عيسى وقولوا عبد الله ورسوله » .

وقوله تعالى: ﴿**ولا تقولوا على الله إلا الحق**﴾ أي لاتقولوا إن له شريكاً أو ابناً ثم بين تعالى حال عيسى عليه السلام وصفته فقال تعالى : ﴿ **إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته**﴾.

ولم يذكر سبحانه امرأة وسماها باسمها في كتابه إلا مريم ابنة عمران فإنه ذكر اسمها في نحو من ثلاثين موضعاً لحكمة ذكرها بعض الأشياخ فإن الملوك والأشراف لا يذكرون في حرائرهم في الملأ ولا يبتذلون أسماءهن بل يكنون عن الزوجة بالعِرس والأهل والعيال ونحو ذلك فإن ذكروا الإماء لم يكنوا عنهن ولم يصونوا أسماءهن عن الذكر والتصريح بها .

فلما قالت النصارى في مريم ماقالت وفي ابنها صرح الله باسمها ولم يكن عنها بالأُمومّة والعبودية التي هي صفة لها وأجري الكلام على عادة العرب في ذكر إمائها

ثم اعتقاد أن عيسى عليه السلام لا أب له واجب فإذا تكرر اسمه منسوباً للأم استشعرت القلوب مايجب عليها اعتقاد ه من نفي الأب عنه وتنزيه الأم الطاهرةعن مقالة اليهود لعنهم الله وقوله تعالى : ﴿ **وكلمته ألقاها إلى مريم** ﴾ أي هو مكوّن بكلمة ﴿ **كن** ﴾ فكان بشراً من غير أب والعرب تسمي الشئ باسم الشئ إذا كان صادراً عنه وقيل ﴿ **كلمته** ﴾ بشارة الله تعالى مريم ورسالته إليها على لسان جبريل وذلك قوله ﴿ **إذ قالت الملائكة يامريم إن الله يبشرك بكلمة منه** ﴾(آل عمران : ٤٥)

أو أن الكلمة ههنا بمعنى الآية ، قال الله تعالى : ﴿ **وصدقت بكلمات ربها** ﴾(التحريم : ١٢) و ﴿ **مانفدت كلمات الله** ﴾(لقمان : ٢٧).

وكان لعيسى أربعة أسماء ، المسيح وعيسى وكلمة وروح . قوله تعالى : ﴿ **وروح منه** ﴾ هذا الذي أوقع النصارى في الإضلال فقالوا : عيسى جزء منه فجهلوا وضلوا وعنه أجوبة :

الأول : قال أبي بن كعب : خلق الله أرواح بني آدم لما أخذ عليهم الميثاق ثم ردها إلى صلب آدم وأمسك عنده روح عيسى عليه السلام فلما أراد خلقه أرسل ذلك الروح إلى مريم فكان منه عيسى عليه السلام فلهذا قال ﴿ **روح منه** ﴾ .

وقيل : هذه الإضافة للتفضيل وإن كان جميع الأرواح من خلقه وهذا كقوله تعالى : ﴿ **وطهر بيتى للطائفين** ﴾(الحج : ٢٦) .

وقيل : قد يسمى من تظهر منه الأشياء العجيبة روحاً وتضاف إلى الله تعالى فيقال : هذا روح من الله أي من خلقه كما يقال في النعمة إنها من الله وكان عيسى يبرئ الأكمه والأبرص ويحي الموتى فاستحق هذا الإسم.

وقيل : يسمى روحاً بسبب نفخة جبريل عليه السلام ويُسمى النفخ روحاً لأنه ريح يخرج من الروح وقد ورد أن جبريل نفخ في دِرْع مريم فحملت منه بإذن الله

وقيل : ﴿ روح منه ﴾ أي من خلقه كما قال تعالى : ﴿ **وسخر لكم مافى السموات ومافى الأرض جميعاً منه** ﴾ (الجاثية : ١٣) أي من خلقه.

وقيل ﴿ روح منه ﴾ أي رحمة منه فكان عيسي رحمة من الله لمن اتبعه.

وقيل ﴿ وروح منه ﴾ أى برهان منه وكان عيسي برهاناً وحجة على قومه .

وفي الحديث عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ : « من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ماكان من العمل » . أخرجاه في الصحيحين.

قال النووي : هذا حديث عظيم جليل الموقع وهو أجمع أو من أجمع الأحاديث المشتملة على العقائد فإنه ﷺ جمع فيه مايخرج عن ملل الكفر على اختلاف عقائدهم وتباعدها فاقتصر ﷺ في هذه الأحرف على مايباين به جميعهم أ . هـ .

ومعنى لا إله إلا الله أي لامعبود بحق إلا إله واحد وهو الله وحده لاشريك له كما قال تعالى : ﴿ **وماأرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون** ﴾ (الأنبياء : ٢٥) وقوله جل وعلا : ﴿ **ولقد بعثنا فى كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** ﴾ (النحل : ٣٦) .

فتضمنت هذه الكلمة العظيمةأن ماسوى الله ليس بإله وأن إلهية ماسواه أبطل الباطل وإثباتها أظلم الظلم فلا يستحق العبادة سواه كما لا تصلح الإلهية لغيره فتضمنت نفي الإلهية عما سواه وإثباتها له وحده لاشريك له وذلك يستلزم الأمر باتخاذه إلهاً وحده والنهي عن اتخاذ غيره معه إلهاً وقد دخل في الإلهية جميع أنواع العبادة الصادرة عن تأله القلب لله بالحب والخضوع والإنقياد له وحده لاشريك له فيجب إفراد الله تعالي بها كالدعاء والخوف والمحبة والتوكل والإنابة والتوبة والذبح والنذر والسجود وجميع أنواع العبادة فيجب صرف جميع ذلك لله وحده لاشريك له فمن صرف شيئاً مما لا يصلح إلا لله من العبادات لغير الله فهو مشرك ولو نطق بلا لا إله إلا الله إذ لم يعمل بما تقتضيه من التوحيد والإخلاص .

«إن مثل عيسي عند الله كمثل آدم »

إن الله قادر على كل شئ لا يعجزه شئ قال تعالى : ﴿ **إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون** ﴾(يس : ٨٣) وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً** ﴾ (الشوري : ٤٩) .

وخلق عيسى من أم بلا أب ليس أدل في القدرة من خلق آدم فقد خلقه سبحانه من تراب وفي الحديث : «**خُلق آدم مما وصف لكم**» أي من لا أم ولا أب والناظر في ملكوت السموات والأرض يجد من عجائب القدرة والتدبير مايزداد به إيمانه ويقينه

وفى كل شئ له آية تدل على أنه الواحد.

فالإجابة عن خلق آدم وحواء ويحيى بن زكريا تصلح إجابة لسؤالهم عن خلق المسيح وكلها تنفي عنه صفة البنوةأو الألوهية أو أنه ثالث ثلاثة تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً . وفي الأناجيل التي بين أيدي النصارى مايكذب دعوى ربوبيته وألوهيته ويصرح بأنه نبي بشر ومن ذلك قوله :

« إن الله مسخني وأرسلني وأنا عبد الله وإنما أعبد الله الواحد ليوم الخلاص » لوقا : ١٨

وفي انجيل لوقا أيضاً : « لم يقتل أحد من الأنبياء في وطنه فكيف تقتلونني » وقال : « ماأبعدني وأتعبني إن أحدثت شيئاً من قبل نفسى ولكن أتكلم وأجيب بما علمني ربي » يوحنا ٧ : ١٦ وقال :

« لست أدين العباد بأعمالهم ولا أحاسبهم بأعمالهم ولكن الذي أرسلني هو الذي يلي ذلك منهم » يوحنا ٥ : ٣٠وفيه أن المسيح قال : « يارب قد علموا إنك قد أرسلتني وقد ذكرت لهم اسمك » يوحنا ١٧ : ١-٦ وقال : « إنني لم أجئ لأعمل بمشيئة نفسى ولكن بمشيئة من أرسلني » يوحنا ٧ : ١٦

وقال : « إن الله ربي وربكم وإلهي وإلهكم » يوحنا ٢٠ : ١٧ .

وقال في دعائه : « إن الحياة الدائمة إنما تجب للناس بأن يشهدوا أنك أنت الله الواحد الحق وأنك أرسلت يسوع المسيح » وهذه حقيقة شهادة المسلمين أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

وقال في دعائه : لما سأل ربه أن يحي الميت « أنا أشكرك وأحمدك لأنك تجيب دعائي في هذا الوقت وفي كل وقت فأسألك أن تحي هذا الميت ليعلم بنوا إسرائيل أنك أرسلتني وأنك تجيب دعائي » يوحنا ١١ : ٤١ ومابعدها .

فهل يضير المسيح صلوات الله وسلامه عليه بعد ذلك شرك من أشرك وكفر من كفر ؟!

بل هو واحد ، وواحد ، وواحد

قام المدرس أمام التلاميذ يصلي فصلب على وجهه ثم قال بسم الآب والإبن والروح القدس إله واحد فردت عليه الطفلة الصغيرة مستغربة : بل هو واحد وواحد وواحد .

إن النصارى عندما خالفوا المسيح والإنجيل المنُزل عليه ناقضوا العقل والفطرة في آن واحد ترى ذلك في كل شئ ففي الصلاة مثلاً ـ وصلاتهم استهزاء بالمعبود ـ يقوم أعبدهم وأزهدهم إليها والبول على ساقه وأفخاذه فيستقبل الشرق ثم يصلب على وجهه ويعبد الإله المصلوب ويستفتح الصلاة بقوله :

« أبانا الذي في السموات ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض خبزنا كفافنا أعطنا اليوم واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد آمين » [1] ثم يحدث من هو إلى جانبه وربما سأل عن سعر الخمر والخنزير وعما كسب في القمار وعما طبخ في بيته وربما أحدث وهوفي صلاته ويقولون في صلواتهم ومناجاتهم « أنت أيها المسيح اليسوع تحيينا وترزقنا وتخلق

---

١ ـ متي ٦ : ٩ـ١٣ .

أولادنا وتقيم أجسادنا وتبعثنا وتجازينا » فهذه الصلاة لا يرضاها المخلوق لنفسه فضلاً أن يرضى بها الخالق .

يقول الإمام ابن القيم : « فالعاقل إذا وازن بين ما اختاروه ورغبوا فيه وبين مارغبوا عنه تبين له أن القوم اختاروا الضلالة على الهدى والغي على الرشاد والقبيح على الحسن والباطل على الحق وأنهم اختاروا من العقائد أبطلها ومن الأعمال أقبحها وأطبق على ذلك أساقفهم وبتاركهم ورهبانهم فضلاً عن عوامهم وسقطهم ولم يقل أحد من المسلمين أن ماذكرتم من صغير وكبير وذكر وأنثى وحر وعبد وراهب وقسيس كلهم تبين له الهدى بلْ أكثرهم جهال بمنزلة الدواب السائمة معرضون عن طلب الهدى فضلاً عن تبيينه لهم وهم مقلدون لرؤسائهم وكبرائهم وعلمائهم وهو أقل القليل وهم الذين اختاروا الكفر على الإيمان بعد تبين الهدى .

قال : وأي إشكال يقع للعقل في ذلك ؟ ولم يزل في الناس من يختار الباطل ومنهم من يختار جهلاً وتقليداً لمن يحسن الظن به ومنهم من يختاره مع علمه ببطلانه كبراً وعلواً ومنهم من يختاره طمعاً ورغبة في مأكل أوجاه أو رياسة ، ومنهم من يختاره حسداًوبغياً ومنهم من يختاره محبة في صورة وعشقاً ومنهم من يختاره خشية ومنهم من يختاره راحة ودعة فلم تنحصر أسباب اختيار الكفر في حب الرياسة والمأكلة أ . هـ .

كيف يتواجد في القرن العشرين من يعتقد مثل هذا ؟!

اعتقادات قائمة على سب الله وشتمه والشرك به سبحانه واعتقادات يتنزه عنها الصبيان بل يستغربها حتى عُبّاد البقر فكيف يقبلها عاقل سلمت فطرته وأخلص لله نيته ، كيف يُقبل الناس في القرن العشرين عصر الحضارة والتطور والعلم والمدنية كما يقولون على اعتقاد أن رب السموات والأرض تبارك وتعالى نزل عن كرسي عظمته وعرشه ودخل في فرج امرأة تأكل وتشرب وتبول وتتغوط وتحيض فالتحم ببطنها وأقام هناك تسعة أشهر يتلبط بين نجو ودم طمث وبول ثم خرج إلى الدنيا ينام

على السرير كلما بكى ألقمته أمه ثديها ثم انتقل إلى المكتب بين الصبيان ثم آل أمره إلى لطم اليهود خديه وصفعهم قفاه وبصقهم في وجهه ووضعهم تاجاً من الشوك على رأسه والقصبة في يده إستخفافاً به وإنتهاكاً لحرمته ثم قربوه من مركب خص بالبلاء راكبه فشدوه عليه وربطوه بالحبال وسمروا يديه ورجليه وهو يصيح ويبكي ويستغيث من حر الحديد وألم الصلب ، كما يقول النصارى الأرثوذكس وغيرهم وهذا هو الذي خلق السموات والأرض وقسم الأرزاق والآجال ولكن اقتضت حكمته ورحمته أن يمكن أعدائه من نفسه لينالوا منه مانالوا فيستحقوا بذلك العذاب والسجن في الجحيم ويفدي أنبياءه ورسله وأولياءه بنفسه فيخرجهم من سجن إبليس فإن روح آدم وابراهيم ونوح وسائر النبيين عندهم كانت في سجن إبليس في النار حتى خلصها من سجنه بتمكينه أعدائه من صلبه وهذا اعتقاد جميع النصارى.

وأما قولهم في مريم فإنهم يقولون إنها أم المسيح ابن الله في الحقيقة وولدته في الحقيقة لا أم لابن الله إلا هى ولا والدة له غيرها ولا أب لابنها إلا الله ولا ولد له سواه وإن الله اختارها لنفسه ولولادة ولده وابنه من بين سائر النساء ولو كانت كسائر النساء لما ولدت إلا عن وطء الرجال لها ولكن اختصت عن النساء بأنها حبلت بابن الله وولدت ابنه الذي لا ابن له في الحقيقة غيره ولا والد له سواه وإنها على العرش جالسة عن يسار الرب تبارك وتعالى والد ابنها وابنها عن يمينه والنصارى يقولون في دعائهم :

« ياوالدة الإله اشفعي لنا » وهم يعظمونها ويرفعونها على الملائكة وعلى جميع النبيين والمرسلين ويسألونها مايسأل الإله من العافية والرزق والمغفرة ويعتبرها الأرثوذوكس والكاثوليك « إله » لأنها في زعمهم « أم الإله » .

ولعل هذا هو المذكور في قوله تعالى: ﴿ **أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين**

من دون الله ﴾ ؟ .(المائدة : ١١٦) .

وقد وضع مجمع أفسس سنة ٤٣١ م مقدمة لقانون الإيمان هذا نصها :

« نعظمك ياأم النور الحقيقي ونمجدك أيتها العذراء المقدسة والدة الإله لأنك ولدت لنا مخلص العالم أتى وخلص نفوسنا المجد لك ياسيدنا وملكنا المسيح فخر الرسل ، أكليل الشهداء تهليل الصديقين ثبات الكنائس غفران الخطايا نبشر بالثالوث المقدس لاهوت واحد نسجد له ونمجده يارب ارحم ، يارب ارحم، يارب بارك آمين » أ . هـ . (العذراء في التاريخ الكنسي) .

سبحانك سبحانك ماأعظم شأنك

يقول سبحانه وتعالى : ﴿ **الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى** ﴾(طه :٨)

وقال : ﴿ **ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه**﴾ (الأعراف : ١٨٠)

وقال جل وعلا : ﴿ **ليس كمثله شئ وهو السميع البصير** ﴾

وقال : ﴿ **لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار**﴾(الأنعام : ١٠٣) .

ولا ندري كيف ضلت العقول وزاغت القلوب وسفهت النفوس عندما وصفت النصارى ربها بذلك وهو تعالى المختص بصفات الكمال المنعوت بنعوت الجلال الذي ماوسعته سمواته ولا أرضه وكرسيه وسع السموات والأرض .

فكيف وسعه فرج إمراءة تعالى الله عما يقول الجاحدون والكافرون علواً كبيراً وكلهم متفقون على أن المسيح كان يأكل ويشرب ويبول ويتغوط وينام.

من كان الممسك للسموات والأرض حين كان ربها وخالقها مربوطاً على خشبة الصليب وقد شدت يداه ورجلاه بالحبال وسمرت اليد التي أتقنت العوالم .

فهل بقيت السموات والأرض خلواً من إلهها وفاطرها وقد جرى عليه هذا الأمر العظيم؟! هل استخلف على تدبيرها غيره وهبط عن عرشه لربط نفسه على خشبة الصليب وليذوق حر المسامير وليوجب اللعنة على نفسه حيث قال في التوراة

« ملعون من تعلق بالصليب» ، ؟

أم تقولون : كان هو المدبر لها في تلك الحال فكيف وقد مات ودفن؟ وماالذي دلكم على إلهية المسيح ؟هل قبض اليهود عليه وسوقه إلى خشبة الصليب على رأسه تاج من الشوك وهم يبصقون في وجهه ويصفعونه .... ثم فاضت نفسه وأودع ضريحه أم لكونه لم يولد من البشر؟ فإذا صح استدلالكم هذ ا فاعتبروا آدم إلهاً لأنه لا أم له ولا أب واعتبروا حواء إلهاً لأنها لا أم لها وهى أعجب من خلق المسيح.

وإن قلتم كان المسيح إلهاً لكونه أحيا الموتى وظهرت على يديه العجائب وأطعم من الأرغفة اليسيرة آلافاً من الناس وصاح بالبحر فسكنت أمواجه فاعتبروا موسى إلهاً أيضاً لأن مثل ذلك جرى على يديه فعصاه صارت حية تسعى وضرب البحر بعصاه فانفلق اثني عشر طريقاً وقام الماء بين الطرق كالحيطان وأطعم أمته أربعين سنة من المن والسلوى .

وآيات رسول الله ﷺ أعجب من ذلك فهل اعترفتم وأقررتم بنبوته ورسالته ؟!

ثم اعلموا أن كل من ادعى الإلهية من دون الله فهو من أعظم أعداء الله كفرعون ونمرود فهل ادعى ذلك المسيح حاشاه من ذلك قال تعالى : ﴿ **ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم** ﴾ ولا يبقى إلا أنكم ادعيتم ذلك ونسبتموه له مخالفين بذلك الأناجيل التي بين أيديكم كلها ومعاندين لمقتضى العقل والفطرة .

استدلالهم بكلمة الآب والرب والإله والسيد على إلهية المسيح

جميع ماتستدل به النصارى على إلهية المسيح من ألفاظ وكلمات في الكتب فإنها مشتركة بين المسيح وغيره كتسميته أباً وكلمة وروح حق وإلهاً وكذلك ماأطلق من حلول روح القدس فيه وظهور الرب فيه أو في مكانه فإن جاز الإستدلال بذلك على إلهية المسيح فاستدلوا بها أيضاً على ألوهية غيره .

وكما قالوا : ماأحتج صاحب بدعة على بدعته بدليل إلا وكان في الدليل مايرد عليه ويدحض بدعته .

ومن أمثلة ذلك استدلالهم بقول المسيح « إني ذاهب إلى أبي » يوحنا ٢٠ ـ١٧
« وإني سائل أبي » يوحنا ١٧ ـ ٩ فسمى نفسه ابن الله واستنتجوا هم أن ابن الإله إله.
قلنا لهم المقدمة فاسدة والنتيجة أفسد وإلا فاجعلوا أنفسكم كلكم آلهة ففي الأناجيل
التي بين أيديكم قول المسيح « أذهب إلى أبي وأبيكم » يوحنا ٢٠ ـ ١٧ وفيها
« لاتدعوا لكم أباً على الأرض فإن أباكم واحد الذي في السماء » متى ٢٣ ـ ٨
وقوله : « أبي وأبوكم الذي في السموات » وهذا كثير في الإنجيل وهويدل على أن
الأب عندهم الرب، ثم أناجيلكم التي بين أيديكم كلها صريحة أظهر صراحة بأن
تلاميذ المسيح كمتى ولوقا ماادعوا له إلا ماادعاه لنفسه من أنه عبد .

ومن أمثلة ذلك : « هذا عبدي الذي اصطفيته وحبيبي الذي ارتاحت نفسي له »
متى ١٢ ـ ٧١ .

وصعود المسيح إلى السماء لا يخرجه عن العبودية كصعود إلياس وادريس
ورسول الله ﷺ بل وصعود الملائكة وأرواح المؤمنين بعده فارقتها الأبدان
وتسميةالأنبياء له إلهاً ورباً وسيداً ونحو ذلك فلم يزل كثير من أسماء الله عز وجل
تقع على غيره عند جميع الأمم وفي سائر الكتب كتسمية النبي ﷺ بالرؤوف الرحيم
كما سمى نفسه سبحانه بذلك ويقال رب المنزل ورب الإبل.

وقد قال أشعياء : « عرف الثور من اقتناه والحمار مربط ربه ولم يعرف بنو
إسرائيل » الإصحاح الأول .

وفي السفرالثاني من التوراة في قصة الخروج من مصر : « إني جعلت إلهاً
لفرعون »وفي المزمورالثاني والثمانين لداود « لقد ظننت أنكم آلهة وأنكم أبناء الله
كلكم » واستدلالهم بقول دانيال « يأتي المسيح ويخلص الشعوب والأمم »

قالوا : ومن يطيق تخليص الأمم غير الإله التام قيل لكم : فاجعلوا جميع الرسل
آلهة فإنهم خلصوا الأمم من الكفر والشرك وخلصوهم من النار بإذن الله وحده فإن
وجبت بذلك الإلهية لعيسى فموسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

أحق بها منه والإبن الذي يقوم لداود ويسمى بالإله فهو اسم لمخلوق مصنوع مولود لرب العالمين وخالق السموات والأراضين .

وكذلك مافي التوراة : « جاء الله من طور سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران » فهذا لا يدل على أن موسى ومحمداً إلهان والمراد بهذا مجيئ دينه وكتابه وشرعه وهداه ونوره .

وكذلك قول زكريا في نبوته : « ترنمي وافرحي يابنت صهيون لأني آتيك وأحل فيك وأتراءى وتؤمن بالله في ذلك اليوم الأمم الكثيرة ويكونون له شعباً واحداً ويحل هو فيهم ويعرفون أني أنا الله القوي الساكن فيك ويأخذ الله في ذلك اليوم الملك من يهوذا ويملك عليهم إلى الأبد » سفر زكريا ٢ - ١٠ ومابعدها.

فهل أوجبتم الإلهية بهذا لإبراهيم وغيره من الأنبياء فإن عند أهل الكتاب وأنتم معهم : « أن الله تجلى لإبراهيم واستعلن له وتراءى له » .

وأما قوله : « وأحل فيك » ليس معناه حلول ذاته سبحانه في بيت المقدس فإن الله لا تسعه السموات والأرض ثم المسيح مادخل بيت المقدس إلا وهو مغلوب مقهور ومستخف في غالب أحواله وعموماً فلا مستند لهم في هذه النصوص والألفاظ التي احتجوا بها على دعوى ربوبية وألوهية عيسى وقد أجبنا عليها على فرض صحتها وصحة ترجمتها فإن الحكم على شئ فرع عن تصوره والتفسير فرع التصحيح كما قرر العلماء .

الكتاب (المقدس) !!!

التقديس : التطهير ، وتقدس : تطهر ، قال تعالى على لسان ملائكته : ﴿ **ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك** ﴾(البقرة : ٣١) أي نطهر أنفسنا لك فمادة الكلمة دالة على التنزيه والتطهير في اللغة ، والقدسي : نسبة إلى القدس ، وهى نسبة تدل على التعظيم والكتاب المقدس لابد أن يكون منزهاً عن التحريف والتبديل مطهراً من الشركيات والكفريات داعياً إلى الفضيلة ناهياً عن الرذيلة فما هو حظ الأناجيل من

ذلك حتى توصف بهذا الوصف ؟ وللإجابة على هذا السؤال نقول : إن الرأي استقر على أربعة أناجيل وأخذت عن أربعة نفر اثنان منهم لم يريا المسيح أصلاً (وهما مرقص ولوقا) واثنان رأياه واجتمعا به (وهما متى ويوحنا) وكل منهم يزيد وينقص ويخالف إنجيله إنجيل أصحابه في أشياء وفيها ذكر القول ونقيضه ففيه أنه قال : « إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي غير مقبولة ولكن غيري يشهد لي ». يوحنا ٣١ .

وفي موضع آخر : « إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق لأني أعلم من أين جئت ؟ وإلى أين أذهب » يوحنا ٨ ـ ١٤ وفيه أنه لما استشعر بوثوب اليهود عليه قال : « قد جزعت نفسي الآن فماذا أقول ؟ ياأبتاه سلمني من هذا الوقت » متى ٢٦ : ٣٨-٣٩ .

وأنه لما رفُع على خشبة الصلب صاح صياحاً عظيماً وقال :

« ياإلهي لم أسلمتني ؟ » متى ٢٧ : ٤٦ .

يقول ابن القيم : فكيف يجتمع هذا مع قولكم : إنه هو الذي اختار إسلام نفسه إلى اليهود ليصلبوه ، ويقتلوه رحمة منه بعباده حتى فداهم بنفسه من الخطايا واخرج بذلك آدم ونوحاً وإبراهيم وموسى وجميع الأنبياء من جهنم بالحيلة التي دبرها على إبليس ؟ وكيف يجزع إله العالم من ذلك ؟ وكيف يسأل السلامة منه وهو الذي اختاره ورضيه ؟! وكيف يشتد صياحه ويقول : « ياإلهي لم أسلمتني » وهو الذي أسلم نفسه ؟! وكيف لم يخلصه أبوه مع قدرته على تخليصه وإنزال صاعقة على الصليب وأهله أم كان رباً عاجزاً مقهوراً مع اليهود .

وفيه أيضاً : «أن اليهود سألته أن يظهر لهم برهاناً أنه المسيح فقال : تهدمون هذا البيت ـ يعنى بيت المقدس ـ وأبنيه لكم في ثلاثة أيام ، فقالوا له : بيت مبني في ست وأربعين سنة تبنيه أنت في ثلاثة أيام » يوحنا ٢ : ١٤ ومابعدها ثم ذكرتم في الإنجيل أيضاً « أنه لما ظفرت به اليهود وحمل إلى بلاط عامل قيصر واستدعيت عليه بنية أن

شاهدي زور جاءا إليه وقالا سمعناه يقول أنا قادر على بنيان بيت المقدس في ثلاثة أيام » متى ٢٦ : ٦١ .

فيالله العجب كيف يدعي أن تلك المعجزة والقدرة له ويدعي أن الشاهدين عليه بها شاهدا زور ؟ وفيه أنه قال : « لاتحسبوا أني قدمت لأصلح بين أهل الأرض لم آت لصلاحهم لكن لألقي المحاربة بينهم ، إني قدمت لأفرق بين المرء وابنه والبنت وأمها حتى يصير أعداء المرء أهل بيته » متى ١٠ ـ ٣٤ .

ثم فيه أيضاً : « إنما قدمت لتحيوا وتزدادوا خيراً وأصلح بين الناس » يوحنا ٥ : ٣٩ وأنه قال : « من لطم خدك اليمين فانصب له الآخر » متى ٥ : ٣٩ .

وفيه أيضاً أنه قال : « طوبا لك ياشمعون ابن يونا ، وأنا أقول أنك بطرس وعلى هذا الجهر تبني بيعتي فكما أحللته على الأرض يكون محللاً في السماء وعقدته على الأرض يكون معقوداً في السماء » متى ١٦ : ١٧ ـ ٢٠ .

ثم فيه بعينه بعد أسطر يقول له : « اذهب ياشيطان ولاتعارض فإنك جاهل » متى ١٦ : ٢٣ فكيف يكون شيطان جاهل مطاع في السموات ولو ذهبت تستقصي وجدت من ذلك الإختلاف الكثير ، ومن العجب أن في إنجيل متى ـ ١ نسبة المسيح إلى أنه ابن يوسف فقال عيسى بن يوسف بن فلان ثم عد إلى إبراهيم الخليل تسعة وثلاثين أباً ثم نسبه في لوقا ـ ٣ أيضاً إلى يوسف وعد منه إلى إبراهيم نيفاً وخمسين أباً فبينما هو إله تام إذ صيروه ابن الإله ثم جعلوه ابن يوسف النجار .

يقول ابن القيم مانصه : « والمقصود أن هذا الإضطراب في « الإنجيل » يشهد بأن التغييروقع فيه قطعاً ولا يمكن أن يكون ذلك من عند الله بل الإختلاف الكثير الذي فيه يدل على أن ذلك الإختلاف من عند غير الله وأنت إذا اعتبرت نسخه ونسخ التوراة التي بأيدي اليهود والسامرة والنصارى رأيتها مختلفة اختلافاً يقطع من وقف عليه بأنه من جهة التغيير والتبديل» أ . هـ . فإذا أضفت إلى ذلك ماسبق أن ذكرناه علمت الوصف الحقيقي الذي يليق بالكتاب .

مجتمع القديسين !!!

كثيراً ماعترتني الدهشة وأنا أقرأ نصاً لنصراني أن العزاء فيه أن روحه تحلق وتسبح في الملكوت وأنه انتقل من الأرض إلى الأمجاد السماوية !!! ولكن سرعان ماتزول الدهشة عندما أتذكر قول الله تعالى عنهم: ﴿ **وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين** ﴾(البقرة١١١)

وقوله سبحانه: ﴿**وقالوانحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق** ﴾ (المائدة : ١٨).

ووصف الإنسان بأنه قديس أو مقدس فيه نوع من المغالاة في الأشخاص ورجم بالغيب الذي لايعلمه إلا الله فبواطن العباد وسرائرهم أمرها إلى الله ولذلك كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول: « أيها الناس إن الوحي قد انقطع فمن أظهر لنا خيراً أمناه وقربناه ليس لنا في سريرته، الله يتولاه في سريرته ومن أظهر لنا شراً لم نؤمنه ولم نقر به وإن قال إن نيته حسنة».

وكان أبو عبيدة يسير وسط الجند ويقول « رُب مبيض لثوبه مدنس لدينه رب مكرم لنفسه وهو لها مهين .... ».

وفي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ صفات عديدة للمنافقين الذين يظهرون مالا يبطنون وهم في الدرك الأسفل من النار وقد تعلمنا من دين الله عدم القطع لأحد بخاتمة إلا إذا قطع الشرع بخاتمته فنحن نرجو للمحسن ونخاف على المسئ وإلا فالكافر قد يُسلم والمسلم قد يرتد على عقبه القهقرى ولذلك لابد وأن نظل بين رغبة ورهبة﴿**كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين**﴾ (الأنبياء : ٩٠).

وقال جل وعلا : ﴿ **ويرجون رحمته ويخافون عذابه** ﴾ (الإسراء : ٥٧).

وقد تضافرت نصوص الشريعة على المعنى الذي ذكرناه فإذا انتقلنا إلى دين النصرانية علمت أنهم أخذوا دينهم عن أصحاب المجامع وكان من أعظمها المجمع

الأول في عهد قسطنطين الرومي ابن هيلانة الحرانية الفندقية وفي زمنه بدل دين المسيح وهو الذي أشاد دين النصارى المبتدع وقام به وقعد وكان عدتهم زهاء ألفي رجل فقرروا تقريراً ثم رفضوه ولم يرتضوه ثم اجتمع ثلاثمائة وثمانية عشر رجلاً منهم والنصارى يسمونهم الآباء فقرروا هذا التقرير الذي هم عليه اليوم ، وهو أصل الأصول عند جميع طوائفهم لايتم لأحد منهم نصرانية إلا به ويسمونه « سنهورس » وهي « الأمانة » .

وهذه الأمانة هى أعظم خيانة للدين فقد امتلأت كفراً وغلواً .

قالوا : « وعندنا أن المسيح ابن آدم وهو ربه وخالقه ورازقه وابن ولده ابراهيم وربه وخالقه ورازقه وابن اسرائيل وربه وخالقه ورازقه وابن مريم وربها ورازقها وخالقها ».

وقالوا : « فالذي حبلت به مريم هو الله وابن الله وكلمة الله » .

قالوا : « وهو الذي وُلد ورضع وفطم وأخذ وصلب وصفع وكتفت يداه وسمر وبصق في وجهه ومات ودفن وذاق ألم الصلب والتسمير والقتل لأجل خلاص النصارى من خطاياهم قالوا : وليس المسيح عند طوائفنا الثلاثة بنبي ولاعبد صالح بل هو رب الأنبياء وخالقهم وباعثهم ومرسلهم وناصرهم ومؤيدهم ورب الملائكة »

وقالوا : « فمنا من يطلق في لفظه وعبارته حقيقة هذا المعنى فيقول : مريم حبلت بالإله وولدت الإله ومات الإله ومنا من يمتنع من هذه العبارة لشناعة لفظها ويعطي معناها وحقيقتها ويقول : مريم حبلت بالمسيح في الحقيقة وولدت المسيح في الحقيقة وهي أم المسيح في الحقيقة والمسيح إله في الحقيقة ورب في الحقيقة وابن الله في الحقيقة وكلمة الله في الحقيقة لاابن لله في الحقيقة سواه ولا أب في الحقيقة إلا هو »

قالوا : « فهؤلاء يوافقون في المعنى قول من قال حبلت بالإله وولدت الإله وتألم الإله ومات الإله وأن هذا كله حل ونزل بالإله الذي هو آب ولكنا نقول هذا كله نزل بالمسيح والمسيح عندنا وعند طوائفنا إله تام من إله تام من جوهر أبيه فنحن

واخواننا في الحقيقة شئ واحد لا فرق بيننا إلا في العبارة فقط ».

قالوا : « فهذا حقيقة ديننا وإيماننا والآباء والقدوة قد قالوه قبلنا وسنوه لنا ومهدوه وهم أعلم بالمسيح منا » أ . هـ .

يقول عبد الرحمن عبد الخالق : « وهكذا استطاع قسطنطين أن يجعل دين القلة وهو الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً هو الدين الرسمي وينفي الكثرة المخالفة لألوهية المسيح ويضطهدها وزاد قسطنطين أن أعطى خاتمه وسيفه إلى هؤلاء وسلطهم على من يخالفهم في الإعتقاد هذا مع إن قسطنطين هذا لم يعلن الدخول في المسيحية إلا وهو على فراش الموت .

وهكذا نشأ الحكم الكهنوتي الذي يحتكر فهم الدين وتفسيره ويحرم من الجنة من يخالفه ويطرد من الكنيسة والنصرانية من يضاده وكان هذا من أعظم البلاء على دين النصرانية حيث فُرض عليهم الإنحراف والخروج عن تعاليم المسيح عليه السلام وأمر هذا المجمع بتحريق جميع الكتب التي تخالف العقيدة التي خرج بها مجمع نيقية » أ . هـ .

وتوالت مجامع الأساقفة والبتاركة وكلهم لاعن ملعون يكفر من خالفه فهل أورثتهم هذه العقيدة المذكورة تزكية وطهراً ؟! وهل بمثلها يصير المجتمع قديسياً حقاً ؟! وهل يستحق صاحبها أن تنادي عليه الملائكة على أبواب الجنة

﴿ **سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين** ﴾ (الزمر : ٧٣) .

ياقوم : إن السلوك مرآة الفكر فإذا فسدت العقيدة تخرب السلوك والإعتراف بالحق فضيلة وجحده رذيلة فالتوحيد طهارة والشرك نجاسة ولذلك قال سبحانه :

﴿ **إنما المشركون نجس** ﴾ (التوبة : ٢٨) والعملة الزائفة لاتروج على الله

﴿ **قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين** ﴾ (البقرة : ١١١) .

«قل ياأهل الكتاب لستم علي شئ حتى»

قال ابن عباس : جاء جماعة من اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا : ألست تُقِرّ أن التوراة حق من عند الله ؟ قال : « بلى » فقالوا : « فإنا نؤمن بها ولا نؤمن بما عداها فنزلت الآية ﴿ **قل ياأهل الكتاب لستم على شئ حتى تقيموا التوراة والإنجيل وماأنزل إليكم من ربكم** ﴾ (المائدة : ٦٨) . أي لستم على شئ من الدين حتى تعملوا بما في الكتابين من الإيمان بمحمد ﷺ والعمل بما يوجبه ذلك منهما.

وقال أبو على : ويجوز أن يكون ذلك قبل النسخ لهما . وقوله تعالى: ﴿ **وليزيدن كثيراً منهم ماأنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً** ﴾ (المائدة : ٦٤) أي يكفرون به فيزدادون كفراً على كفرهم والطغيان تجاوز الحد في الظلم والغلو فيه ثم ورد الخطاب لرسول الله ﷺ تسلية له ﴿ **فلا تأس على القوم الكافرين**﴾(المائدة ٦٨) وليس بنهي عن الحزن لأنه لايقدر عليه ولكنه تسلية ونهي عن التعرض للحزن ولاغرابة في جحد أهل الكتاب رسالة محمد ﷺ وقد سبوا الله فأمة أطبقت على أن الإله الحق سبحانه عما يقولون صلب وصنع وصفع وسمر ووضع الشوك على رأسه ودفن في التراب ثم قام في اليوم الثالث وصعد وجلس على عرشه يدبر الأمر للسموات والأرض لايكثر عليها أن تطبق على جحد نبوة محمد ﷺ وكيف ننكر على أمة أطبقت على صلب معبودها وإلاهها ثم عمدت إلى الصليب فعبدته وعظمته وكان ينبغي لها أن تحرق كل صليب تقدر على إحراقه وأن تهينه غاية الإهانة إذ صلب عليه إلاهها الذي يقولون تارة : إنه الله ، وتارة يقولون إنه ابنه وتارة يقولون ثالث ثلاثة فجحدت حق خالقها وكفرت به أعظم كفر وسبته أقبح مسبة وجحدت حق عبده ورسوله وكفرت به ، فاليهود والنصارى كفروا بالرسالة المنزلة على نبيهم في الوقت الذي كفروا فيه برسول الله ﷺ ولم يقيموا التوراة والإنجيل في الوقت الذي لم يدخلوا فيه في الإسلام .

الأصول الخمس التي اتفقت عليها الشرائع

قال تعالى : **﴿ قل إنما حرم ربى الفواحش ماظهر منها ومابطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله مالا تعلمون ﴾** (الأعراف : ٣٣)

هذه الآية تشتمل على الأصول الخمس في جميع الشرائع كما يقرر ابن تيميه فالفواحش كالزنا واللواط والإثم وهو مايوجب الذم ويتناول كل معصية يتسبب عنها الإثم والبغي بغير الحق أي التعدي على الناس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم من غير أن يكون على جهة القصاص والمماثلة وفيها تحريم الشرك به سبحانه والقول عليه بلا علم في أسمائه وصفاته وشرعه وهذه المحرمات الخمس التي حرمها جميع الرسل والشرائع والكتب هى محرمات على كل أحد في كل حال لاتباح قط.

وأصل الشرك والكفر القول على الله بلا علم فكل مشرك قائل على الله بلا علم دون العكس إذ القول على الله بلا علم قد يتضمن التعطيل والإبتداع في الدين فهو أعم من الشرك وهذه المحرمات المذكورة فيها مفاسد عامة وخاصة وضررها شديد وهى عظيمة الخطر على الأنفس وعلى الأمة جمعاء .

وفي هذه الآية إشارة إلى أن أصول الإيمان لاتقبل إلا بوحي من الله يؤيده البرهان ودلت على عظم شأن الدليل في الدين وأنه لا يحل لأحد أن يحرم شيئاً تحريماً دينياً على عباد الله أو يوجب عليهم شيئاً إلا بنص صريح عن الله ورسوله وأن من تهجم على ذلك فقد تجرأ على الله وأساء إلى نفسه وإلى عباد الله وأن من تبعه على ذلك فقد جعله ربا له .

ومن ثم كان فقهاء الصحابة والتابعين ومن تبعهم من السلف يتحاشون القول في الدين بالرأي ، أو فيها الإنكار على من نسب إلى دين الله تحليل شئ أو تحريمه من عنده لا دليل عليه من كتاب ولا سنة قال تعالى : **﴿ ولاتقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام ﴾** الآية كما أن فيها تحريم تشبيه الله بخلقه لأنه قول

على الله بلا علم وفيها لطف الله بخلقه حيث حرم عليهم مافيه مضرة عليهم وحذرهم من الشرك فكل الأدلة على تحريمه وأوجبت التوحيد لله جل وعلاوتقدس

ماكان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً

حرص اليهود على نسبة إبراهيم لليهودية كما حرص النصارى على نسبته للنصرانية ومن المعلوم أن نبي الله إبراهيم كان قبل زمن موسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وقد نزهه سبحانه من دعاويهم الكاذبة وبين أنه كان على الحنيفية الإسلامية ولم يكن مشركاً .

والحنيف الذي يوحد ويضحي ويختتن ويستقبل القبلة قال تعالى : ﴿ **ماكان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وماكان من المشركين** ﴾ (آل عمران : ٦٧) كما نهاهم عن الجدال بلا علم في أمره وقال تعالى : ﴿ **هاأنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم** ﴾ (آل عمران : ٦٦) يعني في أمر محمد ﷺ لأنهم كانوا يعلمونه فيما يجدون من نعته في كتابهم فحاجّوا فيه بالباطل

قال تعالى : ﴿ **فَلِمَ تحاجون فيما ليس لكم به علم** ﴾ يعنى دعواهم في إبراهيم أنه كان يهودياً أو نصرانياً .

قال ابن عباس : قال رؤساء اليهود والله يامحمد لقد علمت أنَّا أولى الناس بدين إبراهيم منك ومن غيرك فإنه كان يهودياً ومابك إلا الحسد فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿ **إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين** ﴾

(آل عمران : ٦٨) فاحق الناس بإبراهيم الذين هم على ملته وسنته ، وأفرد ذكر النبي ﷺ ﴿**وهذا النبى**﴾ تعظيماً له .

وعن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال « إن لكل نبي وُلاةً من النبيين وإن وليَّ منهم أبى وخليل ربي ثم قرأقوله تعالى : ﴿ **إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى** ﴾ وقد بيّن سبحانه أن إبراهيم كان إماماً للناس كلهم قال تعالى : ﴿ **واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إنى جاعلك للناس إماماً** ﴾ (البقرة : ١٢٤)

وهو القدوة ومعلم الخير الذي يؤتم به قال تعالى: ﴿ **إن ابراهيم كان أمة** ﴾.

اللهم لك أسلمنا وبك آمنا

قال تعالى: ﴿ **ومن يرغب عن ملة ابراهيم إلا من سفه نفسه ولقد أصطفيناه فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين، إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين، ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون، أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ماتعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون، تلك أمة قد خلت لها ماكسبت ولكم ماكسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون** ﴾ (البقرة: ١٣٠ـ١٣٤).

فقد بين أنَّه لا يرغب عن ملة إبراهيم إلا من هو سفيه وأنه أمر بالإسلام فقال أسلمت لرب العالمين وأن هذه وصيته إلى بنيه ووصية إسرائيل إلى بنيه وقد اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ثم قال تعالى: ﴿ **وقالوا كونوا هوداً أونصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفاً وماكان من المشركين** ﴾(البقرة: ١٣٥) فأمر باتباع ملة إبراهيم ونهى عن التهود والتنصر وأمر بالإيمان الجامع كما أنزل على النبيين ماأتوه والإسلام له أن نصبغ بصبغة الله وأن نكون له عابدين ورد على من زعم أن إبراهيم وبنيه وإسرائيل وبنيه كانوا هوداً أو نصارى وقد قال تعالى قبل هذا ﴿ **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم** ﴾ الآية(البقرة: ١٢٠) والمعنى ولن ترضى عنك اليهود حتى تتبع ملتهم ولا النصارى حتى تتبع ملتهم وقد يستدل بهذا على أن لكل طائفة ملة لقوله تعالى: ﴿ **وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ** ﴾ وفي آخر السورة ﴿ **آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه** ﴾

(البقرة: ٢٨٥) إلى آخر السورة وكما قال في أولها ﴿ **والذين يؤمنون بما أنزل إليك وماأنزل من قبلك وبالآخرة هو يوقنون** ﴾ (البقرة: ٤) ففتحها بالإيمان الجامع

وختمها بالإيمان الجامع ووسطها بالإيمان الجامع ونبينا ﷺ أعطى فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه.

وقال تعالى في آل عمران بعد أن قص أمر المسيح ويحيى ﴿ **قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لانعبد إلا الله ولانشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون**﴾(الآية : ٦٤) وهي التي كتبها النبي ﷺ إلى هرقل عظيم الروم لما دعاهم إلى الإسلام وقال تعالى: ﴿ **ياأهل الكتاب لم تحآجون فى إبراهيم ومأنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون** ﴾(آل عمران : ٦٥) إلى قوله تعالى: ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة** ﴾ آية(٨١) من نفس السورة، إلى قوله تعالى: ﴿ **وله أسلم من فى السموات والأرض طوعاً وكرهاً** ﴾ آية(٨٣ آل عمران)، فانكر على من يبغي غير دين الله كما قال تعالى في أول السورة: ﴿ **شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم إن الدين عند الله الإسلام وماختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ماجاءهم العلم بغياً بينهم** ﴾(آل عمران : ١٩) فأخبر أن الدين عند الله الإسلام وأن الذين اختلفوا من أهل الكتاب وصاروا على ملل شتى مااختلفوا إلا من بعد ماجاءهم العلم ، وفيه بيان أن الدين واحد لاخلاف فيه وقال تعالى: ﴿ **قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم ديناً قيما ملة ابراهيم حنيفاً وماكان من المشركين ، قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين** ﴾
(الأنعام: ١٦١ ـ ١٦٢) .

هذا بعد أن ذكر الأنبياء قال تعالى: ﴿ **أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده** ﴾ (الأنعام : ٩٠) وذكر في الأعراف دعوة المرسلين جميعهم واتفاقهم على عبادة الله وحده لا شريك له، وقال تعالى: ﴿ **ولقد بعثنا فى كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** ﴾ (النحل : ٣٦)

وقال تعالى: ﴿ **إن ابراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين ، شاكراً**

لأنعمه ، اجتباه وهداه الى صراط مستقيم ،وآتيناه فى الدنيا حسنة وإنه فى الآخرة لمن الصالحين ،ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفاً وماكان من المشركين ﴾ (النحل : ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٤) .

وقال تعالى : ﴿ ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ مشهد يوم عظيم ﴾ (مريم : ٣٤-٣٧) وقال تعالى في سورة الأنبياء

﴿ ومأأرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ (الأنبياء : ٢٥) .

وقال تعالى بعد أن قص قصصهم : ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾ (الأنبياء : ٩٢) وقال تعالى في آخرها : ﴿ قل إنما يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون ﴾ (الأنبياء : ١٠٨) وقال تعالى في سورة المؤمنون : ﴿ ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم ،وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ الآيات (٥١ - ٥٣)سورة المؤمنون .

وقال في آخر سورة الحج التي ذكر فيها الملل الست وذكر ماجعل لهم من المناسك والمعابد وذكر ملةإبراهيم خصوصاًقال جل وعلا : ﴿ وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وماجعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل ﴾ (الحج : ٧٨)

وقال تعالى : ﴿ شرع لكم من الدين ماوصى به نوحاً والذى أوحينا إليك ﴾ (الشورى : ١٣) .

دين الأنبياء واحد

وهذا في القرآن مذكور في مواضع كثيرة وكذلك في الأحاديث الصحيحة مثل ماترجم عليه البخاري فقال : باب ماجاء في أن دين الأنبياء واحد وذكر الحديث

المتفق عليه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « إنّا معشر الأنبياء إخوة لعلات »
ومثل صفته في التوراة « لن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء فأفتح به أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً » ولهذا وحد الصراط والسبيل في مثل قوله تعالى :

﴿ اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضآلين ﴾ ومثل قوله تعالى : **﴿ وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾** (الأنعام : ١٥٣) .

والإسلام دين جميع المرسلين ، قال نوح عليه السلام : **﴿ فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجرى إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾**(يونس : ٧٢)

وقال الله عن سحرة فرعون : **﴿ ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين ﴾** (الأعراف : ١٢٦)

وقال عن فرعون : **﴿ آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين ﴾**(يونس : ٩٠)

وقال الحواريون : **﴿آمنا واشهد بأننا مسلمون ﴾** وفي السورة الأخرى : **﴿ واشهدوا بأنا مسلمون ﴾** (آل عمران : ٦٤) .

وقال يوسف عليه السلام : **﴿ توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين ﴾**(يوسف : ١٠١)

وقال موسى : **﴿ إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين ﴾** (يونس : ٨٤)

وقالت بلقيس : **﴿ رب إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ﴾** (النمل : ٤٤) .

وقال عن التوراة : **﴿ يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار ﴾**.

قال ابن تيمية في توحد الملة وتعدد الشرائع وقد قررت في غيرهذا الموضع الإسلام العام والخاص والإيمان العام والخاص كقوله : ﴿ **إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون** ﴾ (البقرة : ٦٢) . وأما تنوع الشرائع وتعددها فقال تعالى لما ذكر القبلة بعد الملة ﴿ **فول وجهك شطرالمسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم ومالله بغافل عما يعملون** ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ **ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات** ﴾ (البقرة : ١٤٤-١٤٨)

فأخبر أن لكل أمة وجهة ولم يقل جعلنا لكل أمة وجهة بل قد يكون هم ابتدعوها كما ابتدعت النصارى وجهة المشرق بخلاف ماذكره في الشرع والمنهاج فإنه قال تعالى : ﴿ **ياأيها الرسول لايحزنك الذين يسارعون فى الكفر** ﴾إلى قوله ﴿ **ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون**﴾ (المائدة : ٤١ - ٥٠) .أ . هـ .

وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يحكم بينهم بما أنزل الله إليه ونهاه أن يأخذ بمنهاج غيره وشرعته وقال تعالى : ﴿ **فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا** ﴾ (المائدة : ٤٨) .

والشرعة الشريعة وهي السنة والمنهاج والطريق والسبيل وقال سبحانه : ﴿ **ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولاتتبع أهواء الذين لا يعلمون** ﴾(الجاثية : ١٨) .

وقال : ﴿ **الذين يتبعون النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث** ﴾ (الأعراف : ١٥٦)

وقال في النسخ ووجوب اتباعهم للرسول : ﴿ **واذ أخذَ اللهُ ميثق النبيينَ لما أتيتكم من كتاب وحكمة** ﴾ (آل عمران : ٨١) إلى قوله تعالى : ﴿ **وأنا معكم من الشاهدين** ﴾ وقال : ﴿ **فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة** ﴾الآية(الأعراف : ١٥٦)

والتي بعدها إلى غيرذلك من النصوص التي أمروا فيها بالإيمان بما أنزل الله على محمد ﷺ.

وكما أمر سبحانه الأنبياء جميعهم بالإسلام أمرنا بملازمة الإسلام إلى الممات وأن نعتصم بحبله جميعاً ولانتفرق ونهانا أن نكون كالذين تفرقوا من بعد ماجائهم البينات وقال : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً** ﴾ (آل عمران : ١٠٢ ، ١٠٣) .

إلى قوله تعالى : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس** ﴾ (آل عمران : ١٠٢ ـ ١١٠) وذكر أنه تبيض وجوه وتسود وجوه .

قال ابن عباس : تبيض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة .

وذكر أنه يقال لهم: ﴿ **أكفرتم بعد إيمانكم** ﴾ وهذا عائد إلى قوله تعالى : ﴿ **ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾ فأمر بملازمة الإسلام وبين أن المسودة وجوههم أهل التفرق والاختلاف يقال لهم أكفرتم بعد إيمانكم .

التوراة ودعوتها إلى التوحيد

التوراة شريعة مستقلة كالقرآن بعكس الإنجيل فإنه عبارة عن بعض الأحكام والمواعظ والآداب التي أضيفت للتوراة ولذلك سُمي الإنجيل بالعهد الجديد والتوراة بالعهد القديم .

وفي قوله تعالى : ﴿ **وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قُضي ولوا إلى قومهم منذرين قالوا ياقومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، ياقومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به** ﴾ فهنا قالت الجن أنزل من بعد موسى ولم تقل أُنزل من بعد عيسى للسبب الذي ذكرنا وقد ورد ذكر التوراة في القرآن في عدة مواضع ووصفت

بأنها هدى ونور وضياء وذكر وتمام على الذي أحسن وتفصيل لكل شئ وأن الله أمر بني إسرائيل أن يأخذوا بأحسنها وأن يأخذوها بقوة وأن يقيموا أحكامها وأن لا يشتروا بها ثمناً قليلاً وأن لا يحرفوا كَلمها عن مواضعه .

وقد وردت نصوص عديدة في التَوراة تدعوا إلى التوحيد وتحذر من صور الشرك. فقد جاء في سفر الخروج : « أن الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر أرض العبودية » .

وفي سفر التثنية « فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك لأن الرب إلهكم هو إله الآلهة العظيم الجبار المهيب ، الرب إلهك تتقي وإياه تعبد وبه تلتصق وباسمه تحلف وهو إله واحد لاشريك له الرب إلهنا رب واحد ، لاتسيروا وراء آلهة أخرى من آلهة الأمم التي حولكم لأن الرب إلهكم إله غيور في وسطكم » .

وجاء في سفر اللاويين « لاتلتفتوا إلى الأوثان ، وآلهة مسبوكة لاتصنعوا لأنفسكم » ، وكما نُهوا عن عبادة الأوثان نهوا عن عبادة النجوم وغيرها كما جاء :

« لاترفع عينيك وتنظر إلى السماء وتنظر الشمس والقمر والنجوم كل جند السماء التي قسمها الرب إلهك لجميع الشعوب التي تحت كل السماء فتغتر وتسجد لها وتعبدها » بل وأمروا أن يعاملوا بالشدة جميع الأمم التي تدين بعبادة الأوثان كقوله في سفر التثنية :

« فإنك تحرمهم لاتقطع لهم عهداً ، ولاتشفق عليهم ولا تصاهرهم ، بنتك لاتعط لإبنه وبنته لاتأخذ لإبنك لأنه يرد إبنك من ورائي فيعبد آلهة أخرى ، تهدمون مذابحهم وتكسرون أصنامهم وتقطعون سواريهم وتحرقون تماثيلهم بالنار وتماثيل آلهتهم تحرقون بالنار لاتشته فضة ولا ذهباً مما عليها لتأخذ لك لئلا تصاد به لأنه رجس عند الرب إلهك » .

، وكما أمروا بالقسوة على الأمم الوثنية أمروا بمثل ذلك في حق من يشرك منهم . ، فقد أمر موسى عليه السلام بني لاوي رهطه بقتل عبدة العجل حين عُبد العجل في

غيبته. ففي سفر الخروج « هكذا قال الرب إله إسرائيل ضعوا كل واحد سيفه على فخذه ومروا وارجعوا من باب إلى باب في المحلة واقتلوا كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه وكل واحد قريبه » ، وفي سفر الخروج : « من ذبح لآلهة غير الرب يهلك » .

، وفي التثنية:« والرجل أو المرأة الذي يذهب ويعبد آلهة أخرى ويسجد لها أو للشمس أو للقمر أو كل من جند السماء يخرج ويرجم بالحجارة حتى يموت والقرية التي تعبد آلهة أخرى يضرب سكانها بحد السيف ويحرم كل مافيها مع بهائمها بحد السيف وتحرق جميع أمتعتها بالنار وتكون تلا إلى الأبد لا تبنى بعد وإذا أغرى أحد بالشرك يقتل ولو كان المغري أخاك ابن أبيك أو ابنك أو بنتك أو امرأةتخصك أو صاحبك الذي مثل نفسك فلا ترض منه ولاتسمع له ، ولاتشفق عليه ، ولاترق له ولاتستره بل تقتله قتلاً ، يدك تكون عليه أولاً تقتله ثم أيدي جميع الشعب أخيراً ترجمه بالحجارة حتى يموت ».

الدعوة إلى التوحيد في الأناجيل

فى إنجيل متى

ورد في الإصحاح الرابع قول إبليس للمسيح : « إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل فإنه مكتوب أنه يوصي ملائكته بك ، فيقول له المسيح : مكتوب أيضاً لاتجرب الرب إلهك»، وحين أخذه إبليس إلى جبل عال جداً أو أراه جميع ممالك العالم ومجدها وقال له : أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لي قال له يسوع : إذهب ياشيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد ».

وفي الإصحاح السادس يقول المسيح لتلاميذه : « فصلوا أنتم هكذا : أبانا الذي في السموات ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض خبزنا كفافنا وأعطنا اليوم واغفرلنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين

إلينا ولاتدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد آمين » .

وفي الإصحاح الثاني والعشرين يقول : « إنما قرأتم ماقيل لكم من قبل الله القائل : أنا إله إبراهيم وإله اسحاق وإله يعقوب ليس الله إله أموات بل إله أحياء ».

وفى انجيل مرقس من الإصحاح الثاني عشر يسأل أحد الكتبة يسوع :

«أية وصية هي أول الكل ؟ فيجيبه بأن أول كل الوصايا هي اسمع ياإسرائيل : الرب إلهنا رب واحد وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك هذه هي الوصية الأولى » .

وفي الإصحاح الثامن عشر : « وسأله رئيس قائلاً : أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية ؟ فقال له يسوع : لماذا تدعوني صالحاً ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله » .

وفي إنجيل يوحنا

الإصحاح الخامس : « كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجد بعضكم من بعض والمجد الذي من الإله الواحد لستم تطلبونه » .

وفي الإصحاح السابع عشر من هذا الإنجيل يقول يسوع المسيح : « وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته ».

، وهذه النصوص السابقة تدل على أن المسيح عليه السلام دعا إلى عبادة الله وحده ولم يدع أحداً إلى عبادة نفسه والقرآن يشهد له أنه ماخالف الأنبياء والمرسلين في دعوة التوحيد قال تعالى في سورة الزخرف : ﴿ **ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون، إن الله هوربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم** ﴾ (الزخرف : ٦٣ ، ٦٤) .

ويحكي لنا القرآن في سورة المائدة صورة لما سيكون يوم القيامة حين يُسأل عيسي عليه السلام عما يقوله النصاري من أمرهم أن يتخذوه وأمه إلهين من دون

الله فيجيب علي ذلك البهت بهذا الجواب المفحم :

﴿ سبحانك مايكون لى أن أ قول ماليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك إنك أنت علام الغيوب ، ماقلت لهم إلا ماأمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم ، فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد ، إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ (المائدة : ١١٦ـ١١٧) .

أصول متفق عليها بين جميع النبوات تتعلق بالله جل وعلا

« **أحدها** » أن الله سبحانه وتعالى قديم واحد لاشريك له في ملكه ولاند ولاضد ولا وزير ولا مشير ولا ظهير ، ولا شافع إلا من بعد إذنه .

« **الثانى** » أنه لاوالد له ولا كفؤ ولا نسيب بوجه من الوجوه ولا زوجة .

« **الثالث** » أنه غني بذاته فلا يأكل ولا يشرب ولا يحتاج إلى شئ مما يحتاج إليه خلقه بوجه من الوجوه .

« **الرابع** » أنه لايتغير ولاتعرض له الآفات من الهرم والمرض والسِنة والنوم والنسيان والندم والخوف والهم والحزن ونحو ذلك .

« **الخامس** » أنه لايماثل شيئاً من مخلوقاته بل ليس كمثله شئ لافي ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله .

« **السادس** » أنه لايحل في شئ من مخلوقاته ولا يحل في ذاته شئ منها بل هو بائن عن خلقه بذاته والخلق بائنون عنه .

« **السابع** » أنه أعظم من كل شئ وأكبرمن كل شئ وفوق كل شئ وعال علي كل شئ وليس فوقه شئ البتة .

« **الثامن** » أنه قادر على كل شئ فلا يعجزه شئ يريده بل هو الفعال لما يريد .

« **التاسع** » أنه عالم بكل شئ يعلم السر وأخفى ويعلم ماكان ومايكون ومالم يكن لوكان كيف كان يكون قال تعالى : ﴿ **وماتسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس** ﴾ (الأنعام : ٥٩) ولامتحرك إلا وهو يعلمه على حقيقته .

« **العاشر** » أنه سميع بصير يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات ويرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء فقد أحاط سمعه بجميع المسموعات وبصره بجميع المبصرات وعلمه بجميع المعلومات وقدرته بجميع المقدورات ونفذت مشيئته في جميع البريات وعمت رحمته جميع

المخلوقات ووسع كرسيه الأرض والسموات .

« **الحادى عشر** » أنه الشاهد الذي لايغيب ولا يستخلف أحداً على تدبير ملكه ولا يحتاج إلى من يرفع إليه حوائج عباده أو يعاونه عليها أو يستعطفه عليهم ويسترحمه لهم .

« **الثانى عشر** » أنه الأبدي الباقي الذي لا يضمحل ولايتلاشى ولايعدم ولا يموت .

« **الثالث عشر** » أنه المتكلم الآمر الناهي قائل الحق وهادي السبيل ومرسل الرسل ومنزل الكتب والقائم على كل نفس بما كسبت من الخير والشر ومجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته .

« **الرابع عشر** » أنه الصادق في وعده وخبره فلا أصدق منه قيلا ولاأصدق منه حديثا وهو لا يخلف الميعاد .

« **الخامس عشر** » أنه تعالى صمد بجميع الصمدية فيستحيل عليه مايناقض صمديته .[1]

« **السادس عشر** » أنه قدوس سلام فهو المبرأ من كل عيب وآفة ونقص .

« **السابع عشر** » أنه الكامل الذي له الكمال المطلق من جميع الوجوه .

« **الثامن عشر** » أنه العدل الذي لايجور ولايظلم ولا يخاف عباده منه ظلماً .

قال الإمام ابن القيم فهذا مما اتفقت عليه جميع الكتب والرسل وهومن المحكم الذي لايجوزأن تأتي شريعة بخلافه ولا يخبر نبي بخلافه أصلاً ، فترك المثلثة عُبَّاد الصليب هذا كله ، وتمسكوا بالمتشابهة من المعاني والمجمل من الألفاظ وأقوال من :

﴿ **قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل** ﴾ (المائدة : ٧٧) .

وأصول المثلثة ومقالتهم في رب العالمين تخالف هذا كله أشد المخالفة وتباينه أعظم المباينة .

---

١ ـ الصمد : السيد لأنه يُصمَد إليه في الحوائج أي يُقصَد .

الله محبة

ماالذي فهمه النصارى من هذه العبارة ؟

فما أحب الله من سبه أعظم مسبة ولم يُقَرّبأنه الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، ولم يجعله أكبرمن كل شئ بل قال فيه سبحانه و تعالى : ﴿ **تكاد السموات يتفطرن منه ، وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا** ﴾(مريم ٩٠)

فقل ماشئت في طائفة أصل عقيدتها « إن الله ثالث ثلاثة » وأن مريم صاحبته وأن المسيح ابنه وأنه أنزل عن كرسي عظمته والتحم ببطن الصاحبة وجرى له ماجرى إلى أن قُتل ودُفن ومات فدينها عبادة الصلبان ودعاء الصور المنقوشة بالأحمر والأصفر في الحيطان ، يقولون في دعائهم « ياوالدة الإله ارزقينا ، واغفري لنا وارحمينا ».

، فدينهم شرب الخمور وأكل الخنزير وترك الختان والتعبد بالنجاسات واستباحة كل خبيث من الفيل إلى البعوضة ، والحلال ماحلله القس والحرام ماحرمه ، والدين ماشرعه ، وهوالذي يغفر لهم الذنوب ، وينجيهم من عذاب السعير .

ماأحب الله من ترك عقيدة التوحيد وأخذ دينه من الوثنيات فشابه ماتقوله الهنود في كرشنة وبوذا وقال بالتثليث وتوافق معهم في عقيدة الفداء والصلب لتخليص العالم من الخطيئة والقول بتجسد الإله المخلص ونزوله إلى الأرض وولادته وظهور نجم في السماء غد ولادته وحدوث الظلمة في الأرض عند قتله وتجربة الشيطان لأبناء الآلهة المخلصين ونزولهم إلى الجحيم لتخليص الأموات .

إن جميع المذاهب المسيحية المعروفة الآن مهما اختلفت في تحديد شخصية المسيح فإنها مؤلهة له ليس فيها من يدين بدين الحق الذي يجعل عيسى مجرد رسول من عند الله ليس إلهاً ولا ابن إله بل هو في معتقدهم الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس وكلمة الله المتجسد من مريم العذراء لخلاص العالم !!

ماأحب الأساقفة والبتاركة بعضهم بعضاً فما اجتمعوا في مجمع من المجامع إلا

ولعنوا وتبرأوا وكفروا من خالفهم فكلهم لاعن ملعون فمتى استشعروا معنى الحب في الله ؟!

قال تعالى: ﴿ **ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون** ﴾ (المائدة : ١٤) .

والميثاق المأخوذ عليهم في التوحيد والإيمان بمحمد ﷺ إذ هو مكتوب في الإنجيل والحظ الذي نساه النصارى هو الإيمان بمحمد ﷺ أي لم يعملوا بما أمروا به وجعلوا ذلك الهوى والتحريف سبباً للكفر بمحمد ﷺ.

وفي قولهم: ﴿ **إنا نصارى** ﴾ ولم يقل من النصارى دليل على أنهم ابتدعوا النصرانية وتسموا بها روي معناه عن الحسن، يقول سبحانه ﴿ **فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء** ﴾(المائدة : ١٤) . صاربعضهم لبعض عدواً وافترقوا إلى اليعاقبة والنسطورية والملكانية ، أي كفر بعضهم بعضاً فكل فرقة مأمورة بعداوة صاحبتها وإبغاضها لأنهم كفار: ﴿**وسوف ينبئهم الله**﴾ تهديد لهم ، أي سيلقون جزاء نقض الميثاق ، فهذا حالهم مع الله ومع بعضهم البعض ثم حالهم مع سائر الخلق عامة ومع المسلمين بصفة خاصة أمره لا يخفى .

إن المحبة ليست مجرد كلمة تقال ، قال الحسن ادعى قوم محبة الله فابتلاهم الله بهذه الآية : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله** ﴾(آل عمران : ٣١) .

وقال « إن قوماً غرتهم أماني المغفرة ذهبوا ولا حسنة لهم وقالوا نُحسن الظن بالله وكذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل »

وقال تعالى: ﴿ **ياأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلةٍ على المؤمنين أعزةٍ على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم** ﴾ (المائدة : ٥٤)

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة**

الإيمان : أن يكون اللهُ ورسولهُ أحبَّ إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لايحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود للكفر بعد أن أنقذه الله منه ، كما يكره أن يقذف فى النار» متفق عليه ومن السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لاظل إلا ظله : « **رجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه** » متفق عليه والنصوص في ذلك كثيرة .

عبادة الرهبان والقديسين [1]

لم يقف النصارى في وثنيتهم عند هذا الحد من عبادة المسيح وأمه وروح القدس بل تعدوا ذلك إلى عبادة الرهبان والقديسين كما قال تعالى : ﴿ **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم** ﴾ (التوبة : ٣١)

وكما غلا النصارى في نبيهم عيسى عليه السلام فقدغلوا في قديسيهم وصالحيهم فاتخذوا قبورهم كنائس وملأوها بصور هؤلاء القديسين وهو يجثون على الركب أمام هذه الصور ويتضرعون إليها ويستشفعون بها ويعتقدون أن روح المسيح حلت فيها ولقد بلغ افتتانهم بها حداً كبيراً. وفي الكتاب الذي ألفه الكاتب الفرنسي ج. أ. س. كولان دي بلانس وسماه « قاموس الأضرحة والمقابر » وترجمه وعلق عليه الدكتور أمين رضا فصول مثيرة عن كثرة الآثار المقدسة لدى المسيحيين وعكوف عامتهم علي الخضوع لها حتى أنهم نسوا دعاء الله إلى جانب دعاء هذه الأضرحة والتماثيل .

يقول في موضع من هذا الكتاب : « لقد كان عامة الكاثوليك لا يفكرون في دعاء الله ، بل كانوا يتوجهون بالضراعة إلى ضريح القديسة جنيفيف أو إلى مقدسات السيدة العذراء المتعددة أوبقايا يسوع .... وقد استولى القسس والرهبان على جميع العيون المعدنية التي اشتهرت بميزة خاصة وعلقوا فيها صوراً صغيرة وبعد لأي الزمن أصبح معروفاً أن هذه المياه المعدنية لم تكن تشفي المرضى لعنصر فعال طبيعي جعله الله فيها ، بل رحمة من القديسين الذين كانت العيون تسمى

١ ـ راجع كتاب دعوة التوحيد للأستاذ محمد خليل هراس ٢٢٧ ـ ٢٣٠ .

بأسمائهم وهكذا كانت المعجزات كثيرة جداً مع أن إيمان هؤلاء السلف لم يكن أكثر من إيماننا إخلاصاً وقوة وكانت جميع أنحاء فرنسا تهتم بتعقب أخبار قديس سافر من مكان إلى مكان آخر أو بأخبار نقل ضريح من مكان إلى آخر وكان اهتمام الناس بهذه الأخبار يماثل اهتمامنا اليوم بأعياد النصر وكانت الطرق بين المدن لايطرقها إلا حجاج مؤمنون مخلصون يؤمون قديساً مشهوراً بقضاء حاجة في أنفسهم .

ومما يحكى أن فيليب الطويل لم يشف من الحمى الرباعية إلا بعد أن لمس المسمار المقدس وذراع القديس سيميون الذي كان يعبده الناس في مدينة سان دنيس ، وقد وضعت هاتان البروكتان معجزة الشفاء أيضاً في دوق (نورمانديا) ابن الملك فيليب دي فالو .

ومع أن شفاءه لم يتم إلا بعد ستة أسابيع إلا أنه أصر على السفر إلى سان دنيس لتقديم الشكر ، وكان المؤمن المخلص في إيمانه يعتقد أن من يستعمل الطب إنما يسب القديسين وأن جميع الأمراض تشفيها مقدساتهم ويقال أن أحد الأتقياء مرض فقصد طبيباً فظهرت له السيدة العذراء وأنذرته بأنه سيظل طول حياته مريضاً إن هو لم يتوجه للعلاج إلى إحدى النوتردامات ولم يشرك معها في علاجه أحداً إلى أن يقول ، ولم يكن يمر يوم من غير أنه يسمع الناس فيه بشفاء أحد المرضى بتأثير أحد الآثار المقدسة .

ولم تكن الأقطار الكاثوليكية تشغل نفسها بأي شئ غير شد الرحال إلى الأضرحة وكان شد الرحال إلى الأرض المقدسة أهم الأعمال التي كان يقوم بها أتقى الأتقياء وكانت المعبودات منتشرة في كل مكان حتى أصغر القرى وأبسط الأديرة وعلاوة على هذه الكنوز المقدسة المحفوظة في الكنائس كانت هناك فئة من الناس الذين كانوا يحملون الآثار المقدسة معهم من صورة وعظام ويتجولون بها من قرية إلى قرية وكانت النساء تتهافت عليهم فيلمسن بهذه الأشياء المقدسة قطعاً من

القماش أوالمسابح لكي يكتسبن بها بركة القديسين نظير قروش قليلة إلى أن يقول :
وكانت الآثار المقدسة متصفة بقوة هائلة حتى إن الناس كانوا يصنعون آثاراً مقدسة من كل شئ .

ففي عام ١٧٥٦ عشر سكان قرية بون دي شاتو بإقليم أو فرني بفرنسا على صندوق يحتوي على جثة طفل محنطة على الطريقة الشرقية وكانت الجثة لاتزال محتفظة بنضارتها وهيئتها الطبيعية فاعتبروها معجزة واعتبروها مقدسة وحجوا إليها وعبدوها إلى أن صدر أمر من الحكومة بالإستيلاء عليها ووضعها في أحد متاحف التاريخ الطبيعي بباريس .

وكان هذا الدين الخرافي المبني على عبادة التصاوير والمقاصير والأضرحة وغيرها من الآثار المقدسة متفشياً في كل مكان ولذلك كانوا يحرقون من يقصر في احترام تمثال من تماثيل القديسين ويجلدون الذين لا يبجلون الآثار المقدسة تبجيلاً لائقاً ».

وبعد فهذه هى المسيحية الموجودة الآن في عقائدها وتصوراتها وأفعال أهلها لا نكاد نلمح في تضاعيفها آثاراً تربطها بأصلها الأول بل هى ديانة جديدة من وضع قسطنطين اتخذت من المسيح محوراً تدور حوله جميع عناصرها الوثنية .

الغلو في الصالحين واتخاذ القبور مساجد

الغلو في المنسوبين إلى الصلاح والتقى من أعظم أسباب كفر بني آدم وتركهم دينهم بل هو أصل عظيم من أصول الشرك قديماً وحديثاً فبدلاً من أن يتوجه الناس بالعبادة لخالق الأرض والسموات وتتعلق قلوبهم به سبحانه في جلب النفع ودفع الضر وجدنا من يذبح وينذر ويستغيث ويدعو ويلتمس المدد والبركة من الأولياء والصالحين والرهبان والقديسين وقد أخرجوا هذا الشرك وأظهروه في قالب المحبة والتعظيم هكذا صور لهم الشيطان وهكذا زعموا .

وفي الصحيح عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ **وقالوا لاتذرن آلهتكم ولا تذرن**

وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسرا﴾(نوح : ٢٣) قال هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا ولم تُعبد حتى إذا هلك أولئك ونُسى العلم عُبدت .

قال غير واحد من السلف لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم وقد حذر سبحانه من الغلو فقال تعالى :

﴿ قل ياأهل الكتاب لاتغلو فى دينكم ﴾(المائدة : ٧٧) .

والغلو كثير في النصارى فإنهم غلوا في عيسى عليه السلام فجعلوه إلهاً وناقضهم اليهود فحطوه من منزلته حتى جعلوه ولد بغي .

قال ابن تيمية : ومن تشبه من هذه الأمة باليهود والنصارى وغلا في الدين بإفراط فيه أو تفريط وضاهاهم في ذلك فقد شابههم كالخوارج المارقين عن الإسلام أ . هـ .

فالغلو مذموم في الإعتقادات والأعمال، وفي الحديث: « **إياكم والغلو فى الدين فإنما هلك من كان قبلكم الغلو فى الدين** » رواه أحمد والترمذي وهذا لفظ ابن ماجه، ولمسلم عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : « **هلك المتنطعون** » قالها ثلاثاً ، والمتنطعون هم الغالون وقد كان بناء المساجد والكنائس على القبور ذريعة للشركيات والكفريات ، فبدلاً من أن يتوجه الناس بالعبادة لله توجهوا بها للمقبورين، وبالجملة فالغلو أصل الشرك في الأولين والآخرين إلى يوم القيامة.

وتعظيم الأنبياء والصالحين ومحبتهم إنما هى باتباع مادعوا إليه من العلم النافع والعمل الصالح واقتفاء آثارهم وسلوك طريقتهم في إخلاص العبودية لله وحده دون عبادتهم وعبادة قبورهم .

وقد عاب رب العزة على أهل الجاهلية الذين برروا شركهم بقولهم : **﴿ مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾**(الزمر : ١٣)وبقولهم **﴿ هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾**(يونس١٨)

فرد عليهم سبحانه بقوله : ﴿ **قل لله الشفاعة جميعا** ﴾(الزمر : ٤٤)

فلا يخلق هو ويُعبد غيره ولا يرزق هو ويُشكر سواه .

وفي الحديث : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ماصنعوا . متفق عليه ، ولمسلم عن أبي الهياج قال : « قال لي علي بن أبي طالب : ألا أبعثك على مابعثني عليه رسول الله ﷺ ؟ أن لا تدع صورة إلا طمستها ولا قبراً مشرفاً إلا سويته » فاحذر الشرك على نفسك واعمل بالحنيفية السمحة فهى حنيفية في التوحيد سمحة في العمل كما قال بعض العلماء : هى أشد الشرائع في التوحيد والإبعاد عن الشرك وأسمح الشرائع في العمل .

قاعدة في المعجزات والكرامات [1]

الإفتتان بالأمور الخارقة كثير عند النصارى والإستدلال بها على صلاح من حدثت له من جهة وصرف العبادة له من دون الله والغلو فيه من جهة أخرى من جملة الضلال الذي وقعوا فيه فلابد للولى والتقى الصالح من أن يكون مقتدياً في أقواله وأفعاله بشرع الله ، وهذا هو المعيار الذي يُعرف به الحق من الباطل فمن ظهر منه شئ يخالف هذا الضابط فهو رد عليه ولا يجوز لأحد أن يعتقد فيه أنه ولى لله أو قديس فإن أمثال هذه الأمور تكون من أفعال الشياطين كما نشاهده في الذين لهم تابع من الجن فإنه قد يظهر على يده مايظن من لم يستحضر هذا المعيار أنه كرامة فهو في الحقيقة مخاريق شيطانية وتلبيسات إبليسية قال تعالى : ﴿ **هل أنبئكم على من تنزل الشياطين، تنزل على كل أفاك أثيم، يلقون السمع وأكثرهم كاذبون** ﴾ (الشعراء : ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣) .

ولذلك قال الليث بن سعد : إذا رأيت الرجل يمشي على الماء فلا تصدقه حتى تعرض عمله على السنّة فلما سمع ذلك الشافعي قال : قصّر والله الليث ، بل لو رأيته يطير في الهواء فلا تصدقه حتي تعرِض عمله على السنة » فهذا هو الميزان

---

١ ـ راجع كتابنا (الشهرة وعالم الأضواء) ٤٩ ـ ٥٨ .

الذي نفرق به بين الكرامة الرحمانية والخارقة الشيطانية .

فالكرامة ضابطها الإستقامة وهذه الإستقامة تستلزم العلم النافع والعمل الصالح وهذا يتضمن الإيمان بالله ونبذ الكفر والفسوق والعصيان وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن اسم المعجزة يعم كل خارق للعادة في اللغة وعرف الأئمة المتقدمين كالإمام أحمد بن حنبل وغيره ويسمونها الآيات لكن كثيراً من المتأخرين يفرق في اللفظ بينهما فيجعل المعجزة للنبي والكرامة للولي وجماعهما الأمر الخارق للعادة .أ. هـ .

والخارقة لاتدل على أن من حدثت له أفضل من لم تحدث له كما لايدل فقدها على نقص دين الإنسان ومرتبته عند الله ، وعلى العكس والنقيض فحدوثها لا يدل على صدق من ظهرت على يديه ولا ولايته ولا فضله على غيره لجواز سلبها ، وأن تكون استدراجاً ومكراً وعلى أي حال فلا يجوز صرف العبادة لغير الله وسواء كان نبياً أو ولياً وقلوب الخلق يجب أن تتعلق بالله وحده في جلب النفع ودفع الضر ، وقد ثبت في الصحيحين عنه ﷺ أنه قال : « **قد كان في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي أحد منهم فعمر منهم** » .

وحديث : « **اتقوا فراسة المؤمن فإنه يري بنور الله** » أخرجه الترمذي وحسنه .

ثم عمر رضى الله عنه مع كونه من المحدثين بالنص كان يشاور الصحابة ويشاورونه ويراجعهم ويراجعونه ، ويحتج عليهم بالكتاب والسنة ويرجعون جميعاً إليهما ، وكان إذا عرضت عليه المسألة يقول ، أقول فيها فإن أصبت فمن الله وإن أخطات فمن نفسي ومن الشيطان والله منه برئ .

وكان أبوسليمان الداراني يقول : « إنها لتقع في قلبي النكتة من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين عدلين الكتاب والسنة » وقال أبو عثمان النيسابوري : « من أمر على نفسه الشريعة قولاً وفعلاً نطق بالحكمة ومن أمر على نفسه الهوى قولاً وفعلاً نطق بالبدعة لأن الله تعالى يقول : ﴿ **وإن تطيعوه تهتدوا** ﴾ (النور : ٥٤)

بعض خوارق العادات للأنبياء وغيرهم

من أمثلة ذلك عصا موسى وفلق البحر والقُمّل والضفادع والدم وناقة صالح وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى لعيسى عليه السلام وإخبارهم بما يأكلون ومايدخرون في بيوتهم وقد حدث من ذلك الكثير لرسول الله ﷺ وسنفرده بالبحث بإذن الله .

ومن أمثلة ماحدث لغير الأنبياء قول عمر رضى الله عنه في قصة سارية وهو على المنبر ، ورؤيته لجيش سارية مع بُعْد المسافة فقال : ياسارية الجبل ، تحذير له من العدو ومكرهم له من وراء الجبل فسمع ساريةُ قوله مع بُعد المسافة لأن عمر بالمدينة والجيش بنهاوند .

وكإخبار أبي بكر أن في بطن امرأته أنثى وإخبارعمر عمن يخرج من ولده فيكون عادلاً ومن ذلك قصة الذي عنده علم من الكتاب وقصة أهل الكهف وقصة مريم وقصة خالد بن الوليد وسفينة مولى رسول الله ﷺ الذي سار معه الأسد حتى دله على الطريق ولم يلحقه بأذي وأبي مسلم الخولاني الذي أنجاه الله من النار وفعل به مافعله بنبيه إبراهيم ﷺ وأشياء يطول شرحها فإن تعداد هذا مثل المطر وإنما الغرض التمثيل بالشئ الذي سمعه أكثر الناس .

التقدم المادي ليس عنواناً للتقى والهدى دائماً [(١)]

إن الله يعطي الدنيا لمن يحب ومن لايحب ، أما الآخرة فلا يعطيها إلا لمن أحب قال تعالى : ﴿ **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علواً فى الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين** ﴾ (القصص : ٨٣)وقد امتلك الدنيا مؤمنان وكافران ، أما المؤمنان فسليمان وذو القرنين ، وأما الكافران فالنمرود وبختنصر ، ويخطأ كثيراً من يظن أن التقدم العلمي قرين الهداية والصلاح فعلى قدر علو كعب العالم اليوم في العلوم المادية على قدر الإنحطاط في العلوم الإنسانية والدينية قال تعالى : ﴿ **يعلمون ظاهراً**

---

١ ـ راجع كتابنا الديمقراطية في الميزان ١٠٣ ـ ١٠٥ .

من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾ (الروم : ٧) .

فالعلوم المادية لا تجلب الهداية بمفردها بل هى أداة يجب أن تستخدم لتعميق روح الإيمان في نفوس العباد وفتح العيون على قدرة الله في خلقه :

وفى كل له شئ له آية . . تدل على أنه الواحد

والذين قصروا أنفسهم على محاربة ألوان الوثنية القديمة غير مدركين للشرك المتمثل في الشرود عن منهج الله والسعي وراء الأفكار الضالة مخطئون .

والذين يدركون خطر الجاهلية الجديدة وينكرون ويكابرون في وجود الجاهلية الموروثة والتي تسري في دماء البشر فتجعل القصد لغير الله مخطئون. ومن يعرف الدين الصحيح ويعرف الأوضاع لا يماري في أن الباطل والكفر صورة تتكرر. فالوثنية الأولى مازالت موجودة هنا وهناك في بلاد الزنوج والإسكيمو والملايين في أمريكا ويريطانيا مازالوا يجثون على الركب أمام تمثال العذراء طالبين البركة وآلهة الهند بالألوف والشيوعيون يتخذون من قبر لينين مطافاً ومزاراً وبالتالي فالآلهة الأولى كألوهية فرعون والنمرود والأحبار والرهبان ماهى إلا نماذج تتكرر ولم تتلاشى فهل أزال التقدم العلمي مثل هذا الضلال. ولذلك كان لابد من التركيز على قضايا التوحيد والإهتمام بها وترسيخها في النفوس كما لابد أيضاً من هدم الشرك ودحض الباطل في كل مظاهره وصوره وأشكاله فالشرك شئ واحد تتفق صوره في أنها قصد لغير الله في التوجه والطلب والتشريع والتعظيم والتقديس وليكن هم المسلم محاربة الشرك والوثنية مهما كانت وبأي لباس تحلت فذلك الصراط المستقيم قال تعالى : **﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحى من حيٌ عن بينة ﴾** (الأنفال : ٤٢) .

إن الحضارة الحقة والتقدم والتطور النافع هو الذي يقوم على أساس منهج العبودية بحيث لايتخطى أهله شرع الله ولايشردون عن دين الله وبهذا المنهج تحدث البصيرة والعزة والتمكين والسيادة بالحق على الخلق وبمقدار التخلف عن منهج الله يكون الضياع وسط الأمم والإنحدار إلى هوة الضلال والعيش وسط

النكبات قال تعالى : ﴿ **فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً** ﴾(طه : ١٢٣ ـ ١٢٤) ولذلك لم نستغرب وصف كثير من علماء الغرب لحضارة اليوم بأنها حضارة القلق وأن شأنهم كشأن أطفال يبنون قصوراً بالرمال وهم يجهلون أعماق البحر .

علمناهم وتعلمنا منهم فلمَ الإنحراف بالقضية

يقول المستشرق الهولندي « دوزي » : إن في كل الأندلس لم يكن يوجد رجل أمي بينما لم يكن يعرف القراءة والكتابة في أوربا معرفة أولية إلا الطبقة العليا من القسس .

ويقول « ليدبول » في كتابه « العرب في أسبانيا » : فكانت أوربا الأمية تزخر بالجهل والحرمان بينما كانت الأندلس تحمل إمامة العلم وراية الثقافة في العالم .

ويقول « لوبون » في كتابه « حضارة العرب » : إن مراكز الثقافة في الغرب كانت أبراجاً يسكنها « سنّوْرات » متوحشون يفخرون أنهم لا يقرءون .

ويقول « فيكتور روبنصن» في موازنته بين الحضارة الإسلامية في الأندلس وبين الحالة في أوربا : كانت أوربا في ظلام حالك بعد غروب الشمس بينما كانت قرطبة تضيئها المصابيح العامة ، كانت أوربا قذرة بينما شيّدت « قرطبة »، ألف حمام كانت أوربا تغطيها الهوام بينما كان أهل قرطبة مثال النظافة ، كانت أورباغارقة في الوحل بينما كانت قرطبة مرصوفة الشوارع ، كانت سقوف القصور في أوربامملوءة بثقوب المداخن بينما كانت قصور قرطبة تزينها الزخرفة العربية العجيبة وكان أشراف أوربا لا يستطيعون توقيع أسمائهم بينما كان أطفال قرطبة العربية يذهبون إلى المدارس وكان رهبان أوربا يلحنون في تلاوة سفر الكنيسة بينما كان معلمو قرطبة قد أسسوا مكتبة تضارع في ضخامتها مكتبة الإسكندرية العظيمة ».

فعن طريق الأندلس وصقلية ومدارس الترجمة التي انتشرت في شمال أسبانيا وفرنسا وإيطاليا وعن طريق التجارالمسلمين والحروب الصليبية انتقلت الحضارة

الإسلامية إلى الغرب تنتشل الأوربيين من الجهل إلى العلم وهذا واقع وهو حق .

ومن الإنصاف أيضاً أن نثبت الفضل لأهله فالكل يلمس هذا التطور المادي في نواحي كثيرة من الحياة ، وانقسمت الدنيا على أساس ذلك إلى عالم متقدم وآخر متخلف يُطلق عليه اسم العالم الثالث أو تجاوزاً (العالم النامي) الأمر الذي أدى بنا أن نتعلم منهم الكثير من فنون الزراعة والصناعة والهندسة والطب وهذا الأمر لاحرج فيه فهذه العلوم تؤخذ من كل من أفلح فيها ولكن الحرج كل الحرج في الإنبهار والفتنة بالغرب وتصحيح ماهم عليه من دين باطل فهم يعانون من إفلاس فيما يتعلق بالهداية وعلوم الدين وبالتالي فلاتجوز الإنهزامية في مواجهتهم، إذ الواجب علينا أن نعتز بمعاني الإيمان ونظهر شعائر الدين ونأخذ بأسباب القوة وندعوهم لإسلام الوجه لخالق السموات والأرض حتى ينتفعوا بما هم عليه في الحياة وبعد الممات ولا يتصور أن يكون شئ من أمور الكفرة كاملاً قط حتى مايتعلق بإتقان أمور الدنيا .

ولذلك يقول ابن تيمية في كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم) :

« أن نفس ماهم عليه من الهدى والخلق قديكون مضراً أو منقصاً فينهى عنه ويؤمر بضده لما فيه من المنفعة والكمال وليس شئ من أمورهم إلا فيه الزيادة أو النقص فمخالفتهم فيه : بأن يشرع مايجعله على وجه الكمال ولا يتصور أن يكون شئ من أمورهم كاملاً قط فإذا المخالفة لهم فيها منفعة وصلاح لنا في كل أمورنا حتى ماهم عليه من إتقان أمور دنياهم قد يكون مضراً بآخرتنا أو بما هوأهم منه من أمر دنيانا فالمخالفة فيه صلاح لنا ...... إلى أن قال (رحمه الله) وحقيقة الأمر أن جميع أعمال الكافر وأموره ، لابد فيها من خلل يمنعها أن تتم له منفعة بها ولو فرض صلاح شئ من أموره على التمام لاستحق بذلك ثواب الآخرة ولكن كل أموره إما فاسدة وإما ناقصة فالحمد لله على نعمة الإسلام التي هى أعظم النعم وأم

كل خير كما يحب ربنا ويرضى أ . هـ .

إن القضية أكبر من الإنشغال بإثبات تعليمنا لهم أو تعلمنا منهم إن الإهتمام الأعظم والإنشغال الأكبر ينبغي أن ينصب في دلالتهم على طريق الحق والعودة بهم إلى توحيد الله جل وعلا .

الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح

هذا عنوان الكتاب[1] الذي ألفه شيخ الإسلام (ابن تيميه) والكتاب يقع في أربعة أجزاء ويزيد على الألف ومائتي صفحة بقليل وهو يدل على غزارة علم ابن تيميه فما دخل في علم إلا وفاق أهله فيه، وكان سبب تأليف هذا الكتاب أن شيخ الإسلام قرأ رسالة جاءت من قبرص مضافة إلى « بولص الراهب » أسقف صيدا الأنطاكي وادعى فيها أنه اجتمع بأجلاء تلك النواحي التي ارتحل إليها وناظر أفاضلهم وعلماءهم وقد كان اسم الرسالة المنطيقي الدولة خاني المبرهن عن الإعتقاد الصحيح والرأي المستقيم. والقارئ لهذا الكتاب يلحظ كيف كان ابن تيميه على علم بالنصرانية أكثر من معرفة أهلها بها وكان سنده في الجواب القرآن الكريم والسنة النبوية وماأوتيه من قوة الحجاج والمنطق وكان ذلك هو المنهاج الذي سارعليه في جميع فصول الكتاب غيرأنه حينما أراد أن يثبت وقوع التبديل والتغيير في عقائد النصارى واليهود استدل ببعض نصوص الكتب السماوية والنبوات السابقة وكذلك فعل حينما رد عليهم قولهم: إن النبوات والكتب السابقة لم تبشر بنبوة النبي ﷺ وقد وَفَّى شيخ الإسلام الكلام حقه إذ كان بإزاء الرد على أناس عرفوا بالمكر والخيانة لدينهم والإمام يبدأ الفصل ـ في غالبية الكتاب ـ بالقول المخالف ثم يعقبه بالرد عليه وهو ـ في معظم الفصول ـ يكثر من الإستطراد الهادف لإبطال ماألصق بالدين من المبتدعات وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على غزارة علمه وفضله وأدبه، والكتاب يتضمن أربعة عناصر مهمة :

العنصر الأول :الرد على ماجاء في(الرسالة القبرصية) ومضمونها ستة دعاوى وسنتعرض لها بإذن الله بشئ من الإجمال والإختصار .

العنصر الثاني : تفسير النصوص القرآنية والنبوية التي استدل بها في رده عليهم .

---

١ ـ قدم الكتاب علي السيد صبيح المدني بمقدمة طيبة نقلناها بتصرف .

العنصر الثالث : تصحيح ماوقع في تفسير بعض النصوص الدينية في الإنجيل والتوراة من أخطاء .

العنصرالرابع : دراسة مقارنة للنبوات الثلاثة : الإسلام والنصرانية واليهودية.

وقد قدم شيخ الإسلام للرد على دعاوى « بولص الراهب » بقوله : ونحن ـ ولله الحمد والمنة ـ نبين أن كل ماحتجوا به من حجة سمعية ـ من القرآن أو من الكتب المتقدمة على القرآن ـ أو عقلية لا حجة لهم في شئ منها بل الكتب كلها مع القرآن والعقل حجة عليهم لا لهم بل عامة مايحتجون به من نصوص الأنبياء ومن المعقول ـ هو نفسه ـ حجة عليهم ويظهر منه فساد قولهم مع مايفسده من سائر النصوص النبوية والموازين التي هى مقاييس عقلية وقد رد الإمام على هذه الدعاوى الستة حسب ترتيبها في الرسالة النصرانية .

الدعوى الأولى والرد عليها

ذكر بولص الراهب أن محمداً ﷺ لم يبعث إليهم ـ أي النصارى ـ بل بعث إلى أهل الجاهلية من العرب وأن القرآن فيه مايدل على ذلك وكذلك العقل .

فرد شيخ الإسلام على دعواه بقوله : « إن كل من ادعى الرسالة لا بد أن تنبني دعواه على أصلين :

أحدهما : أن تعرف هل قال : إنه رسول الله إلى جميع الناس ؟ أو قال : إنه لم يرسل إلا إلى طائفة معينة لا إلى غيرها ؟ .

والثاني : أن نعرف هل هو صادق أو كاذب ؟ .

أما الأصل الأول : فالرسول ﷺ أعلن أنه رسول إلى الناس كافة ولا ينافي ذلك أنه من أصل عربي ، وأن رسالته جاءت للعرب خاصة وللناس كافة عامة إذا عرف هذا فهؤلاء القوم في هذا المقام ادعوا أن محمداً ﷺ لم يُرسل اليهم بل إلى أهل الجاهلية من العرب فهذه الدعوى على وجهين :

١ ـ إما أن يقولوا : إنه بنفسه لم يدع أنه أرسل إليهم ولكن أمته ادعوا له ذلك .

٢ ـ وإما أن يقولوا : إنه ادعى أنه أرسل إليهم وهو كاذب في هذه الدعوى وكلامهم في صدر هذا الكتاب يقتضي الوجه الأول وفي آخره قد يقال إنهم قد أشاروا إلى الوجه الثاني يعني ماجاء في الرسالة النصرانية على لسان « بولص » الراهب لكنهم في الحقيقة لم ينكروا رسالته إلى العرب وإنما أنكروا رسالته إليهم أما رسالته إلى العرب فلم يصرحوا بتصديقه فيها ولا بتكذيبه وإن كان ظاهر لفظهم يقتضي برسالته إلى العرب بل صدقوا بما وافق قولهم وكذبوا بما خالف قولهم ونحن نبين أنه لايصح احتجاجهم بشئ مما جاء به النبي ﷺ ونبين أنه لا يصح احتجاجهم بشئ من القرآن على صحة دينهم بوجه من الوجوه ونبين أن القرآن لا حجة فيه لهم ولافيه تناقض وكذلك كتب الأنبياء المتقدمين التي يحتجون بها هى حجة عليهم ليس في شئ منها لهم حجة ولولم يبعث محمد ﷺ فكيف والكتاب الذي جاء به محمد ﷺ موافق لسائر كلام الأنبياء عليهم السلام في إبطال دينهم وقولهم في التثليث والإتحاد وغير ذلك من العقل الصريح ؟!

فهم يحتجون في كتابهم هذا ـ أي رسالتهم ـ بالقرآن وبما جاءت به الأنبياء قبل محمد ﷺ مع العقل ولا حجة لهم فيه وهذا بخلاف المسلمين فإنه يصح احتجاجهم على أهل الكتاب اليهود والنصارى بما جاءت به الأنبياء قبل محمد ﷺ وذلك أن المسلمين مقرون إيمانهم بنبوة موسى وعيسى وداود وسليمان وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام ، وعندهم يجب الإيمان بكل كتاب أنزله الله وبكل نبي أرسله الله وهذا أصل دين المسلمين .

ثم قال : وحينئذ فهؤلاء إن أقروا برسالة محمد ﷺ وأنه صادق فيما بلغه عن الله من الكتاب والحكمة وجب عليهم الإيمان بكل ماثبت عنه من الكتاب والحكمة كما يجب الإيمان بكل ماجاءت به الرسل .

ثم رد على من قال من أهل الكتاب « إنه رسول غضب أرسله الله إرسالا كونياً لادينياً لينتقم به منهم كما أرسل بختنصر وسنجاريب على بني إسرائيل وكما أرسل

جنكس خان وغيره فقال : «إن هؤلاء الملوك لم يقل أحد منهم : إن الله أنزل عليه كتاباً ، ولا هذا الكلام الذي أبلغه إليكم هو كلام الله ولا أن الله أمركم أن تصدقوني فيما أخبرتكم به ، وتطيعوني فيما أمرتكم به ومن لم يصدقني باطناً وظاهراً فإن الله يعذبه في الدنيا والآخرة بل هؤلاء أرسلهم إرسالاً كونياً قدّره وقضاه كما يرسل الريح بالعذاب وكما يرسل الشياطين وفرق بين الإرسال الكوني والإرسال الديني فالإرسال الديني هو الإرسال الذي أوجب الله به طاعة من أرسله» .

الدعوى الثانية والرد عليها

ذكروا أن محمد ﷺ أثنى في القرآن على دينهم - أي النصرانية - الذي هم عليه ، ومدحه بما أوجبت لهم أن يثبتوا عليه .

فأجاب بقوله : قالوا إن محمداً ﷺ أثنى على دين النصارى بعد التبديل والنسخ - وهى أعظم كذباً عليه من التي قبلها - فكيف يثنى عليهم وهو يكفرهم في غير موضع من كتابه ويأمر بجهادهم وقتالهم ويذم المتخلفين عن جهادهم غاية الذم ، ويصف من لم ير طاعته في قتالهم بالنفاق ويذكر أنه يدخل جهنم » .

قال : « وأما ثناء الله ورسوله على المسيح وأمه وعلى من اتبعه ، وكان على دينه الذي لم يبدل فهذا حق ، ولا ينافى وجوب اتباع محمد ﷺ على من بُعث إليه ، فلو قدر أن شريعة المسيح لم تبدَّل ، وأن محمداً أثنى على كل من اتبعها

وقال - مع ذلك - إن الله أرسلني إليكم ، لم يكن متناقضاً ، وإذا كفر من لم يؤمن به لم يناقض ذلك ثناؤه عليهم قبل أن يكذبوه . فكيف وهو إنما مدح من اتبع ديناً لم يبدله ؟

وأما الذين بدلوا دين المسيح فلم يمدحهم بل ذمهم وقد قدمنا أن النصارى كفروا كما كفرت اليهود كفروا بتبديلهم مافي الكتاب الأول وكفروا بتكذيبهم بالكتاب الثاني .

وأما من لم يبدل الكتاب أو أدرك محمداً فآمن به ، فهؤلاء مؤمنون ،

ومما يبين ذلك أن تعظيم المسيح للتوراة واتباعه لها ، وعمله بشرائعها أعظم من تعظيم محمد ﷺ للإنجيل ، ومع هذا فلم يكن ذلك مسقطاً عن اليهود وجوب اتباعهم للمسيح فكيف يكون تعظيم محمد ﷺ للإنجيل مسقطاً عن النصارى وجوب اتباعه ؟! .

وقد اتفق المسلمون على ماهو معلوم بالإضطرار من دين الإسلام ، وهو أنه يجب الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين وبجميع ماأنزل الله من الكتب .

فمن كفر بنبي واحد تعلم نبوته مثل إبراهيم ولوط وموسى ودواد وسليمان ويونس وعيسى فهو كافر عند جميع المسلمين ، حكمه حكم الكفار » ، ثم قال :

« وإن أرادوا بتصديقه كتبهم : أنه صدق ماهم عليه من العقائد والشرائع التي ابتدعوها بغير إذن من الله وخالفوا بها ماتقدم من شرائع المسلمين ، أو خالفوا بها الشرع الذي بعث به ، مثل القول بالتثليث والأقانيم ، والقول بالحلول والإتحاد بين اللاهوت والناسوت ، وقولهم : إن المسيح هو الله ، وابن الله وماهم عليه من إنكار مايجب الإيمان به من الإيمان بالله واليوم الآخر ومن تحليل ماحرمه الله ورسله كالخنزير وغيره فقد كذبوا » .

الدعوى الثالثة وردها

قالوا : « إن كتب الأنبياء المتقدمين كالتوراة والزبور والإنجيل ، وغير ذلك من الصحف والنبوات تشهد لما عليه دينهم من الأقانيم والتثليث والإتحاد ، وغيرذلك وأنه يجب التمسك به ، إذ لايعارضه شرع ، ولا يدفعه عقل» .

فرد ابن تيميه قائلاً : « وإن احتج بشيء من المنقول عن غيره - أي غير رسول الإسلام ﷺ ومن الأنبياء عليهم السلام ، طولب بتقدير نبوة ذلك النبي مع تكذيب محمد ﷺ وإلا فتقدير أن ينقل عن اثنين ادعيا النبوة وأتيا بالآيات التي تثبت بها النبوات خبران متناقضان لا يجوز تصديق هذا ، وتكذيب ذاك إن لم يتبين مايدل على صدق هذا وكذب هذا ، وكذلك إذا عورض أحدهما بجنس مايعارض الآخر

وهذا لايرد على المسلمين إذا ردوا مايحتج به أهل الكتاب مما ينقلونه عن الأنبياء مخالفاً لخبر محمد ﷺ فإن المسلمين لايطعنون في نبوة أحد من الأنبياء المعروفين وإنما يطعنون في أنهم أخبروا بما يخالف خبر محمد ﷺ فإن ذلك لايثبت ، أي لم يثبت اللفظ والترجمة ، وتفسير اللفظ ، وهذه المقدمات تمتنع أن تقوم على شئ يخالف خبر محمد ﷺ ، جملة ولاتفصيلاً .

فأهل الكتاب يطالبون فيما يعارضون به بثلاث مقدمات :

إحداها : تقدير أن أولئك صادقون ، ومحمد ﷺ كاذب .

والثانية : ثبوت ماأتوا به لفظاً .

والثالثة : معرفة المراد باللفظ ترجمة وتفسيراً .

وإن قال الكتابي للمسلم ، أنت توافقني على نبوة هؤلاء المتقدمين .

أجابه المسلم بوجوه : منها أن يقول : إني لم أوافقك على نبوة واحد منهم مع التكذيب بنبوة محمد ﷺ ، بل دين المسلمين كلهم أنه من آمن ببعض الأنبياء و كفر ببعض فهو كافر ، فكيف بمن كفر بمن هو عند المسلمين أفضل الأنبياء وخاتمهم ؟ ! .

بل قد يقول له أكثر المسلمين : نحن لم نعلم نبوة أولئك إلا بإخبار محمد أنهم أنبياء فلو قدحنا في الأصل الذي قد علمنا به نبوتهم لزم القدح في نبوتهم ، والفرع - إذا قدح في أصله - دل على فساده في نفسه ، سواء قدر أصله صحيحاً أو فاسداً فإنه إن كان أصله فاسداً فسد هو ، وإن كان أصله صحيحاً - وهو يناقضه - بطل هو فهذا إذا ناقض أصله باطل على كل تقدير ، وكذلك إذا قال له الكتابي : قد اتفقنا على تصديق موسى والتوراة أو المسيح و الإنجيل ، قال له المسلم : إنما أوافقك على تصديق موسى وعيسى اللذين بشرا بمحمداً ﷺ ، كما أخبرنا به محمد ﷺ ......

ثم ذكر شيخ الإسلام ماوقع في الكتب السابقة من تبديل في بعض ألفاظها وأنه لا يُعلم أن ألفاظها منزلة من عند الله وبالتالي فلا يجوز أن يحتج بما فيها من الألفاظ في معارضة ماعُلم نبوته ، وأن هذه التوراة والإنجيل الموجودتان اليوم بين اليهود

والنصارى لم تتواتر عن موسى وعيسى عليهما السلام .

أما التوراة فإن نقلها انقطع لما خرب بيت المقدس أولاً ، وأجلى منه بنو إسرائيل ثم ذكروا أن الذي أملاها عليهم بعد ذلك شخص واحد يقال له : عازر ، وزعموا أنه نبي .

وأما الإنجيل الذي بأيدي المسيحيين ، فإنهم معترفون بأنه لم يكتبه المسيح عليه السلام ، ولا أملاه على من كتبه ، وإنما أملاه بعد رفع المسيح « متى » و« يوحنا» وكانا قد صحبا المسيح - ولم يحفظه خلق كثير يبلغون حد التواتر و « مرقس » و« لوقا» وهما لم يريا المسيح عليه السلام وقد ذكر هؤلاء أنهم ذكروا بعض ماقاله المسيح ، وبعض أخباره ، وأنهم لم يستوعبوا ذكر أقواله وأفعاله ونقل اثنين أو ثلاثة يجوز عليهم الغلط لاسيما وقد غلطوا في المسيح نفسه حتى اشتبه عليهم بالمصلوب! .

الدعوى الرابعة والرد عليها

أن ماهم عليه ثابت بالعقل والشرع متفق مع الأصول ، وأنه إذا كان الكتاب المكتوب بلسان واحد - أي القرآن - لا يمكن تبديل ولا تغيير حرف منه فكيف يمكن تغيير كتبهم التي كتبت باثنين وسبعين لساناً ؟ .

والجواب أن يقال : أولاً : هذا الكلام منهم يدل على غاية جهلهم بما يقوله المسلمون في كتبهم وتبين أنهم لفرط جهلهم - يظنون أن المسلمين يقولون مقالة لاتخضع للعقل والمنطق وأن مايقولونه لايخفى فساده على من له أدنى عقل ومعرفة .

والجواب على ماادعوه من وجوه :

إحداها : أن المسلمين لم يدعوا أن هذه الكتب حرفت بعد انتشارها وكثرة النسخ بها ولكن جميعهم متفقون على وقوع التبديل والتغيير في كثير من معانيها وكثير من أحكامها وهذا تسلمه النصارى جميعهم في التوراة والتنبؤات المتقدمة فإنهم

يسلمون أن اليهود بدلوا كثيراً من معانيها وأحكامها . ومما تسلمه النصارى في فرقهم أن كل فرقة تخالف الأخرى فيما تفسر به الكتب المتقدمة ، ومما تسلمه اليهود أنهم متفقون على أن النصارى تفسر التوراة والنبوات المتقدمة على الإنجيل بما يخالف معانيها وأنها بدلت أحكام التوراة .

الثاني :أن قياسهم كتبهم على القرآن مع أنه لم تسمع دعوى التبديل فيه - قياس باطل في معناه وفي لفظه .

الثالث :أن القرآن قد ثبت بالنقل المتواتر المعلوم بالضرورة للموافق والمخالف أن محمداً كان يقول : إنه كلام الله لا كلامه ، وأنه مبلغ له عن الله وكان يفرق بين القرآن وبين مايتكلم به من السنة وأما قولهم إنها - أي الأناجيل - مكتوبة باثنين وسبعين لساناً فمعلوم بإتفاق النصارى أن المسيح لم يكن يتكلم إلا العبرية ، فالكلام المنقول عنه في الأناجيل إنما تكلم به عبرياً ثم ترجم من تلك اللغة إلى غيرها والترجمة يقع فيها الغلط كثيراً كما وجدنا في زمننا من يترجم التوراة من العبرية إلى العربية ويظهر في الترجمة من الغلط مايشهد به الحذاق والصادقون ممن يعرف اللغتين .

ثم انتقل إلى دعوى التثليث فقال :

قالوا : «وكذلك شهد أشعيا » بتحقق الثالوث بوحدانية جوهره وذلك بقوله : رب القوات ، وبقوله : رب السموات والأرض ، ومثل هذا القول في التوراة والمزامير شيء كثير حتى اليهود يقرءون هذه النبوات ولايعرفون لها تأويلاً وهم مقرون بذلك ولا ينكرون كلمة واحدة ، وإنما قلوبهم مغلوقة عن فهمه لقساوتها » .

كما أنهم إذا اجتمعوا في الكنيسة يقف « الحران » ويقول كلاماً عبرانياً ، ترجمته : نقدسك ونعظمك ، ونثلث لك تقديساً مثلثاً كالمكتوب على لسان نبيك فيصيح الجميع : قدوس قدوس ، قدوس رب القوات ، رب السموات والأرض ، فما أوضح إقرارهم بالثالوث ، وأشد كفرهم بمعناه !! .

ثم أوضح شيخ الإسلام معنى التثليث الذي جاء في التوراة فقال: « وأما قولهم نقدسك ، ونعظمك ، ونثلث لك تقديساً مثلثاً كالمكتوب على لسان نبيك أشعيا ، وقولهم : قدوس ، قدوس ، قدوس رب القوات ، ورب السموات والأرض ، فيقال هذا الكلام صريح في أن المثلث ، هو نفس التقديس ، لانفس الإله المقدس وكذلك قولهم : قدوس ، قدوس ، قدوس قدسوه : ثلاث مرات فإنه قال : نقدسك ونثلث لك تقديساً مثلثاً ، فنصب التثليث على المصدر ، الذي ينصب بفضل التقديس ، فقال : نقدسك تقديساً مثلثاً ، فنصب التقديس على المصدر كما تقول : سبحتك تسبيحاً مثلثاً أي سبحتك ثلاث مرات ، وقال : نثلث لك ، أن نثلث تقديساً لك ، لم يقل « أنت » ثلاثة ، بل جعلوا أنفسهم هم الذين يقدسون التقديس المثلث ، وهم يثلثون له ، وهذا صريح في أنهم يسبحونه ثلاث مرات ، ولا يسبحون ثلاثة آلهة ولا ثلاثة أقانيم ، ثم تتبع تبريرهم التثليث فقال: « قالوا : وقد علمنا أنه لايلزمنا - إذا قلنا هذا - عبادة ثلاثة آلهة بل إله واحد كما لا يلزمنا إذا قلنا : الإنسان ونطقه ، وروحه ثلاثة أناس ، بل إنسان واحد ، ولا إذا قلنا : لهيب النار ، وضوء النار ، وحرارة النار ، ثلاثة نيران ، ولا إذا قلنا قرص الشمس ، وضوء الشمس ، وشعاع الشمس ، ثلاثة شموس ، أي لايلزمهم التثليث في كل ماأمر بل الإنسان هوالإنسان بنطقه وروحه والنارهى النار بضوئها وحرارتهاوقرص الشمس هو قرص الشمس بضوئه وشعاعه .

ولكن شيخ الإسلام رد عليهم بقوله : والجواب من وجوه :

أحدها : أنكم صرحتم بتعدد الآلهة الأرباب في عقيدة إيمانكم وفي استدلالكم ، وغير ذلك من كلامكم ، فليس ذلكم شيئاً ألزمكم الناس به بل أنتم تصرحون بذلك ، كما تقدم من قولكم نؤمن بإله واحد ضابط الكل ، خالق مايرى ومالايرى وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الأب ، قبل كل الدهور ، نور من نور ، إله حق من جوهر أبيه ، مولود غير مخلوق ، مساو الأب

في الجـوهر ، وبروح القـدس الرب المحـيى المنبثق من الأب الذي مـعـه الأب مسجود له وممجد .

الوجه الثانى : أن تمثيلهم بالإنسان ونطقه وروحه والنار وحرها وضوئها والشمس وضوئها وشعاعها ، باطل من وجوه :

أحدها : أن حر النار وضوءها القائم لها ليس ناراً من نار ، ولا جوهراً من جوهر ولاهو مساو النار والشمس في الجوهر وكذلك نطق الإنسان وضوء الشمس ، وهم أثبتوا ثلاثة أرباب بقولهم في الأمانة :

نؤمن بإله واحـد ، أب ضابط الكل وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل كل الدهور نور على نور إله حق من إله حق ، من جوهر أبيه مساو الأب في الجوهر .

الثانى : أن الضـوء في الشـمس والنار يراد به نفس الضـوء القـائم بهـا ويراد به الشعاع القائم بالأرض والجدران وهذا مباين لها ، ليس قائماً بها فهم جعلوه الأب جوهراً قائماً بنفسه ، والإبن جوهراً قائماً بنفسه ، وروح القدس رباً جوهراً قائماً بنفسه ، ومعلوم أن ضوء النار والشمس وحرارتها ليس كل منهما شمساً وناراً قائمة بنفسها ولا جوهراً قائماً بنفسه ، فلو أثبتوا حياة الله ، وعلمه ، أو كلامه صفتين قائمتين به - ولم يجعلوا هذا رباً جوهراً بنفسه ، وهذا رباً قائما بنفسه - لكان قولهم حقاً وتمثيلهم مطابقاً ...... وهكذا ثابر شيخ الإسلام ابن تيمية على إدحاض حججهم الباطلة في كل ماذهبوا إليه من التثليث ، وماذهبوا إليه من اتحاد الناسوت باللاهوت وما اتصفوا به من تعصب ضد اليهودية .

الدعوى الخامسة والرد عليها

أنهم موحدون وأن ماعندهم مما يوهم التعدد كألفاظ الأقانيم ، إنما هى من جنس ما عند المسلمين من النصوص التي يظهر فيها التشبيه والتجسيم .

فأجاب الإمام بقوله : « الجواب من وجوه :

أحدها : أن يقال من آمن بما جاءت به الرسل وقال ماقالوه من غير تحريف للفظه ولامعناه فهذا لاإنكار عليه بخلاف من ابتدع أقوالاً لم تقلها الرسل بل هى تخالف ماقالوه : إما لفظاً ومعنى ، وإما معنى فقط ، فهذا يستحق الإنكار عليه بإتفاق الطوائف ، وأصل دين المسلمين ، أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه في كتبه وبما وصفته به رسله من غير تحريف ولاتعطيل ومن غير تكييف ولاتمثيل ، بل يثبتون له تعالى ماأثبته لنفسه وينفون عنه مانفاه عن نفسه ويتبعون في ذلك أقوال رسله ويجتنبون ماخالف أقوال الرسل كما قال تعالى : ﴿ **سبحان ربك رب العزة عما يصفون** ﴾(الصافات : ١٨٠) أي عما يصفه الكفار المخالفون للرسل .

وقد قال تعالى : ﴿ **ليس كمثله شئ** ﴾ (الشورى : ١١) وهو رد على الممثلة .

﴿ **وهو السميع البصير** ﴾ وهو رد على المعطلة .

وقد قال تعالى : ﴿ **قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد** ﴾(سورة الاخلاص) وإذا كان كذلك فهم في أمانتهم لم يقولوا ماقاله المسيح والأنبياء بل ابتدعوا اعتقاداً لا يوجد في كلام الأنبياء .

الوجه الثانى : أنهم ركبوا من ألفاظ ـ بسوء تصرفهم وفهمهم ـ تركيباً زعموا أن المسلمين يطلقونه ، وليس في القرآن مايدل ظاهره على ماذكروه فإن الله تعالى قال في كتابه : ﴿ **وقالت اليهود يد الله مغلولة ،غلت أيديهم ، ولعنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء** ﴾ (المائدة : ٦٤) . واليهود أرادوا بقولهم: ﴿ **يد الله مغلولة** ﴾ أنه بخيل فكذبهم الله في ذلك ، وبين أنه جواد لا يبخل .

الوجه الثالث : أن ماجاء في القرآن والحديث هومثل ماجاء في التوراة وسائر كتب الأنبياء وهذا الذي في التوراة وكتب الأنبياء ليس مما أحدثه أهل الكتاب ، ولو كانوا هم ابتدعوه ووصفوا الخالق بما يمتنع عليه من التجسيم لكان النبي ﷺ ذمهم على ذلك كما ذمهم على ماوصفوه به من النقائص مثل قوله تعالى : ﴿ **لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء** ﴾ (آل عمران : ١٨١).

الدعوى السادسة والرد عليها

«أن المسيح عليه السلام جاء بعد موسى عليه السلام بغاية الكمال فلاحاجة بعد إلى شرع آخر بل يكون مابعد ذلك شرعاً آخر غير مقبول وأن محمداً ﷺ لم تبشر به النبوات بخلاف المسيح ، فإنه بشرت به النبوات ، وزعموا أن من لم تبشر به فليس بنبي » .

فأجاب شيخ الإسلام بقوله : « إذا كان أهل الكتاب أكمل في العلوم النافعة والأعمال الصالحة ممن لاكتاب له فمعلوم أن أمتنا أكمل من طائفتي أهل الكتاب : اليهود والنصارى أعدل وقد جمع لهم محاسن مافي التوراة ومافي الإنجيل - فليس عند أهل الكتاب فضيلة علمية ولا عملية إلا وأمة محمد ﷺ أكمل منهم فيها فأما العلوم فهم أحذق في جميع العلوم من جميع الأمم حتى العلوم التي ليست بنبوية ولا أخروية ، كالطب والحساب ، وأما العلوم الإلهية والمعارف الربانية ، وماأخبرت به الأنبياء فكل من نظر فيها وقارنها بما قاله اليهود والنصارى وجد الأولى أكمل وأتم وبهذا يثبت فضل محمد ﷺ على غيره من الأنبياء وبالتالي يتضح لنا حاجة البشرية إلى هذه الرسالة ومنه نعرف فساد دعوى النصارى في قولهم : إن النصرانية جاءت بغاية الكمال وكذبوا على أنفسهم وعلى الله فما جاء بغاية الكمال الإ رسالة محمدﷺ وماالإنجيل إلا مجموعة وصايا مكملة لما نقص مما جاء في التوراة .... ، ثم انتقل بعد ذلك إلى الأدلة الدالة على صدق رسول الله ﷺ وبدأ بأعظمها فقال : والقرآن كلام الله وفيه الدعوة والحجة فله به اختصاص على غيره كما ثبت عنه ﷺ أنه قال : « مامن نبي من الأنبياء إلا وقد أوتي من الآيات ماآمن على مثله البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليَّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة » والقرآن يظهر كونه آية وبرهاناً له من وجوه جملة وتفصيلاً ، .وآياته ﷺ المعلقة بالقدرة والفعل والتأثير أنواع :

الأول : منها ماهو في العالم العلوي كانشقاق القمر ، وحراسة السماء بالشهب

الحراسة التامة لما بعث ، وكمعراجه إلى السماء ، فقد ذكر الله انشقاق القمر وبيّن أنه فعله وأخبر به لحكمين عظيمين :

أولهما : كونه من آيات النبوة لما سأله المشركون آية فأراهم انشقاق القمر .

ثانيهما : أنه دلالة على جواز انشقاق الفلك ، وأن ذلك دليل على ماأخبرت به الأنبياء من انشقاق السموات .

الثاني : آيات الجو .

الثالث : تصرفه في الحيوان والجن .

الرابع : تأثيره في الماء والطعام والثمار .

وقد تكلم شيخ الإسلام بما أثبته القرآن من بشارات الأنبياء السابقين ثم عقب بنفس بشارات الأنبياء السابقين في الكتب السابقة ـ وكان آخر بشارة في الجزء الثالث هي بشارة دانيال وبما أتم به الجزء الثالث ، بدأ به الجزء الرابع .

قال شيخ الإسلام : وقال دانيال عليه السلام ، وذكر محمداً باسمه ﷺ ، فقال : « ستنزع في قسيك إغراقاً ، وترتوي السهام بأمرك يامحمد ارتواءً ».

وقال أيضاً : سألت الله ، وتضرعت أن يبين لي مايكون من بني إسرائيل ، وهل يتوب عليهم ؟ ويرد إليهم ملكهم ويبعث فيهم الأنبياء أو يجعل ذلك في غيرهم ؟ فظهر لي الملك في صورة شاب حسن الوجه فقال : السلام عليك يادانيال إن الله يقول : إن بني إسرائيل أغضبوني وتمردوا عليّ ، وعبدوا من دوني آلهة أخرى ، وصاروا من بعد العلم إلى الجهل ، ومن بعد الصدق إلى الكذب فسلطت عليهم بختنصر فقتل رجالهم وسبى ذراريهم ، وهدم مسجدهم ، وحرق كتبهم ، وكذلك فعل مَنْ بعده بهم ، وأنا غير راضٍ عنهم ، ولا مقيلهم عثرات فلا يزالون في سخطي حتى أبعث مسيحي ابن العذراء البتول وأختم ذلك عليهم باللعن والسخط فلا يزالون ملعونين ، عليهم الذلة والمسكنة حتى أبعث نبي بني إسرائيل الذي بشرت به هاجر ، وأرسلت إليه ملاكي وبشرها ، وأوحي إلى ذلك النبي ، وأعلمه

الأسماء ، وأزينه بالتقوى وأجعل البر شعاره ، والتقوى ضميره والصدق قوله ، والوفاء طبيعته ، والقصد سيرته ، والرشد سنته ، أخصه بكتاب مصدق لما بين يديه من الكتب ، وناسخ لبعض مافيها ، أسري به إليَّ ، وأرقيه من سماء حتى يعلو فأدنيه وأسلم عليه ، وأوحي إليه ، ثم أرده إلى عبادي بالسرور والغبطة ، حافظاً لما استودع صادقاً فيما أمر ، يدعو إلى توحيدي باللين من القول ، والموعظة الحسنة ، لافظ ولا غليظ ، ولا صخّاب بالأسواق ، رءوف بمن والاه رحيم بمن آمن به ، خشن على من عاداه فيدعو قومه إلى توحيدي وعبادتي ويخبرهم بما رأى من آياتي فيكذبونه ويؤذونه ثم سرد دانيال قصة رسول الله ﷺ بما أملاه عليه الملَك حتى أوصل آخر أيام أمته بالنفخة وانقضاء الدنيا .

قال شيخ الإسلام : وهذه البشارة الآن عند اليهود والنصارى يقرءونها ويقولون : «لم يظهر صاحبها بعد !!!»

وعموماً فلنا وقفة أخرى بإذن الله في هذا الكتاب نبين فيها دلائل نبوة رسول الله ﷺ.

إظهار الحق

لم يجد المبشرون الإنجليز بداً من التهجم على ذلك الدين الذي يقف عقبة كأداء في سبيل إتمام غزوهم الثقافي والعقائدي ، وتطاولوا عليه زوراً وبهتاناً ، خداعاً للعامة وتمويهاً عليهم بأن في الإسلام ضعفاً وأنه لايثبت أمام ديانتهم وأن دينهم الحق ، ولم يكتفوا بالطعن الشفوي ومحاولة التلبيس على العامة بترهاتهم ، بل ألفوا في ذلك كتباً ورسائل يطعنون فيها الدين الإسلامي ويرمونه بكل نقيصة ويجرحون نبي الإسلام ويسبونه بأشنع أنواع السباب وكان من أجرئهم القسيس (فندر) الذي كان يعد نفسه أبرعهم وأعلمهم وأقدرهم على التكلم بالعربية والفارسية وأخذوا ينشرون أباطيلهم في الأسواق والمجتمعات والشوارع الهندية ، ويعقدون لذلك الندوات ولما استفحل أمرهم وكثر شرهم وخشي المسلمون الفتنة

انتدب الشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن العثماني الكيرانوي للرد على مفترياتهم فألف بعض الرسائل بعضها باللغة الأوردية وبعضها باللغة الفارسية ودعا القسيس (فندر) إلى مناظرته في محفل مشهود ومجلس عام ، وبعد تردد وتمنع من هذا القسيس تم الإتفاق على أن تقع بينهما المناظرة في الشبهات التي يثيرونها ، وأخيراً عقدت المناظرة بحضور القضاة والمفتين وكبار رجال الدولة الإنجليزية وكتاب دواوينهم بالهند وجمهور كبير سواهم في بلدة (أكبر أباد) في شهر رجب سنة ١٢٧٠ هجرية وكان يعاون القسيس فندر قسيس آخر اسمه (فرنج) ، ويعاون السيد رحمة الله بن خليل الرحمن مؤلف (إظهار الحق) [١] السيد محمد وزيرخان. وابتدأت المناظرة في مسألة النسخ والتحريف فظهر تفوق السيد رحمة الله وتخاذل القسيس (فندر) ومعاونه أمام الحاضرين ولم يجد هذا القسيس بدأ من الإمتناع عن إتمام المناظرة ، وقد دُوّن ماجرى في هذه المناظرة من حجج كلا الجانبين وقام بالتدوين السيد عبد الله الهندي ، المترجم الثاني للدولة الإنجليزية بدار الحكومة في (أكبر أباد) ثم نقلها إلى اللغة الأوردية ، وأضاف إليها شهادة الكبار الذين حضروا تلك المناظرة ولما وجد السيد رحمة الله الهندي أن القسيس فندر ممتنع كل الإمتناع عن إتمام المناظرة ألف كتاب « إظهار الحق » والكتاب يقع في مجلدين في نحو من مائتي وألف صفحة ، وقد أفرد لكل مسألة من المسائل الخمس مبحثاً في باب مستقل وزاد باباً سادساً تناول فيه (العهدين القديم والجديد) .

وقد تناول في الكلام على العهدين القديم والجديد كل باب من أبوابها واستشهد من كلام مؤرخيهم وعلمائهم على تبيان المطعون فيه من الأبواب والآيات وبيّن بالحجج الدامغة أنه لايوجد لدى علمائهم في كلتا الديانتين سند متصل لأي كتاب من كتب العهدين ثم تناول بعد ذلك مافي كتب العهدين من الإختلاف والأغلاط . وبيّن أن ادعاءهم بأن هذه الكتب الموجودة بين أيديهم إلهامية ادعاء باطل وساق

---

١ ـ راجع كتاب إظهار الحق ١ ـ ٢٠ .

برهاناً على هذا البطلان سبعة عشر وجهاً لكثرة مابها من أغلاط وتحريف واختلافات عجز مفسروهم عن التوفيق بينها ، ثم إن الكاثوليك والبروتستانت يختلفان في الإعتراف ببعض هذه الكتب ، فما يعترف به الكاثوليك ينكره البروتستانت والعكس بالعكس وعقد باباً خاصاً وهو الباب الثاني لإثبات التحريف في كتب العهدين القديم والجديد مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ **يحرفون الكلم عن مواضعه** ﴾ (المائدة : ٤١) .

وأثبت أن بعض هذا التحريف كان عن عمد ، وكان يأتي هذا التحريف أحياناً بالزيادة وأحياناً بالنقصان ، وأحياناً بالتبديل اللفظي وساق على التحريف بالزيادة خمسة وأربعين شاهداً ، كما ساق على التبديل اللفظي خمسة وثلاثين شاهداً ، واكتفى بهذا القدر مخافة الإطالة أما التحريف بالنقص فقد ساق عليه عشرين شاهداً ، كما أورد عدة مغالطات للمبشرين المسيحيين وفندها ببراهين ساطعة ، ثم نقل على سبيل الإستدلال أقوال هذه الإستدلالات من أقوالهم ثلاثين قولاً مما يدل على سعة الإطلاع ، وتتبع حريص لإقامة الحجة عليهم من كتبهم ، ثم أورد أموراً تثبت وقوع التحريف في كتبهم .

وعقد الباب الثالث لإثبات النسخ وأثبت بالأدلة القاطعة نسخ بعض الأحكام في الشريعتين الموسوية والمسيحية ، ثم برهن على أن الأحكام العملية للتوراة نسختها شريعة عيسى ، وأن لفظ النسخ موجود في كلام قديسيهم ..... إلى غير ذلك من الأمور الهامة ، فالنسخ ليس وقفاً على الدين الإسلامي ولكنه كان عند اليهود والنصارى كذلك . وعالج في الباب الرابع قضية العقيدة المسيحية وهي قضية التثليث وساق من الحجج على بطلانها ماكان جديراً أن يلجم مناظريه لو أنهم ثبتوا أمامه في المناظرة وأنهى الجزء الأول وهو بصدد الإتيان بحججه الدامغة على بطلان عقيدة التثليث ولولا خشية الإطالة لأتينا بنبذ تطلعنا على براعة المؤلف العلمية ودقته ونزاهته وإلزامه الحجة على خصمه وكيف يدينه بحجته ويلزمه أن يحفر عن حتفه

بظلفه فينقلب خاسئاً وهو حسير ، وإنك لتعجب حين تعيش مع مناظرة هذا الرجل وهو يناقش أية قضية كيف يأتي عليها من كل زاوية بدقة تامة وتجرد نزيه ثم يتناولها بالتفنيد والنقد من نفس المصادر التي يعتمد عليها الخصم ومن أقوال من يوثق بهم من علمائهم حتى يتضح الصبح لذي عينين ويبرهن على عبودية المسيح عليه السلام وعلى وجود التحريف والتناقض في الإنجيل والتوراة بعرض النصوص ومقابلتها مع بعضها وعلى تنزيه ساحة النبوة والأنبياء من كل نقيصة ومذمة كما يليق بمقامهم وقدرهم عليهم الصلاة والسلام مقام الرسالة التي أرسلهم الله بها لهداية الناس أئمة يهدون بالحق وبه يعدلون وعلى أن القرآن الكريم لاتناقض فيه ولا اختلاف وأنه مكتوب في السطور محفوظ في الصدور ، هو من عند الله بيقين نزل به الروح الأمين على قلب محمد رسول الله ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين وأنه لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ، ولا يفوته رحمه الله أن يكرّ ثانية بعد أن أجهز على خصمه وعلى مستمسكاته أن يدعم الحق بالأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ليجمع بين الحجتين وبذلك يكون قد أرجع الحق إلى نصابه وأثلج صدور المؤمنين وأذهب غيظ قلوبهم ورد كيد الأعداء في نحورهم وذهبت جهودهم أدراج الرياح .

إن الإسلام هو دين الله وقد تكفل سبحانه بنصرة دينه وإعلاء كلمته ، ولا بد للباطل الذي يصول ويجول من ضربة قاضية وصدمة عاتية تدعه هباء ليحق الله الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون ، وقد بيّن الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه قال تعالى : ﴿ **وماينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى**﴾(النجم : ٣ـ ٤) بأنه لا تزال طائفة من أمته ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم ، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك ، وماخلت الأرض من قائم لله بحجة يقيمون حجج الله وبيناته على العباد ينفون عن دين الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين فلله الحمد على ذلك حمداً كثيراً كما يحب ربنا ويرضى .

مناظرة أحمد ديدات وسواجارت

كان الإمام الشافعي رحمه الله يقول: ماأوردت الحق والحجة على أحد فقبلهما مني إلا هبته واعتقدت مودته، ولا كابر في الحق أحد ودافع الحجة إلا سقط من عيني.

وقال: ماناظرت أحداً فأحببت أن يخطىء، وقال: ماناظرت أحداً قط إلا أحببت أن يُوفق ويُسَدَّدَ ويُعَان، ويكون عليه رعاية من الله وحفظ، وماناظرت أحداً إلا ولم أبال بيّن الله الحق على لساني أو لسانه، وكان يقول: أشد الأعمال ثلاثة: الجود من قلة، والورع في خلوة، وكلمة الحق عند من يُرجي ويُخاف.

والمناظرة أسلوب وفن وقد يحتاج إليه الإنسان لمواجهة الخصوم، وعليه أن يخلص عمله لله فلا يبتغي بذلك الرياء ومدحه وثناء الناس، يُذعن للحق ويأخذه من كل من جاء به ويدور معه حيث دار، رجاعاً للحق متى ظهر له، لاتأسره الكلمات ولا المواقف التي بدرت منه طالما تبين خطأها، عميق الإيمان بدينه واسع الإطلاع على ديانات غيره، متمكن كل التمكن من موضوعه، له عارضة قوية في الجدل وسوق الحجة، يعرف مواطن الضعف التي يتهجم على معارضيه منها كحالة رحمة الله في مناظرته لفندر فقد قرأ العهدين القديم والجديد كلمة كلمة وقرأ كل ماكتبه عنهما علماء اليهودية والمسيحية، وكان من أبلغ حججه تلك الإستشهادات التي أوردها من أقوال مؤرخيهم ومفسريهم على تأييد قضيته.

وقد وقع في يدي ثلاثة أشرطة هي عبارة عن مناظرة أحمد ديدات للقس سواجارت ـ أخزاه الله وفضحه أثناء المناظرة وبعدها ـ وتساءلت عدة أسئلة بيني وبين نفسي وأنا أسمع هذه الأشرطة هب أن أحمد ديدات لم يكن بهذه البراعة وهذا التمكن في إيراد الحجج وتفنيد شبهات الخصم ماذا كان سيحدث؟ ولنفرض أن أحداً من علماء المسلمين لم ينهض للرد على سوجارت وأمثاله فهل نصف المسلمين بأنهم عجزوا عن الرد؟ وتخيل جاهلاً قام لتفنيد شبهات سواجارت هل تضيع

بذلك معالم الحق والحقيقة في زحام اللجاجة والخصومة ؟ ولو أن البعض استمع للشبهة ولسبب أولآخر لم يستمع للرد ، أو راجت عليه الشبهة ، والتبس أمرها عليه ، فماذا يصنع من لا علم عنده ولا دراية لديه ؟! لقد ورد التحذير من مجالسة أهل البدع ، فلعله يعلق بقلبك شئ من بدعتهم دون أن تدري.

وكان ابن سيرين - وهومن أكابر علماء التابعين - إذا دخل عليه رجل يتكلم في القدر ، سد أذنيه وقال له : إما أن تخرج وإما أن أخرج ، ولما رأى النبي ﷺ في يد عمر بن الخطاب صحيفة من التوراة غضب وقال له : أهذه وأنا حياً بين أظهركم لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، والله لو كان موسى حياً لما حل له إلا أن يتبعني فبيّن بذلك صلوات الله وسلامه عليه عدم جواز الإهتداء بغير الكتاب والسنة ، كما وضح عالمية هذه الدعوة ، وأن كل من سمع بدعوته عليه أن يتابعه وأن موسى لو كان حياً زمن بعثته ﷺ لكان لزاماً عليه أن يتبعه .

إن المناظرة مع المبطلين تتطلب مؤهلات خاصة وكذلك سماع كلامهم والنظر في كتبهم ، ولذلك غضب النبي ﷺ لما رأى عمر ينظر في صحيفة التوراة وقال أهذا وأنا حياً بين أظهركم !! فالسلامة لايعدلها شئ .

قصة لها مدلولها في الـ SOS

ذهبت يوماً إلى ملجأ الأيتام بالعامرية بالإسكندرية المسمى بالـSOS، وذلك لإلقاء كلمة للأيتام والمشرفات على الملجأ ، وأثناء جلوسي مع مدير الملجأ ، إذ دخل رجل ومعه مجموعة من الشباب ، فعلمت أنه مدرس الدين بمدرسة سان مارك! وهؤلاء الشباب من طلبة المدرسة ، أتوا لعمل يوم رياضي وترفيهي مع الأيتام وعرضوا على مدير الملجأ كل العروض السخية - التي لا أستطيع أنا تقديم شئ منها - سواء مما يتعلق بإحتياجات الملجأ أو الأيتام ، فما كان من مدير الملجأ إلا أن وافق على إتمام اليوم الرياضي ، وأعطيت أنا الكلمة وانصرفت حزيناً .فهكذا تُدار الأمور ويتم التأثير على بعض أبناء المسلمين بالباطل وشبيه ذلك مايفعلونه مع المرضى في

المستشفيات ومع ذوي الحاجات عندما يخرجون لهم من تحت الأسرة يقولون : إن المسيح بعث لك بهذه القارورة ، وإن العذراء أرسلت لك هذه القروش أو هذه الحلوى !!! وهذا لا يختلف عما فعلوه مع أبناء المسلمين في البوسنة وغيرها ، وماقصة سانجور منا ببعيدة فقد أخذه الفرنسيون من أبويه المسلمين ليتربى في فرنسا على أعينهم ويصير نصرانياً ، ثم عملوا له انقلاباً ليصبح رئيساً للوزراء ، ولتقام الجامعات باسمه وليكون حرباً على الإسلام وأهله .

إن هذا أسلوب من لاحجة عنده ولاإقناع لديه ، أسلوب المبشرين وفتنتهم في كل مكان حلوا به سواء في أفريقيا أو غيرها ، فهم يريدون بشتى الوسائل وبمختلف الطرق الإنتهاء من هذا الدين ولا يشترط عندهم دخول الضحية في النصرانية بل يكفي أن يترك دينه مستغلين توالى المصائب على المسلمين وتصدع صفوفهم وبرود العاطفة الإيمانية في قلوبهم من جهة ، والإنخداع بالحضارة الغربية وانفتاح مباهج الحياة عليهم من جهة أخرى .

في صخب هذه الموجة الهوجاء والفتنة الممزقة لوحدة الصف الإسلامي المخدرة للحس الديني نشط أعداء الإسلام للدعوة إلى باطلهم المموّه بخبث ودهاء تارة وبالإغراء والتهديد تارة أخرى ، فانجذب إليهم مرضى النفوس وضعاف الإيمان الذين تنكروا لدينهم ومبادئهم القيمة ، وقيمهم العريقة الأصيلة وعز عليهم أن يفارقوا ماألفوه من متعة وشهوة ومركز يعود عليهم بعرض من الدنيا قليل فاستعلن أمر الضلال وتبجح الباطل في غرور .

وساعد على نشر الكفر البواح ، القول بحرية الرأي والحرية الشخصية وحرية التعبير ، مما هو موجود في الأنظمة الديمقراطية ، فخرجوا يتحدون المعتقدات الإسلامية ويهاجمون العلماء .... ليصلوا إلى هدفهم من إثبات ألوهية عيسى عليه السلام وأحقية دين المسيح المخلص للعالم بزعمهم وشنوا حملة لاهوادة فيها على طبقات الشعب المسلم يوردون عليه شبهات وأوهاماً وتفسيرات حسب أهوائهم

يقتطعونها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ يلبسونها ثوب الحق ويدّعون أحقيتها زوراً وبهتاناً .

إن صيانة عقيدة هذه الأمة من عبث المغرضين الذين لايرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة ، يُعتبر من أفضل القربات وأعظم الطاعات التي ترضي خالق الأرض والسموات ، فعلى كل مسلم أن يقوم لله بحقه نصحاً وبياناً ، وصيانة لنفسه ولغيره.

إن أعداء الإسلام لم يكتفوا بالغزو العسكري لهذه الأمة ، بل حاولوا جاهدين أن يمسخوا شخصيتها ويمحو لغاتها ويغيروا دياناتها وزرعوا المدارس التبشيرية وغيرها في وسطها لينشككوا المسلمين في عقائدهم ويتهجمون على شعائرهم ليكون خضوعهم لهم تاماً ، فلا تقوم لهم قائمة ولكن هيهات أن يتم لهم ذلك فالله غالب على أمره ، ومتم نوره ولو كره الكافرون .

قال ابن تيميه في مجموع الفتاوي جـ ١١ ص ٣١٥ : « وقد جمع لنبينا محمد ﷺ جميع أنواع المعجزات والخوارق : أما العلم والأخبار الغيبية والسماع والرؤية فمثل أخبار نبينا ﷺ عن الأنبياء المتقدمين وأممهم مخاطباته لهم وأحواله معهم ، وغير الأنبياء من الأولياء وغيرهم بما يوافق ماعند أهل الكتاب الذين ورثوه بالتواتر أو بغيره من غير تعلم له منهم ، وكذلك إخباره من أمور الربوبية والملائكة والجنة والنار بما يوافق الأنبياء قبله من غير تعلم منهم ، ويعلم أن ذلك موافق لنقول الأنبياء تارة بما في أيديهم من الكتب الظاهرة ونحو ذلك من النقل المتواتر وتارة بما يعلمه الخاصة من علمائهم وفي مثل هذا قد يستشهد بأهل الكتاب وهو من حكمة إبقائهم بالجزية وتفصيل ذلك ليس هذا موضعه .

فإخباره عن الأمور الغائبة ماضيها وحاضرها هو من « باب العلم الخارق » وكذلك إخباره عن الأمور المستقبلة مثل مملكة أمته وزوال مملكة فارس والروم وقتال الترك وألوف مألفة من الأخبار التي أخبر بها مذكور بعضها في « كتب دلائل النبوة » و« سيرة الرسول » و« فضائله » و « كتب التفسير » و« الحديث » و« المغازي » مثل دلائل النبوة لأبي نعيم والبيهقي وسيرة ابن اسحاق وكتب الأحاديث المسندة كمسند الإمام أحمد والمدونة كصحيح البخاري ، وغير ذلك مما هو أيضاً في « كتب أهل الكلام والجدل » : كأعلام النبوة للقاضي عبد الجبار وللماوردي ، والرد على النصارى للقرطبي ، ومصنفات كثيرة جدا، وكذلك ماأخبرعنه غيره مما وجد في كتب الأنبياء المتقدمين ، وهي في وقتنا هذا اثنان وعشرون نبوئة بأيدي اليهود والنصارى كالتوراة والإنجيل ، والزبور ، وكتاب أشعياء وحبقوق ، ودانيال ، وأرميا وكذلك أخبار غير الأنبياء من الأحبار والرهبان وكذلك أخبار الجن والهواتف المطلقة ، وأخبار الكهنة كسطيح وشق وغيرهما ، وكذلك المنامات وتعبيرها : كمنام كسري وتعبير المربذان ، وكذا إخبار الأنبياء

المتقدمين بما مضى وماعبر هو من أعلامهم .

وأما « القدرة والتأثير » فإما أن يكون في العالم العلوي أو مادونه ، ومادونه إما بسيطاً أو مركب والبسيط إما الجو وإما الأرض ، والمركب إماحيوان وإما نبات وإما معدن والحيوان إما ناطق وإما بهيم ، فالعلوي كانشقاق القمر ، ورد الشمس ليوشع بن نون وكذلك ردها لما فاتت علياً الصلاة والنبي ﷺ نائم في حجره - إن صح الحديث - فمن الناس من صححه كالطحاوي والقاضي عياض ، ومنهم من جعله موقوفاً كأبي الفرج بن الجوزي وهذا أصح ، وكذلك معراجه إلى السموات ، وأما الجو فاستسقاؤه واستصحاؤه غير مرة : كحديث الأعرابي الذي في الصحيحين وغيرهما وكذلك كثرة الرمي بالنجوم عند ظهوره وكذلك إسراؤه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى .

وأما « الأرض والماء » فكاهتزاز الجبل تحته وتكثير الماء في عين تبوك وعين الحديبية ونبع الماء من بين أصابعه غير مرة ومزادة المرأة ، وأما « المركبات » فتكثيره للطعام غير مرة في قصة الخندق من حديث جابر وحديث أبي طلحة وفي أسفاره وجراب أبي هريرة ونخل جابر بن عبد الله وحديث جابر وابن الزبير في انقلاع النخل له وعوده إلى مكانه وسقيا لغير واحد من الأرض كعين أبي قتادة .

وهذا باب واسع لم يكن الغرض هنا ذكر أنواع معجزاته بخصوصه وإنما لغرض التمثيل .

وأما القدرة التي لم تتعلق بفعله فمثل نصر الله لمن ينصره وإهلاكه لمن يشتمه أ.هـ .

كلام الماوردي في اثبات النبوات عامة ونبوة رسول الله ﷺ خاصة

قال الماوردي[1]: فيستدل على إثبات النبوات من خمسة أوجه وإن اشتملت تلك الأجوبة على بعضها :

أحدها : أن الله تعالى منعم على عباده بما يرشدهم إليه من المصالح ولما كان في بعثة الرسل مالاتدركه العقول كان إرسالهم من عموم المصالح التي تكفل بها .

الثاني : أن فيما تأتي به الرسل من الجزاء بالجنة ثواباً على الرغبة في فعل الخير وبالنار عقاباً يبعث على الرهبة في الكف عن الشر ، صارا سبباً لائتلاف الخلق وتعاطي الحق .

الثالث: أن في غيوب المصالح مالايُعلم إلا من جهة الرسل فاستفيد بهم مالم يستفيد بالعقل .

الرابع : أن التأله لا يخلص إلا بالدين والدين لايصلح إلا بالرسل المبلغين عن الله تعالى ماكلفت .

الخامس : أن العقول ربما استكبرت من موافقة الأكفاء ومتابعة النظراء ، فلم يجمعهم عليه إلا طاعة المعبود فيما أداه رسله ، فصارت المصالح بهم أعم ، والإتقان بهم أتم والشمل بهم أجمع والتنازع بهم أمنع .... قال[2]: وقد قدمنا أقسام المعجزات فإذا ظهرت إحداهن حجت ودلت على صحة النبوة وقد ظهر في نبوة محمد ﷺ أكثرها مع ماتقدمها من إنذار وظهر بها من آثار وتحقق بها من أخبار فصارت أعلم بالنبوات إعجازاً وأوضحها طريقة وإمتيازاً وأكثرها تأييداً إلهياً وتعبداً شرعياً تقهر شواهدها من باين وعاند وتجدع دلائلها من ناكر وجاحد ...... ولم تزل أمارات النبوة لائحة في رسول الله ﷺ حين تدرج اليها وهو غافل عنها وغير متصنع

---

١ ـ أعلام النبوة (٢٥) .

٢ ـ أعلام النبوة للماوردي ٥٦ ، ٥٧ .

لها فنهض بأعبائها حين أتته ، وقام بحقوقها حين لزمته غير ذاهل فيها ولا عاجز عنها إلى أن تكامل به الشرع فتم على أصل مستقر وقياس مستمر لايدفعه عقل ولا يأباه قلب ولا تنفر منه نفس وهذا وهو أمي لم يقرأ كتاباً ولا اكتسب علماً فأوضح كل ملتبس ، وبيَّن كل مشتبه ، حتى رجع كثير من الملل إلى شريعته في علم ماقصروا عنه من حقوق وعقود استوعب أقسامها وبيّن أحكامها وماذاك إلا بعون إلهي وتأييد لاهوتي وحسبك بهذا شاهداً لو اقتصرنا عليه ، وحجاجاً لو اكتفينا به ولكن سنذكر من معجزاته الفاخرة وبراهينه الواضحة ، مايرد كل جاحد ، ويصد كل معاند من أنواع متغايرة وأخبار متواترة وآثار متظاهرة ، يصدق بعضها بعضاً ليكون تغايرها جامعاً لكل برهان ، وتظاهرها دافعاً لكل بهتان فمنها ماتقدمه من نذير وبشير ومنها ماتعقبه من تغيير وتأثير ومنها ماقارن من أقوال وأفعال صدرت منه وإليه فلم يبق من الآيات ماأخل به ، ولا من الأعلام ماقصر فيه أ . هـ .

ماذا حول أمية الرسول ﷺ [1]

وردت كلمة (أمي) بلفظها المفرد مرتين في القرآن الكريم وكلتاهما وصف للرسول بالأمية التي تعني عدم القراءة والكتابة ، وهى إشارة واضحة إلى المعجزة التي جاء بها رسول الله ﷺ تدعو الناس إلى الإيمان به واتباعه، قال تعالى : ﴿ **الذين يتبعون النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث** ﴾(الأعراف : ١٥٧) وفيها نبأ عظيم يشهد بأن بني إسرائيل قد جاءهم اليقين بالنبي الأمي ، على يدي نبيهم موسى ، ونبيهم عيسى (عليهما السلام) ـ منذ أمد بعيد جاءهم الخبر اليقين ببعثته ، وبصفاته وبمنهج رسالته ، وبخصائص ملته ، فهو النبي الأمي .

وجاء في السورة ذاتها قال تعالى : ﴿ **قل ياأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً الذى له ملك السموات والأرض ، لا إله إلا هو يحى ويميت . فآمنوا بالله ورسوله النبى**

١ ـ كتاب لعلي شواح اسحق .

الأمي الذى يؤمن بالله وكلماته ، واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾ (الأعـراف : ١٥٨) وفي هذه الآية توجه الخطاب إلى النبي الأمي ﷺ يأمره بإعلان الدعوة إلى الناس جميعاً ...وهي الرسالة الأخيـرة ومن ثم حملهـا النبي الأمي الذي لـم يدخل على فطرته الصافية إلا تعليم الله . فلم تشب هذه الفطرة شائبة من تعليم الأرض ومن أفكار الناس ليحمل رسالة الفطرة إلى فطرة الناس جميعا .

قال محمد بن جرير الطبري : إن الأمي عند العرب هو الذي لا يكتب نسبة إلى أمـه ، لأن الكتـاب كـان في الرجـال دون النسـاء فَنُسِبَ من لا يكتب ولا يخط من الرجال إلى أمه في جهله بالكتابة دون أبيه كما ذكرنا عن النبي ﷺ من قوله : « **إنا أمة أمية لانكتب ولانحسب** » ، وقد فُسـر هذا الوصف في سورة العنكبـوت قـال سبحانه وتعالى : ﴿ **وماكنت تتلو من قبله من كتاب ولاتخطه بيمينك ، إذاً لارتاب المبطلون ﴾** (العنكبوت : ٤٨) .

إن سياق النص مثل الآية يتحدث عن إيمان بعض أهل الكتاب بالقرآن ، على حين يكفر به المشركون الذين أنزل الله الكتاب على نبيهم غير مقدرين لهذه المنة الضخمة ولا مكتفين بهذا الفضل المتمثل في تنزيل الكتاب على رسول منهم يخاطبهم به ، ولم يكن يتلو من قبله كتاباً ولا يخطه بيمينه فتكون هناك أدنى شبهة في أنه من عمله وتأليفه .[١]

أنزل الله على نبيه القرآن الكريم وهونبي أمي لا يقرأ ولا يكتب فسمعه كل من قرأ وكتب ، ومن قال الشعر من أصحاب المعلقات أو غيرهم ممن شهر وعرف في الشعر والفصاحة والبلاغة ، فأطرق وأدرك أن هذا الكلام ليس من صنع البشر ، وليس بمقدور أحد أن يأتي بمثله مهما أوتي من قوة الكلم .

وقد دارت افتراضات عدة من مشركي العرب حول هذا الذي جاء به الرسول وأنزل عليه من السماء ؟ .

---

١ ـ ظلال القرآن ٦ ـ ٤١٩ .

افترضوا أن يكون أحد من الناس علَّمَ النبي ﷺ ، القرآن وضاع صوابهم فقالوا : لقد علمه غلام رومي أعجمي يشتغل في مكة (قينا) يعني حداداً فرد عليهم القرآن الكريم ففند أقوالهم ، قال تعالى : ﴿ **لسان الذين يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين** ﴾ (النحل : ١٠٣)

وحين أسقط في أيديهم قالوا : ﴿ **أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه** ﴾(الفرقان : ٥) .

وذهب ملاحدة المثقفين مذهباً آخرفقالوا : إن بحيرا الراهب هو الذي أملاه عليه وقد كان رسول الله طفلاً في طريقه إلى الشام برعاية عمه أبي طالب ورآه بحيرا لمدة لاتتجاوز استراحة المسافر ، فهل رأيتم ذكاء الملاحدة ؟! .

فلما فشلوا ثانية قالوا علمه ورقة بن نوفل فجاء القرآن العظيم يضرب أقوالهم عرض الحائط ويسفه أحلامهم بتحديه لهم أن يأتوا بمثله ولو اجتمعوا جميعاً وتساهل معهم لعلمه بعجزهم ، فتحداهم بعشر سور مثله ، ولو كانت مفتريات فعجزوا عنها فتحداهم أن يأتوا بسورة واحدة فقال تعالى : ﴿ **وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا ، فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين** ﴾

(البقرة : ٣٣) . فعجزوا تماماً وفشلوا جميعاً خطباؤهم وشعراؤهم وهم أمة البيان والفصاحة ، وأصحاب المهنة ، وحين تم عجزهم أعلن القرآن الكريم هذه الحقيقة النهائية قال تعالى : ﴿ **قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا** ﴾(الإسراء : ٨٨) .

وهكذا فأنت ترى أن معجزة كل نبي كانت من جنس مابرع فيه قومه فقد غلب نبي الله موسى السحرة ولم يتعلم السحر وكذلك غلب نبي الله عيسى الأطباء ولم يكن طبيباً ، وكذلك كان رسول الله ﷺ أمياً يتحدى كل متعلم أن يأتي بما جاء به ليعلم الناس أن ماجاء به من عند الله ، فكان القرآن الكريم معجزة آخر رسول

يرسله الله لعباده ، وجعله أمياً لا يقرأ ولايكتب ، حتى إذا جاءهم بالقرآن أذهلوا ، وعلموا أن مايقوله ليس من كلام البشر .

كان الوليد بن المغيرة وهو عم أبي جهل ـ قد سمع القرآن من رسول الله ﷺ فقال لقومه بني مخزوم : والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ماهو من كلام الإنس ولا من كلام الجن وإن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وإنه يعلو ومايُعلى عليه فقالت قريش : صبأ والله الوليد لتصبأن قريش كلها فقال أبو جهل : « أنا أكفيكموه » فتوجه إليه وقعد حزيناً وكلمه بما أحماه ، فقام فأتاهم ، فقال : تزعمون أن محمداً مجنون فهل رأيتموه يهّوس ؟

وتقولون إنه كاهن فهل رأيتموه يتكهن ؟

وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعراً قط ؟

وتزعمون أنه كذاب فهل جرّبتم عليه شيئاً من الكذب ؟

فقالوا : كل ذلك اللهم لا .

وكون النبي ﷺ أمياً لايعني أنه لم يكن فصيحاً ، ثم لو كان النبي ﷺ متعلماً لبقي القرآن معجزة عظيمة للبشر كافة ، بعلومه ومعارفه ، وأخباره الماضية والمستقبلة ، فالعقل الإنساني ـ عبر العصور وكر الدهور ـ قد عجز عن مواجهة التحدي وكان هذا اعترافاً منه بأنه وحي الله إلى رسول الله ﷺ فمن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم .

معجزة القرآن الكريم

معجزات رسول الله ﷺ كثيرة وأعظمها معجزة القرآن الكريم فهو حبل الله المتين والذكر الحكيم والصراط المستقيم ، من عمل به أُجر ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم ، لاتشبع منه العلماء ولاتلتبس به الألسن ولا تزيغ به الأهواء ومن تركه واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ماتولي وأصلاه جهنم وساءت مصيراً .

يقول الرافعي : « ماأشبه القرآن الكريم في تركيب إعجاز وإعجاز تركيبه بصورة كلامية من نظام هذا الكون الذي اكتنفه العلماء من كل جهة ، وتعاوره من كل ناحية وأخلقوا جوانبه بحثاً وتفتيشاً ثم هو بعد لايزال عندهم على كل ذلك خلقاً جديداً وأمراً بعيداً » .

إن القرآن الكريم هو كلام الله ، أنزله على رسول الله ﷺ وتعبدنا بتلاوته ، يقول النبي ﷺ « مامن الأنبياء نبي إلا أعطي مامثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليَّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً » رواه البخاري .

ولما كان معجزة كل رسول موافق للأغلب من أحوال عصره والشائع المنتشر في ناس دهره وقد بُعث رسول الله ﷺ في عصر الفصاحة والبلاغة خُص بالقرآن في إيجازه وإعجازه بما عجز عنه الفصحاء وأذعن له البلغاء وتبلد فيه الشعراء ليكون العجز عنه أقهر والتقصير فيه أظهر فصارت معجزاتهم وإن إختلفت متشاكلة المعاني متفقة العلل ، ثم المعجز في كل قوم بحسب أفهامهم وعلى قدر عقولهم وأذهانهم وكان في بني إسرائيل من قوم موسى وعيسى بلادة وغباوة لأنه لم ينقل عنهم مايدون من كلام مستحسن ، أو يستفادمن معنى مبتكر ، وقالوا لنبيهم حين مروا بقوم يعكفون على أصنام لهم : اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ، فخصوا من الإعجاز بما يصلون إليه ببداية حواسهم ، والعرب أصح الناس أفهاماً وأحدهم أذهاناً قد ابتكروا من الفصاحة أبلغها ومن المعاني أغربها ، ومن الآداب أحسنها فخصوا من معجز القرآن بما تجول فيه أفهامهم وتصل إليه أذهانهم فيدركوه بالفطنة دون البديهة وبالروية دون البادرة لتكون كل أمة مخصوصة بما يشاكل طبعها ويوافق فهمها وكانت معجزة القرآن أبقى على الأعصار وأنشر في الأقطار بعكس معجزات سائر الأنبياء التي انتهت بإنقراض عصرهم .

وإعجاز القرآن في خروجه عن كلام البشر وإضافته إلى الله تعالى يكون من أوجه كثيرة ذكرها العلماء :

١ ـ من إعجازه ايجازه ، بحيث ترد المعاني الكثيرة في كلمات قليلة مثل قوله تعالى : ﴿ **وقيل ياأرض ابلعى ماءك وياسماء أقلعى ، وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بعداً للقوم الظالمين** ﴾ (هود : ٤٤) .

ومثل : ﴿ **وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه ،فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين** ﴾ (القصص : ٧) .

فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين .

٢ ـ ومن إعجازه ماجمعه القرآن من علوم لايحيط بها بشر ولاتجتمع في مخلوق فلم يكن إلا من عند الله المحيط بكل شئ علماً حتى علمه من لم يكن به عالماً وقد تضمن من الحجج والبراهين ماقطع بحجاجه كل محتج وخصم بدلائله كل خصم ألد ، وفيه من أخبار القرون الخالية وقصص الأمم السالفة ماتحدى به أهل الكتاب كقصة أهل الكهف[١] وشأن موسي والخضر وحديث ذي القرنين فكان على ما ذكره أنبياؤهم وتضمنته كتبهم .

٣ ـ ومن إعجازه ماتضمنه من علم الغيب بأخبار تكون فكانت ، كقوله لليهود : ﴿ **قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين** ﴾ (البقرة : ٩٥) ثم قال : ﴿ **ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم** ﴾ فما تمناه أحد منهم .

وكقوله لقريش : ﴿ **فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا** ﴾ (البقرة : ٢٤) فقطع بأنهم لا يفعلون فلم يفعلوا ، أو كقوله ﴿ **سيهزم الجمع ويولون الدبر** ﴾(القمر : ٤٥)وكان ذلك في يوم بدر ، وكقوله تعالى في هجرته من مكة إلى المدينة : ﴿ **إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد** ﴾ (القصص : ٨٥) فأعاده الله إلى مكة عام الفتح إلى غير ذلك من نظائره وفيه من الأخبار بضمائر القلوب التي لا يصل إليها إلا علاّم الغيوب كقول تعالى : ﴿ **إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا** ﴾(آل عمران : ١٢٢)

---

١ ـ انظر قصص القرآن عظات وعبر ـ للمؤلف .

من غير إن يظهر منهم قول أو يوجد منهم فشل ، وكقوله تعالى : ﴿ **وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم** ﴾ (الأنفال : ٧) فكان كقوله وإن لم يتكلموا به إلى غير ذلك من نظائره وقد تكفل الله بحفظه فقال سبحانه ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ فحفظته السطور والصدور ، أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ، ونقل لنا نقلاً متواتراً حتى صار من الزلل مضبوطاً ، ومن التبديل محفوظاً ، تستمر به الأعصار على شاكلته ، وتتداوله الألسن مع اختلاف اللغات على نظمه وصفته لا يختلف بتعاقب الأزمنة ولا يختل بتباعد الأمكنة ، ولا يتغير بإختلاف الألسنة فهل كان مثل ذلك لسائر الكتب السابقة ؟

٤ ـ فمن إعجازه تيسيره على جميع الألسنة حتى حفظه الأعجمي الأبكم ، ودار به لسان القبطي الألكن ولا يحفظ غيره من الكتب كحفظه ، ولاتجري به ألسنة البكم كجريها به وماذاك إلا بخصائص إلهية فضله بها على سائر كتبه .

٥ ـ ومن إعجازه عجز الأمم جميعاً عن معارضته ، وقد تحداهم أن يأتوا بسورة مثله ، فلم تخرجهم أنفة التحدي وصبروا على نغص العجز مع شدة حميتهم وقوة أنفتهم وقد سفه أحلامهم وسب أصنامهم ، ولو وجدوا إلى المعارضة سبيلاً لعارضوه ، ولما عدلوا عنه إلى بذل نفوسهم في قتاله وسفك دمائهم في محاربته ،

فإذا ثبت إعجاز القرآن من هذه الوجوه كلها ، صح أن يكون كل واحد منها معجزاً فإذا جمع القرآن سائرها كان إعجازه أقهر وحجاجه أظهر .

من هذا العرض الموجز السريع يتضح لك وجه إعجاز القرآن ، وإلا فقد ذكر البعض أن القرآن معجز ببلاغته التي وصلت إلى مرتبة لم يعهد لها مثيل ، أو أن وجه إعجازه في تضمنه البديع الغريب المخالف لما عهد في كلام العرب من الفواصل والمقاطع وقال آخرون بل إعجازه في الإخبار عن المغيبات المستقبلة التي لايُطلع عليها إلا بالوحى ـ أو الإخبار عن الأمور التي تقدمت منذ بدء الخلق بما

لايمكن صدوره من أمي لم يتصل بأهل الكتاب كقوله تعالى في أهل بدر: ﴿ **سيهزم الجمع ويولون الدبر** ﴾ (القمر : ٤٥) .

وقوله تعالى: ﴿ **لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق** ﴾ (الفتح : ٣٧) .

وقوله تعالى: ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض** ﴾ (النور : ٥٥) .

وقوله تعالى: ﴿ **تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ماكنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا** ﴾ (هود : ٤٩) .

وذكر البعض أن القرآن معجز لما تضمنه من العلوم المختلفة والحكم البليغة ، وذهب البعض إلى أن الله صرف العرب عن معارضة القرآن مع قدرتهم عليها فكان هذا الصرف خارقاً للعادة .

قال القاضي أبو بكر الباقلاني : « ومما يبطل القول بالصرفة ، أنه لو كانت المعارضة ممكنة وإنما منع منها الصرفة ، لم يكن الكلام معجزاً ، وإنما يكون المنع معجزاً ، فلا يتضمن الكلام فضلاً على غيره في نفسه » فالقول بالصرفة قول فاسد يرد عليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ **قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا** ﴾ (الإسراء : ٨٨) .

فإنه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم ، ولو سلبوا القدرة لم يبق فائدة لاجتماعهم لمنزلته منزلة اجتماع الموتى ، وليس عجز الموتى بكبير يحتفل بذكره ، وقد ذكر الماوردي أن الصرفة إعجاز على القولين معاً في قول من نفاها وأثبتها . والحقيقة[1] أن القرآن معجز بكل مايتحمله هذا اللفظ من معنى ، في ألفاظه وأسلوبه ، فالحرف الواحد منه في موضعه من الإعجاز الذي لا يغني عنه غيره في تماسك الكلمة ، والكلمة في موضعها من الإعجاز في تماسك الجملة ، والجملة في موضعها من الإعجاز في تماسك الآية ، وهو معجز في بيانه ونظمه ، يجد فيه

---

١ ـ باختصار وتصرف من علوم القرآن لمناع القطان .

القارئ صورة حية للحياة والكون والإنسان ، وهو معجز بعلومه ومعارفه ، التي أثبت العلم الحديث كثيراً من حقائقها المغيبة ، وهومعجز في تشريعه وصيانته لحقوق الإنسان ، والقرآن هو الذي صيرالعرب رعاة الشاء والغنم ساسة شعوب وقادة أمم ، وهذا وحده إعجاز .

قال الخطابي في كتابه « بيان إعجاز القرآن » : «فخرج من هذا أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ ، في أحسن نظوم التأليف ، متضمناً أصح المعاني ، من توحيد الله وتنزيهه في صفاته ، ودعاء إلى طاعته ، وبيان لمنهاج عبادته ، في تحليل وتحريم ، وحظر وإباحة ، ومن وعظ وتقويم ، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر ، وإرشاد إلى محاسن الأخلاق ، وزجر عن مساويها ، واضعاً كل شئ منها موضعه الذي لايُرى شئ أولى منه ، ولايتوهم في صورة العقل أمر أليق به منه ، مودعاً أخبار القرون الماضية ومانزل من مُثلات الله بمن عصى وعاند منهم ، منبئاً عن الكوائن المستقبلة في الأعصار الماضية من الأمان جامعاً في ذلك بين الحجة والمحتج له ، والدليل والمدلول عليه ، ليكون ذلك أوكد للزوم مادعا إليه ، وإنباءً عن وجوب ماأمر به ونهى عنه .... ومعلوم أن الإتيان بمثل هذه الأمور ، والجمع بين أشتاتها حتى تنتظم وتتسق أمرٌ تعجز عنه قوي البشر ولا تبلغه قدرتهم فانقطع الخلق دونه ، وعجزوا عن معارضته بمثله » أ . هـ

وقد ذهب البعض إلى أن الإعجاز يتعلق بجميع القرآن لابعضه ، أو بكل سورة برأسها ، أو أن المعجز منه القليل والكثير دون تقييد بالسورة لقوله تعالى : ﴿ **فليأتوا بحديث مثله** ﴾(الطور : ٣٤)وقيل الإعجاز يتعلق بسورة تامة ولو قصيرة ، أو قدرها من الكلام كآية واحدة أو آيات ، ولقد وقع التحدي بالقرآن كله ﴿ **قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله** ﴾(الإسراء : ٨٨) . وبعشر سور : ﴿ **فأتوا بعشر سور مثله** ﴾ (هود : ١٣) ، وبسورة واحدة : ﴿**فأتوا بسورة مثله** ﴾ (يونس : ٣٨) ، وبحديث مثله : ﴿ **فليأتوا بحديث مثله** ﴾ (الطور : ٣٤)

وهكذا . فأنت ترى الإعجاز في أصوات حروفه ووقع كلماته ، كما تجد في الآية والسورة فالقرآن كلام الله وكفى ، وأياً كان وجه الإعجاز ، أو القدر المعجز ، فإن طالب الحق إذا نظر في القرآن من أي النواحي أحب : من ناحيةأسلوبه ، أو من ناحية علومه ، أو من ناحية الأمر الذي أحدثه في العالم وغيربه وجه التاريخ ، أو من تلك النواحي مجتمعه ، وجد الإعجاز واضحاً جلياً .

إعجاز القرآن العلمي

القرآن الكريم كتاب عقيدة وهداية ، وإعجازه العلمي ليس في اشتماله على النظريات العلمية التي تتجدد وتتبدل وإنما في حثه على التفكير والنظر في ملكوت السموات والأرض وليس ثمة كتاب من الكتب السابقة يكفل هذا بمثل مايكفله القرآن ، فأي مسألة من مسائل العلم ، أو قاعدة من قواعده ، يثبت رسوخها ، ويتبين يقينها ، تكون محققة لما حث عليه القرآن من تفكير سليم ، ولاتتعارض معه بحال من الأحوال ، وقد تقدمت العلوم وكثرت مسائلها ولم يتعارض شئ ثابت منها مع آية من آيات القرآن ، وهذا وحده إعجاز ، ويخطئ من يحرص على أن يتضمن القرآن الكريم كل نظرية علمية ، وكلما ظهرت نظرية جديدة إلتمسوا لها محملاً في آية يتأولونها بما يوافق هذه النظرية ، وكما هو معلوم فإن النظريات تتجدد وكثير من القواعد العلمية التي ظن الناس أنها أصبحت من المسلمات تتزعزع بعد ثبوت ، وتتقوض بعد رسوخ ثم يستأنف الباحثون تجاربهم فيها مرة أخرى ، وبالتالي فالذين يحرصون على أن يستخرجوا منه كل مسألة تظهر في أفق الحياة العلمية ، يسيئون إلى القرآن من حيث يظنون أنهم يحسنون صنعا.

ويقول الأستاذ سيد قطب في تفسير قوله تعالى : ﴿ **يسألونك عن الأهلة ، قل هى مواقيت للناس والحج** ﴾(البقرة : ١٨٩)« اتجه الجواب إلى واقع حياتهم العملي لا إلى مجرد العلم النظري ، وحدثهم عن وظيفة الأهلة في واقعهم وفي حياتهم ولم يحدثهم عن الدورة الفلكية للقمر وكيف تتم ؟ وهي داخلة في مدلول السؤال ......

إن القرآن قد جاء لما هو أكبر من تلك النظريات الجزئية ، ولم يجئ ليكون كتاب علم فلكي ، أو كيماوي أو طبي ...... كما يحاول بعض المتحمسين له أن يلتمسوا فيه هذه العلوم ، أو كما يحاول بعض الطاعنين فيه أن يلتمسوا مخالفاته لهذه العلوم ، إن كلتا المحاولتين دليل على سوء الإدراك لطبيعة هذا الكتاب ووظيفته ومجال عمله ، إن مجاله هو النفس الإنسانية والحياة الإنسانية ، وإن وظيفته أن ينشئ تصوراً تاماً للوجود وارتباطه بخالقه ، ولو وضع الإنسان في هذا الوجود وارتباطه بربه ، وأن يقيم على أساس هذا التصور نظاماً للحياة يسمح للإنسان أن يستخدم كل طاقاته ومن بينها طاقته العقلية ، التي تقوم هى بعد تنشئتها على استقامة ، وإطلاق المجال لها لتعمل - بالبحث العلمي - في الحدود المتاحة للإنسان وبالتجريب والتطبيق ، وتصل إلى ماتصل إليه من نتائج ، ليست نهائية ولا مطلقة بطبيعة الحال ...... وإ ني لأعجب لسذاجة المتحمسين لهذا القرآن الذين يحاولون أن يضيفوا إليه ماليس منه وأن يحملوا عليه مالم يقصد إليه ، وأن يستخرجوا منه جزئيات في علوم الطب والكيمياء والفلك ومإليها ...... كأنما ليعظموه بهذا ويكبروه ..... إن الحقائق القرآنية حقائق نهائية قاطعة مطلقة .... أما مايصل إليه البحث الإنساني - أيا كانت الأدوات المتاحة له - فهي حقائق غير نهائية ولا قاطعة وهى مقيدة بحدود تجاربه وظروف هذه التجارب وأدواتها ، فمن الخطأ المنهجي - بحكم المنهج العلمي الإنساني ذاته - أن تعلق الحقائق النهائية القرآنية بحقائق غير نهائية وهي كل مايصل إليه العلم البشري - هذا بالقياس إلى الحقائق العلمية ، والأمر أوضح بالقياس إلى النظريات والفروض التي تسمى « علمية » .... فهي قابلة دائماً للتغيير والتعديل والنقص والإضافة ، بل قابلة لأن تنقلب رأساً على عقب ، بظهور أداة كشف أو بتفسيرات جديدة لمجموعة الملاحظات القديمة وكل محاولة لتعليق الإشارات القرآنية العامة بما يصل إليه العلم من نظريات متجددة متغيرة أو حتى بحقائق علمية

ليست مطلقة كما أسلفنا ـ تحتوي أولاً على خطأ منهجى أساسي كما أنها تنطوي علي معان ثلاثة ، كلها لا يليق بجلال القرآن الكريم .

الأولى : هو الهزيمة الداخلية التي تخيل لبعض الناس أن العلم هو المهيمن والقرآن تابع ، ومن يحاولون تثبيت القرآن بالعلم ، أو الإستدلال له من العلم ، علي حين أن القرآن كتاب كامل في موضوعه ، ونهائي في حقائقه ، والعلم مايزال في موضوعه ينقض اليوم ماأثبته بالأمس ، وكل مايصل إليه غير نهائي ولا مطلق ، لأنه مقيد بوسط الإنسان وعقله وأدواته ، وكلها ليس من طبيعتها أن تعطي حقيقة واحدة نهائية مطلقة .

والثانية : سوء فهم طبيعة القرآن ووظيفته وهي أنه حقيقة نهائية مطلقة تعالج بناء الإنسان بناء يتفق ـ بقدر ماتسمح طبيعة الإنسان النسبية ـ مع طبيعة هذا الوجود وناموسه الإلهي ، حتى لا يصطدم الإنسان بالكون من حوله ، بل يصادفه ويعرف بعض أسراره ، ويستخدم بعض نواميسه من خلافته ، نواميسه التي تكشف له بالنظر والبحث والتجريب والتطبيق ، وفق مايهديه إليه عقله الموهوب له ليعمل لا ليتسلم المعلومات المادية جاهزة .

الثالثة : هي التأويل المستمر ـ مع التمحل والتكلف ـ لنصوص القرآن كي نحملها ونلهث بها وراء الفروض والنظريات التي لاتثبت ولاتستقر ، وكل يوم يجد فيها جديد أ . هـ .

اشارات علمية سيقت مساق الهداية

إن القرآن هو كلام الله نزل به الروح الأمين على قلب رسول الله ﷺ ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين ، وكان كتاباً صالحاً لكل زمان ومكان ، يأخذ بالعقول والألباب ، ويهدي للتي هي أقوم في كل ناحية من نواحي الحياة .

وقد برهن سبحانه على صحة القرآن وأنه تنزيل من رب العالمين ، ولازالت الحقائق العلمية وغيرها تتكشف وليس فيها مايخالف آية من كتاب الله تعالى وكما

قرر ابن تيميه وغيره فليس هناك تعارض بين نقل صحيح وعقل صريح ، فإذا حدث فإما أن يكون النقل غير صحيح ، وإما أن يكون العقل غير صريح ، وعلى كل حال فلا بد من تقديم النقل على العقل ، إذ العقل دال ، على الرسول ثم عزل نفسه ، أوهو بمثابة دابة توصلك لقصر السلطان ثم لاتدخل بها عليه قال تعالى : ﴿ **فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما** ﴾ (النساء : ٦٥) .

وقال سبحانه : ﴿ **وماكان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً** ﴾ (النور : ٣٦) .

والواجب علينا أن نرجع في فهم الكتاب والسنة للعلماء الراسخين : ﴿ **ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم** ﴾ (النساء : ٨٣)

وكون القرآن كتاب هداية لايمنع من ورود إشارات علمية سيقت مساق الهداية ، هذه الإشارات تعقد من أجلها المؤتمرات في الطب والفلك وغيره ... بين حين وآخر قال تعالى : ﴿ **سنريهم آياتنا فى الأفاق ، وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق** ﴾ (فصلت : ٥٣)

وقد أمرنا أن نتلو القرآن حق تلاوته وأن نتدبره حق تدبره ، فقال سبحانه :

﴿ **أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها** ﴾ (النساء : ٨٢).

وقد أمر جل وعلا عباده بإطلاق البصر للتدبر والتأمل في الآيات المبثوثة على صفحات الكون : ﴿ **إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ، الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ، ربنا ماخلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار** ﴾

(آل عمران : ١٩٠ ـ ١٩١) وهذا المعنى مذكور في مواضع كثيرة من كتاب الله .

وفى كل شئ له آية تدل على أنه الواحد .

وقد ذكر البعض أن القرآن يفقد كثيراً من إعجازه اللغوي البياني إذا ترجمت

معانيه، ولا بد أن تُترجم ليطلع عليه غير المسلمين ، إلا أن معاني الهداية والتشريع المبثوثة بين دفتي المصحف ستظل تهدي هذه البشرية الحائرة وتقودها إلى بر الأمان بإذن الله ، هذا بالإضافة للإعجاز العلمي الذي يسبق العلماء ويتقدم الكشوف العلمية .

ولاشك أن العصر الذي نعيشه هو عصر الإنبهار بالعلم والإفتتان به ، فبيان هذا الإعجاز العلمي أدعى للإيمان بالقرآن والتصديق بأنه تنزيل من رب العالمين وخصوصاً عند هؤلاء ، ففي كتاب الله عشرات الآيات اشارات علمية تزداد عظمة ووضوحاً كلما تقدم العلم ، ولا يخفى أن الحق مقبول من كل من جاء به ، والباطل مردود على صاحبه كائناً من كان ، والحق ما وافق الكتاب والسنة ، وكل إنسان يؤخذ من قوله ويُترك إلا رسول الله ﷺ والكل يعلم مدى عجز البشرية عن إدراك الكثير من أسرار الكون رغم إدعاءآت التطور والتقدم وأننا نعيش حضارة القرن العشرين فما زالت المجرات الفلكية بالملايين تُكتشف - رغم وجودها - وعشرات الأمراض التي تفتك بالبشر لا يعرفون لها سبباً ولا علاجاً ....

قال تعالى : ﴿ **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ، ومآأوتيتم من العلم إلا قليلاً** ﴾(الإسراء : ٨٥) .

يقول باكون : مآأشبه علمنا بعلم الأطفال الذين يلعبون برمال ساحل البحر ، وهم يجهلون أسرار أعماقه ، وهذ ماقاله الفيلسوف هربرت سبنسر فقد حلل العلم الإنساني فأحاله إلى درجة العجز المطلق بالنسبة للعلم الإلهي ، فلا بد من التواضع ومضاعفة البحث وتعمير الدنيا بطاعة الله وإقامة حضارة حقة وفق منهج العبودية لخالق الأرض والسموات : ﴿ **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** ﴾ (الملك : ١٤)
، وقال سبحانه : ﴿ **ألاله الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين** ﴾(الأعراف : ٥٤) .

فإذا أقررنا بأنه الخالق جل وعلا فعلينا أن نذعن لأمره ونخضع لحكمه وننقاد لآياته ففيها سعادة الدارين .

اشارات كيميائية وفيزيائية وذرية [1]

قال تعالى: ﴿ **والأرض مددناها، وألقينا فيها رواسي، وأنبتنا فيها من كل شئ موزون** ﴾ (الحجر : ١٩).

وقال ﴿ **وإن من شئ إلا عندنا خزائنه، ومانتزله إلا بقدر معلوم** ﴾(الحجر: ٢١).

فكل شئ في هذا الكون جعله الله تعالى بمقدار.

فنسبة الأوكسجين مثلاً ٢١ ٪ فلو صارت مثلاً ٥٠ ٪ لاحترقت الأشياء واستحالت الحياة. فالمقادير موزونة إذا زيدت أو نقصت تبدلت حالاتها وكذلك اشعاعات الشمس بمقدار فلو زادت لأصبحنا رماداً، ولو قلت لتجمدنا ، وعناصر النبات مؤلفة من مقادير معينة من كل نوع بدقة عجيبة، وتختلف نسبة بعضها إلى بعض في كل نبات، وقس على ذلك ، فهل وُجد ذلك صدفة كما يقول الملاحدة الشيوعيون، ولا يخفى عليك البيئة التي عاش فيها رسول الله ﷺ وأنه أمي صلوات الله وسلامه عليه.

وقال تعالى: ﴿ **فلا أقسم بما تبصرون وما لاتبصرون** ﴾(الحاقة: ٣٨، ٣٩).

والأشياء التي لانبصرها كثيرة كالملائكة والجن والذرة والإلكترونات والبرتونات والأشعة فوق البنفسجية وأشعة جاما والأشعة تحت الحمراء والأشعة اللاسلكية ....

وقال تعالى: ﴿ **ومن كل شئ خلقنا زوجين** ﴾(الذاريات : ٤٩).

وقال تعالى: ﴿ **فاطر السموات والإرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً** ﴾(الشورى: ١١).

والزوجية منبثة في المملكة الحيوانية والنباتية بل الكهرباء تحتوي على سالب وموجب، ونواة الذرة تحمل شحنة كهربائية موجبة ويحيط بهاإلكترونات تحمل شحنة كهربائية سالبةقال تعالى: ﴿ **سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض**

١ ـ بإختصار وتصرف من كتاب « إعجاز القرآن العلمي » لمحمود مهدي الاستانبولي ، راجع «الإسلام يتحدى » لوحيد الدين خان.

ومن أنفسهم ومما لا يعلمون ﴾(يس : ٣٦) .

وقال تعالى : ﴿ **ومايعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولاأكبر إلا فى كتاب مبين** ﴾ (يونس : ٦١)فهناك ماهو أصغر من الذرة

إشارات تتعلق بالسماء

قال تعالى : ﴿ **هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ، ماخلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون** ﴾(يونس : ٥).

، وقال تعالى : ﴿ **تبارك الذى جعل فى السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً** ﴾ (الفرقان : ٦١) .

، وقال سبحانه : ﴿ **الله الذى رفع السماء بغير عمد ترونها** ﴾(الرعد : ٢) قيل فيها إشارة إلى قانون الجاذبية .

وقال تعالى : ﴿ **وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن آياتها معرضون** ﴾ (الأنبياء : ٣٢) .

فالسماء كالسقف للبيت ﴿ **محفوظاً** ﴾ أي عن الوقوع .

ويقول فرانك آلن العالم البيولجي : يحيط بالأرض غلاف غازي يشتمل على الغازات اللازمة للحياة ويمتد حولها إلى ارتفاع كبير يزيد على ٥٠٠ ميل ويبلغ هذا الغلاف من الكثافة درجة تحول دون وصول ملايين الشهب القاتلة يومياً إلينا إذ تنقص سرعتها ٣٠ ميلاً في الثانية ، وهذا الغلاف الجوي المحيط بالأرض يحفظ درجة حرارتها في الحدود المناسبة للحياة .... ويقول سبحانه : ﴿ **فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يُرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد فى السماء ، كذلك يجعل الله الرجس على الذين لايؤمنون** ﴾ قيل إن الضيق وعوارض الإختناق تصيب الإنسان إذا هو صعد إلى السماء لأسباب منها :

١ ـ قلة الضغط الجوي .

٢ ـ قلة الأوكسيجين .

٣ـ تقلب درجة الحرارة .

٤ ـ إنعدام الوزن إذا تغلغل الإنسان في الفضاء .

وقال سبحانه : ﴿ **ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض أئتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين** ﴾(فصلت : ١١) .

قال العالم الفلكي جميس جينزا « الراجح أن مادة الكون بدأت غازاً منتشراً خلال الفضاء بإنتظام ، وأن السُدم (مجموعات النجوم) خلقت من تكاثف هذا الغاز » وقال جل وعلا : ﴿ **أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شئ حى** ﴾(الأنبياء : ٣٠) .

تشير إلى أن الموجودات كانت كتلة واحدة ثم انفصلت الكواكب عنها ومنها الأرض ، وهذا وفق ماجاءت به نظرية لا بلارس ، كما أن فيها إشارة إلى أهمية الماء في الحياة فالعمليات الكيميائية اللازمة للحياة والنمو تحتاج إلى الماء ثم هو المادة الوحيدة التي تقل كثافتها ويزيد حجمها عندما تتجمد وينطلق منه كميات كبيرةمن الحرارة تساعد على صيانة حياة الأحياء التي تعيش في البحار من أسماك وغيرها ،

وقال سبحانه : ﴿ **والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم** ﴾(يس : ٣٨) .

وفي قراءة أخرى : ﴿ **والشمس تجرى لا مستقر لها** ﴾ قيل إشارة لدورانها حول محورها ، والثانية حركة انتقالية في الفضاء ﴿ **لامستقر لها** ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ **فلا أقسم بمواقع النجوم ، وإنه لقسم لو تعلمون عظيم** ﴾

(الواقعة : ٧٥، ٧٦) فلله أن يقسم بما شاء من مخلوقاته وليس للمخلوق إلا أن يقسم بالله ، يقول العالم الفلكي جيمس جينز : إن دراسة مواقع النجوم ستمدنا بمفتاح لأجمل منظر رأته أوتراه عين الإنسان وستمكننا من أن ننظر الي السماء العجيبة المترامية ، فنفهم من معانيها مالم نكن نفهم .ولو أمكن رسم مواقع النجوم تفصيلاً لأعطى ذلك تفسير لحقيقة الكون وقال تعالى : ﴿ **يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً** ﴾ وقد ذكر جاجارين أنه شاهد تعاقباً سريعاً للظلام والنور على سطح الأرض

إشارات تتعلق بالأرض

قال تعالى : ﴿ **ألم تر أن الله يُزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله** ﴾ (النور : ٤٣) .

وقال سبحانه : ﴿ **وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء مآء فأسقيناكموه ، ومآأنتم له بخازنين** ﴾(الحجر : ٢٢) فيها إشارة إلى الملاقحة التي تحدث بين سحاب وسحاب والشبه تام بين هذا التلقيح والتلقيح النباتي ، والتأليف عبارة عن التقريب بين السحاب المختلف .

وقال جل وعلا : ﴿**أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ، ومن لم يجعل الله له نور فما له من نور**﴾(النور : ٤٠) فيها إشارة إلى الأمواج الداخلية والأمواج السطحية واللجي هو كثير الماء وعميقه . وقال تعالى: ﴿ **وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج** ﴾(الحج : ٥) .

والإهتزاز هو الحركة ، وربت : أي ازدادت .

قال علماء النبات : «إن الجذر يأخذ من الأرض ٥ ٪ فقط من احتياجات النبات ، أما الـ ٩٥ ٪ الباقية فيحصل عليها النبات من الهواء ، فإذا عرفنا أن الجذر يأخذ على الأقل ٢٠ ٪ من الغذاء ، يكون النبات قد أعطى الأرض أضعاف ماأخذ منها وبذلك يزيد حجم الأرض وتهتز بإنبات النبات » وقد وردت عدة آيات تشير إلى طبيعة الأرض وهيئتها مثل : ﴿ **والأرض بعد ذلك دحاها** ﴾(النازعات : ٣٠).

والأدحية أو الأدحوة هى مبيض النعام في الرمل ، والأدحية البيضة عند بعض الأقوام العرب ، وقال تعالى: ﴿ **لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون** ﴾(يس : ٤٠) وقال جل وعلا : ﴿ **خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار** ﴾ .(الزمر : ٥) .

وقال سبحانه : ﴿ **أولم يروا أنّا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها** ﴾ (الرعد: ٤١) .
وقا ل تعالى : ﴿ **رب المشرقين ورب المغربين** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **رب المشارق والمغارب** ﴾ فهذه اشارة إلى تعدد جهات الشروق والغروب بحسب مواقع البلدان على خطوط الطول وتفاوت ذلك تبعاً للفصول فليس هناك شرق واحد ولا غرب واحد .

ويقول سبحانه : ﴿ **والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون** ﴾ (الذاريات : ٤٧) يذكر علماء الفلك أن دائرة المادة قد أصبحت الآن عشرة أمثال بالنسبة إلى الدائرة الأصلية كما يقول ايدنجتون ويذهب إلى أن : مثال النجوم والمجرات كنقوش على سطح منطاد (بالون) من المطاط ، وهو ينتفخ باستمرار ، وهكذا تتباعد جميع الكرات الفضائية وأخواتها بحركات ذاتية في عملية التوسع الكوني ، ومن الإشارات إلى ماهو مخبوء تحت الأرض من معادن وأشياء قوله سبحانه : ﴿ **له مافى السموات ومافى الأرض ومابينهما وماتحت الثرى** ﴾(طه : ٦) .

ومن تتبع الآيات وجد الكثير والكثير من هذه الإشارات .

إشارات تتعلق بالإنسان

قال تعالى : ﴿ **أيحسب الإنسان ألّن نجمع عظامه ، بلى قادرين على أن نسوى بنانه** ﴾(القيامة : ٣، ٤) ذكر البنان فيها إشارة للبصمات التي لاتتشابه ولاتتقارب من شخص لآخر بعكس العين والأنف والأذن التي قد لاتختلف من شخص لآخر وقد أنشيء من ذلك علم البصمات من أجل معرفة المجرمين واكتشافهم .

وقال سبحانه : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين** ﴾ (المائدة : ٦)

وغسل الوجه يتضمن المضمضة والإستنشاق ، وقد ذكر الأطباء أن نظافة الفم خمس مرات في المضمضة من أهم أسباب الوقاية من مرض الأسنان واللثة ، كذلك غسل المنخرين (الحفر الأنفية) بماء بارد من أهم وسائل الوقاية من الزكام وأن غسل الوجه واليدين والأذنين والأرجل يحفظها من الأمراض الجلدية والإلتهابات .

وقال سبحانه محذراً من الزنا : ﴿ **ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا** ﴾ (الإسراء : ٣٢) .

وقد ثبت أن الأمراض الناجمة عن الزنى تضعف العقل وتسبب كثيراً من حوادث العمى والفالج ....

وقال تعالى: ﴿ **إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وماأهل به لغير الله ،فمن اضطر غيرباغ ولا عاد فلا إثم عليه ، إن الله غفور رحيم** ﴾ (البقرة : ١٧٣) .

والميتة تنعدم فيها جميع الخواص المفيدة للبدن وتصير سماً زعافاً ، والدم يحتوي على كمية كبيرة من حمض البوليك ، وهو وسط جيد لنمو البكتريا ولذلك يعتبر ضاراً بالصحة لو استعمل كغذاء ، والتزكية الشرعية للحيوان (الذبح بمحدد في منحر بحيث تُنهر الدم وتفري الأوداج) تُمكّن من استمرار علاقة المخ بالقلب إلى أن يموت الحيوان فيسهل خروج الدم دون أن يتجمد في العروق، وقد أحل الشرع الطيبات وحرم الخبائث وهذا من صفات رسول الله ﷺ المذكورة في الكتب السابقة قال تعالى: ﴿ **ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث** ﴾(الأعراف : ١٥٧) .

وقد اكتشف العلم الحديث أن لحم الخنزير يسبب أمراضاً كثيرة لأنه يحتوي على كمية كبيرة جداً من حمض البوليك كالآم المفاصل والروماتيزم وقد جاء في المعهد الطبي للولايات المتحدة الأمريكية أن نسبة الوفيات في تلك البلاد تترواح بين ٥ - ٣٥ ٪ بسبب الديدان الموجودة في لحم الخنزير زد على ذلك بأن الخنزير يكثر من أكل النجاسات وكل ذلك يؤثر في لحمه ويفسده .

ومن هذه الإشارات قوله تعالى: ﴿ **ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله ، إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين** ﴾(البقرة : ٢٢٢) ولقد وصفت الآية المحيض بأنه أذى وقد ذكر الأطباء أن الأعضاء التناسلية عند المرأة تكون محتقنة وإذا حصل الجماع اشتد الإحتقان وهذا يؤدي إلى نزف أكثر خصوصاً إذا كان لديها

إلتهابات أو أورام ، وكذلك يُحدث الجماع أثناء الحيض للرجل والمرأة اشمئزازاً ونفوراً نفسياً ، ومن ناحية الرجل فإن تلك المواد السامة النازلة مع دم الحيض ، ولا بد وأن تسري بالملامسة والجماع إلى أعضائه التناسلية فتلتهب وتتقرح لاسيما مجرى البول ، وأحياناً ينتقل الإلتهاب إلى المثانة والحالبين والكلى .... إلى غير ذلك من الأضرار والأذى .

ويقول سبحانه : ﴿ **وإذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد ،فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها ، قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير** ﴾ (البقرة : ٦١)

تقرر هذه الآية أن البقول والعدس والبصل أدنى وأقل خيراً مما كان يأكل قوم موسى وهو المن والسلوى ، فالمن نوع من الحلوى عسلي ، والسلوى يرجح أنه المعروف بالسُّمان وقد أصدرت لجنة الأبحاث بانجلترا ، أن البروتينات أو المواد الزلالية الموجودة في الحيوان تفضل تلك الموجودة في البقول تفضيلاً كبيراً ، كما نصحوا بالإعتماد على النشويات كمصدر للطاقة .

وقال تعالى : ﴿ **وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون** ﴾(الحج : ٦٨) .

وقال سبحانه : ﴿ **الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين** ﴾ (آل عمران : ١٣٤) .

وقال : ﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ، وهو أعلم بالمهتدين** ﴾(النحل : ١٣٥) .

هذه الآداب المذكورة في الآيات من شأنها أن توجد مجتمع متحاب الأفراد ، متعاون في مجموعه ، يبتعد فيه الإنسان دائماً عن الزاوية الحادة كالجدال والغضب وكل مايثير النفوس ، وهذا من أهم مايوصي به علماء الإجتماع الآن ، وقوله سبحانه : ﴿ **وأما بنعمة ربك فحدث** ﴾(الضحى : ١١) فيها إشارة لما يوصي به علماء النفس من أهمية تذكر النعم والتفاؤل خروجاً من اليأس والإكتئاب .

قال تعالى : ﴿ **ولا تيأسوا من روح الله إنه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون** ﴾ (يوسف : ٨٧)

وقال سبحانه عن خلق الإنسان : ﴿**هو الذى خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها**﴾ وقال تعالى : ﴿ **لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم** ﴾(التين : ٤).

وقال تعالى : ﴿ **ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً** ﴾ (الإسراء : ٧٠) .

وقال جل وعلا : ﴿ **والله خلق كل دابة من ماء ، فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع يخلق الله مايشاءإن الله على كل شئ قدير** ﴾(النور : ٤٥) .

هذه الآيات تقرر استقلال الأنواع بعضها عن بعض خلافاً لنظريةتطورها كما قال لامارك ودارون ، وقد أثبت كبار العلماء اليوم بطلان هذه النظرية وأثبتوا استقلال الأنواع كما صرح بذلك القرآن الكريم .

وقد أذاع العالم الذري (جوهانس هورذلر) في سويسرا بياناً في ١٠ مارس ١٩٥٦ انتقد فيه نظرية دارون بشدة ، وقال إنه لايوجد دليل واحد على أن الإنسان من سلالة القرد ، وأن التجارب الواسعة التي أجراها جوهانس دلت على أن الإنسان منذ عشرة ملايين عام كان يعيش منفرداً بعيداً جداً عن القرد ، ثم قال : إن الهياكل التي درستها تؤكد نظريته ، وقدم هذا الأستاذ للمتحف الطبيعي بمدينته قطعة من الفحم بداخلها قطعة من فك إنسان يرجع تاريخها إلى عشرة ملايين سنة ، وفي ٣١ مارس ١٩٥٦ أيده الدكتور دوتير المشرف على الأبحاث بجامعة كولومبيا في رأيه ، وقال : إن نظرية دارون لاتستند إلى دليل ، وأن الكائنات إنما خلقت مستقلةالأنواع استقلالاً تاماً ، فمنها الإنسان الذي يمشي على رجلين ، ومنها الدواب التي تمشي على أربع ومنها الزواحف التي تمشي على بطنها ، كما يقول القرآن في إحدى آياته السابقة .

وقال الأستاذ دوكاترفاج : إن القرابة التاريخية بين الإنسان والقرد معدومة لأن الإنسان في العهد الرابع وجد مشابهاً لنا في الصورة ، مع أنه كان يجب أن يكون أقرب إلى أسلافه القردة كمايزعمون ، ثم قال : إننا لانستطيع أن نعتبر ولادة الإنسان من القرد أو من أي حيوان آخر من الأمور العلمية .

وقال جوليان هكسلي أحد كبار أنصار دارون في كتابه « الإنسان في العلم الحديث» ص ٣ : «إن الإنسان خلق مستقلاً كما تقول الأديان » وقدخُلق الإنسان من تراب ولذلك يتشابه تركيبه مع عناصر التربة ويشير إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ **خلق الإنسان من صلصال كالفخار** ﴾(الرحمن : ١٤)وقوله تعالى : ﴿ **ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون** ﴾(الروم : ٢٠) ثم يتم التزاوج بين الرجل والمرأة ويحدث الإنجاب ، ولايتم تكوين الجنين من نطفة الرجل فقط بل من اختلاطه بنطفة المرأة أيضاً وهى البويضةوهذا معنى الأمشاج المذكورة في قوله سبحانه :

﴿ **إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً** ﴾(الإنسان : ٢) والجنين يمر في بطن أمه بمراحل مختلفة قال تعالى : ﴿ **يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق فى ظلمات ثلاث** ﴾(الزمر : ٦) وقال سبحانه : ﴿ **وقد خلقكم أطواراً** ﴾ (نوح : ١٤)تقول مارجريت جلبرت في كتابها (**قصة جنين**) الذي كتب مقدمته الدكتور ألكسيس كاريل : « إن الجنين في بطن أمه يكون محاطاً بثلاثة أغشية صماء لاينفذ منها الماء ولاالضوء ولا الحرارة » وهى الأغشية المعروفة في الطب بأسماء مخصوصة وقد ذكرت الآية أن هذه الأطوار تحدث داخل ظلمات ثلاث ، ولايستطيع أحد التحكم في نوع الجنين فإن حيواناً واحداً من حوالي مئتي مليون حيوان (يحتوي عليها ماء الرجل) هو الذي يلقح بويضة المرأة ، قال تعالى :

﴿ **لله ملك السموات والأرض يخلق مايشاء ، يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور** ﴾(الشورى : ٤٩) وقال سبحانه : ﴿ **إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافى الأرحام وماتدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت ،**

إن الله عليم خبير ﴾(لقمان : ٣٤) وقد جاءت الآيات تصف الإنسان بأنه خُلق من علق قال تعالى : **﴿ إقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ﴾** (العلق : ١، ٢) .

فمني الرجل يحتوي على حيوانات منوية لاتُرى بالعين المجردة ، والحيوان المنوي يشبه دودة العلق ، والحيوان المنوي يسبح في السائل المنوي كما تسبح العلقة في الماء والعلق يعلق بما يقابله وكذلك الحيوان المنوي يعلق بالبويضة ويمتص العلق دم الإنسان والحيوان الذي يعلق به ، وكذلك الحيوان المنوي إذا اتحد مع البويضة امتص غذاءه .

ثم انظر إلى قوله سبحانه : **﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاماً ، فكسونا العظام لحماً ، ثم أنشأناه خلقاً آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾** (المؤمنون : ١٢ ـ ١٤) .

فقد سبقت هذه الآية البينة علم الأجنة والتشريح ، كما سبق غيرها من الآيات العلم الحديث ، فهى توضح أن الإنسان يتحول من نطفة إلى علقة تعلق بجدار الرحم ، إلى مضغة أشبه بقطعة اللحم ثم تتحول إلى عظام (أقواس عظيمة) وهذه العظام تُكسي باللحم ، التي تكون الأجهزة التنفسية والإخراجية والتناسلية ، **﴿ فكسونا العظام لحماً ﴾** ثم ينفخ فيها الروح .

وفي الحديث الصحيح المتفق عليه من حديث ابن مسعود يقول النبي ﷺ : « **إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً نطفة ،ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يأتيه الملك ويؤمر بأربع كلمات ....**»الحديث، فهذه ١٢٠ يوماً ثم تدب الروح في الجنين، ولايمكن للعلم الحديث أن يتعرف إن كانت هذه النطفة أو هذه العلقة أو هذه المضغة أو هذه العظام التي كسيت باللحم ستكون ذكر أم أنثى يقول سبحانه : **﴿ ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾** (المؤمنون : ١٤) .

والجنين عندما يمر بهذه الأطوار إنما يكون في قرار مكين كما هو مذكور في الآية فهو محاط بسائل يمتص الصدمات ويزوده الله بالغذاء بواسطة الحبل السري الذي يوصله بدم الأم وتحيط به المشيمة داخل الرحم ، والرحم ذو جدار عريض سميك في أسفل بطن المرأة يُشد بأربطة عريضة ومستديرة وأجزاء من البريتون تحفظ توازنه وتحميه من الميل أو السقوط ، وتحيط بالرحم عظام الحوض ، وهذا كله يدلك على قوله تعالى : ﴿ **ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين** ﴾ .(المؤمنون : ١٣) .

إشارات تتعلق بعالم الحيوان

قال تعالى في النحل : ﴿ **يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ، إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون** ﴾(النحل : ٦٩) ماأكثر الأبحاث العلمية التي تحدثت عن فوائد عسل النحل فهو يُعطى ضد التسمم الناشئ من أمراض الكبد والإضطرابات المعدية والمعوية ، وضد التسمم والحميات وغير ذلك من الأمراض الخطرة ، وفي حالات ضعف القلب والتهاب الكلى واحتقان المخ والأورام المخية وتصلب الشرايين وأمراض الروماتيزم والعصاب المزمن وعرق النسا ، والعسل يساعد على إلتئام الجروح والحروق ويمنع نمو البكتريا ...... ﴿ **فيه شفاء للناس** ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ **حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة ياأيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لايشعرون** ﴾(النمل : ١٨) .

وقال جل وعلا : ﴿ **ومامن دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ، مافرطنا فى الكتاب من شئ ثم إلى ربهم يحشرون** ﴾ (الأنعام : ٣٨) يذكر علماء الحيوان أن جماعات الحيوان أمم لها رباط اجتماعي ومنها ماتعيش على صورة ممالك تخضع لنظم ثابتة كالنمل والنحل ، ولها لغة يتفاهم أفرادها بها ، ويقول سبحانه :

﴿ **وإن لكم فى الأنعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين** ﴾(النحل : ٦٦) فالطعام ينقلب إلى فرث ثم دم ويُستخلص اللبن من بين الفرث والدم سائغاً للشاربين .

يقول عمر سليمان الأشقر في كتابه «**العقيدة فى الله**»ص ٩٥ :

يأخذنا القرآن في جولات وجولات نرتاد آفاق السماء ونجول في جنبات الأرض ويقف بنا عند زهرات الحقول ويصعد بنا إلى النجوم في مداراتها ، وهو في كل ذلك يفتح أبصارنا وبصائرنا فيرينا كيف تعمل قدرة الله وتقديره في المخلوقات ويكشف لنا أسرار الخلق والتكوين ، ويهدينا إلى الحكمة من الخلق والإيجاد والإنشاء ويبين عظيم النعم التي حبانا بها في ذوات أنفسنا وفي الكون من حولنا ، إنه حديث طويل في كتاب الله يطالعك في طوال سوره وقصارها ، وهو حديث مشوق تنصت إليه النفس ، ويلذه السمع ويستثير المشاعر والأحاسيس ولقد طالعت الكثير مما توصل إليه العلم والعلماء في شتى جوانب الحياة يبينون أسرار الخلق ودلالة الخلق على الخالق فما وجد ت في شئ من ذلك كله ماوجدته في القرآن من جمال وصف ووفرة علم واستثار ة مشاعر وحسن توجيه ودقة استنتاج وكيف لايكون كذلك وهو تنزيل الحكيم الحميد سبحانه .... ثم تحدث عن قدرة الله ونعمه على عباده وهدايته لخلقه وبيّن السبب في عدم الإهتداء بأدلة الكون وموقف العلوم الحديثة .

ثم نقل كلام سيد قطب رحمه الله وهذا نصه : إن مناهج البحث التي يسمونها « **علمية** » في هذا الزمان تقطع ما وصل الله من وشيجة بين الناس والكون الذي يعيشون فيه فالناس قطعة من هذا الكون لاتصح حياتهم ولاتستقيم إلا حين تنبض قلوبهم على نبض هذا الكون وإلا حين تقوم الصلة وثيقة بين قلوبهم وإيقاعات هذا الكون الكبير ، وكل معرفة بنجم من النجوم ، أو فلك من الأفلاك ، أو خاصة من خواص النبات والحيوان أو خواص الكون كله على وجه الإجمال ومافيه من عوالم حية وجامدة إذا كانت هناك عوالم جامدة أو أي شئ واحد جامد في هذا الوجود ! إن كل معرفة علمية يجب أن تستحيل في الحال إلى إيقاع في القلب البشري وإلى

ألفة مؤنسة بهذا الكون وإلى تعارف يوثق أواصر الصداقة بين الناس والأشياء والأحياء وإلى شعور بالوحدة [1] التي تنتهي إلي خالق هذا الكون ومافيه ومن فيه وكل معرفة أو علم أو بحث يقف دون هذه الغاية الحية الموحية المؤثرة في حياة البشر هى معرفة ناقصة أو علم زائف أو بحث عقيم .

إن هذا الكون هو كتاب الحق المفتوح الذي يقرأ بكل لغة ويدرك بكل وسيلة ويستطيع أن يطالعه الساذج ساكن الخيمة وساكن الكوخ ، والمتحضر ساكن العمائر والقصور ، كل يطالعه بقدر إدراكه واستعداده فيجد فيه زاداً من الحق حين يطالعه بشعور المتطلع إلى الحق وهو قائم مفتوح في كل آن : ﴿**تبصرة وذكرى لكل عبد منيب**﴾ (ق : ٨) ولكن العلم الحديث يطمس هذه التبصرة أو يقطع تلك الوشيجة بين القلب البشري والكون الناطق المبين لأنه في رؤوس مطموسة رانت عليها خرافة (**المنهج العلمى**) المنهج الذي يقطع مابين الكون والخلائق الذي تعيش فيه ، والمنهج الإيماني لاينتقص شيئاً من ثمار (**المنهج العلمى**) في إدراك الحقائق المفردة ولكنه يزيد عليها ربط هذه الحقائق المفردة بعضها ببعض وردها إلى الحقائق الكبرى ، ووصل القلب البشري بها ، أي وصله بنواميس الكون وحقائق الوجود وتحويل هذه النواميس والحقائق إلى إيقاعات مؤثرة في مشاعر الناس وحياتهم ، لامعلومات جامدة جافة متحيزة في الأذهان لاتفضي لها بشئ من سرها الجميل ، والمنهج الإيماني هو الذي يجب أن تكون له الكرة في مجال البحوث والدراسات ليربط الحقائق العلمية التي يهتدي إليها بهذا الرباط الوثيق . [2]

---

١ ـ هذا الكلام عن مظاهر القدرة بين الإنسان والكون من حوله وتوثيق الصلة بالخالق جل وعلا يفترق عن القول المبتدع بوحدة الوجود .

٢ ـ في ظلال القرآن تفسير سورة (ق) آية : ﴿ تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ﴾.

الإعجاز اللغوي للقرآن

تكلم الجاحظ على حديث رسول الله ﷺ فقال : «هو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه وجلّ عن الصنعة ونُزِّه عن التكلف ... استعمل المبسوط في موضع البسيط والقصد في موضع المقصود ، وهجر الغريب الوحشي ، ورغب عن الهجين السُّوقي فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة وشدّ بالتأييد ، ويُسّر بالتوفيق ..... ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً ولا أصدق لفظاً ، ولا أعدل وزناً ، لا أجمل مذهباً ولا أكرم مطلباً ولا أحسن موقعاً ولا أسهل مخرجاً ، ولاأفصح من معناه ولا أبين من فحواه من كلامه ﷺ ».

ورأي الجاحظ أن النبي ﷺ لو كان تعاطى العلوم والتعليم لوجب تصديقه ، لأن ماجاء به معجز للبشر كافة ، وشتان بين حديث رسول الله ﷺ وبين القرآن المنزل من قبل الله .

قال القاضي أبوبكر الباقلاني في كتابه (**إعجاز القرآن**) :

« والذي يشتمل عليه بديع نظمه المتضمن للإعجاز وجوه : منها مايرجع إلى الجملة ، وذلك نظم القرآن على تصرف وجوهه واختلاف مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم ، وله أسلوب يختص به ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد وذلك أن الطرق التي يتقيد بها الكلام البديع المنظوم تنقسم إلى أعاريض الشعر على اختلاف أنواعه ثم إلى أنواع الكلام الموزون غير المقفى ثم إلى أصناف الكلام المعدل المسجع ، ثم إلى معدل موزون غير مسجع ثم إلى مايرسل إرسالاً فتطلب فيه الإصابة والإفادة وإفهام المعاني المعترضة على وجه بديع وترتيب لطيف وإن لم يكن معتدلاً في وزنه ، وذلك شبيه بجملة الكلام الذي لايتعمل ـ يتصنع له ـ وقد علمنا أن القرآن خارج عن هذه الوجوه ، ومباين لهذه الطرق فليس من باب السجع ، وليس من قبيل الشعر ، وتبين بخروجه عن أصناف كلامهم وأساليب خطابهم أنه خارج عن العادة ، وأنه

معجز ، وهذه خصوصية ترجع إلى جملة القرآن وتميز حاصل في جميعه وليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة والتصرف البديع ، والمعاني اللطيفة والفوائد الغزيرة ، والحكم الكثيرة ، والتناسب في البلاغة والتشابه في البراعة على هذا الطول ، وعلى هذا القدر ، وإنما تنسب إلى حكمهم كلمات معدودة ، وألفاظ قليلة وإلى شاعرهم قصائد محصورة يقع فيها الإختلال والإختلاف والتكلف والتعسف ، وقد جاء القرآن على كثرته وطوله متناسباً في الفصاحة على ماوصفه الله عز من قائل : ﴿ **الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله** ﴾ (الزمر : ٢٣) .

﴿**ولو كان من عندغير الله لوجدوا فيه إختلافاً كثيراً** ﴾ (النساء : ٨٢) .

فأخبرنا أن كلام الآدمي إن امتد وقع فيه التفاوت وبان عليه الإختلال ، وعجيب نظم القرآن وبديع تأليفه لا يتفاوت ولا يتباين على مايتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف فيها من ذكر قصص ومواعظ واحتجاج وحكم وأحكام ، وإعذار وإنذار ، ووعد ووعيد ، وتبشير وتخويف ، أخلاق كريمة ، وشيم رفيعة ، وسير مأثورة ، وغير ذلك من الوجوه التي يشتمل عليها ، ونجد كلام البليغ الكامل ، والشاعر المفلق ، والخطيب المصقع يختلف على حسب اختلاف هذه الأمور فمن الشعراء من يجود في المدح دون الهجو ومنهم من يبرز في الهجو دون المدح ، ومنهم من يسبق في التفريط دون التأبين ، ومنهم من يقرب في وصف الإبل والخيل أو سير الليل ، أو وصف الحرب ، أو وصف الروض ، أو وصف الخمر ، أو الغزل أو غير ذلك مما يشتمل عليه الشعر ويتداوله الكلام ، ولذلك ضرب المثل بامرئ القيس إذا ركب ، والنابغة إذا رهب ، وبزهير إذا رغب ، ومثل ذلك يختلف في الخطب والرسائل وسائر أجناس الكلام ...... وقد تأملنا نظم القرآن فوجدنا جميع مايتصرف فيه من الوجوه التي قدمنا ذكرها على حد واحد في حسن النظم وبديع التأليف والوصف

لاتفاوت فيه ولا إنحطاط عن المنزلة العليا ..... فعلمنا بذلك أنه مما لايقدر عليه البشر فحيثما قلب الإنسان نظره في القرآن وجد أسراراً من الإعجاز اللغوي وقامت أمامه حجة القرآن في التحدي والإعجاز قال تعالى: ﴿ **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر**﴾ (القمر : ١٧).

الإعجاز التشريعي

القرآن لفظاً ومعنى من الله ، أما السنة النبوية فاللفظ لرسول الله ﷺ والمعنى فمن الله تعالى، ومن المعلوم أن الشريعة مبنية على الكتاب والسنة ، وأنت إذا نظرت وجدت أن الإسلام نظام شامل لجميع شئون الحياة وسلوك الإنسان[١] فهناك أحكام العقيدة كالإيمان بالله واليوم الآخر ..... وأحكام الأخلاق كوجوب الصدق وحرمة الكذب ..... وأحكام تتعلق بتنظيم علاقة الإنسان بخالقه كالصلاة والصيام .... وأحكام تتعلق بتنظيم علاقات الأفراد فيما بينهم كأحكام الأسرة من زواج وطلاق وميراث .... ومعاملات كالبيع والإيجارةوالرهن ....وأحكام تتعلق بالقضاء والدعوي وأصول الحكم والشهادة واليمين والبينات ، وأحكام تتعلق بمعاملات الأجانب غير المسلمين عند دخولهم إلى إقليم الدولة الإسلامية وهى التي تسمى اليوم بالقانون الدولي الخاص وأحكام تتعلق بتنظيم علاقات الدولة الإسلامية بالدول الأخرى في السلم والحرب وتسمى اليوم بالقانون الدولي العام ، وأحكام تتعلق بنظام الحكم وقواعده وكيفية إختيار رئيس الدولة وشكل الحكومة وعلاقات الأفراد بها وحقوقهم إزاءها ، ومايُسمى اليوم بالقانون الدستوري ، وأحكام تتعلق بموارد الدولة الإسلامية ومصارفها وتنظيم العلاقات المالية بين الأفراد والدولة وبين الأغنياء والفقراء وأحكام الجنايات والإجراءات .... والشريعة في شمولها تختلف مع جميع القوانين الوضعية لأن شمولها كامل تام فهى من عند الله ، ومايأتي من الله فهو الحق الخالص والعدل الخالص فأمور العقيدة والأخلاق

١ ـ راجع أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان ص ٤٣ ـ ٧٣ .

والعبـادات ومراعـاة معـاني الحل والحرمـة تدخل في نطاق شمـول الشـريعـة ولاتدخل في نطاق تنظيم القوانين الوضعية ، وبهـذا تُحفظ الحقـوق ويأمن الناس عليها وتقل الخصومات والمنازعات ، ويقل عدد المراجعين للمحاكم ، وفي هذا كله أعظم ضمـان لحسن تنظيم علاقات الأفراد فيمـا بينهم وعدم ضياع الحقوق على أصحابها ، وهذا مما لايوجد في القوانين الوضعية ، ومن صفات هذه الشريعة أنها جاءت لعموم البشر ولم تأت لطائفة معينة منهم أو لجنس خاص من أجناسهم.

قال تعالى : ﴿ **وماأرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً** ﴾(سبأ : ٢٨) .

وقال تعالى : ﴿ **قل ياأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً** ﴾(الأعراف : ١٥٨)

وهذا العموم في الزمان والمكان فالإسلام ختم الشرائع السابقة ، والنبي ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين ، قال تعالى : ﴿ **ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين** ﴾(الاحزاب : ٤٠) وعلى هذا لا يتصور أن ينسخ الإسلام أو يغيره شئ ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا** ﴾ (المائدة : ٣) . ومن نظر في قواعد الشريعة ومبادئها وطبيعة أحكامها علم ذلك يقيناً فهي تحقق مصلحة العباد وتدرأ المفاسد عنهم في العاجل والآجل قال تعالى :

﴿ **ولكم فى القصاص حياة ياأولى الألباب** ﴾(البقرة : ١٧٩) ، وقال تعالى :

﴿ **إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون** ﴾(المائدة : ٩١) . وقال سبحانه في تعليل رسالة محمد ﷺ : ﴿ **وماأرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ (الأنبياء : ١١٧) .

ومن مظاهر مراعاة المصالح تشريع الرخص عند وجود المشقات في تطبيق الأحكام إذا كانت هذه المشقات فوق طاقة البشر المعتادة ومن ذلك إباحة أكل الميتة للمضطر وإباحة الفطر في رمضان للمريض والمسافر .. ... واستقراء نصوص الشريعة يدل على أن الإسلام ماقصد بتشريعه الأحكام للناس إلا لحفظ الضروريات (وهى حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال) والحاجيات (التي يحتاجها

الناس لتحقيق اليسر والسعة في عيشهم) والتحسينات (وهى التي ترجع إلى محاسن العادات ومكارم الأخلاق) وهذه هى مصالحهم في الدنيا والآخرة وقد وردت في الشريعة قواعد ومبادئ (مثل الشورى والمساواة والعدل وقاعدة لاضرر ولا ضرار) تتضمن أحكاماً عامة يمكن بسهولة ويسر تطبيقها في كل مكان وزمان ولايمكن أن يتخلف معناها عن أي مستوى عال يبلغه أي مجتمع وبالتالي يتسع لكل مصلحة حقيقية جديدة للناس .

كما أن هذه القواعد والمبادئ تعتبر كالأساس لما يقوم عليها من أحكام جزئية ولما يتفرع عنها من فروع وهذا الإعجاز يصدق على المعاني المجملة وعلى الأحكام الشرعية التفصيلية كأحكام العبادات والأخلاق والمعاملات والعقوبات .....

ومن مظاهر هذا الإعجاز التشريعي حرص الإسلام على إبلاغ الإنسان الكمال المقدور له ، وهذا يكون بجعل تصرفاته وأقواله وأفعاله وتروكه وقصوده وأفكاره وميوله وفق ماجاء في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ قال تعالى : ﴿ **قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين** ﴾ (الأنعام : ١٦٢) .

ففي الوقت الذي يحلق بالإنسان في أجواء المثالية التي قوامها الإعتدال والشمول لايغفل عن طبيعة الإنسان وواقعه دون إفراط أو تفريط ، ودون غلو أو جفو ، وقد تحقق ذلك كله في رسول الله ﷺ ولذلك أمرنا الله تعالى بالتأس به ﴿ **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة** ﴾ (الأحزاب : ٢١) .

إن هذه الشريعة لكونها من عند الله فقد أتت كاملة خالية من النقائص ، وهذا بخلاف مايشرعه الإنسان فإنه لا ينفك عن معاني النقص والهوى والجهل والجور .

وقد ظفرت الشريعة الإسلامية بالهيبة والإحترام من قبل المؤمنين بها مهما كانت مراكزهم الإجتماعية وسلطاتهم الدنيوية بعكس القوانين الوضعية إذ ليس لها سلطان على النفوس ولا تقوم على أساس من العقيدة والإيمان كماهو الحال بالنسبة

للإسلام ولهذا فإن النفوس تجرؤ على مخالفة القانون الوضعي كلما وجدت فرصة لذلك وقدرة على الإفلات من ملاحقة القانون وسلطان القضاء ورأت في هذه المخالفة اتباعاً لأهوائها وتحقيقاً لرغباتها ـ قارن على سبيل المثال لا الحصر تحريم الخمر في الإسلام وما الذي فعلته أمريكا لمنع الخمر وكيف باءت بالفشل في ذلك ـ إن المسلم حين يمتثل بشرع ربه يضع الجزاء نصب عينيه ، ونطاق الجزاء في الإسلام واسع وشامل شمول الإسلام لجميع شئون الحياة ومن ثم فأجزية الإسلام تتعلق بأمور العقيدة والأخلاق والعبادات والمعاملات فكل مخالفة لهذه الأمور لها جزاءها في الآخرة ، وقد يكون لها جزاء في الدنيا أيضاً ، وبالتالي فالشريعة إرشادات ونصائح ولكن لها ثواب حسن يناله الملتزم بها ، ولها عقاب يصيب المخالف لها ، على درجات متفاوتةفي العقاب والثواب ، إنها شريعة الله الخالدة قال تعالى : ﴿ **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** ﴾ (الملك : ١٤) ولو أجتمعت البشرية على الإتيان بمثلها لما استطاعت قال جل وعلا : ﴿ **أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون** ﴾ (المائدة : ٥٠) .

ولذلك نهتف بلسان الحال والمقال ﴿ **إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ (يونس : ٤٠) .

بشائر الأنبياء عليهم السلام بنبوة محمد ﷺ

مالا يقل عن مائة وخمسين بشارة لرسول الله ﷺ مذكورة في الكتب السابقة ولذلك قال الإمام ابن كثير رحمه الله في كتابه القيم (**شمائل الرسول**) مانصه :

« فالذي يُقطع به من كتاب الله وسنة رسوله ومن حيث المعنى ، إن رسول الله ﷺ قد بشرت به الأنبياء قبله ، وأتباع الأنبياء يعلمون ذلك ولكن أكثرهم يكتمون ذلك ويخفونه.

قال تعالى : ﴿ الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى

التوراة والإنجيل ،يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ،ويُحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم ،فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون . قل ياأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾ (الاعراف ١٥٧، ١٥٨) ....

وقال تعالى : **﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كمايعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ﴾**......... (البقرة : ١٤٦) فذكر الله تعالى بعثته إلى الأميين وأهل الكتاب وسائر الخلق من عربهم وعجمهم فكل من بلغه القرآن فهو نذير له قال ﷺ : « والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ولا يؤمن بي إلا دخل النار » رواه مسلم .

وفي الصحيحين : « أُعطيت خمساً لم يُعطهن أحدٌ من الأنبياء قبلي : نُصرت بالرعب مسيرة شهر ، وأُحلّت لي الغنائم ولم تحلّ لأحد قبلي ، وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يُبعث إلى قومه وبعثت إلى الناس عامة »، وفيها : « بُعثتُ إلى الأسود والأحمر » قيل : إلى العرب والعجم . وقيل : إلى الإنس والجن ، والصحيح أعم من ذلك والمقصود أن البشارات به ﷺ موجودة في الكتب الموروثة عن الأنبياء قبله ، حتى تناهت النبوة إلى آخر أنبياء بني إسرائيل ، وهو عيسى بن مريم ، وقد قام بهذه البشارة في بني إسرائيل ، وقص الله خبره في ذلك فقال تعالى : **﴿ وإذ قال عيسى بن مريم يابنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدىّ من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد ﴾** (الصف : ٦) .

فإخبار محمد صلوات الله وسلامه عليه بأن ذكره موجود في الكتب المتقدمة ، فيما ورد عنه من الأحاديث الصحيحة كما تقدم ، وهو مع ذلك من أعقل الخلق

بإتفاق الموافق والمفارق ، يدل علي صدقه في ذلك قطعاً ، لأنه لو لم يكن واثقاً بما أخبر به من ذلك ، لكان ذلك من أشد المنفرات عنه ، ولا يُقدم على ذلك عاقل ، والغرض أنه من أعقل الخلق حتى عند من يخالفه بل هو أعقلهم في نفس الأمر ،ثم إنه قد انتشرت دعوته في المشارق والمغارب ، وعمَّت دولة أمته أقطار الآفاق عموماً لم يحصل لأمة من الأمم قبلها فلو لم يكن محمد ﷺ نبياً ، لكان ضرره أعظم من كل أحد ، ولو كان كذلك لحذر منه الأنبياءأشد التحذير ولنفروا أممهم منه أشد التنفير ، فإنهم جميعهم قد حذَّروا من دعاة الضلالة في كتبهم ، ونهوا أممهم عن اتباعهم والإقتداء بهم ،ونصوا على المسيح الدجال ، الأعور الكذاب ،حتى قد أنذر نوح - وهو من أول الرسل - قومه .

ومعلوم أنه لم ينص نبي من الأنبياء على التحذير من محمد ، ولا التنفير عنه ولا الإخبار عنه بشيء خلاف مدحه ، والثناء عليه ، والبشارة بوجوده ، والأمر باتباعه ، والنهي عن مخالفته والخروج عن طاعته قال الله تعالى : ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسولٌ مصدقٌ لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ؟ قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى ؟ قالو أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ،فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون** ﴾ (آل عمران : ٨١).

قال ابن عباس رضى الله عنهما : مابعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق لئن بُعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به وليتبعنه » رواه البخاري .

وقد وُجدت البشارات به ﷺ في الكتب المتقدمة ، وهى أشهر من أن تُذكر وأكثر من أن تحصر ..... ونحن نورد هاهنا شيئاً مما وجد في كتبهم التي يعترفون بصحتها ، ويدينون بتلاوتها ، مما جمعه العلماء قديماً وحديثاً ممن آمن منهم ،واطلع على ذلك من كتبهم التي بأيديهم .

ففي السفر الأول من التوراة التي بأيديهم في قصة إبراهيم الخليل عليه السلام مامضمونه وتعريبه : « إن الله أوحى إلى إبراهيم عليه السلام، بعد ما سلمَّه من نار النمرود : أن قم فاسلك الأرض مشارقها ومغاربها لولدك ، فلما قصَّ ذلك على سارة طمعت أن يكون ذلك لولدها منه وحرصت على إبعاد هاجر وولدها حتى ذهب بهما الخليل إلى بَرّية الحجاز وجبال فاران ، وظن إبراهيم عليه السلام أن هذه البشارة تكون لولده إسحاق ، حتى أوحى الله إليه مامضمونه :

« أما ولدك إسحاق فإنه يُرزق ذرية عظيمة ، وأما ولدك إسماعيل فإني باركته وعظمته ، وكثرت ذريته وجعلت من ذريته ماذماذ - يعني محمداً ﷺ - وجعلت في ذريته اثنى عشر إماماً وتكون له أمة عظيمة »وكذلك بُشرت هاجر حين وضعها الخليل عند البيت فعطشت وحزنت على ولدها وجاء الملكُ فأنبع زمزم ، وأمرها بالإحتفاظ بهذا الولد ، فإنه سيولد له منه عظيم ، له ذرية عدد نجوم السماء .

ومعلوم أنه لم يولد من ذرية إسماعيل ، بل من ذرية آدم أعظم قدراً ولا أوسع جاهاً ، ولا أعلى منزلة ، ولا أجل منصباً ، من محمد ﷺ ، وهو الذي استولت دولة أمته على المشارق والمغارب وحكموا على سائر الأمم .

هكذا في قصة إسماعيل من السفر الأول : أن ولد إسماعيل تكون يده على كل الأمم ، وكل الأمم تحت يده وبجميع مساكن إخوته يَسْكن .

هذا لم يكن لأحد يَصْدق على الطائفة إلا لمحمد ﷺ .

وأيضاً في السفر الرابع في قصة موسى : « أن الله أوحى إلى موسى عليه السلام أن قل لبني إسرائيل : سأقيم لهم نبياً من أقاربهم مثلك ياموسى وأجعل وحيي بفيه وإياه تتبعون » .

وفي السفر الخامس - وهو سفر الميعاد : أن موسى عليه السلام خطب بني اسرائيل في آخر عمره - وذلك في السنة التاسعة والثلاثين من سنين التيه - وذكرهم بأيام الله وأياديه عليهم ، وإحسانه إليهم ، وقال لهم فيما قال : واعلموا أن الله

سيبعث لكم نبياً من أقاربكم مثل ماأرسلني إليكم يأمركم بالمعروف وينهاكم عن المنكر ، ويحل لكم الطيبات ويحرم عليكم الخبائث ، فمن عصاه فله الخزي في الدنيا والعذاب في الأخرة .

وأيضاً في السفر الخامس وهو آخر التوراة التي بأيديهم : « جاء الله من طُورسيناء وأشرق من ساعير ، واستعلن من جبال فاران ، وظهر من رَبوات قُدْسه ، عن يمينه نور ، وعن شماله نار ، عليه تجتمع الشعوب » أي جاء أمرالله وشَرْعه من طور سيناء وهو الجبل الذي كلم الله موسى عليه السلام عنده ، وأشرق من ساعير وهو جبال بيت المقدس - المحلة التي كان بها عيسى ابن مريم عليه السلام - واستعلن أي ظهر وعلا أمره من جبال فاران ، وهي جبال الحجاز بلا خلاف ولم يكن ذلك إلا على لسان محمد ﷺ ، فذكر تعالى هذه الأماكن الثلاثة على الترتيب الوقوعي ، ذكر محلة موسى ثم عيسى ، ثم محمد ﷺ ولما أقسم تعالى بهذه الأماكن الثلاثة ذكر الفاضل أولاً ثم الأفضل منه ثم الأفضل منه على قاعدة القسم فقال تعالى :

﴿ **والتين والزيتون** ﴾ والمراد بها محلة بيت المقدس ، حيث كان عيسى عليه السلام ﴿ **وطورسنين** ﴾ وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى ﴿ **وهذا البلد الأمين** ﴾ وهو البلد الذي ابتعث منه محمد ﷺ قاله غير واحد من المفسرين في تفسير هذه الآيات الكريمات .

وفي زبور داود عليه السلام صفة هذه الأمة بالجهاد والعبادة وفيه مثلٌ ضربه لمحمد ﷺ ، بأنه ختام القبة المبنية كما ورد به الحديث في الصحيحين : « **مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بني داراً فأكملها إلا موضع لَبِنة ، فجعل الناس يُطيفون بها ويقولون : هلاّ وضعت هذه اللبنة ؟** » ومصداق ذلك أيضاً في قوله تعالى :

﴿ **ولكن رسول الله وخاتم النبيين**﴾ (الأحزاب : ٤٠) .

وفي الزبور صفة محمد ﷺ بأنه ستنبسط نبوته ودعوته وتنفذ كلمته من البحر إلى البحر وتأتيه الملوك من سائر الأقطار طائعين بالقرابين والهدايا وأنه يخلّص المضطر ويكشف الضر عن الأمم ، وينقذ الضعيف الذي لاناصر له ويُصلّي عليه في كل وقت ويبارك الله عليه في كل يوم ويدوم ذكره إلى الأبد وهذا إنما ينطبق على محمد ﷺ .

وفي صحف شَعْيا في كلام طويل فيه معاتبة لبني اسرئيل وفيه : « فإني أبعث إليكم وإلى الأمم نبياً أمياً ليس بفظ ولا غليظ القلب ولا سخّاب في الأسواق أسدّده لكل جميل ، وأهبُ له كل خلق كريم ثم أجعل السّكينة لباسه والبِّر شعاره والتقوى في ضميره ، والحكمةَ معقوله ، والوفاء طبيعته والعدل سيرتَه والحقَّ شريعته والهدي ملته والإسلام دينه والقرآن كتابه ، أحمدُ اسمه ، أهدي به من الضلالة وأرفع به بعد الخمالة ، وأجمع به بعد الفرقة ، وأؤلف به بين القلوب المختلفة ، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس قرابينهم دماؤهم ، أناجيلهم في صدورهم ، رهباناً بالليل ، لُيوثا بالنهار ، قال تعالى : ﴿ **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم** ﴾ (الجمعة : ٤) .

وفي الفصل الخامس من كلام شعيا : « يدوس الأمم كدَوْس البيادر ، ويُنزل البلاء بمشركي العرب وينهزمون قدامه » .

وفي الفصل السادس والعشرين منه : « لتفرح أرضُ البادية العطشى ، ويُعطىَ أحمد محاسن لبنان ، ويرون جلال الله ببهجته » .

وفي صحف إلياس عليه السلام : « أنه خرج مع جماعة من أصحابه سائحاً ، فلما رأى العرب بأرض الحجاز قال لمن معه : انظروا إلى هؤلاء فإنهم هم الذين يملكون حصونكم العظيمة فقالوا : يانبي الله فما الذي يكون معبودهم ؟ فقال : يعظمون ربَّ العزة فوق كل رابية عالية » .

ومن صحف حزْقيل : « إن عبدي خيرني أُنزل عليه وحَيْ يُظهر في الأمم عدلي

اخترته واصطفيته لنفسي ، وأرسلته إلى الأمم بأحكام صادقة » .

ومن كتاب النبوات : « أن نبياً من الأنبياء مر بالمدينة فأضافه بنو قُريظة والنضير ، فلما رآهم بكى ، فقالوا له : ماالذي يبكيك يانبي الله ؟ فقال : نبي يبعثه الله من الحرم يخرب دياركم ويسبي حريمكم » قال : فأراد اليهود قتله فهرب منهم.

ومن كلام حزقيل عليه السلام : « يقول الله : من قَبل أن صورتك في الأحشاء قدَّستك وجعلتك نبياً ، وأرسلتك إلى سائر الأمم».

وفي صحف شعيا أيضاً مثل مضروب لمكة شرفها الله : « افرحي ياعاقر بهذا الولد الذي يهبه لك ربك ، فإن ببركته تتسع لك الأماكن ، وتُثَبّت أوتادك في الأرض وتعلو أبواب مساكنك ، ويأتيك ملوك الأرض عن يمينك وشمالك بالهدايا والتقادم ، وولدك هذا يرث جميع الأمم ويملك سائر المدن والأقاليم ولا تخافي ولا تحزني فما بقي يلحقك ضيم من عدو أبداً وجميع أيام ترمُّلك تنسينها » وهذا كله إنما حصل على يدي محمد ﷺ وإنما المراد بهذه العاقر مكة ثم صارت كما ذكر في هذا الكلام لامحالة ومن أراد من أهل الكتاب أن يصرف هذا ويتأوله على بيت المقدس فهذا لا يناسبه من كل وجه والله أعلم .

وفي صحف أرْميا : « كوكب ظهر من الجنوب أشعته صواعق ، سهامه خوارق دُكّت له الجبال » هذا المراد به محمد ﷺ .

وفي الإنجيل يقول عيسى عليه السلام : «إني مُرْتقَ إلى جنات العُلى ، ومرسل إليكم الفارقليط روح الحق يعلمكم كل شئ ولم يقل شيئاً من تلقاء نفسه » والمراد بالفارقليط محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وهذا تقدم عن عيسى أنه قاله :

قال تعالى : ﴿ **ومبشراً برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد** ﴾ (الصف : ٦) .

وهذا باب متسع ، لو تقصينا جميع ماذكره الناس لطال هذا الفصل جداً ، وقد أشرنا إلى نبذ من ذلك يهتدي بها من نور الله بصيرته وهداه إلى صراطه المستقيم وأكثر هذه النصوص يعلمها كثير من علمائهم وأحبارهم وهم مع ذلك يتكتمونها

ويُخفونها .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي .... وساق الحديث بإسناده عن الغلبان بن عاصم قال : كنا جلوساً عند النبي ﷺ ، إذ شخص ببصره إلى رجل فدعاه فأقبل رجل من اليهود مجتمع عليه قميص وسراويل ونعلان ، فجعل يقول : يارسول الله فجعل رسول الله ﷺ يقول : أتشهد أني رسول الله ؟ فجعل لا يقول شيئاً إلا قال يارسول الله فيقول أتشهد أني رسول الله فقال رسول الله ﷺ : أتقرأ التوراة ؟ قال نعم ، قال : والإنجيل ؟ قال : نعم ، والفرقان ورب محمد لو شئت لقرأته . قال : فأنشدك بالذي أنزل التوراة والإنجيل وأشياء حلفه بها ، تجدني فيهما ؟ قال : نجد مثلَ نعتك ، يخرج من مخرجك ، كنا نرجو أن يكون فينا ، فلما خرجت رأينا أنك هو ، فلما نظرنا إذا أنت لست به ، قال : من أين ؟ قال : نجد من أمتك سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب وإنما أنتم قليل ، قال : فهلل رسول الله ﷺ وكبَّر ، وهلل وكبر ، ثم قال : والذي نفس محمد بيده إنني لأنا هو ، وإن من أمتي لأكثر من سبعين ألفاً وسبعين وسبعين .

جوابه ﷺ قبل أن يسأله عن شئ منه

عن وابصة الأسدي قال : أتيت رسول الله ﷺ وأنا أريد أن لا أدع شيئاً من البرِّ والإثم إلا سألت عنه وهو له عصابة من المسلمين يستفتونه ، فجعلت أتخطاهم ، فقالوا : إليك وابصة عن رسول الله : فقلت دعوني فأدنو منه ، فإنه أحب الناس إليَّ أن أدنو منه قال : دعوا وابصة ، ادنُ ياوابصة مرتين أو ثلاثاً ، قال : فدنوت منه حتى قعدت بين يديه فقال : ياوابصة أخبرك أم تسألني ؟ فقلت : لا بل أخبرني فقال ، جئت تسأل عن البر والإثم ؟ فقلت : نعم فجمع أنامله فجعل يَنكُت بهن في صدري ويقول : ياوابصة استفت قلبك واستفت نفسك ، ثلاث مرات ، البرُّ مااطمئنت إليه النفس والإثم ماحاك في النفس وتردد في الصدر ، وإن أفتاك الناس وأفتوك » رواه الإمام أحمد .

مسائل سُئل عنها رسول الله ﷺ فأجاب عنها بما يطابق الحق

ثبت في صحيح البخاري وغيره عن أنس عن عبد الله بن سلام أنه سأل رسول الله ﷺ عن ثلاث لايعلمهن إلا نبي : ماأول أشراط الساعة ؟ وماأول طعام يأكله أهل الجنة ؟ ومايُنزع الولد إلى أبيه وإلى أمه ؟ فقال رسول الله ﷺ : أخبرني بهنّ جبريل آنفاً ثم قال : أمّا أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت ، وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد إلى أبيه ، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد إلى أمه » وفي رواية البيهقي ، أنه سأله عن السواد الذي في القمر بدل أشراط الساعة فذكر الحديث إلى أن قال : وأما السواد الذي في القمر فإنهما كانا شمسين .

فقال الله عزو جل : ﴿ **وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آيةالليل** ﴾ (الإسراء : ٤٢) ، فالسواد الذي رأيت هو المحو فقال عبد الله بن سلام : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ، وعبد الله بن سلام كان حبراً من أحبار اليهود فأسلم وهو الذي قال : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل (اجتمع) الناس إليه فكنت فيمن انجفل ، فلما رأيت وجهه قلت : إن وجهه ليس بوجه كذاب ، فكان أول ماسمعته يقول : أيها الناس ، أفشوا السلام ، وصلوا الأرحام وأطعموا الطعام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام .

وقد ذكر البيهقي أن اليهودي سأل النبي ﷺ : أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ؟

فقال رسول الله ﷺ : في الظلمة دون الجسر قال : فمن أول الناس إجازة ؟ فقال : فقراء المهاجرين .

قال اليهودي : فما تحفتهم حين يدخلون الجنة قال : زيادة كبد الحوت .

قال : وماغذاؤهم على إثره ؟ قال : يُنحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها

قال : فما شرابهم عليه ؟ قال : من عين فيها تسمى سلسبيلا .

قال : صدقت .

قال : وجئت أسألك عن شئ لايعلمه أحد من الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان قال : ينفعك إن حدثتك ؟ قال : أسمع بأذني .

قال : جئت أسألك عن الولد ، قال : ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر ، فإذا اجتمعا فعلا منيُّ الرجل مني المرأة أذْكرا بإذن الله ، وإذا علا منيُّ المرأة منيَّ الرجل أنَّثا بإذن الله .

فقال اليهودي : صدقت وإنك لنبي ثم انصرف فقال النبي ﷺ : إنه سألني عنه وماأعلم شيئاً منه حتى أتاني الله به . والحديث رواه مسلم، وهذا اليهودي المذكور يحتمل أن يكون هو عبد الله بن سلام ، ويحتمل أن يكون غيره والله أعلم .

ومن ذلك ماتعنتت به قريش وبعثت إلى يهود المدينة يسألونهم عن أشياء يسألون عنها رسول الله ﷺ فقالوا : سَلوهُ عن الروح ، وعن أقوام ذهبوا في الدهر فلا يُدْرى ماصنعوا ، وعن رجل طواف في الأرض بلغ المشارق والمغارب فلما رجعوا سألوا عن ذلك رسول الله ﷺ فأنزل الله عزوجل قوله تعالى : ﴿ **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وماأوتيتم من العلم إلا قليلاً** ﴾(الإسراء : ٨٣) .

وأنزل سورة الكهف يشرح فيها خبر الفتية .... وختمها بقصة ذي القرنين فقال فيه : ﴿ **ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً** ﴾(الكهف : ٨٣)

ثم ذكر خبره وماوصل إليه من المشارق والمغارب وماعمل من المصالح في العالم وهذا الإخبار هو الواقع في الواقع وإنما يوافقه من الكتب التي بأيدي أهل الكتاب ماكان منها حقاً ، وأما ماكان مُحَرَّفاً مبدَّلاً فذاك مردود فإن الله بعث محمداً بالحق وأنزل عليه الكتاب ليبين للناس مااختلفوا فيه من الأخبار والأحكام قال الله تعالى بعد ذكر التوراة والإنجيل :

﴿ **وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه** ﴾

(المائدة: ٤٨) ، وقد دعا النبي ﷺ اليهود إلى المباهلة وأن يدعو بالموت على المبطل منهم أو المسلمين ، فنكلوا عن ذلك لعلمهم بظلم أنفسهم وأن الدعوة تنقلب عليهم ويعود وبالها إليهم ، قال تعالى: ﴿ **قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ، ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين** ﴾(البقرة: ٩٤، ٩٥) ومثلها في (سورة الجمعة آية ٥، ٦) وهي قوله تعالى: ﴿ **قل يأيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء الله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ، ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين** ﴾

فلم يتمنوا الموت بل هم أحرص الناس على حياة وهكذا دعا النصارى من أهل نجران حين حاجوه في عيسى بن مريم فأمره الله أن يدعوهم إلى المباهلة في قوله:
﴿ **فمن حآجك فيه من بعد ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين** ﴾

(آل عمران: ٦١)، وهكذا دعا على المشركين على وجه المباهلة في قوله:

﴿ **قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا** ﴾ (مريم : ٧٥) .

وروى محمد بن اسحاق عن الزهري قال : سمعت رجلاً من مزينة يحدث سعيد بن المسيب أن أبا هريرة حدثهم فذكره ، وعنده فقال رسول الله ﷺ لابن صوريا : أنشدك بالله وأذكّرك أيامه عند بني إسرائيل : هل تعلم أن الله حكم فيمن زنا بعد إحصانه بالرجم في التوراة ؟ فقال : اللهم نعم ، أما والله ياأبا القاسم إنهم يعرفون إنك نبي مرسل ولكنهم يحسدونك .

وقال حماد بن سلمة : حدثنا ثابت عن أنس أن غلاماً يهودياً كان يخدم النبي ﷺ ، فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده فوجد أباه عند رأسه يقرأ التوراة فقال له الرسول ﷺ يايهودي أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى هل تجدون في التوراة نعتي وصفتي ومَخرجي ؟ فقال : لا . فقال الفتى : بلى والله يارسول الله ، إنا نجد في التوراة نعتك وصفتك ومخرجك ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله

فقال النبي لأصحابه : أقيموا هذا من عند رأسه ، وَلُّوا أخاكم » رواه البيهقي .

دلائل النبوة الخَلْقية والخُلُقية

روي البيهقي أن رجلاً سأل جابر بن سَمُرة أكان رسول الله ﷺ وجهه مثل السيف ؟ قال لا ، بل مثل الشمس والقمر مستديراً » ورواه مسلم بسند آخر .

وفي رواية الإمام أحمد بزيادة : ورأيت خاتمه عند كتفه مثل بيضة الحمامة يشبه جسده .

وعن أبي الطفيل ، قال : رأيت النبي ﷺ ولم يبق أحد رآه غيري فقلنا له : صف لنا رسول الله ﷺ فقال : كان أبيض مَليح الوجه ورواه مسلم عن سعيد بن منصور به

وقد ورد عن عليّ بن أبي طالب من طرق متعددة ، قال بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن ، فإني لأخطب يوماً على الناس وحَبْر من أحبار اليهود واقف في يده سِفْر ينظر فيه ، فلما رآني قال : صف لنا أبا القاسم ، فقال على : رسول الله ليس بالقصير ولا بالطويل البائن وليس بالجعد القَطط ولا بالسَّبْط ، هو رَجِلُ الشعر أسوده ، ضخم الرأس ، مُشرباً لونه حمرة ، عظيم الكراديس (هى التقَاء العظام في المفاصل ،أو هى رءوس العظام) ، شَثْن الكفين والقدمين ، طويل المَسْرُبَة ، وهو الشعر الذي يكون من النحر إلى السرة ، أهدب الأشفار ، مقرون الحاجبين ، قلت الجبين ، بعيد مابين المنكبين ، إذا مشى تكفَّأ كأنما ينزل من صَبَب ، لم أر قبله مثله ولا بعده مثله .

قال عليّ : ثم سكتُّ ، فقال لي الحبر : وماذا ؟قال على : هذا مايحضرني ، قال الحبر : في عينيه حُمرة ، حسن اللحية ، حسن الفم تام الأذنين ، يُقبل جميعاً ويُدبر جميعاً ، فقال عليّ : والله هذه صفته ، قال الحبر [وشيء آخر] قال على : وماهو ؟ قال الحبر : وفيه جَنَأ (إشراف الكاهل على الصدر) قال على : هو الذي قلت لك ، كأنما ينزل من صَبَب ،قال الحبر : فإني أجد هذه الصفة في سفر آبائي وتجده يُبعث في حرم الله وأمنه ،وموضع بيته ، ثم يهاجر إلى حرم يحرِّمه هو

ويكون له حرمة كحرمة الحرم الذي حرم الله وتجد أنصاره الذين هاجر إليهم قوماً من ولد عمرو بن عامر أهل نخل وأهل الأرض قبلهم يهود قال علي : هوهو ، وهو رسول الله ، قال الحبر : فإني أشهد أنه نبي وأنه رسول الله إلى الناس كافة فعلى ذلك أحيا وعليه أموت وعليه أُبعث إن شاء الله .

قال فكان يأتي علياً فيعلمه القرآن ويخبره بشرائع الإسلام ثم خرج عليٌّ والحبر هنالك حتى مات في خلافة أبي بكر وهو مؤمن برسول الله ﷺ مصدق به .

وثبت في البخاري من حديث حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال : مامسست بيدي ديباجاً ولاحريراً ولا شيئاً ألين من كف رسول الله ولا شممت رائحة أطيب من ريح رسول الله ﷺ .

وعن أنس قال : كان رسول الله ﷺ أزهر اللون كأن عرقه اللؤلؤ إذا مشى تكفأ وما مسست حريراً ولا ديباجاً ألين من كف رسول الله ولا شممت مسكاً ولا عنبراً أطيب من رائحة رسول الله ﷺ .

والأخبار في ذكر أوصافه ﷺ كثيرة جداً وكلها تدل أن الله قد حباه من جمال الطلعة والهيئة حتى لا ينصرف الناس عن دعوته بزعم دمامة الخلقة وشأنه في ذلك كشأن إخوانه من الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

وقد ورد وصف خاتم النبوة بين كتفه ﷺ مثل بيضة الحمامة يشبه جسده أو مثل زِرّ الحَجَلة .

قال البخاري وغيره من العلماء قبله في الحكمة في كون الخاتم كان بين كتفي رسول الله ﷺ : إشارة إلى أنه لانبي بعدك يأتي من ورائك ، قال : وقيل : كان على نَغْض كتفه ، لأنه يقال : هو الموضع الذي يدخل الشيطان منه إلى الإنسان فكان هذا عصمته له عليه السلام من الشيطان .

أما بالنسبة لطيب أصله وطهارة نسبه ومولده ﷺ فقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة منها حديث البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « بُعثت من خير

قرون بني آدم قرنا بعد قرن ، حتى كنت من القرن الذي كنت فيه » .

وفي صحيح مسلم عن واثلة بن الأسقع قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله اصطفى قريشاً من بني إسماعيل واصطفى بني هاشم من قريش ، واصطفاني من بني هاشم »وقد قال الله تعالى : ﴿ **الله أعلم حيث يجعل رسالته** ﴾ (الأنعام : ١٢٤).

وعن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ **وانك لعلى خلق عظيم** ﴾(القلم : ٤) ، يعنى وإنك لعلى دين عظيم وهو الإسلام .

ولما سأل سعد بن هشام عائشة أم المؤمنين عن خُلق رسول الله ﷺ فقالت : أما تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى ، فقالت : كان خُلقه القرآن » ومعنى هذا أنه ﷺ مهما أمره به القرآن امتثله ومهما نهاه عنه تركه ، هذا ماجبله الله عليه من الأخلاق الجلّية الأصلية العظيمة التي لم يكن أحد من البشر ولا يكون على أجمل منها ، وشرع له الدين العظيم الذي لم يَشْرعه لأحد قبله ، وهو مع ذلك خاتم النبيين ، فلا رسول بعده ولانبي ﷺ فكان فيه من الحياء والكرم والشجاعة والحلم والصفح والرحمة وسائر الأخلاق الكاملة مالا يُحَدُّ ولا يمكن وَصْفه .

فعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق » رواه أحمد .

وروى البخاري عن البراء بن عازب قال : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً وأحسن الناس خلقاً » .

وعن عائشة قالت : ماخُيِّر رسول الله بين أمرين إلا أخذ أيسرهما مالم يكن إثماً فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه ، ومالنتقم لنفسه إلا أن تنتهك حُرمة الله فينتقم لله بها » رواه البخاري ومسلم .

وعن عبد الله بن عمرو أنه قال : إن رسول الله موصوف في التوراة بما هو موصوف في القرآن »

« ياأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحِرْزاً للأميين ، أنت عبدي

ورسولي سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخّاب في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا : لا إله إلا الله ، ويفتح أعيناً عُمياً ، وآذاناً صُماً ، وقلوباً غُلفاً »

رواه البخاري .

وعن أبي سعيد قال : كان النبي ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها »

رواه البخاري .

وعن أنس بن مالك قال : « لم يكن رسول الله ﷺ سبَّاباً ولا لعاناً ولا فاحشاً ، كان يقول لأحدنا عند المعاتبة : ماله تربت جَبِينهُ » رواه أحمد والبخاري .

وعن أنس قال : « كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وكان أجود الناس وكان أشجع الناس ، ولقد فزع أهلُ المدينة ذات ليلة فانطلق ناسٌ قبَل الصوت ، فتلقاهم رسول الله راجعاً وقد سبقهم إلى الصوت وهو على فرس لأبي طلحة عُرْس (بلا سرج) في عنقه السيف وهو يقول : لم تُراعوا لم تراعوا قال : وجدناه بحراً (أي كان الفرس سريع الجري) أو إنه لبحر قال : وكان فرساً يُبطّأ » في الصحيحين .

وفي رواية مسلم عن أنس قال : «كنا إذا اشتد البأس اتقينا برسول الله ﷺ » والأخبار في ذلك كثيرة تدل على أنه ﷺ كان في غاية مايكون من الشجاعة العظيمة والتوكل التام .

وعن ابن عباس قال : « كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجود مايكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن فكان رسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة » رواه البخاري ومسلم .

وثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « لا يُبلّغني أحدٌ عن أحدٍ شيئاً إني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر ».

وعن أبي هريرة قال : « ماعاب رسول الله ﷺ طعاماً قط ، إن اشتهاه أكله وإلا تركه » رواه البخاري ومسلم .

وعن أبي هريرة قال : « قال رسول الله ﷺ : نُصرت بالرعب ، وأوتيت جوامع الكلم ، وبينا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي »

رواه أحمد والبخاري .

وعن عائشة قالت : مارأيت رسول الله ﷺ مستجمعاً ضاحكاً حتى أرى منه لهواته (اللحمة الناتئة في الحلق) إنما كان يبتسم » رواه البخاري ومسلم .

وعن عمر بن الخطاب قال : « قال رسول الله : « لاتُطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، فإنما أنا عبد ، فقولوا عبد الله ورسوله » رواه مسلم

وعن الأسود قال : « قلت لعائشة : ماكان رسول الله ﷺ يصنع في أهله ؟ قالت : كان في مهنة أهله ، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة »

رواه أحمد وغيره .

وعن عبد الله بن أبي أوفى قال : « كان رسول الله ﷺ يُكثر الذِّكر ويُقل اللغو ويطيل الصلاة ، ويقصر الخُطبة ، ولا يَستنكف أن يمشي مع العبد ، ولا مع الأرملة حتى يَفْرغ لهم من حاجاتهم » رواه البيهقي .

وعن أنس : «أن رسول الله ﷺ مرَّ على صبيان يلعبون فسلم عليهم »

رواه البخاري

وكان ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقاً وصدقاً كما وردت الأخبار بذلك .

وفي الصحيحين عن عائشة ، قالت : « ماشبع آل محمد ﷺ منذ قدموا المدينة ثلاثة أيام ، تباعاً من خبز بُرّ حتى مضى لسبيله » .

وروى أبو داود عن النعمان بن بشير قال : « سمعت عمر بن الخطاب يخطب فذكر مافتح الله على الناس فقال : لقد رأيت رسول الله ﷺ يلتوي من الجوع مايجد من الدَّقل (الرديء من التمر) مايملأ بطنه » أخرجه مسلم .

وكان فراشه ﷺ من أدم حشوه ليف وكان لايدخر شيئاً لغد ، وكان الصحابة إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك ، ولم يكن شخص أحب إليهم من

رسول الله ﷺ.

وثبت في الصحيحين: « أنه قام حتى تفطرتْ (تشققت) قدماه فقيل له : أليس قدغفرالله لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر ؟ قال : أفلا أكون عبداً شكوراً » وكان عمله ديمة (دائم) ﷺ كما ورد في الصحيحين.

وعن ابن عباس قال : «قال أبو بكر : يارسول الله أراك شبْتَ قال : شيَّبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كُوِّرت » رواه البيهقي.

وقد ذكر الإمام ابن كثير رحمه الله في كتابه« شمائل الرسول ﷺ »، كثيراً من صفاته ﷺ في الكتب المأثورة عن الأنبياء الأقدمين فراجعه (١١١ ـ ١١٩) .

معجزات عصمته ﷺ

لقد خرج النبي ﷺ بدعوة خالف بها دين الآباء والأجداد والمألوفات والمعتادات فكان أعدائه وهم الجم الغفير والعدد الكثير على أتم حنق عليه ، وأشد طلب لنفيه ، وهو بينهم مسترسل قاهر ولهم مخالط ومكاثر ، ترمقه أبصارهم شزراً ، وترتد عنه أيديهم ذعراً وقد هاجر عنه أصحابه حذراً حتى استكمل مدته فيهم ثلاث عشرة سنة ثم خرج عنهم سليماً لم يكلم في نفس ولا جسد وماكان ذاك إلا بعصمة إلهية وعده الله تعالى بها فحققها حيث يقول تعالى : ﴿ **والله يعصمك من الناس** ﴾(المائدة : ٦٧) فعصمه منهم ، ومن ذلك أن أبا لهب خرج يوماً وقد اجتمعت قريش فقالوا له ياأبا عتبة إنك سيدنا وأنت أولى بمحمد منا ، وإن أبا طالب هو الحائل بيننا وبينه ولو قتلته لم ينكر أبوطالب ولا حمزة منك شيئاً وأنت برئ من دمه ، فنؤدي نحن الدية وتسود قومك ، فقال فإني أكفيكم ففرحوا بذلك ومدحته خطباؤهم ، فلما كان في تلك الليلة وكان مشرفاً عليه نزل أبولهب وهو يصلي وتسلقت امرأته أم جميل الحائط حتى وقفت على رسول الله ﷺ وهوساجد فصاح به أبولهب ، فلم يلتفت إليه وهما كان لاينقلان قدماً ولايقدران على شئ حتى تفجر الصبح ، وفرغ رسول الله ﷺ فقال له أبولهب يامحمد أطلق عنا فقال ماكنت لأطلق عنكما أوتضمنا لى

أنكما لاتؤذياني قالا قد فعلنا فدعا ربه فرجعا .

ومن ذلك محاولة أبي جهل ومعمر بن يزيد وكلده بن أسد أبا الأشد قتل رسول الله ﷺ فباءت محاولاتهم بالفشل ورجعوا يجرون أذيال الخزي والمذلة رغم شجاعتهم وشدة بأسهم .

ولما أراد الهجرة تبعه سراقة بن مالك فقال ﷺ : اللهم اكفنا سراقة ، فأخذت الأرض قوائم فرسه إلى إبطها فقال سراقة يامحمد ادع الله أن يطلقني ولك عليّ أن أرد من جاء يطلبك ، ولا أعين عليك أبداً فقال : اللهم إن كان صادقاً فاطلق عن فرسه فأطلق الله عنه ثم أسلم سراقة وحسن إسلامه .

ومن ذلك أن رسول الله ﷺ انفرد في غزوة ذات الرقاع (كما في البخاري) عن أصحابه واضطجع وحده فوقف عليه دعثور فسل سيفه وقال : يامحمد من يمنعك مني ؟ فقال الله ، فسقط السيف من يده ، فأخذه رسول الله ﷺ ثم قال له : من يمنعك مني ؟ قال لاأحد ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وعاد إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام وفيه نزل قوله تعالى : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم** ﴾ (المائدة : ١١).

ولما انهزم الناس عن رسول الله ﷺ يوم حنين ، وهو معتزل عنهم رآه شيبة بن عثمان بن أبي طلحة فقال : اليوم أدرك ثأري وأقتل محمداً ، لأن أباه قتل يوم أحد في جماعة إخوته وأعمامه ، قال شيبة فلما أردت قتله أقبل شئ حتى تغشى فؤادي فلم أطق ذلك فعلمت أنه ممنوع ، والأخبار في ذلك كثيرة ، وكلها دال على أن العداوة ظاهرة والطلب معلوم ، والسلامة موجودة تؤكد معجزة عصمته ﷺ .

معجزة الإخبار بغيوب ماضية و مستقبلة

(١) اخباره ﷺ عن الفتن

ثبت في الصحيحين عن أسامة بن زيد : «أن رسول الله ﷺ أشرف على أطُم من آطام المدينة قال : هل ترون ماأرى ؟ إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر» .

وعن أبي إدريس الخولاني : سمعت حذيفة بن اليمان يقول : «والله إني لأعلمُ الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة وماذاك أن يكون رسول الله ﷺ حدثني من ذلك شيئاً أسرَّه إليَّ لم يكن حدَّث به غيري ، ولكن رسول الله ﷺ قال وهو يحدث مجلساً أنا فيه سُئل عن الفتن وهو يَعدّ الفتن فيهنّ ثلاث لاتذوق شيئاً منهن كرياح الصيف منها صغار ومنها كبار قال حذيفة : فذهب أولئك الرهط كلهم غيري » رواه أحمد ومسلم .

قال البيهقي : مات حذيفة بعد الفتنة الأولى بقتل عثمان وقيل الفتنتين الآخرتين في أيام علي .

قال ابن كثير : قال العجْلي وغيرواحد من علماء التاريخ : كانت وفاة حذيفة بعد مقتل عثمان بأربعين يوماً وهو الذي قال : لو كان قتل عثمان هُدىً لاحتلبت به الأمة لبناً ، ولكنه كان ضلالة فاحتلبت به الأمة دماً ، وقال : لو أن أحداً ارفضّ (رفض) لما صنعتم بعثمان لكان جديراً أن يرفض .

وعن زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ قالت : استيقظ النبي ﷺ من نومه وهو محمرّ الوجه وهو يقول : لا إله إلا الله ويلٌ للعرب من شرقد اقترب فُتح اليوم من رَدْم يأجوج ومأجوج مثل هذه ـ وحلَّق بإصبعه الإبهام والتي تليها ـ قلت : يارسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال نعم إذا كثر الخَبث » رواه أحمد والبخاري ومسلم .

وتلا الزبير هذه الآية : ﴿ **واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة** ﴾

(الأنفال : ٢٥) قال : لقد تلوت هذه الآية زمناً وماأراني من أهلها فأصبحنا من أهلها .

وهذا الإسناد ضعيف ولكن رُوي من وجه آخر وقد قُتل الزبير بوادي السَّباع مَرجعه من قتال يوم الجمل .

وعن سعيد بن زيد قال : « كنا عند النبي ﷺ فذكر فتنة وعظَّم أمرها فقلنا : يارسول الله لئن أدركتنا هذه لتهلكنا ، فقال : كلا ، إن بحسبكم القتل ، قال سعيد : فرأيت إخواني قُتلوا » تفرد به أبو داود .

ولما أقبلت عائشة ـ يعني في مسيرها إلى موقعة الجمل ـ وبلغت مياه بني عامر ليلاً ، نبحت الكلاب فقالت : أي ماء هذا ؟ قالوا : ماء الحَوْأب ، فقالت : ماأظنني إلا راجعة ، فقال بعض من كان معها بل تقدمين فيراك المسلمون فيُصلح الله ذات بينهم ، قالت : إن رسول الله ﷺ قال لنا ذات يوم : كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب » رواه أحمد وأبونعيم وإسنادأحمد على شرط الصحيحين .

وعن أبي بكرة قال : نفعني الله بكلمة سمعتها من رسول الله ﷺ وبلغه أن فارس ملكوا عليهم امرأة كسرى فقال : لن يُفلح قومٌ ولّوا أمرهم امرأة » رواه البخاري .

ولما بعث عليٌ عماراً والحسن إلى الكوفة يستنفرهم ، خطب عمار فقال : إني لأعلم أنها زوجته في الدنيا والآخرة (يعني عائشة أم المؤمنين) لكن الله ابتلاكم لتتبعوه أو إياها » رواه أحمد والبخاري .

وهذا كله وقع في أيام الجمل ، وقد ندمت عائشة رضى الله عنها على ماكان من خروجها ، وكذلك الزبير بن العوام أيضاً ، تذكّر وهو واقف في المعركة أن قتاله في هذا الموطن ليس بصواب فرجع عن ذلك .

وثبت في الصحيحين عن أبي هريرة قال : « قال رسول الله ﷺ : لاتقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان دَعْواهما واحدة » وهاتان الفئتان هما أصحاب الجمل

وأصحاب صفِّين ، فإنهما جميعاً يدعون إلى الإسلام ، وإنما يتنازعون في شتى أمور المُلك ومَراعاة المصالح العائد نفعها على الأمة والرعايا وكان ترك القتال أولى من فعله كما هو مذهب جمهور الصحابة .

وعن أبي سعيد الخدري قال : حدثني من هو خير مني - يعنى أبا قتادة - أن رسول الله ﷺ قال لعمار : « تَقتلك الفئة الباغية » رواه مسلم .

وفي رواية : «وقاتله في النار. قال عمار يوم صفين : ائتوني بشربة لبن فإن رسول الله ﷺ قال آخر شربة تشربها من الدنيا شربة لبن فشربها ثم تقدم فقُتل » رواه أحمد

وروى البيهقي عن ابن مسعود سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا اختلفت الناس كان ابن سُمية (عمار) مع الحق » ومعلوم أن عماراً كان في جيش علي يوم صفين ، وقتله أصحاب معاوية من أهل الشام .

(٢) إخباره عن الخوارج وقتالهم وعلامتهم

روى« البخاري عن أبي سعيد الخدري قال : « بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً أتاه ذو الخويصرة - وهو رجل من بني تميم - فقال يا رسول الله اعدل ، فقال : ويلك ومن يعدل [إذ لم أكن أعدل ؟] قد خبتُ وخسرت إن لم أكن أعدل فقال عمر : يارسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقه ، فقال : دعه فإن له أصحاباً يحقِر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرأون القرآن لايجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كمروق السهم من الرميَّة ، يُنْظر إلى« نَصْله فلا يوجد فيه شيء ، ثم يُنْظر إلى رصَافه (وهي عقبة تلوى على مدخل النصل) فلايوجد فيه شيء ثم ينظر إلى نَضِيّه (القدح) وهو قدحْه فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر إلى« قُذَذه (ريش السهم) فلا يوجد فيه شيء ، قد سبق الفرث والدم ، آيتهم رجل أسود ، إحدى عَضُديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تَدَرْدر (تتحرك وتذهب) ويخرجون على حين فُرقة من الناس . قال أبو سعيد : فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه ، فأمر

بذلك الرجل فالتمس فأُتي به حتى نظرت إليه على نعت رسول الله ﷺ الذي نعته »

وعن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « تمرق مارقةٌ عند فُرقة المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق » رواه مسلم .

وسئل سهل بن حنيف ، هل سمعت رسول الله ﷺ يذكر هؤلاء الخوارج ؟ فقال : « سمعته وأشار بيده نحو المشرق . وفي رواية نحو العراق - يخرج قوم يقرأون القرآن بألسنتهم لايجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمِيَّة محلَّقة رءوسهم » رواه مسلم .

وروى أيضاً عن أبي ذر نحوه وقال : « سيماهم التحليق ، شر الخَلْق والخليقة » ، والأخبار بقتال الخوارج متواترة عن رسول الله ﷺ.

وقد خرجوا بالصيغة المذكورة في الأحاديث وفي المكان الذي حدده النبي ﷺ وقاتلهم عليٌّ وهذا معلوم ضرورة لأهل العلم قاطبة .

(٣) إخباره ﷺ بقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه

عن عمار بن ياسر قال : قال رسول الله ﷺ لعليٍّ حين ولِيَ غزوة العشيرة ياأبا تراب لما يرى عليه من تراب - ألا أحدثك بأشقى الناس رجلين ؟ قلنا : بلى يارسول الله ، قال أُحيمرُ ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك ياعليُّ على هذه - يعنى قرنه - حتى يبل هذه - يعنى لحيته » رواه أحمد .

وعن يزيد بن وهب قال : « جاء رأس الخوارج إلى علي فقال له : اتق الله فإنك ميت ، فقال لاوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، ولكن مقتول من ضربة على هذه تَخضب هذه - وأشار بيده إلى لحيته - عهدٌ معهود ، وقضاء مقضي وقد خاب من افترى » رواه أبو داود .

وقد روى البيهقي بإسناد صحيح عن زيد بن أسلم ، عن أبي سنان المدركي ، عن علي في إخبار النبي ﷺ بقتله وقد ضربه عبد الرحمن بن مُلْجم الخارجي وهو خارج لصلاة الصبح ، فبقى عليٌّ يومين من طعنة ومات على النحو الذي وصفه رسول الله ﷺ كما هو مشهور .

(٤) الإخبار بسيادة الحسن

عن أبي بكرة قال: «أخرج النبي ﷺ ذات يوم الحسن بن علي فصعد به على المنبر فقال: إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين».

رواه البخاري.

وهكذا وقع الأمر كما أخبر به النبي ﷺ سواء فإن الحسن بن علي لما صار إليه الأمربعد أبيه وركب في جيوش أهل العراق وسار إليه معاوية، فتصافّا بصفِّين على ماذكره الحسن البصري فمال الحسن بن علي إلى الصلح، وخطب الناس وخلع نفسه من الأمر وسلمه إلى معاوية، وذلك سنة أربعين فبايعه الأمراء من الجيشين واستقل بأعباء الأمة، فُسمى ذلك العام عام الجماعة لاجتماع الكلمة فيه على رجل واحد.

وقد شهد الصادق المصدوق للفرقتين بالإسلام فمن كفَّرهم أو واحداً منهم لمجرد ماوقع فقد أخطأ وخالف النص النبوي المحمدي الذي لاينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

وقد تكمَّل بهذه السنة المدة التي أشار إليها رسول الله ﷺ أنها مدة الخلافة المتابعة بعده ـ كما ورد في حديث سفينة مولاه أنه قال: الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً، وفي رواية عَضُوضاً.

وفي رواية عن معاوية أنه قال: «رضينا بها مُلكاً، وقال معاوية والله ماحملني على الخلافة إلا قول رسول الله ﷺ لي: يامعاوية إن ملكت فأحسن» رواه البيهقي وقال: وله شواهد.

وروي أيضاً عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: الخلافة بالمدينة والملك بالشام

(٥) إخباره عن غزاة البحر إلى قبرص

عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان يدخل على أم حرام بنت ملحَان فتطعمه وكانت تحت عبادة بن الصامت، فدخل عليها يوماً فأطعمته (وكانت من محارمه ﷺ) ثم جلست تفلي رأسه، فنام الرسول ﷺ ثم استيقظ وهو يضحك

قالت : فقلت : ما يضحكك يارسول الله ؟ قال : ناس من أمتي عُرضوا عليَّ غزاة في سبيل الله يركبون البحر ، ملوكاً على الأسرّة ، أو مثل الملوك على الأسرة .
شك إسحاق ، فقلت : يارسول الله ادعُ الله أن يجعلني منهم فدعا لها ، ثم وضع رأسه فنام ثم استيقظ وهويضحك قالت : مايضحكك يارسول الله ؟ قال : ناس من أمتي عُرضوا عليَّ غزاة في سبيل الله كما قال في الأولى .
قالت : قلت يارسول الله : ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال : أنت من الأولين قال فركبت أم حرام بنت ملحان البحر في زمان معاوية فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت » رواه البخاري ومسلم .

(٦) إخباره عن قتال الروم

حدَّث عمير بن الأسود العنسي أنه أتى عبادة بن الصامت وهو نازل إلى ساحل حمْص وهو في ثناء له ، ومعه أم حرام قال عمير : فحدثتنا أم حرام أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا .
قالت أم حرام : فقلت : يارسول الله أنا فيهم قال : أنت فيهم قالت : ثم قال النبي ﷺ : أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم . قلت : أنا فيهم يارسول الله ؟ قال : لا » تفرد به البخاري وفيه من دلائل النبوة ثلاث كما ذكر ابن كثير رحمه الله :

إحداهما : الإخبار عن الغزوة الأولى في البحر ، وقد كانت في سنة سبع وعشرين مع معاوية بن أبي سفيان حين غزا قبرص وهو نائب الشام عن عثمان بن عفان وكانت معهم أم حرام بنت ملْحَان هذه صحبة زوجها عبادة بن الصامت ، أحد نقباء ليلة العقبة ، فتوفيت مرجعهم من الغزو ، قيل بالشام كما تقدم في الرواية عند البخاري.

وقال ابن زيد : توفيت بقبرص سنة سبع وعشرين .

والغزوة الثانية غزوة قسطنطينية مع أول جيش غزاها وكان أميرها يزيد بن

معاوية بن أبي سفيان ، وذلك في سنة ثنتين وخمسين وكان معهم أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري فمات هنالك رضى الله عنه وأرضاه .

ولم تكن هذه المرأة معهم لأنها كانت قد توفيت قبل ذلك في الغزوة الأولى فهذا الحديث فيه ثلاث آيات من دلائل النبوة :

الإخبار عن الغزوتين .

والإخبارعن المرأة بأنها من الأولين وليست من الآخرين .

وكذلك وقع كما أخبرصلوات الله وسلامه عليه أ . هـ .

(٧) الإخبار عن غزوة الهند

عن أبي هريرةقال : وعدنا رسول الله ﷺ غزوة الهند ، فإن استشهدتُ كنت من خير الشهداء ، وإن رجعت فأنا أبوهريرة المحررً » رواه أحمد والنسائي .

وقد غزا المسلمون الهند في أيام معاوية سنة أربع وأربعين ، ودخلها الملك محمود بن سبكتكين وقتل وأسر وسبى وغنم ودخل السومنات وكسر الند الأعظم الذي يعبدونه واستلب سيوفه وقلائده ثم رجع سالماً مؤيداً منصوراً .

(٨) الإخبار عن قتال الترك

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « لاتقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر وحتى تقاتلوا الترك صغار الأعين حُمْر الوجوه ، ذُلْف الأنوف ، كأن وجوههم المجَانّ المطْرَقَة (الترس التي ألبست جلدة على قدر الدرقة)، وتجدون من خير الناس أشدهم كراهية لهذا الأمر حتى يقع فيه والناس معادن : خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام ، وليأتين على أحدكم زمان لأن يراني أحب إليه من أن يكون له مثل أهله وماله » رواه البخاري .

وروي أيضا عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : «لاتقوم الساعة حتى تقاتلوا خُوزا وكِرْمان من الأعاجم حمر الوجوه فُطس الأنوف ، صغار الأعين كأن على وجوههم

المجانّ المطَرَقة ونعالهم الشعر » وقد وقع قتال الترك في آخر أيام الصحابة قاتلوا القان الأعظم فكسروه كسرة عظيمة .

(٩) إخباره عن عبد الله بن سلام

عن قيس بن عُباد قال : كنت في المسجد فجاء رجل في وجهه أثر خشوع فدخل فصلى ركعتين فأوجز فيها فقال القوم : هذا الرجل من أهل الجنة ، فلما خرج اتبعته حتى دخل منزله فدخلت معه فحدثته فلما أستأنس قلت له : إن القوم لما دخلت المسجد قالوا : كذا وكذا قال سبحان الله والله ماينبغي لأحد أن يقول مالا يعلم وسأحدثك [لمَ]، إني رأيت رؤيا على عهد رسول الله ﷺ فقصصتها عليه ، رأيت كأني في روضة خضراء .

- قال ابن عون - : فذكر من خُضرتها وسعتها ، وسطها عمودُ حديد أسفله في الأرض وأعلاه في السماء ، في أعلاه عروة ، فقيل لي : اصعد عليه فقلت : لا أستطيع فجاء منْصَف - قال ابن عون - : وهو الوصيف - فرفع ثيابي من خلفي فقال اصعد عليه فصعدت حتى أخذت بالعروة فقال : استمسك بالعروة فاستيقظت وإنها لفي يدي قال : فأتيت النبي ﷺ فقصصتها عليه فقال : أما الروضة فروضة الإسلام وأما العمود فعمود الإسلام وأما العروة فهي العروة الوثقى ، أنت على الإسلام حتى تموت ، قال : وهو عبد الله بن سلام » رواه أحمد والبخاري .

وعن عبد الله بن سلام فذكر الحديث وقال : حتى أتى بي جبلاً فقال لي إصعده فجعلت إذا أردت أن أصعد خررت على رأسي حتى فعلت ذلك مراراً ، وأن رسول الله قال له حين ذكر رؤياه : وأما الجبل فهو منزلة الشهداء ، ولن تناله .

قال البيهقي : وهذه معجزة ثانية حيث أخبر أنه لاينال الشهادة وهكذا وقع ، فإنه مات سنة ثلاث وأربعين ومات على أحسن أحواله رضي الله عنه .

(١٠) الإخبار عن موت ميمونة بنت الحارث بسرف

روى البخاري في التاريخ عن يزيد بن الأصم قال : « ثقُلت ميمونة بمكة وليس عندها من بني أختها أحد ، فقالت : أخرجوني من مكة فإني لا أموت بها ، إن رسول الله ﷺ أخبرني أني لاأموت بمكة فحملوها حتى أتوا بها إلى سرف الشجرة التي بنى بها رسول الله ﷺ تحتها في موضع القبة فماتت رضي الله عنها وكان موتها سنة إحدى وخمسين .

(١١) الإخبار بمقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما

عن أنس قال : استأذن ملَك المطر أن يأتي النبي ﷺ فأذن له فقال لأم سلمة احفظي علينا الباب لايدخل علينا أحد ، فجاء الحسين بن علي ، فوثب حتى دخل فجعل يصعد على منكب النبي ﷺ فقال له الملك : أتحبه ؟ فقال النبي ﷺ : نعم قال فإن أمتك تقتله وإن شئت أريتك المكان الذي يُقتل فيه ، قال : فضرب بيده فأراه تراباً أحمر ، فأخذت أم سلمة ذلك التراب فصرَّته في طرف ثوبها ، قال : فكنا نسمع : يُقتل بكربلاء » رواه أحمد والبيهقي .

وعن ابن عباس قال : رأيت النبي ﷺ فيما يرى النائم بنصف النهار وهو قائل أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم فقلت بأبي أنت وأمي يارسول الله ماهذا ؟ قال دم الحسين وأصحابه لم أزل ألتقطه منذ اليوم : فأحصينا ذلك اليوم فوجدوه قُتل في ذلك اليوم رضى الله عنه » رواه أحمد .

قال قتادة : قُتل الحسين يوم الجمعة يوم عاشوراء سنة إحدى وستين وله أربع وخمسون سنة وستة أشهر ونصف شهر وكان سبب قتل الحسين كما ذكر ابن كثير - أنه كتب إليه أهل العراق يطلبون منه أن يَقْدَم إليهم ليبايعوه بالخلافة .

وكثر تواتر الكتب عليه من العامة ومن ابن عمه مُسلم بن عقيل ، فلما ظهر على ذلك عبيد الله بن زياد نائب العراق ليزيد بن معاوية فبعث إلى مسلم بن عقيل

فضرب عنقه ورماه من القصر إلى العامة فتفرق ملأهم وتبددت كلمتهم ، هذا وقد تجهز الحسين من الحجاز إلى العراق ولم يشعر بما وقع فتحمل بأهله ومن أطاعه وكانوا قريباً من ثلاثمائة وقد نهاه عن ذلك جماعة من الصحابة منهم أبوسعيد وجابر وابن عباس وابن عمر فلم يطعهم ، ولما أصر على الذهاب إلى العراق اعتنقه ابن عمر مودعاً وقال : استودعك الله من قتيل .

(١٢) الإخبار عن مُدّعي النبوة

ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة ، وعند مسلم عن جابر بن سمرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن بين يدي الساعة ثلاثين كذاباً دجالاً ، كلهم يزعم أنه نبي » .

وروى البيهقي عن عبد الله بن الزبير ، قال : قال رسول الله ﷺ :

«لاتقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً منهم مسيلمة والعنسي والمختار ، وشر قبائل العرب بنو أمية وبنو حنيفة وثقيف » .

وروي مسلم عن أسماء بنت أبي بكر ، أنها قالت للحجاج بن يوسف : أما إن رسول الله ﷺ حدثنا أن في ثقيف كذاباً ومُبيراً ، فأما الكذاب فقد رأيناه وأما المبير فلا أخالك إلا إياه » .

وقد حدث كل ماأخبر به رسول الله ﷺ ، فقد خرج من ادعى النبوة من الرجال ووُجد من النساء من ادعين النبوة كسجاح .

(١٣) الإخبار بموت كل نفس على ظهر الأرض يأتي عليها مائة سنة

ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن عمر قا ل : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة العشاء ليلة في آخر عمره ، فلما سلم قام فقال : أرأيتكم ليلتكم هذه ؟ فإن رأس مائة سنة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد » .

وفي صحيح مسلم ، عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل موته بشهر : « يسألون عن الساعة وإنما علمها عند الله فأُقسم بالله ماعلى ظهر

الأرض من نفس منفوسة اليوم ، يأتي عليها مائة سنة » .

قال ابن كثير : وهو نص على أن جميع الأحياء في الأرض يموتون إلى تمام مائة سنة من إخباره عليه السلام وكذا وقع سواءً .

فما نعلم تأخر أحد من أصحابه إلى مايجاوز هذه المدة وكذلك جميع الناس .

وروى البيهقي عن عبد الله ابن بُسْر أن رسول الله ﷺ قال له : يعيش هذا الغلام قرناً ، فعاش مائة سنة .

(١٤) الإخبار عن نار بالحجاز تضئ لها أعناق الإبل ببصرى

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لاتقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل بُبصرى » رواه البخاري .

وقد ذكر أهل التاريخ وغيرهم من الناس ، وتواتر وقوع هذا في سنة أربع وخمسين وستمائة .

وقد ذكر أبو شامة في تاريخه : إنها ظهرت يوم الجمعة في خامس جمادي الآخرة سنة ٦٥٤ هـ وأنها استمرت شهراً وأزيد منه .... وذكر أن ضوءها مُدَّ إلى تَيْماء بحيث كتب الناس على ضوئها في الليل ، وكأن في بيت كل منهم مصباحاً ، ورأى الناس سناها من مكة شرفها الله .

وقد أخبر غير واحد من الأعراب صبيحة تلك الليلة من كان بحاضرة بلد بصرى أنهم رأوا صفحات أعناق إبلهم في ضوء هذه النار التي ظهرت من أرض الحجاز .

(١٥) الإخبار عن صنفين من أهل النار

روى مسلم عن أبي هريرة قال : قال ﷺ : « صنفان من أهل النارلم أرهما بعد قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات

مميلات رؤوسهن كأسنمة البُخْت المائلة ، لايدخلن الجنة ولايجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » .

قال ابن كثير : وهذان الصنفان وهما الجلادون الذين يسمون بالرجَّالة ، والجاندارية ، كثيرون في زماننا هذا ومن قبله وقبل قبله بدهر والنساء الكاسيات العاريات ، أي عليهن لبس لايواري سوآتهن بل هو زيادة في العورة وإبداء للزينة مائلات في مشيهن مميلات غيرهن إليهن قد عم البلاء بهن في زماننا هذا ، ومن قبله أيضاً ، وهذا من أكبر دلالات النبوة ، إذ وقع الأمر في الخارج طبق ماأخبر به عليه السلام » أ . هـ .

فكيف به لو رأى النساء بملابس البحر ، والفنانات وراقصات الباليه .... ولا يخفى عليك حال الطهر والعفاف و الصيانة والتحجب الذي كان عليه النسوة على عهد رسول الله ﷺ فمن كان يتصور أو يتخيل أن ذلك الحال سيتبدل ويتغير لمثل ماعليه النساء في زماننا من تهتك وعري وخلاعة .

(١٦) الأحاديث الدالة على إخباره بما وقع كما وقع

عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ : « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها » رواه أبو داود .

والحديث يشمل كل فرد من آحاد العلماء من هذه الأعصار ممن يقوم بغرض الكفاية في أداء العلم عمن أدرك من السلف إلى من يدركه من الخلف ، ومن أمثال هؤلاء الذين حفظ الله بهم دينه الإمام الشافعي وأحمد والبخاري وابن تيميه .... ومن ذلك ماجاء في قصة الصحيفة التي تعاقدت فيها بطون قريش وتمالأوا على بني هاشم وبني المطلب ألا يؤوهم ، ولا يناكحوهم ، ولايبايعوهم حتى يُسلموا إليهم رسول الله ﷺ وكانت قريش قد علقت صحيفة التعاقد في سقف الكعبة فسلَّط الله عليها الأرضة فأكلت مافيها من أسماء الله ، لئلا يجتمع بما فيها

من الظلم والفجور .

وقيل : إنها أكلت مافيها إلا أسماء الله عزوجل ، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ عمه أبو طالب فجاء أبو طالب إلى قريش فقال : إن ابن أخي قد أخبرني بخبر صحيفتكم ، أن الله قد سلط عليها الأرضة فأكلتها إلا مافيها من أسماء الله ، أو كما قال ، فأحْضروها ، فإن كان كما قال وإلا أسلمته إليكم ، فأنزلوها ففتحوها فإذا الأمر كما أخبر به رسول الله ﷺ فعند ذلك نقضوا حكمها ودخلت بنو هاشم وبنو المطلب مكة ورجعوا إلى ماكانوا عليه قبل ذلك .

ومن ذلك ماثبت من حديث خباب بن الأرت حين جاء هو وأمثاله من المستضعفين يستنصرون النبي ﷺ وهو متوسد رداءه في ظل الكعبة ليدعو لهم لما هم فيه من العذاب والإهانة فجلس محمرًّا وجهه وقال : « إن من كان قبلكم كان أحدهم يُشَق باثنتين مايصرفه ذلك عن دينه ، والله ليُتمنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لايخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون » .

ومن ذلك مارواه البخاري عن عبد الله بن مسعود قال : انطلق سعد بن معاذ معتمراً فنزل على أمية بن خلف ، أبي صفوان ، وكان أمية إذا انطلق إلى الشام فمرَّ بالمدينة نزل على سعد فقال أمية لسعد : انتظر حتى إذا انتصف النهار وغفل الناسُ انطلقت فطُفت فبينما سعد يطوف فإذا أبو جهل فقال : من هذا الذي يطوف بالكعبة ؟ فقال سعد : أنا سعد ، فقال أبو جهل : تطوف بالكعبة آمناً وقد آويتم محمداً وأصحابه ؟فقال : نعم ، فتلاحيا (تخاصما) بينهما ، فقال أمية لسعد : لاترفع صوتك على أبي الحكم فإنه سيد أهل الوادي ثم قال سعد : والله لئن منعتني أن أطوف بالبيت لأقطعنَّ متجرك بالشام قال : فجعل أمية يقول لسعد : لاترفع صوتك وجعل يُمسكه ، فغضب سعد فقال : دعنا عنك فإني سمعت محمداً ﷺ يزعم أنه قاتلك ، قال : إياي ؟ قال : نعم ، قال : والله مايكذب محمد إذا حدَّث

فرجع إلى إمرأته فقال : أما تعلمين ماقال لي أخي اليثربي ؟ قالت : وماقال لك ؟ قال : زعم أنه سمع محمداً يزعم أنه قاتلي ، قالت : فوالله مايكذب محمد ،

قال : فلما خرجوا إلى بدر وجاء الصريخ قالت له امرأته : ماذكرت ماقال لك أخوك اليثربي ؟ قال : فأراد ألا يخرج فقال له أبو جهل : إنك من أشراف الوادي فسرْ يوماً أو يومين فسار معهم فقتله الله .

ومن ذلك قصة أبيٍّ بن خلف الذي كان يعلف حصاناً له فإذا مرَّ برسول الله ﷺ يقول : إني سأقتلك عليه ، فيقول له رسول الله ﷺ : بل أنا أقتلك إن شاء الله فقتله النبي ﷺ يوم أحد .

ومن ذلك إخباره عن مصارع القتلى يوم بدر كما ورد في الحديث الصحيح أنه جعل يشير قبل الوقعة إلى محلها ويقول : هذا مصرع أبي جهل غداً إن شاء الله ، وهذا مصرع عتبة بن ربيعة وهذا مصرع شيبة بن ربيعة ....

قال : فوالذي بعثه بالحق ماحد أحدٌ منهم عن مكانه الذي أشار إليه رسول الله ﷺ .

ومن ذلك إخباره عن فتح مدائن كسرى وقصور الشام وغيرها من البلاد يوم حفر الخندق لما ضرب بيده الكريمة تلك الصخرة فبرقت من ضربة ثم أخرى ثم أخرى .

ومن ذلك إخباره ﷺ عن ذلك الذراع أنه مسموم فكان كما أخبر به واعترف اليهود بذلك ومات من أكله معه ، بشرُ بن البراء بن معرور .

ومن ذلك ماذكره عبد الرزاق ، عن معمر أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم اللهم نجِّ أصحاب السفينة ثم مكث ساعة ثم قال : قد استمرت وكانت تلك السفينة قد أشرفت على الغرق وفيها الأشعريون الذين قدموا عليه وهو بخيبر .

ومن ذلك إخباره عن قبر أبي رِغَال حين مر عليه وهو ذاهب إلى الطائف وأن معه غصناً من ذهب ، فحفروه فوجدوه ، كما أخبر صلوات الله وسلامه عليه

والحديث رواه أبو داود عن عبد الله بن عمرو .

ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام للأنصار ، لما خطبهم تلك الخطبة مُسلياً لهم عما كان وقع في نفوس بعضهم من الإيثار عليهم في القسمة لما تألّف قلوب من تألف من سادات العرب ورؤوس قريش وغيرهم فقال : أما ترضون أن يذهب الناسُ بالشاة والبعير وتذهبون برسول الله تحوزونه إلى رحالكم ؟ .

وقال : إنكم ستجدون بعدي أثرةً فاصبروا حتى تلقوني على الحوض ، وقال : إن الناس يكثرون وتقل الأنصار : وقال لهم في الخطبة قبل هذه على الصفا : بل المَحْيا محياكم والممات مماتكم وقد وقع جميع ذلك كما أخبر به سواء بسواء .

وروى البخاري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، والذي نفس محمد بيده لتُنقضَنَّ كنوزهما في سبيل الله » ، وقد وقع مصداق ذلك بعده في أيام الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان ، استوثقت هذه الممالك فتحاً على أيدي المسلمين وأنفقت أموال قيصر ملك الروم وكسرى ملك الفرس في سبيل الله .

وفي هذا الحديث بشارة عظيمة للمسلمين وهى أن مُلك فارس قد انقطع فلا عودة له ، وملك الروم للشام قد زال عنها فلا يملكوها بعد ذلك ولله الحمد والمنة .

وفيه دلالة على صحة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ، والشهادة لهم بالعدل حيث أنفقت الأموال المغنومة في زمانهم في سبيل الله على الوجه المرضي الممدوح ، ذكره ابن كثير .

ومن ذلك أيضاً مارواه البخاري عن عدي بن حاتم قال : بينما أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل فقال : ياعدي هل رأيت الحيرة ؟ قلت : لم أرها ، وقد أُنبئت عنها ، قال : فإن طالت بك حياة لترينَّ الظعينة (المرأة) ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة ماتخاف أحداً إلا الله عزوجل قلت : فيما بيني وبين نفسي فأين دُعَّارُ طيئ الذين قد سعروا (أفسدوا) البلاد ؟

ولئن طالت بك حياة لتُفتحن كنوزُ كسرى ، قلت : كسرى بن هرمز ؟ قال : كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه ....

قال عدي فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة فلا تخاف إلا الله عزوجل ، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هُرمز ، ولئن طالت بكم حياة لترونَّ ماقال النبي أبو القاسم ﷺ يخرج الرجل ملء كفه .

ومن ذلك أن النبي ﷺ أرسل لثابت بن قيس من يقول له : إنك لست من أهل النار ولكن من أهل الجنة » رواه البخاري .

وهكذا ثبت في الحديث الصحيح البشارة لعبد الله بن سلام أنه يموت على الإسلام ويكون من أهل الجنة وقد مات رضى الله عنه على أكمل أحواله وأجملها وكان الناس يشهدون له بالجنة في حياته لإخبار الصادق عنه بأنه يموت على الإسلام.

وكذلك وقع وقد ثبت في الصحيح الإخبار عن العشرة بأنهم من أهل الجنة ، بل ثبت أيضاً الإخبار عنه صلوات الله وسلامه عليه بأنه لايدخل النار أحداً بايع تحت الشجرة ، وكانوا ألفاً وأربعمائة وقيل : خمسمائة ، ولم ينقل إن أحداً من هؤلاء رضى الله عنه عاش إلا حميداً ولامات إلا على السَّداد والإستقامة والتوفيق، ولله الحمد والمنة .

وهذا من أعلام النبوات ودلالات الرسالة ومن ذلك إخباره ﷺ عن طاعون عمواس ووقعة الحرة التي كانت في زمن يزيد والإخبار عن خلفاء بني أمية والإشارة إلى دولة عمر بن عبد العزيز والإشارة إلى الإمام الشافعي ومالك ومحمد بن كعب .... ومن طالع القرآن وجد من ذلك الكثير مما أخبربه ﷺ من الكائنات المستقبلة في حياته وبعده ، فوقعت طبق ماأخبربه سواءً بسواء .

وهذا باب عظيم لايمكن استقصاء جميع مافيه لكَثرتها .[1]

---

١ ـ راجع شمائل الرسول لابن كثير ص ٣٥٠ ـ ٣٥٧ .

دلائل النبوة الحسية السماوية منها والأرضية

(١) انشقاق القمر

قال الله تعالى : ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مُستمر ، وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر ، ولقد جاءهم من الأنباء مافيه مُزدجر ، حكمة بالغة فما تغني النذر** ﴾ (القمر : ١ ـ ٥).

وقد اتفق العلماء مع بقية الأئمة على أن انشقاق القمر كان في عهد رسول الله ﷺ وقد وردت الأحاديث بذلك من طرق تفيد القطع عند الأمة .

روى الإمام أحمد عن أنس قال : سأل أهل مكة النبي ﷺ آية فانشق القمر بمكة فرقتين فقال : ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر** ﴾ رواه مسلم .

وروى البخاري عن أنس : « أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما » وقد رآه أهل مكة فرقتين في السماء وظن كثير من جهلتهم أن هذا شئ سُحّرت به أبصارهم فسألوا من قدم عليهم من المسافرين فأخبروهم بنظير ماشاهدوه فعلموا صحة ذلك وتيقنوه .

ولا يقدح في هذه الآية جحود الكفرة فهؤلاء يصدق عليهم قوله تعالى :

﴿ **وإن يروا كل آية لايؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا** ﴾ (الأعراف : ١٤٦) .

(٢) استسقاء النبى ﷺ

وهذا من دلائل نبوته ﷺ فقد استسقى لأمته حين تأخر المطر ، فأجابه سبحانه إلى سؤاله بحيث لم ينزل عن منبره إلا والمطر يتحادر .

روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك : « أن رجلاً دخل المسجد يوم جمعة من باب كان وِجَاه المنبر ، ورسول الله ﷺ قائم يخطب فاستقبل رسول الله ﷺ قائماً فقال : يارسول الله هلكت الأموال وتقطعت السُّبل فادع الله لنا يغيثنا قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال : اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا .

قال أنس : ولا والله مانرى في السماء من سحاب ولاقزعة (القطعة من السحاب) ولاشيئاً ومابيننا وبين سَلْع من بيت ولادار قال : فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت قال : والله مارأينا الشمس ستاً ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله ﷺ قائم يخطب فاستقبله قائماً وقال : يارسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل ادع الله يمسكها : قال فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال : اللهم حوالينا لاعلينا ، اللهم على الآكام والجبال والظراب (الجبال الصغيرة) ومنابت الشجر قال : فأقلعت وخرجنا نمشي في الشمس » .

وطرق الحديث متواترة عن أنس بن مالك تفيد القطع عند أئمة هذا الشأن وقد وقع مثل هذا الإستسقاء في غزوة تبوك في أثناء الطريق .

وروى البخاري عن أنس بن مالك أن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس وقال : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا قال : فيسقون .

(٣) تكثير الماء فى غير ماموطن

عن أنس بن مالك قال : « رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر والتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأُتي رسول الله ﷺ بوضوء فوضع رسول الله يده في ذلك الإناء فأمر الناس أن يتوضأوا منه فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه فتوضأ الناس حتى توضأوا من عند آخرهم » رواه البخاري ومسلم .

وعن البراء بن عازب قال : «كنا يوم الحديبية أربع عشرة مائة ، والحديبية بئر فنزحناها حتى لم نترك فيها قطرة ، فجلس رسول الله ﷺ على شفير البئر فدعا بماء فمضمض ومجَّ في البئر فمكثنا غير بعيد ثم استقينا حتى روينا وروت أوصدرت ركابنا » رواه البخاري .

وعن جابر بن عبد الله قال : « اشتكى أصحاب رسول الله ﷺ إليه العطش قال : فدعا بعُس (القدح الضخم) فصُب فيه شئ من الماء ووضع رسول الله ﷺ يده فيه وقا ل: استقوا فاستسقى الناس قال : فكنت أرى العيون تنبع من بين أصابع رسول الله ﷺ » رواه أحمد .

وعن جابر بن عبد الله قال : « عطش الناس يوم الحديبية والنبي ﷺ بين يديه ركْوة يتوضأ فجهش الناس نحوه قال : مالكم ؟ قالوا : ليس عندنا ماء نتوضأ ولانشرب إلا مابين يديك ، فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون فشر بنا وتوضأنا قلت : كم كنتم ؟ قال : لوكنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة » رواه البخاري ومسلم .

والأحاديث في تكثير الماء ونبعه من بين أصابعه الشريفة متواترة رواها بالإضافة إلى من ذكرنا ابن عباس وابن مسعود وسلمة بن الأكوع وعمران بن حصين وأبو قتادة .

(٤) تكثير الأطعمة فى غير ماموطن

روى البخاري عن أنس بن مالك قال : قال أبو طلحة لأم سُلَيم : لقد سمعت صوت رسول الله ضعيفاً أعرف فيه الجوع ، فهل عندك من شئ ؟ قالت : نعم فأخرجت أقراصاً من شعير ثم أخرجت خمَاراً لها فلفت الخبز ببعضه ثم دسَّته تحت يدي ولا ثتني (غطتني) ببعضه ثم أرسلَني إلى رسول الله ﷺ قال : فذهبت به فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد ومعه الناس ، فقمت عليهم ، فقال رسول الله لمن معه : قوموا، فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته فقال أبوطلحة : ياأم سُلَيم قد جاء رسول الله ﷺ والناس وليس عندنا مانطعمهم

فقالت : بالله ورسوله أعلم فانطلق أبو طلحة حتى لقى رسول الله ﷺ فأقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه فقال رسول الله : هلم ياأم سليم ماعندك فأتت بذلك الخبز فأمر به رسول الله ﷺ ففُتَّ وعصرت أم سليم عكة فأدَمْته ، ثم قال

رسول الله فيه ماشاء الله أن يقول ثم قال : ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال : ائذن لعشرةفأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال : ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال : ائذن لعشرة فأكل القوم كلهم والقوم سبعون أوثمانون رجلاً » رواه البخاري ومسلم .

وقد ورد في حديث أم معبد حَلْبه عليه الصلاة والسلام شاتها وكانت عجفاء لالبن لها فشرب هو وأصحابه وغادر عندها إناء كبيراً من لبن حتى جاء زوجها .

وورد أيضاً في ذكر من كان يخدمه من غير مواليه عليه الصلاة والسلام المقداد بن الأسود حين شرب اللبن الذي كان قد جاء لرسول الله ﷺ ثم قام في الليل ليذبح له شاة فوجد لبنا كثيراً فحلب ماملأ منه إناء كبيراً جداً .

وروى أبوداود عن ابنة حُباب أنها أتت رسول الله ﷺ بشاة فاعتقلها وحلبها فقال : ائتني بأعظم إناء لكم فأتيناه بجفنة العجين ، فحلب فيها حتى ملأها ، ثم قال : اشربوا أنتم وجيرانكم » ، ومن ذلك تكثيره السمن لأم سليم .

وأحاديث تكثير الطعام كثيرة متواترة ، تمت في الحضر والسفر في بيت فاطمة وبيت الصديق وهنا وهناك ورآها الجم الغفير من الخلائق .

روى البخاري عن جابر أن أباه توفي وعليه دَيْن فأتيت النبي ﷺ فقلت : إن أبي ترك عليه ديناً وليس عندي إلا مايُخرج نخلُه ولا يبلغ مايخرج سنين ماعليه فانطلق معي لكيلا يُفْحش عليَّ الغُرماء فمشى حول بَيْدر من بيادر التمر فدعا ثم آخر ثم جلس عليه فقال : انزعوه فأوفاهم الذي لهم وبقى مثل ماأعطاهم .

(٥) إنقياد الشجر لرسول الله ﷺ

روى مسلم عن جابر بن عبد الله قال : سرنا مع النبي ﷺ حتى نزلنا وادياً أفْيحَ فذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته فاتبعته بإداوة من ماء فنظر فلم يرى شيئاً يستتر به ، وإذا شجرتان بشاطئ الوادي فانطلق إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها وقال : انقادي عليَّ بإذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده

حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ بغصن من أغصانها وقا ل : انقادي عليّ بإذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده ، حتى إذا كان بالمنتصف فيما بينهما لأم بينهما ـ يعني جمعهما ـ وقال : إلتئما عليّ بإذن الله فالتأمتا .

قال جابر : فخرجت أُحْضِر مخافة أن يحسّ بقربي فيبتعد فجلست أحدث نفسي فحانت مني لفتة فإذا أنا برسول الله ﷺ مُقْبل وإذا الشجرتان قد افترقتا وقامت كل واحدة منهما على ساق فرأيت رسول الله وقف وقفة وقال برأسه هكذا يميناً وشمالاً

وروى البيهقي عن عمر بن الخطاب أن رسول الله كان على الحجون كئيباً لما آذاه المشركون فقال : «اللهم أرني اليوم آية لا أبالي من كذبني بعدها ، قال فأُمرَ فنادى شجرة من قِبل عقبة المدينة فأقبلت تَخُدّ (تشق) الأرض حتى انتهت إليه ، قال : ثم أمرها فرجعت إلى موضعها قال : فقال : ماأبالي من كذّبني بعدها من قومي » .

وروى الحاكم عن ابن عمر قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فأقبل أعرابي فلما دنا منه قال له رسول الله : أين تريد قال : إلى أهلي قال : هل إلى خير ؟ قال ماهو ؟ قال : تشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمداً عبده ورسوله قال : هل من شاهد على ماتقول ؟ قال : هذه الشجرة فدعاها رسول الله ﷺ وهي على شاطئ الوادي فأقبلت تَخُدّ الأرض خداً فقامت بين يديه ، فاستشهدها ثلاثاً فشهدت أنه كما قال ، ثم إنها رجعت إلى مَنْبتها ورجع الأعرابي إلى قومه فقال : إن يتبعوني أتيتك بهم وإلا رجعت إليك وكنت معك » .

قال ابن كثير : وهذا إسناد جيد .

(٦) حنين الجذع شوقاً إلى رسول الله ﷺ

عن جابر بن عبد الله قال : كان المسجد مسقوفاً على جذوع من نخل ، فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها ، فلما صُنع له المنبر وكان عليه فسمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشَار ، حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليها فسكنت »

رواه البخاري ، وكان سبب تحول النبي ﷺ إلى المنبر كثرة الناس ، فأشار عليه

البعض بذلك حتى تسمع الناس خطبته .

وفي رواية الإمام أحمد : « فمسحه بيده حتى سكن ثم رجع إلى المنبر » .

وفي رواية أبي يعلى : « فلما قعد نبي الله على المنبر خار كخوار الثور ارتجَّ لخواره حزناً على رسول الله فنزل إليه رسول الله من المنبر فالتزمه وهو يخور فلما التزمه سكت ثم قال : والذي نفس محمد بيده لو لم ألتزمه لما زال هكذا حتى يوم القيامة حزناً على رسول الله » صحيح غريب من هذا الوجه ، وفي رواية البزار : « لو لم أحتضنه لحنَّ إلى يوم القيامة » .

، ورواه ابن ماجه بإسناد علي شرط مسلم ، وكان الحسن إذا حدث بهذا الحديث بكى ثم قال : ياعباد الله الخشبة تحنُّ إلى رسول الله شوقاً إليه لمكانه من الله ، فأنتم أحقُّ أن تشتاقوا إلى لقائه .

وروى البخاري عن جابربن عبد الله : أن رسول الله ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة فقالت امرأة من الأنصار : يارسول الله ألا تجعل لك منبراً ؟

قال : إن شئتم ، فجعلوا له منبراً فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر ، فصاحت النخلة صياح الصبي ، ثم نزل النبي ﷺ فضمها إليه تئن أنين الصبي الذي يُسكَّن

قال : كانت تبكي على ماكانت تسمع من الذكر عندها ، وهذه الطرق من هذه الوجوه تفيد القطع بوقوع ذلك عند أئمة الحديث وكلها من دلائل نبوته ﷺ .

(٧) تسبيح الحصى فى كفه عليه الصلاة والسلام

عن جابر بن سَمرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليَّ قبل أن أبعث ، إني لأعرفه الآن » رواه أحمد .

وعن علي بن أبي طالب قال : « كنت مع النبي ﷺ بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبل ولاشجر إلا قال : السلام عليك يارسول الله » رواه الترمذي وقال : هذا الحديث حسن غريب .

وروى أبو نُعيم عن علي قال : خرجت مع رسول الله ﷺ فجعل لايمر على شجر ولاحجر إلا سلم عليه ، ولما رجع ﷺ وقد أوحى إليه جعل لا يمر بحجر ولا شجر ولا مَدَر ولا شئ إلا قال له : السلام عليك يارسول الله ، وفي وقعة بدر ووقعة حنين أخذ ﷺ بقبضة من تراب ، وأمر أصحابه أن يتبعوها بالحملة الصادقة فيكون النصر والظفر والتأييد عقب ذلك سريعاً .

ومن ذلك قوله ﷺ لعمه وبنيه تقاربوا تقاربوا يزحف بعضكم إلى بعض حتى إذا أمكنوه اشتمل عليهم بملاءَته وقال : « يارب هذا عمي وصنْوأ بي وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كستري إياهم بملاءتي هذه ، فأمنت اسكُفة الباب وحوائط البيت فقالت آمين آمين آمين » رواه البيهقي .

وروى البخاري عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل ، والروايات في هذا المعنى أيضاً كثيرة .

(٨) مايتعلق بالحيوانات من دلائل النبوة

(أ) سجود البعير له ﷺ

روى الإمام أحمد عن عائشة : « أن رسول الله ﷺ كان في نفر من المهاجرين والأنصار فجاء بعير فسجد له فقال أصحابه : يارسول الله تسجد لك البهائم والشجر فنحن أحق أن نسجد لك فقال : اعبدوا ربكم وأكرموا أخاكم ولو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ، ولو أمرها أن تنقل من جبل أصفر إلى جبل أسود ومن جبل أسود إلى جبل أبيض كان ينبغى لها أن لا تفعله » رواه أحمد بإسناد على شرط السنن .

، وفي رواية أحمد ومسلم وقال : «من صاحب الجمل ؟ فجاء فتى من الأنصار قال هو لي يارسول الله فقال : أما تتقي الله في هذه البهيمة التي ملككها الله لك ؟ إنه شكا إليّ أنك تُجيعه وتُدْئبه (تتعبه) » .

وفي حديث يعلى بن سائبة : وجاء بعير فضرب بجرأته إلى الأرض ثم جرجر

حتى ابتلّ ماحوله ، فقال رسول الله ﷺ : « أتدرون ماذا يقول البعير أنه يزعم أن صاحبه يريد نحره » رواه أحمد .

وفي رواية أخرى فسأل النبي ﷺ صاحبه : ماشأن جملك هذا ؟ قال : لاأدري والله ماشأنه عملنا عليه ونضحنا عليه حتى عجز عن السقاية فائتمرنا البارحة أن ننحره ونقسم لحمه فقال رسول الله ﷺ تبيعونيه ؟ قالوا : يارسول الله هو لك. قال : فأحسنوا إليه حتي يأتيه أجله .

(ب) قصة الذئب وشهادته بالرسالة

روى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري قال : « عدا الذئب على شاة فأخذها فطلبه الراعي فانتزعها منه ، فأقعى الذئب على ذنبه فقال : ألا تتقي الله ؟ تنزع مني رزقاً ساقه الله إليّ ؟ فقال : « ياعجبي ذئب يُقعي على ذنبه يكلمني كلام الإنس ! فقال الذئب : ألا أخبرك بأعجب من ذلك محمد ﷺ بيثرب يخبر الناس بأنباء ماقد سبق .

قال : فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزواها إلى زاوية من زوايا ها ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره فأمر رسول الله فنودي : الصلاة جامعة ثم خرج فقال للراعي : أخبرهم فأخبرهم فقال رسول الله ﷺ. صدق والذي نفس محمد بيده لاتقوم الساعة حتى يكلم السباعُ الإنس ويكلم الرجل عَذبةُ سوطه ، وشراك نعله ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده » صححه البيهقي ، وقال ابن كثير هذا إسناد على شرط الصحيح .

وفي بعض الروايات فقال الذئب : أعجب من هذا رجل في النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضى وماهو كائن بعدكم وكان الرجل يهودياً فجاء إلى النبي ﷺ فأسلم وخبَّره فصدقه النبي ﷺ .

ثم قال رسول الله : « إنها أمارة من أمارات بين يدي الساعة قد أوشك الرجل أن يخرج فلا يرجع حتى تحدثه نعلاه وسوطه بما أحدثه أهله بعده » رواه أحمد ، وهو

على شرط السنن .

(جـ) قصة الوحش الذي كان في بيت النبي ﷺ

روى الإمام أحمد عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت : كان لآلي رسول الله ﷺ وحش فإذا خرج رسول الله لعب واشتد ، وأقبل وأدبر فإذا أحس برسول الله ﷺ قد دخل ربض فلم يترمرم مادام رسول الله ﷺ في البيت كراهية أن يؤذيه » قال ابن كثير هذا الإسناد على شرط الصحيح .

(د) قصة الأسد مع سفينة

ذكر عبد الرزاق : أن سفينة مولى رسول الله ﷺ أخطأ الجيش بأرض الروم أو أُسر في أرض الروم فانطلق هارباً يلتمس الجيش فإذا هو بالأسد ، فقال : ياأبا الحارث إني مولى رسول الله ﷺ كان من أمري كيت وكيت : فأقبل الأسد يبصبصه حتى قام إلى جنبه ، كلما سمع صوته أهوى إليه ثم أقبل يمشي إلى جنبه فلم يزل كذلك حتى أبلغه الجيش ثم رجع الأسد عنه » رواه البيهقي .

كرامات معدودة من المعجزات
لأن كل ماثبت لولي فهو معجز لنبيه

(١)روى البيهقي عن معاوية بن حرمل قال : خرجت نار بالحرة فجاء عمر إلى تميم الداري فقال : قم إلى هذه النار ، قال : ياأميرالمؤمنين ومن أنا وما أنا ؟ قال : فلم يزل به حتى قام معه قال : وتبعتهما ، فانطلقا إلى النار ، فجعل تميم يحوشها بيديه حتى دخلت الشعب ودخل تميم خلفها ، قال فجعل عمر يقول : ليس من رأى كمن لم ير قالها ثلاثاً .

(٢) عن أبي سيرة النخعي قال : أقبل رجل من اليمن فلما كان ببعض الطريق نفق حماره ، فقام فتوضأ ثم صلى ركعتين ثم قال : اللهم إني جئت من الدفينة مجاهداً في سبيلك وابتغاء مرضاتك وأنا أشهد أنك تحيي الموتى وتبعث من في القبور لاتجعل لأحد عليَّ اليوم مِنةً أطلب إليك اليوم أن تبعث حماري فقام الحمار

ينفض أذنيه » قال البيهقي : هذا إسناد صحيح .

(٣) روى البيهقي أن أبا مسلم الخولاني جاء إلى دجلة وهي ترمي بالخشب من مدها فمشى على الماء والتفت إلى اصحابه وقال : هل تفقدون من متاعكم شيئاً فندعوا الله عزوجل ؟ .

قال البيهقي : هذا إسناد صحيح ، قال ابن كثير : وقد ذكرنا قصةأبو مسلم الخولاني واسمه عبد الله بن ثوب مع الأسود العنسي حين ألقاه في النار فكانت عليه برداً وسلاماً كما كانت على الخليل إبراهيم عليه السلام .

(٤)روى البيهقي أن زيد بن خارجةالأنصاري ثم من بني الحارث بن الخزرج توفي زمن عثمان بن عفان فسجُيّ بثوبه ثم إنهم سمعوا جلجلة في صدره ثم تكلم ثم قال : أحمد في الكتاب الأول صدق أبو بكر الصديق الضعيف في نفسه القوي في أمر الله في الكتاب الأول صدق عمر بن الخطاب القوي الأمين في الكتاب الأول ، صدق ، عثمان بن عفان على منهاجهم مضت أربع وبقيت ثنتان أتت بالفتن ، وأكل الشديد الضعيف وقامت الساعة وسيأتيكم عن جيشكم خبر بئر أريس ومابئر أريس . قال يحيى : قال سعيد : ثم هلك رجل من بني خطمه فسجيّ بثوبه فسُمع جلجلة في صدره ثم تكلم فقال : إن أخابني الحارث بن الخزرج صدق صدق » رواه البيهقي وقال : هذا إسناد صحيح له شواهد .

(٥) روى البيهقي عن أنس قال : أدركت في هذه الأمة ثلاثاً لو كانت في بني إسرائيل لما تقاسمها الأمم : قلنا ماهي ياأباحمزة ؟ قال : كنا في القُّصة عندرسول الله ﷺ فأتته امرأة مهاجرة ومعها ابن لها قد بلغ فأضاف المرأة إلى النساء وأضاف ابنها إلينا فلم يلبث أن أصابه وباء المدينة فمرض أياماً ثم قبض فضمه النبي ﷺ وأمر بجهازه فلماأردنا أن نغسله قال : ياأنس أئت أمه فاعلمها فأعلمتها قال : فجاءت حتى جلست عند قدميه فأخذت بهما ثم قالت : اللهم إني اسلمت لك طوعاً وخالفت الأوثان زهداً وهاجرت لك رغبة اللهم لاتشمت بي عبدة الأوثان

ولاتحملني من هذه المصيبة مالاطاقة لي بحملها .

قال : فوالله ماتقضي كلامها حتى حرك قدميه وألقى الثوب عن وجهه وعاش حتى قبض الله رسول الله ﷺ وحتى هلكت أمه قال : ثم جهز عمر بن الخطاب جيشاً واستعمل عليهم العلاء بن الحضرمي . قال أنس : وكنت في غزاته فأتينا مغازينا فوجدنا القوم قد بدَروا بنا فعفَّوا آثار الماءوالحر شديد فجهدنا العطش ، ودوا بنا وذلك يوم الجمعة فلما مالت الشمس لغروبها صلى بنا ركعتين ثم مد يده إلى السماء ومانرى في السماء شيئاً قال : فوالله ماحط يده حتى بعث الله ريحا وأنشأ سحاباً وأفرغت حتى ملأت الغُدُر والشِّعاب فشربناوسقينا ركابنا واستقينا ثم أتينا عدونا وقد جاوزا خليجاً في البحر إلى جزيرة فوقف على الخليج وقال ياعليّ ياعظيم ياحليم ياكريم ثم قال:

أجيزوا بسم الله قال : فأجزنا مايبل الماء حوافر دوابنا فلم نلبث إلا يسيراً فأصبنا العدو عليه فقتلنا وأسرنا وسبينا ثم أتينا الخليج فقال مثل مقالته ، فأجزنا مايبل الماء حوافر دوابنا قال : فلم نلبث إلا يسيراً حتى رُمِي في جنازته .

قال : فحفرنا له وغسلناه ودفناه فأتى رجل بعد فراغنا من دفنه فقال : من هذا ؟ فقلنا : هذا خيرالبشر هذا ابن الحضرمي فقال : إن هذه الأرض تلفظ الموتى فلو نقلتموه إلى ميل أو ميلين إلى أرض تقبل الموتى فقلنا : ماجزاء صاحبنا أن نعرضه للسباع تأكله ، قال : فاجتمعنا على نشبه فلما وصلنا إلى اللحد إذا صاحبنا ليس فيه وإذا اللحد مدَّ البصر نور يتلألأ قال : فأعدنا التراب إلى اللحد ثم ارتحلنا .

معجزات دعوات النبي ﷺ

فمن ذلك دعاءه ﷺ لأهل المدينة أن يُذهب حُماها إلى الجُحْفة ، فاستجاب الله له ذلك ، فإن المدينة كانت من أوبأ أرض الله فصححها الله ببركة حلوله بها ودعائه لأهلها صلوات الله وسلامه عليه ،

وفي الصحيح أنه قال لأبي هريرة وجماعته : من يبسط رداءه اليوم فإنه لاينسى

شيئاً من مقالتي وقال أبو هريرة : فبسطته فلم أنس شيئاً من مقالته تلك .

وروى البيهقي أنه دعا لعمه أبي طالب في مَرْضة مرضها ، وطلب من رسول الله ﷺ أن يدعو له ربه فدعا له فبرأ من ساعته .

وثبت في الصحيحين أن جابر بن عبد الله كان يسير على جمل قد أعيا ، فأراد أن يسيّبه (يتركه ولا يركبه) قال : فلحقني رسول الله ﷺ فضربه ودعا لي ، فسار سيراً لم يَسير مثله .

وفي رواية : فما زال بين يدي الإبل قدامها حتى كنت أحبس خطامه فلا أقدر عليه فقال : كيف ترى جملك ؟ فقلت : قد أصابته بركتك يارسول الله .

وثبت في الصحيحين عن ابن عباس قال : أتي رسول الله ﷺ الخلاء فوضعت له وضوءاً فلما خرج قا ل: من صنع هذا ؟ قالوا : ابن عباس ، قال : اللهم فقهه في الدين » فكان ابن عباس إماماً يُهتدى بهداه ويقتدى بسَناه في علوم الشريعة ، ولاسيما في علم التأويل وهو التفسير ، فإنه انتهت إليه علوم الصحابة قبله .

وثبت في الصحيح أنه عليه السلام دعا لأنس بن مالك بكثرة المال والولد .

وفي رواية : أنه ﷺ قال : اللهم أطلْ عمره ، فعمرمائة .

وفي الصحيح أنه وُلد لصُلبه قريبٌ من مائة أو ماينيف عليها ، وكان له بستان يحمل في السنة فاكهة مرتين ، وقد دعا ﷺ لأم سُلَيم ولأبي طلحة في غابر ليلتهما فولدت له غلاماً سماه رسول الله ﷺ عبد الله ، فجاء من صُلبه تسعة كلهم قد حفظ القرآن (ثبت ذلك في الصحيح) .

وثبت في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أنه سأل رسول الله ﷺ أن يدعو لأمّه فيهديها الله فدعا لها ، فذهب أبو هريرة فوجد أمه تغتسل خلف الباب فلما فرغت قالت : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، فجعل أبو هريرة يبكي من الفرح ثم ذهب فأعلم بذلك رسول الله وسأل منه أن يدعو لهما أن يحببهما الله إلى عباده المؤمنين فدعا لهما ، فحصل ذلك .

قال أبو هريرة : فليس مؤمن ولا مؤمنة إلا هو يحبنا .

وثبت في صحيح البخاري وغيره أنه ﷺ دعا للسائب بن يزيد ومسح بيده على رأسه فطال عمره حتى بلغ أربعاً وتسعين سنة وهو تام القامة معتدل ، ولم يَشيبْ منه موضعٌ أصابت يدُ رسول الله ﷺ ومُتِّع بحواسه وقواه .

وثبت في الصحيحين أنه عليه الصلاة والسلام دعا لعبد الرحمن بن عوف بالبركة حين رأى عليه ذلك الدرع من الزعفران لأجل العُرس فاستجاب الله لرسوله ﷺ ففُتح له في المتجر والمغانم حتى حصل له مال جزيل بحيث أنه لما مات صولحت امرأة من نسائه الأربع عن ربع الثمن على ثمانين ألفاً .

وورد عن سلمة بن الأكوع ، أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله فقال له : كل بيمينك ، قال : لا أستطيع قال : لا استطعت مايمنعه إلا الكِبْر قال : فما رفعها إلى فيه » رواه مسلم .

وثبت عن أنس بن مالك قال : كان منا رجل من بني النجار قد قرأ البقرة وآل عمران ، وكان يكتب لرسول الله ﷺ ، فانطلق هارباً حتى لحق بأهل الكتاب قال فرفعوه وقالوا : هذا كان يكتب لمحمد ، وأعجبوا به ، فما لبث أن قصم الله عنقه فيهم ، فحفروا له فواروه ، فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها ، ثم عادوا فحفروا له وواروه ، فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها فتركوه منبوذاً »
رواه مسلم .

ودعا على أولئك النفر السبعة ، حين طرحوا على ظهره ﷺ سلا الجزور ، قال ابن مسعود : فوالذي بعثه بالحق لقد رأيتهم صرعى في القليب قليب بدر . الحديث وهو متفق عليه .

معجزات لرسول الله مماثلة لمعجزات جماعة من الأنبياء قبله وأعلى منها

فمن ذلك القرآن الكريم الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، فإنه معجزة مستمرة على الآباد ولايخفى برهانها وقد تحدى به الثقلين من الجن والإنس على أن يأتوا بمثله أو بعشر سور أو بسورة من مثله فعجزوا عن ذلك.

وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال مامن نبي إلا وقد أوتي من الآيات ماآمن على مثله البشر ، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إليّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة » متفق عليه .

والمعنى أنه كل نبي أوتي من خوارق المعجزات مايقتضي إيمان من رأى ذلك من أولي البصائر والنهى ، لامن أهل العناد والشقاء ، وإنما كان الذي أوتيته ، أي جُلُّه وأعظمه وأبهره ، القرآن الذي أوحاه الله إليّ ، فإنه لايبيد ولا يذهب كما ذهبت معجزات الأنبياء وانقضت بانقضاء أيامهم فلا تشاهد ، بل يخبر عنها بالتواتر والآحاد بخلاف القرآن العظيم الذي أوحاه الله إليه فإنه معجزة متواترة عنه ، مستمرة دائمة البقاء بعده مسموعة لكل من ألقى السمع وهو شهيد .

وقد اختص الله نبيه ﷺ عن بقية إخوانه من الأنبياء بعدة خصائص :

فقد روى جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ :

«أعطيت خمساً لم يُعطهن أحدٌ قبلي : نُصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلّ ، وأحلت لي الغنائم ولم تحلّ لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلي قومه ، وبعثت إلى الناس عامة » متفق عليه .

وقد ذكر غير واحد من العلماء أن كل معجزة لنبي من الأنبياء فهي معجزة لخاتمهم محمد ﷺ وذلك أن كلاً منهم بشّر بمبعثه ، وأمر بمتابعته .

كما قال تعالى: ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا ، قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ، فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون** ﴾ (آل عمران : ٨١ ـ ٨٢) .

وقد ذكر البخاري وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : مابعث الله نبياً من الأنبياء إلا وأخذ عليه العهد والميثاق لئن بُعث محمد وهو حي ليؤمنن به وليتبعنه ولينصرنه .

وذكر غير واحد من العلماء أن كرامات الأولياء معجزات للأنبياء ، لأن الولي إنما نال ذلك بكرامة متابعته لنبيه وثواب إيمانه ، وقد ذكر الشافعي ، أنه ما أعطى الله نبياً مثل ماأعطى محمداً ﷺ .

ماأوتى نوح عليه السلام

ونحن لو تتبعنا معجزات الأنبياء تفصيلياً ونظرنا في معجزات رسول الله ﷺ التي ذكرناها إجمالاً لوجدنا مصداق ماأخبر عنه الإمام الشافعي فمن ذلك نجاة نوح في السفينة بالمؤمنين وقد مشى كثير من الأولياء على متن الماء ، وفي قصة العلاء بن الحضرمي مايدل على ذلك .

روى منْجَاب قال : غزونا مع العلاء بن الحضرمي دارين ، فدعا بثلاث دعوات فاستجيبت له ، فنزلنا منزلاً فطلب الماء فلم يجده ، فقام وصلى ركعتين وقال : اللهم إنا عبيدك وفي سبيلك نقاتل عدوك ، اللهم اسقنا غيثاً نتوضأ به ونشرب ، ولا يكون لأحد فيه نصيب غيرنا ، فسرنا قليلاً فإذا نحن بماء حين أقلعت السماء عنه ، فتوضأنا منه وتزودنا وملأت إدواتي وتركتها مكانها حتى أنظر هل استجيب له أم لا فسرنا قليلاً ثم قلت لأصحابي : نسيت إدواتي فرجعت إلي ذلك المكان فكأنه لم يصبه ماء قط ، ثم سرنا حتى أتينا دارين والبحر بيننا وبينهم .

فقال : ياعليّ ياحكيم ، إنا عبيدك وفي سبيلك ، نقاتل عدوك اللهم فاجعل

إليهم سبيلاً ، فدخلنا البحر فلم يبلغ الماء لبودنا (مايوضع تحت السرج) ومشينا على متن الماء ولم يبتل لنا شئ . فهذا أبلغ من ركوب السفينة ، وأبلغ من فلق البحر لموسى . وهذه القصة ذكرها البخاري في التاريخ الكبير كما ذكرها البيهقي .

وقد حدث مثل ذلك مع أبي مسلم الخولاني وغيره ، فهذه الكرامات لهؤلاء الأولياء هي معجزات لرسول الله ﷺ ، لأنهم إنما نالوها ببركة متابعته ﷺ وقد أجاب الله دعاء نبيه نوح في إهلاك من كفر به .

وكذلك نبينا ﷺ لما كذبه قومه وبالغوا في أذيته رفع يديه فقال : اللهم عليك بالملأ من قريش ، ثم سمى فقال : اللهم عليك بأبي جهل وعتبة وشيبة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط وعمارة بن الوليد ، قال عبد الله بن مسعود فوالذي بعثه بالحق لقد رأيتهم صرعى يوم بدر ثم سُحبوا إلى القليب قليب بدر .

وكذلك لما أقبلت قريش يوم بدر في عددها وعديدها فرفع النبي ﷺ يديه : اللهم هذه قريش جاءتك بفخرها وخُيلائها تجادل وتكذب رسولك ، اللهم أحنْهم (أهلكهم) الغداة فقُتل من سراتهم سبعون وأُسر من أشرافهم سبعون ، ولو شاء الله لاستأصلهم ، ولكن الله أبقى منهم من سيؤمن به وبرسوله ﷺ.

وقد دعا على عقبة بن أبي لهب أن يسلط عليه كلبه بالشام فقتله الأسد عند وادي الزرقاء قبل مدينة بُصرى ، كما دعا على قريش بسبع كسبع يوسف فقطعوا حتى أكلوا العلهز (وهو الدم بالوبر) ، وأكلوا العظام وكل شئ ثم توصلوا إلي تراحمه وشفقته ورأفته ، فدعا لهم ففرج الله عنهم وسُقوا الغيث ببركة دعائه .

وقد ذكر العلماء أن قوم نوح لما بلغوا من أذيته والإستخفاف به ، وترك الإيمان بما جاءهم به من عند الله ، دعا عليهم فقال : ﴿ **رب لاتذر على الأرض من الكافرين ديّاراً** ﴾(نوح : ٢٦) فاستجاب الله دعوته ، وغرق قومه ، حتى لم يسلم شئ من الحيوانات والدواب إلا من ركب السفينة .

أما بالنسبة لرسول الله ﷺ فقد روت أم المؤمنين عائشة في قصة ذهابه ﷺ إلى

الطائف ، فدعاهم فآذوه فرجع وهو مهموم فلما كان عند قرن الثعالب ناداه ملك الجبال فقال :

« يامحمد إن ربك قد سمع قول قومك وماردوا عليك ، وقد أرسلني إليك لأفعل ماتأمرني به ، فإن شئت أطبقت عليهم الأخشبين - يعني جبلي مكة ، أبو قبيس وثور - فقال : بل أستأني بهم لعل الله يُخرج من أصلابهم من لايشرك بالله شيئاً » وهذا أحسن .

وقد ذكرنا أحاديث الإستسقاء في غير ماموضع للجدب والعطش فيجاب كما يريد على قدر الحاجة المائية ، ولاأزيد ولاأنقص ، وهذا أبلغ في المعجزة ، وأيضاً فإن هذا ماء رحمة ونعمة ، وماء الطوفان ماء غضب ونقمة .

وقد لبث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ، فبلغ جميع من آمن به رجالاً ونساء الذين ركبوا معه سفينته دون مائة نفس ، وآمن بنبينا ﷺ في مدة عشرين سنة - الناس شرقاً وغرباً ودانت له جبابرة الأرض وملوكها ، وخافت زوال ملكهم ككسرى وقيصر ، وأسلم النجاشي والأقيال رغبة في دين الله ، والتزم من لم يؤمن به من عظماء الأرض الجزية ، فذلوا له منقادين ، لما أيده الله به من الرعب الذي يسير بين يديه شهراً ، وفتح الفتوح ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً .

كما قال الله تعالى: ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجاً** ﴾ (النصر : ٢) .

وتوفي رسول الله عن مائة ألف صحابي أو يزيدون ، ومات وقد فتح الله له المدينة وخيبر ومكة وأكثر اليمن وحضرموت وحدث ماأخبرعنه رسول الله ﷺ حين قال :

« زويت لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وسيبلغ مُلك أمتي مازوي لي منها » وقا ل : « إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده والذي نفسي بيده لتُنفقن كنوزهما في سبيل الله »وكذا وقع سواء بسواء فقد

استولت الممالك الإسلامية على ملك كسرى وقيصر وبلاد المشرق ، وإلى أقصى بلاد المغرب إلى أن قُتل عثمان رضى الله عنه سنة ٣٦ هـ .

فكما عمت جميع أهل الأرض النقمة بدعوة نوح عليه السلام كذلك عمت جميع أهل الأرض بركة رسالة محمد ﷺ ودعوته فآمن من آمن من الناس وقامت الحجة على من كفر منهم ، كما قال الله تعالى : ﴿ **وماأرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ (الأنبياء : ١٠٧) وكما قال ﷺ:« إنما أنا رحمة مهداة » وقال تعالى : ﴿ **ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار**﴾ (إبراهيم : ٢٨) .

قال ابن عباس : النعمة محمد ، والذين بدلوا نعمة الله كفراً كفار قريش - يعني - وكذلك كل من كذب به من سائر الناس - كما قال:﴿ **ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده**﴾ (هود : ١٧) .

قال أبونعيم : فإن قيل سمى نوحاً عليه السلام باسم من أسمائه الحسنى فقال : ﴿ **إنه كان عبداً شكوراً** ﴾(الإسراء : ٣) قلنا : وقد سمى الله محمداً ﷺ بإسمين من أسمائه فقال : ﴿ **بالمؤمنين رءوف رحيم** ﴾ (التوبة : ١٣٨) قال : وقد خاطب الله أنبياء بأسمائهم : يانوح ، ياإبراهيم، ياموسى ، ياداود ، ياعيسى ، يايحيى ، يامريم وقال مخاطباً لمحمد ﷺ:﴿ **ياأيها الرسول** ﴾ (المائدة : ٤١)﴿ **ياأيها النبى**﴾ (الأحزاب : ٢٨)﴿ **ياأيها المزمل** ﴾ (المزمل : ١)﴿ **ياأيها المدثر** ﴾ (المدثر : ١).

وذلك قائم مقام الكنية بصفة الشرف ولما نسب المشركون أنبيائهم إلى السفه والجنون ، كلٌ أجاب عن نفسه.

قال نوح:﴿ **ياقوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين** ﴾ .

وأما محمد ﷺ فإن الله تعالى هو الذي يتولى جوابهم عنه بنفسه الكريمة كما قال تعالى : ﴿ **وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلاً ، قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض إنه كان غفوراً رحيماً** ﴾ . ﴿ **أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ، قل تربصوا فإنى معكم من المتربصين**﴾ (الفرقان : ٥، ٦) .

قال تعالى : ﴿ **ن ، والقلم ومايسطرون ماأنت بنعمة ربك بمجنون ، وإن لك لأجراً غير ممنون ،وإنك لعلى خُلق عظيم** ﴾(القلم : ١ ،٢ ،٣) .

وقال تعالى : ﴿ **ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر ، لسان الذى يُلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربى مبين** ﴾ (النحل : ١٠٣) .

القول فيما أوتي إبراهيم الخليل عليه السلام

كانت النار برداً وسلاماً على إبراهيم وقد خمدت لنبينا ﷺ نارُ فـارس ، لما ولد ﷺ وبينه وبين بعثته أربعون سنة وخمدت نار إبراهيم لمباشرته لها ، وخمدت نار فارس لنبينا ﷺ وبينه وبينها مسافة أشهر كما قال الزملكاني .

وقد ألقى بعض هذه الأمة في النار فلم تؤثر فيهم ببركة نبينا ﷺ منهم أبو مسلم الخولاني ، الذي امتحنه الأسود العنسي باليمن وأمر بنارفأججت وعظيمة فأججت فطُرح فيها أبو مسلم فلم تضره ، وقدم المدينة بعد وفاة الرسول ﷺ فقبل عمر مابين عينيه ثم جاء به حتى أجلسه بينه وبين أبي بكر الصديق وقال : الحمد لله الذي لم يُمتني حتى أراني في أمة محمد ﷺ من فُعل به كما فُعل بإبراهيم خليل الرحمن عليه السلام .

قال إسماعيل بن عياش : فأنا أدركت رجالاً من الأمداد الذين يُمدُّون إلينا من اليمن من خَوْلان ، ربما تمازحوا فيقول الخولانيون للعنسيين : صاحبكم الكذاب حرق صاحبنا بالنار ولم تضره .

وأما إلقاء نبي الله ابراهيم من المنجنيق فقد وقع في حديث البراء بن مالك في وقعة مسيلمة الكذاب ، وأن أصحاب مسيلمة انتهوا إلى حائط صغير فتحصنوا به وأغلقوا الباب ، فقال البراء بن مالك : ضعوني على بُرْش واحملوني على رؤوس الرماح ثم ألقوني من أعلاها داخل الباب ، ففعلوا ذلك وألقوه عليهم فوقع وقام وقاتل المشركين وقتل مسيلمة .

وإن قيل فإن ابراهيم اختص بالخُلَّة مع النبوة ، قيل : فقد اتخذ الله محمداً

خليلاً وحبيباً .

وقد ورد عن عبد الله بن مسعود ، عن رسول الله ﷺ قال : « لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكنه أخي وصاحبي وقد اتخذ الله صاحبكم خليلاً » رواه مسلم .

وقال ﷺ قبل أن يموت بخمس : «إني أبرأ إلى الله عزوجل أن يكون لي بينكم خليل ، فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ ابراهيم خليلاً ، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً » رواه مسلم .

وقد قال تعالى عن نبيه ابراهيم : ﴿ **وكذلك نُرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين** ﴾ (الأنعام : ٧٥) وقال تعالى عن حبيبه محمد :

﴿ **فكان قاب قوسين أو أدنى** ﴾ .

وقال الخليل : ﴿ **والذى أطمع أن يغفرلى خطيئتى يوم الدين** ﴾(الشعراء : ٨٢) .

وقال الله للحبيب محمد ﷺ : ﴿**ليغفرلك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر** ﴾(الفتح : ٢)

وقال الخليل : ﴿ **ولاتخزني يوم يبعثون** ﴾ (الشعراء : ٨٧) .

وقال الله للنبي : ﴿ **يوم لايُخزي الله النبى والذين آمنوا معه** ﴾ (التحريم : ٨) .

وقال الخليل حين ألقي في النار : ﴿ **حسبنا الله ونعم الوكيل** ﴾(آل عمران : ٧٣) .

وقال الله لمحمد : ﴿ **ياأيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين** ﴾(الأنفال : ٦٤)

وقال الخليل : ﴿ **واجعل لى لسان صدق فى الآخرين** ﴾ (الشعراء : ٨٤) .

وقال الله لمحمد : ﴿ **ورفعنا لك ذكرك** ﴾ (الشرح : ٤) .

وقال الخليل : ﴿ **واجعلني من ورثة جنة النعيم** ﴾ (الشعراء : ٨٥) .

وقال الله لمحمد : ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾ .

وعن أبي بن كعب أن رسول الله ﷺ قال : « إني سأقوم مقاماً يوم القيامة يرغب إليَّ الخلقُ كلهم حتى أبوهم إبراهيم الخليل » رواه مسلم .

وقد حجب إبراهيم عليه السلام عن نمرود وكذلك حُجب محمد ﷺ عمن

أرادوا قتله كأم جميل امرأة أبي لهب وأبي جهل وسراقة بن مالك وخرج سالماً يوم الهجرة من بين ظهراني المشركين رغم ترصدهم له .

وقد ألقي إبراهيم في النار فجعلها الله برداً وسلاماً ، وكذلك النبي ﷺ لما نزل بخيبر سمته الخيبرية ، وأخبر ذراع الشاة رسول الله ﷺ بما أودع فيه من السم وكان قد نهس منه نهسة ، وكان السم فيه أكثر فصيّر الله ذلك السم في جوفه برداً وسلاماً إلى منتهى أجله ، وقد مات بشر بن البراء بن معرور سريعاً من تلك الشاة المسمومة

وقد أظهر الله حجة ابراهيم عندما خصم نمرود ببرهان نبوته فبهته قال تعالى : ﴿ **فبهت الذى كفر** ﴾(البقرة : ٢٥٨) وكذلك محمد ﷺ أتاه الكذاب بالبعث ، أبي بن خلف بعظم بال ففركه وقال:﴿ **من يحى العظام وهى رميم** ﴾ فأنزل الله تعالى البرهان الساطع ﴿ **قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم** ﴾(يس : ٧٩) . فانصرف مبهوتاً ببرهان نبوته .

وقد قتله النبي ﷺ بيد ه الكريمة ـ يوم أحد ـ طعنه بحربة فأصاب ترقوته فتردى عن فرسه مراراً فقالوا له : ويحك مالك؟ فقال والله إن بي لما لو كان بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعين : ألم يقل : بل أنا أقتله ؟ والله لو بصق عليَّ لقتلني .

وكان هذا لعنه الله قد أعد فرساً وحربة ليقتل بها رسول الله ﷺ فقال : بل أنا أقتله إن شاء الله ، فكان كذلك يوم أحد .

ومن المعلوم أن ابراهيم عليه السلام كسر أصنام قومه غضباً لله ، وكذلك فإن رسول الله كسر ثلاثمائة وستين صنماً ، كان كلما دنا منها بمخصَرته تهوي من غير أن يمسها ويقول : « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوَقاً » .

وقد ذكر غير واحد من علماء السير أن الأصنام تساقطت أيضاً لمولده الكريم وخمدت نار فارس التي كانوا يعبدونها ليلتئذ ، وأما إحياء الطيور الأربعة لإبراهيم عليه السلام ، فإن إحياء الأموات بدعوات أمته ، وحنين الجذع وتسليم الحجر والشجر والمدر على النبي ﷺ وتكليم الذراع له ماهو أعظم من ذلك .

وأما قوله تعالى : ﴿ **وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين** ﴾ فإن رسول الله ﷺ قد أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم عُرج به إلى السماء السابعة ثم إلى حيث ماشاء ربنا من العُلى وأراه من آياته الكبرى فصلوات الله وسلامه على نبيه في الآخرة والأولى:﴿ **سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير** ﴾ (الإسراء : ١) .

القول فيما أوتي موسى عليه السلام من الآيات البينات

وأعظمهن تسع آيات كما قال تعالى : ﴿ **ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات** ﴾ (الإسراء : ١٠١) والجمهور على أنها هى العصا في انقلابها حية تسعى ، واليد إذا أدخل يده في جيب درعه أخرجها تضيء كقطعة قمر يتلألأ إضاءة ، ودعاؤه على قوم فرعون حين كذبوه فأرسل عليهم الطوفان والجراد والقُمَّل والضفادع والدم آيات مفصلات ، وكذلك أخذهم الله بالسنين ، وهى نقص الحبوب ، وبالجدب وهو نقص الثمار ، وبالموت الذريع وهونقص الأنفس ، وهو الطوفان في قول ، ومنها فلق البحر لإنجاء بني إسرائيل وإغراق آل فرعون ، ومنها تضليل بني إسرائيل في التيه ، وإنزال المن والسلوى عليهم واستسقاؤه لهم ، فجعل الله ماءهم يخرج من حجر يُحمل معهم على دابة ، له أربعة وجوه ، إذا ضربه موسى بعصاه يخرج من كل وجه ثلاثة أعين لكل سِبْط عين ، ثم يضربه فينقلع ، إلى غيرذلك من الآيات الباهرات .

وقيل كل من عبد العجل أماتهم ثم أحياهم الله تعالى، وقصة البقرة ، فأما حياة عصا موسى فقد سبح الحصا في كف رسول الله ﷺ وهوجماد ، والحديث في ذلك صحيح .

وروى البخاري عن ابن مسعود قال : كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل .

وروى مسلم عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ إني لأعرف حجراً كان يسلم عليَّ بمكة قبل أن أبعث ، إني لأعرفه الآن .

قال بعضهم : هو الحجر الأسود .

وعن ابن عباس قال : جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال : بم أعرف أنك رسول الله ؟ قال : أرأيت إن دعوت هذا العذْقَ من هذه النخلة أتشهد أني رسول الله ؟قال : نعم قال : فدعا رسول الله فجعلَ العذق ينزل من النخلة حتى سقط في الأرض فجعل ينقر حتى أتى رسول الله ﷺ ثم قال له : إرجع ، فرجع إلى مكانه ، فقال : أشهد أنك رسول الله ، وآمن به » رواه أحمد وصححه الترمذي ورواه البيهقي والبخاري في التاريخ .

وحديث حنين الجذع مقطوع به في الجملة وقد ذكرناه فهذه جمادات ونباتات قد حنّت وتكلمت وهذه متعددة في محال متفرقة بخلاف عصا موسى ، فإنها وإن تعدد جَعْلها حيّة فهي ذات واحدة .

وأما أن الله كلم موسى تكليما ، فقد ثبت حصول الكلام للنبي ﷺ ليلة الإسراء مع الرؤية وهو أبلغ ، فمن المعلوم أن الله تعالى كلم موسى وهو بطور سيناء ، وسأل الرؤية فمنعها ، وكلم محمداً ﷺ ليلة الإسراء وهو بالملأ الأعلى حين رفع لمستوى سَمع فيه صَريف الأقلام ، وحصلت له الرؤية في قول طائفة كبيرة من علماء السلف والخلف .

وقد قال تعالى لموسى: ﴿ **وألقيت عليك محبة مني** ﴾ (طه : ٣٩) .

وقال لمحمد: ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ، والله غفور رحيم** ﴾ (آل عمران : ٣١) .

وأما اليد التي جعلها الله برهاناً لموسى على فرعون وقومه فقد روى البخاري أن

أسيد بن حضير وعبّاد بن بشر لما خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة أضاء لهما طرف عصا أحدهما ، فلما افترقا أضاء لكل واحد منهما طرف عصاه » .

ولما أسلم الطفيل بن عمرو الدوسي طلب من النبي ﷺ آية تكون له عوناً على إسلام قومه ، فسطع نور بين عينيه كالمصباح فقال : اللهم في غير هذا الموضع فإنهم يظنونه مُثْله ، فتحول النور إلى طرف سوطه فجعلوا ينظرون إليه كالمصباح فهداهم الله على يديه ببركة رسول الله ﷺ وبدعائه لهم في قوله : « اللهم اهد دَوْساً وأت بهم ، وكان يقال للطفيل : ذو النور لذلك .

وأما دعاء نبي الله موسى بالطوفان وهو الموت الذريع في قول ، وما بعده من الآيات والقحط والجدب فقد دعا رسول الله ﷺ على قريش حين تمادوا على مخالفته بسبع كسبع يوسف فقحطوا حتى أكلوا كل شئ وكان أحدهم يرى بينه وبين السماء مثل الدخان من الجوع ثم توسلوا إليه ﷺ فدعا لهم فأقلع عنهم ورفع عنهم العذاب .

وأما فلق البحر لموسى ، فقد أشار النبي ﷺ بيده الكريمة إلى القمر فانشق فلقتين وفق ماسأله قريش ، وهم معه جلوس في ليلة البدر .

ولم ينقل معجزة عن نبي من الأنبياء من الآيات الحسية أعظم من هذا ، وهذا أعظم من حبس الشمس قليلاً ليوشع بن نون حتى تمكن من الفتح ليلة السبت .

وقد ذكرنا من سيرة العلاء بن الحضرمي وغيره وسير الجيش معه على تيار الماء مالايقل عن فلق البحر لموسى ، وأما تظليله بالغمام في التيه ، فقد رأى بحيرا الراهب غمامة تظلل النبي ﷺ من بين أصحابه ، وهو ابن ثنتي عشرة سنة ، صحبة عمه أبي طالب وهو قادم إلى الشام في تجارة قبل أن يوحى إليه ، وهذا أشد في الإعتناء .

وأما إنزال المن والسلوى عليهم فقد كثّر رسول الله ﷺ الطعام والشراب في غير ما موطن ، وورد إطعام الجم الغفير من الشئ اليسير ، كما أطعم يوم الخندق من

شُوَيهة جابر بن عبد الله وصاعه الشعير ، أزيد من ألف نفس جائعة صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين .

وورد في الصحيح من حديث جابر في سرية أبي عبيدة وجوعهم حتى أكلوا الخبط فحس البحر لهم عن دابة تسمى العنبر فأكلوا منها ثلاثين من يوم وليلة حتى سمنوا وتكسرت عُكن بطونهم .

وأما استسقاء موسى لبني اسرئيل فقد وردت الأحاديث في وضع النبي ﷺ يده في ذلك الإناء الصغير الذي لم يسع بسطها فيه فجعل الماء ينبع من بين أصابعه أمثال العيون وكذلك كثَّر الماء في غير ماموطن ، كمزادتي تلك المرأة ، ويوم الحديبية وغير ذلك واستسقى لأصحابه في المدينة وغيرها فأصيب طبق السؤال وفق الحاجة لاأزيد ولا أنقص ، وهذا أبلغ في المعجزة ، ونبع الماء من بين أصابعه الشريفة أعظم من نبع الماء من الحجر .

القول فيما أوتى عيسى بن مريم عليه السلام

ويسمى المسيح ، فقيل : لمسحه الأرض ، وقيل : لمسح قدمه ، وقيل : لخروجه من بطن أمه ممسوحاً بالدهان ، وقيل لمسح جبريل له بالبركة ، وقيل لمسح الله الذنوب عنه ، وقيل : لأنه كان لايمسح أحداً إلا برأ ، حكاها كلها الحافظ أبو نعيم ، كما ذكره ابن كثير ، ومن خصائصه أنه عليه السلام مخلوق بالكلمة من أنثى بلا ذكر ، كما خلقت حواء من ذكر بلا أنثى وكخلق آدم لا من ذكر ولا من أنثى ، وإنما خلقه الله تعالى من تراب ثم قال له : كن فيكون ، وكذلك يكون عيسى بالكلمة وينفخ جبريل مريم فخلق منها عيسى .

ومن خصائصه وأمه أن إبليس لعنه الله حين ولد ذهب يطعن فطعن في الحجاب كما جاء في الصحيح .

ومن خصائصه أنه حى لم يمت ، وهو الآن بجسده في السماء الدنيا ، وسينزل قبل يوم القيامة على المنارة البيضاء الشرقية بدمشق ، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً

كما ملئت جوراً وظلماً ، ويحكم بهذه الشريعة المحمدية ، ثم يموت ويدفن بالحجرة النبوية كما رواه الترمذي .

وأما إحياء الموتى لعيسى عليه السلام فللنبي ﷺ من ذلك الكثير وإحياء الجماد أبلغ من إحياء الميت ، وقد كلم النبي ﷺ الذراع المسمومة ، وهذا الإحياء أبلغ من إحياء الإنسان الميت .

وقد ورد في صحيح مسلم ذكر الحجر الذي كان يخاطب النبي ﷺ بالسلام عليه وهذا أبلغ من إحياء الحيوان ، لأنه كان محلاً للحياة ، في وقت بخلاف هذا ، وكذلك تسليم الأحجار والمدر عليه وكذلك الأشجار والأغصان وشهادتها بالرسالة وحنين الجذع .

وقد جمع ابن أبي الدنيا كتاباً فيمن عاش بعد الموت وذكر منها كثيراً .[1]

ومن ذلك قصة زيد بن خارجة وكلامه بعد الموت ، وشهادته للنبي ﷺ ولأبي بكر وعمر وعثمان بالصدق فمشهورة مروية من وجوه كثيرة صحيحة .

وقد كان عيسى عليه السلام يبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله ، وقد ثبت مثل ذلك لرسول الله ﷺ.

فعن يعلى بن مرة أن امرأة أتت بابن لها صغير به لَمم (أي جنون) مارأيت لمماً أشد منه ، فقالت يارسول الله ابني هذا كما ترى أصابه بلاء ، وأصابنا منه بلاء ، يوجد منه في اليوم مايؤذي ثم قالت : مرة فقال رسول الله ﷺ : ناولنيه ، فجعلته بينه وبين واسطة الرَّحل ، ثم فغرفاه ونفث فيه ثلاثاً وقال : بسم الله أنا عبد الله اخسأ عدو الله ، ثم ناولها إياه ، فذكرت أنه برأ من ساعته وما رابهم شئ بعد ذلك » رواه أحمد والبيهقي .

وحدَّث عطاء بن أبي رباح قال : قال لي ابن عباس : ألا أريك امرأة من أهل الجنة ؟ قلت : بلى قال : هذه السوداء أتت رسول الله ﷺ فقالت : إني أصرع

---

١ ـ راجع رسالتي « الموتي يتكلمون » .

وأنكشف فادع الله لي قال : إن شئت صبرت ولك الجنة ، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك قالت : لا بل أصبر ، فادع الله ألا أنكشف قال : فدعا لها فكانت لاتنكشف » رواه البخاري ومسلم .

وقد رد رسول الله ﷺ يوم أحد عين قتادة بن النعمان إلى موضعها بعد ماسالت على خده ، فأخذها في كفه الكريم وأعادها إلى مقرها فاستمرت بحالها ، وبصرها وكانت أحسن عينيه رضي الله عنه ، وثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ نفث في عيني علي يوم خيبر وهو أرمد فبرأ من ساعته لم يرمد بعدها أبداً .

وروى البيهقي أنه ﷺ مسح يد محمد بن حاطب وكانت قد احترقت بالنار فبرأ من ساعته ومسح رجل سلمة بن الأكوع وقد أصيبت يوم خيبر فبرأت من ساعتها ودعا لسعد بن أبي وقاص أن يُشفى من مرضه ذلك فشفي ، وقد وضع في كرامات الأولياء من ذلك الكثير .

وأما قصة المائدة سواء كانت نزلت وهو قول الجمهور أم لم تنزل ، فقد كانت موائد الرسول ﷺ تُمد من السماء وكانوا يسمعون تسبيح الطعام وهو يؤكل بين يديه وكم قد أشبع من طعام يسير ألوفاً ومئات وعشرات ﷺ ماتعاقبت الأوقات ومادامت السموات والأرض .

وأما قوله تعالى عن عيسى بن مريم عليه السلام أنه قال لبني إسرائيل :

﴿ **وأنبئكم بما تأكلون وماتدخرون في بيوتكم** ﴾(آل عمران : ٤٩) فهذا شئ يسير على الأنبياء ، بل وعلى كثير من الأولياء ، وقد قال يوسف الصديق لذينك الفتيين المحبوسين معه : ﴿**قال لايأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمني ربي** ﴾ (يوسف : ٣٧) .

وقد أخبر رسول الله ﷺ بالأخبار الماضية طبق ماوقع وعن الأخبار الحاضرة سواء بسواء كإخباره عن أكل الأرضة لتلك الصحيفة الظالمة وأخبر بموت النجاشي يوم مات وهو بالحبشة ، وأخبر عن قتل الأمراء الثلاثة يوم مؤتة واحداً بعد واحد

وهو على المنبر وعيناه تذرفان ، وأخبر عن الكتاب الذي أرسل به حاطب بن أبي بلتعة ، وفي يوم بدر لما طلب من العباس عمه فداء ادّعى أنه لا مال له ، فقال له : فأين المال الذي دفنته أنت وأم الفضل تحت أسكفة الباب ، وقلت لها : إن قُتلت فهو للصبية ؟ فقال : والله يارسول الله إن هذا شيء لم يطلع عليه غيري وغير أم الفضل إلا الله عزوجل .

وقال لأميري كسرى اللذين بعث بهما نائب اليمن لكسرى ليستعلما أمر رسول الله ﷺ : إن ربي قد قتل الليلة ربكما ، فأرّخا تلك الليلة ، فإذا كسرى قد سلط الله عليه ولده فقتله ، فأسلما وأسلم نائب اليمن وكان سبب ملك اليمن لرسول الله ﷺ .

وذكر ابن حامد في مقابلة جهاد عيسى عليه الصلاة والسلام جهاد رسول الله ﷺ وفي مقابلة زهد عيسى ، زهادة رسول الله عن كنوز الأرض حين عرضت عليه فأباها وقال أجوع يوماً وأشبع يوماً ، وربما ربط الحجر على بطنه من الجوع وماشبعوا من خبزبرد ثلاث ليال تباعاً ، وكان فراشه من أدم وحشوه ليف ومات ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي على طعام اشتراه لأهله .

هذا وكم آثر بآلاف مؤلفة والإبل والشاء والغنائم والهدايا ، على نفسه وأهله للفقراء والمحاويج والأرامل والأيتام والأسرى والمساكين ، وفي مقابلة تبشير الملائكة لمريم الصديقة بوضع عيسى ، مابُشرت به آمنة أم رسول الله حين حملت في منامها ، وماقيل لها : إنك قد حملت بسيد هذه الأمة فسميه محمداً .

ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم

ذكر الماوردي في كتاب« أعلام النبوة» كلاماً كثيراً في مبدأ بعثته واستقرار نبوته ﷺ وآيات مولده وظهور بركته ، وهتوف الجن ، وماهجست به النفوس من إلهام العقول بنبوته ﷺ كما تكلم على مبادئ نسبه وطهارة مولده ﷺ ولكن فيما نقلناه من

«شمائل الرسول» للإمام ابن كثير باختصار شديد وتصرف كفاية لمن كان له قلب أوألقى السمع وهو شهيد . بل أقل القليل من هذه الأدلة تكفي في إثبات نبوة رسول الله ﷺ ، ولذلك كان الرجل لربما سمع آية أو حديثاً من أحاديث رسول الله ﷺ فيسارع بالإنقياد والإذعان كما رأينا .

أما إذا انتكست الفطر واضطربت العقول فقد يمر الناس على الآيات رغم وضوحها ، عمياً وبكماً وصماً قال تعالى : ﴿ **فإن كذبوك فقد كذب رسلٌ من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير** ﴾(آل عمران : ١٨٤) .

وقال سبحانه : ﴿ **وإن يروا كل آية لايؤمنوا بها ، وإن يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً** ﴾ (الأعراف : ١٤٦) .

ونحن بدافع الشفقة ومحبة الخير لأهل الكتاب وغيرهم ،نقول آمنوا خيراً لكم وتابعوا هذا النبي الذي قرأتم صفته وخبره في كتبكم ، تسعدوا في دنياكم وأخراكم .

قال تعالى : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ،ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون** ﴾ (آل عمران : ١١٠) والأمة المذكورة هى أمة محمد ﷺ يعني الصالحين منهم وأهل الفضل ، وهم الشهداء على الناس يوم القيامة وقال أبوهريرة : نحن خير الناس للناس نسوقهم بالسلاسل إلى الإسلام .

وروى الترمذي عن رسول الله ﷺ في قوله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » قال : «أنتم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله » حديث حسن .

وقيل : جاء ذلك لتقدم البشارة بالنبي ﷺ وأمته ، فالمعنى كنتم عند من تقدمكم من أهل الكتب خير أمة وقيل إنما صارت أمة محمد ﷺ خير أمة لأن المسلمين منهم أكثر ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيهم أفشى فقيل هذا لأصحاب رسول الله ﷺ.

كما قال ﷺ : « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم » رواه الأئمة عن عمران بن حصين ، وهذا يدل على أن أول هذه الأمة أفضل ممن بعدهم ، وهذه الخيرية التي وُصفت بها الأمة ، لاتحقق إلا بالإيمان والعمل الصالح ومن جملته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإذا تركوا التغيير وتواطئوا على المنكر زال عنهم اسم المدح ولحقهم اسم الذم .

وخُتمت الآية بقوله سبحانه : ﴿ **ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم** ﴾ (آل عمران : ١١٠) فأخبر جل وعلا أن إيمان أهل الكتاب بالنبي ﷺ خير لهم وأخبر أن منهم مؤمناً وفاسقاً وأن الفاسق أكثر .

لو لم يظهر محمد بن عبد الله لبطلت نبوة سائر الأنبياء

ذكر ابن تيميه وتلميذه ابن القيم وغيرهم أن ظهور رسول الله ﷺ تصديق للأنبياء السابقين وشهادة لنبواتهم بالصدق فإرساله من آيات الأنبياء قبله .

ويدل على ذلك قوله سبحانه : ﴿ **جاء بالحق وصدق المرسلين** ﴾ (الصافات : ٣٧). فإن المرسلين بشروا به وأخبروا بمجيئه ، فمجيئه هو نفس صدق خبرهم فكأن مجيئه تصديقاً لهم إذ هو تأويل ماأخبروا به ، فإنه صدقهم بقوله ومجيئه فشهد بصدقهم بنفس مجيئه وشهد بصدقهم بقوله .

ومثل هذا قول المسيح:﴿ **مصدقاً لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد** ﴾(الصف : ٦) فإن التوراة لما بشرت به وبنبوته كان نفس ظهوره تصديقاً لها ، ثم بشر عيسى برسول يأتي من بعده فكان ظهور الرسول المبشر به تصديقاً له .

كما كان ظهوره تصديقاً للتوراة ، فعادة الله في رسله أن السابق يبشر باللاحق واللاحق يصدق السابق ، فلو لم يظهر محمد بن عبد الله ولم يبعث لبطلت نبوة الأنبياء قبله ، والله سبحانه لا يخلف وعده ولا يكذب خبره.

وقد كان بشر ابراهيم وهاجر بشارات بينات ولم نرها تمت ولا ظهرت إلا بظهور رسول الله ﷺ وقد ذكرنا طرفاً من بشارات الأنبياء [1] برسول الله ﷺ فمن ذلك ماجاء في الفصل التاسع من السفر الأول في التوراة :

« لما هربت هاجر من سارة تراءى ملك وقال ياهاجر أمة سارة ارجعي إلى سيدتك فاخضعي لها فإن الله سيكثر ذرعك وذريتك حتى لايحصون كثرة وهاأنت تحبلين وتلدين إبناً وتسميه إسماعيل لأن الله تعالى قد سمع خشوعك وهويكون عين الناس وتكون يده فوق الجميع مبسوطة إليه بالخضوع » .

وهذا لم يكن في ولد إسماعيل إلا رسول الله ﷺ لأنهم كانوا قبله مقهورين فصاروا به قاهرين .

ومنها قوله في هذا السفر لإبراهيم حين دعاه في إسماعيل :

« وباركت عليه وكثرته وعظمته جداً جداً وسيلد اثني عشر عظيماً وأجعله لأمةعظيمة »، وليس في ولد إسماعيل من جعله لأمة عظيمة غير محمد ﷺ .

ومنها في الفصل الحادي عشر من السفر الخامس عن موسى عليه السلام :

« إن الرب إلهكم قال : إني أقيم لهم نبياً مثلك من بين إخوتهم أجعل كلامي على فمه فأيما رجل لم يسمع كلماتي التي يؤديها عني ذلك الرجل باسمي فأنا أنتقم منه»، ومعلوم أن أخا بني إسرائيل هم بنو إسرائيل وليس منهم من ظهر كلام الله تعالى على فمه غير محمد ﷺ.

وكان بين موسى وعيسى من الأنبياء الذين أوتوا الكتاب بإتفاق أهل الكتابين عليهم ستة عشر نبياً ظهرت كتبهم في بني إسرائيل فبشر كثير منهم بنبوة محمدﷺ فمنهم شعيا بن أموص في الفصل السادس عشر والتاسع عشر والثاني والعشرين من كتابه.

---

١ ـ راجع الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، هداية الحياري ، إظهار الحق ، شمائل الرسول ، أعلام النبوة .

وفي الفصل العشرين منه :

« لترتاح البوادي وقراها ولتصير أرض قاذار مروجاً ويسيح سكان الكهوف وليهتفوا من قلال الجبال بحمد الرب وليرفعوا تسابيحه فإن الرب يأتي كالجبار الملتظي المتكبر وهو يزجر ويقتل أعداءه » .

وأرض قاذار هي أرض العرب لأنهم ولد قاذار والمروج ماصار حول مكة من النخل والشجر والعيون ، ومنهم نوال بن نوتال وعويد وميخاء من أنبياء بني إسرائيل ، ومنهم حبقوق ،الذي بشر برسول الله ﷺ فقال :

« جاء الله من طور سيناء واستعلن القدوس من جبال فاران وانكسفت لبهاء محمد وانخسفت من شعاع المحمود وامتلأت الأرض من محامده ، لأن شعاع منظره مثل النور يحفظ بلده وبعده وتسير المنايا أمامه ،وتصحب سباع الطير أجناده قام فمسح الأرض وقابل الأمم وبحث عنهم ، فتصفصفت الجبال القديمة واتضعت الروابي الدهرية وتزعزع سور أرض مدين ، ولقد جاز المساعي القديمة قطع الرأس من حب الأثيم ودمغت رءوس سلاطينه بعضبة » .

ومعلوم أن محمداً وأحمد ومحموداً صريح في اسمه وهما يتوجهان إلى من انطلق عليهم اسم المحمد وهو بالسريانية موشيحا أي محمد ومحمود ، ولهذا إذا أراد السرياني أن يحمد الله تعالى قال : موشيحاً لإلهنا ، ومنهم حزقيال ويرضفينا وزكريا بن يوحنا ودانيال وأرميا بن برخنا وداود ، ومنهم المسيح الذي بشر برسول الله ﷺ في الإنجيل .

قال المسيح عليه السلام للحواريين:« انا ذاهب وسيأتيكم البارقليط روح الحق الذي لايتكلم من قبل نفسه إلا كما يقال له ، وهو يشهد على وأنتم تشهدون لأنكم معي من قبل الناس وكل شئ أعده الله لكم يخبركم به » .

وفي نقل يوحنا عنه : « إن البارقليط لا يجيئكم مالم أذهب فإذا جاء وبخ العالم على الخطيئة ولايقول من تلقاء نفسه شيئاً ولكنه مما يسمع به يكلمكم ويسوسكم

بالحق ويخبركم بالحوادث والغيوب » .

وفي نقل آخر عنه:« إن البارقليط روح الحق الذي يرسله باسمي هو يعلمكم كل شئ إني سائل أن يبعث إليكم بارقليط آخر يكون معكم إلى الأبد وهو يعلمكم كل شئ » .

وفي نقل آخر عنه:« إن البشير ذاهب والبارقليط بعده يحي لكم الأسرار ويقيم لكم كل شئ وهو يشهد لي كما شهدت له فإني لأجيئكم بالأمثال وهو يأتيكم بالتأويل » والبارقليط بلغتهم لفظ من الحمد وقد قال النبي ﷺ وأنا أحمد وأنا محمود ، وأنا محمد .

فهذه من بشائر الأنبياء عن الكتب الإلهية المتناصرة بصحة نبوته المتواترة الأخبار بانتشار دعوته وتأييد شريعته ، ولعل مالم يصل إلينا منها أكثر فمنهم من عينه باسمه ومنهم من ذكره بصفته ومنهم من عزاه إلى قومه ، ومنهم من أضافه إلى بلده ومنهم من خصه بأفعاله ، ومنهم من ميزه بظهوره وانتشاره ، وقد حقق الله جميعها فيه ﷺ ولهذا لما علم الكفار من أهل الكتاب أنه لايمكن الإيمان بالأنبياء المتقدمين إلا بالإيمان بالنبي الذي بشروا به قالوا : نحن في انتظاره ولم يجئ بعد .

ولما علم بعض الغلاة في كفره وتكذيبه منهم أن هذا النبي في ولد إسماعيل أنكروا أن يكون لإبراهيم ولد اسمه إسماعيل !!! وأن هذا لم يخلقه الله ، رغم النصوص الصريحة ، ولايكثر على أمة البهت وإخوان القرود وقتلة الأنبياء مثل ذلك .

كما لم يكثر على المثلثة عباد الصليب الذين سبوا رب العالمين أعظم مسبة أن يطعنوا في ديننا وينتقصوا نبينا ﷺ وهم لايمكنهم أن يثبتوا للمسيح فضيلة ولانبوة ولا آية ولامعجزة إلا بإقرارهم أن محمداً رسول الله ، وإلا فمع تكذيبه لايمكن أن يثبت للمسيح شئ من ذلك البتة .

قال ابن القيم فنقول : إذا كفرتم معاشر المثلثة عباد الصليب بالقرآن وبمحمد ﷺ

فمن أين لكم أن تثبتوا لعيسى فضيلة أو معجزة ؟ ومن نقل إليكم عنه آية أو معجزة ؟ فإنكم إنما اتبعتم من بعده بنيف على مائتين وعشرات من السنين أخبرتم عن منام (وهو الصليب الذي رآه قسطنطين من كوكب مكتوباً حوله بهذا تغلب) رؤي فأسرعتم إلى تصديقه وكان الأولى لمن كفر بالقرآن أن ينكر وجود عيسى في العالم لأنه لايقبل قول اليهود فيه ولاسيما وهم أعظم أعدائه الذين رموا أمه بالعظائم .

فأخبار المسيح والصليب إنما شيوخكم فيها اليهود وهم فيما بينهم مختلفون في أمره أعظم إختلاف ، وأنتم مختلفون معهم في أمره .... واليهود مجمعون أنه لم يظهر له معجزة ولا بدت لهم منه آية .... وفي الإنجيل الذي بأيديكم في غير موضع مايشهد أنه لامعجزة له ولا آية ....

وفي الإنجيل الذي بأيديكم أيضاً « أنهم جاؤوا يسألونه آية فقذفهم وقال : جيل فاسق وشرير يطلب آية فلا تعطى له » متى (١٦) .... إلى أن قال فإذا كفرتم معاشر المثلثة عباد الصليب بالقرآن لم يتحقق لعيسى بن مريم آية ولا فضيلة فإن أخباركم عنه وأخبار اليهود لا يلتفت إليها لإختلافكم في شأنه أشد الإختلاف وعدم تيقنكم لجميع أمره .

هذا هو الدين الذي دعا إليه النبي الأمي

آمنا أن الله حق وأن النبي ﷺ حق ، وقد قامت الدلائل الكثيرة على صحة نبوته ووجوب تصديقه في كل ماأخبر ، والعمل بكل ماأمر وإليه دعا ، فما كان بدعاً من الرسل ولكن جاء مصدقاً لمن سبقه من الأنبياء والمرسلين قال تعالى : **﴿ قولوا آمنا بالله وماأنزل إلينا وماأنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وماأوتى موسى وعيسى وماأوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ﴾** (البقرة : ١٣٦) .

وقال سبحانه : **﴿ ولاتجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون ﴾** (العنكبوت : ٤٦) .

وأصول الشرائع التي جاء بها الأنبياء والمرسلون واحدة ، أوحى الله بها إليهم وأنزل عليهم بها كتبه ، يوصي فيها سابقهم بالإيمان باللاحق منهم ، ونصره وتأييده ويوصي متأخرهم بتصديق من تقدمه منهم ، وكل ماجاءوا به من عند الله يسمى دين الإسلام .

قال تعالى : **﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ، فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ، أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون ، قل آمنا بالله وماأنزل علينا وماأنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وماأوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ﴾** (آل عمران : ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥) .

والآيات في هذا المعنى كثيرة وكلها دالة على وحدة أصول التشريع الذي جاءت

به الأنبياء من توحيد الله بالعبادة والإيمان به وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وبالقضاءوالقدر ، وأصل الصلاة والزكاة والصيام كقوله تعالى في ذكر دعاء خليله إبراهيم:﴿ **ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة** ﴾ (إبراهيم : ٣٧) إلى أن قال في حكاية ضراعة خليله إليه:﴿ **رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي** ﴾ (إبراهيم : ٤٠) وقوله تعالى : ﴿ **واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً ، وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً** ﴾ (مريم : ٥٤) .

وقوله تعالى : ﴿ **وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة** ﴾ (يونس : ٨٧) .

وقوله في عيسى:﴿ **قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً، وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حياً** ﴾ (مريم : ٣٠)٠

وقوله تعالى : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** ﴾(البقرة : ١٨٣) .

لكنها اختلفت في كيفياتها وتفاصيل فروعها كما قال تعالى : ﴿ **لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً** ﴾ (المائدة : ٤٨) . وعلى هذا فمن آمن بأصول الشرائع على ماجاء به الأنبياء والمرسلون قد رضي الله عنهم وكتب لهم السعادة والفلاح ، وهم الذين امتدحهم الله في كتابه وأثنى عليهم نبينا محمد ﷺ في سنته ومن آمن ببعض الأصول التي جاءوا بها من عند الله وكفر ببعض فأولئك هو الكافرون حقاً بالجميع

وقد ثبت عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة والأنبياء إخوة لعلات ، وأمهاتهم شتى ودينهم واحد ».

رواه أحمد والبخاري ومسلم .

ولذلك فمن كفر بمحمد ﷺ أو بدين الإسلام من اليهود والنصارى فهو كافر بالله ويعامل معاملة الكفار في أحكام الدنيا والآخرة ، ولاينفعه تمسكه بدينه مع

كفره بما جاء به نبينا محمد ﷺ.

ومن المعلوم أن التوراة قد غُيرت وبُدلت ، وأن الدين المسيحي حرفه النصارى عما كان عليه أيام نبيهم عيسى عليه السلام بدليل أنهم قالوا المسيح ابن الله ، وقالوا : إن الله ثالث ثلاثة ... وقد رد الله عليهم ذلك وكفرهم به .

قال تعالى : ﴿ **وإذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك مايكون لى أن أقول ماليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته ، تعلم مافى نفسي ولاأعلم مافي نفسك إنك أنت علام الغيوب ، ماقلت لهم إلا ماأمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم** ﴾ (المائدة : ١١٦) .

إلى غير ذلك من النصوص .

والواجب علينا أن نرجع للكتاب والسنة في فهم العقيدة الصحيحة ، فهذه هي الأصول المعصومة والمحفوظة ، وهذا هو الدين الذي تكفل الله بحفظه ، قال تعالى : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ (الحجر : ٩) .

ملامح الإيمان الذي ندين به [١]

الإنتقال من الإجمال إلى التفصيل مسلك قرآني في الدعوة إلى الله ، وهو سبيل لا بد من سلوكه ليحيَ من حيَّ عن بينة ويهلك من هلك عن بينة ، وخصوصاً واليهود والنصارى وغيرهم يزعمون الإيمان وأصبحت الدعوة للرجوع لمعاني الإيمان مُلِّحة بعد التجارب البشرية المريرة مع الفلسفات والنظم والمناهج الوضعية وكلها باءت بالفشل وعاد على أهله بالخيبة والحسرة ونحن إذ نعرض ملامح الإيمان الذي ندين به لايسعنا أن نبسط الكلام بسطاً ولا أن نفصله تفصيلاً .

فمحل ذلك كتب العقيدة ، ككتاب شرح الطحاوية ، والعقيدة الواسطية

---

١ ـ راجع « العقيدة الصحيحة وما يضادها » (لابن باز) ـ القضايا الكلية للإعتقاد في الكتاب والسنة (عبد الرحمن عبد الخالق) ـ مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة (ناصر العقل) ـ الضوابط الشرعية لتحقيق الأخوة الإيمانية .

ومعارج القبول ، وكتاب الإيمان للبخاري ومسلم و ابن تيميه ، وعموماً فلابد من الرجوع للكتاب والسنة بفهم سلف الأمة ..... فهؤلاء عن علم وقفوا وببصر نافذ كفوا ، وقد صح الحديث عن رسول الله ﷺ : « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » وهانحن نذكر جملاً مختصرة لنقف من خلالها على العقيدة الصحيحة ، عقيدة أهل السنة والجماعة .

تعريفات هامة

١ـ السلف : هم صحابة رسول الله ﷺ والتابعون وتابعوهم بإحسان إلى يوم الدين من الأئمة الأعلام المشهود لهم بالإمامة والفضل وإتباع الكتاب والسنة كالأئمة الأربعة وسفيان الثوري ، وسفيان بن عيينة ، والليث بن سعد ، والبخاري ، ومسلم وأصحاب السنن وغيرهم ممن التزم مذهبهم وسار على طريقتهم إلى يوم الدين .

٢ ـ الفرقة الناجية :

قال رسول الله ﷺ :

« إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على اثنين وسبعين ملة ، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة ـ يعني الأهواء ـ كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة » رواه أبو داود وصححه الألباني .

وفي رواية : قالوا من هي يارسول الله ؟ قال : « ماأنا عليه وأصحابي » رواه الترمذي ، فدل هذا على أنه لاينجوا إلا من كان على ماكان عليه جماعة الصحابة رضي الله عنهم إذ هم المشهود لهم بالإيمان .

قال تعالى : ﴿ **فإن آمنوا بمثل ماآمنتم به فقد اهتدوا** ﴾ومخالفتهم ضلال وشقاء ﴿ **وإن تولوا فإنما هم فى شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم** ﴾ (البقرة : ١٣٧)

قال قتادة : أهل رحمة الله أهل الجماعة وإن تفرقت ديارهم وأبدانهم وأهل معصيته أهل الفرقة وإن اجتمعت ديارهم وأبدانهم .

٣ ـ الطائفة المنصورة :

عن معاوية رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« **لاتزال طائفة من أمتى قائمة بأمر الله لايضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتى أمرالله وهم ظاهرون على الناس** » رواه مسلم .

وهذا ظهور الحجة والبيان : قال شيخ الإسلام في مقدمة العقيدة الواسطية :

« فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة ، أهل السنة والجماعة ....) .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« لاتزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة »

رواه مسلم وهذا ظهور القوة والسنان .

٤ ـ القرآن الكريم :

هو كلام الله عزوجل المنزل على محمد ﷺ ، المُتَعبد بتلاوته ، وهو معجزة الإسلام الحية الخالدة وهو الأساس الأول لدراسة الإسلام ، وهذا الكتاب فصَّل الله فيه أحكام كل شئ مما يصلح أمر العباد ، في دنياهم وأخراهم .

﴿ **وأنزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين** ﴾

(النحل : ٨٩)

ولاخلاف بين جزئياته بأي وجه من الوجوه ، وآياته في المعنى الواحد لايؤخذ الحكم من شئ منها منفرداً بل يُضم بعضها إلى بعض ، ومن أنكر شيئاً من القرآن أو ادعى فيه النقص أو الزيادة أو التحريف فهو كافر ولا يجوز تفسيره بالرأي المجرد فإنه من القول على الله بغير علم والواجب أن يُفسر بما هو معلوم من منهج السلف ومما يُعين على فهمه فهم لغة العرب التي نزل بها النص القرآني ودراسة السنة وفهمها ، إذ هي التطبيق العملي ، والإيضاح القولي لمراد الله تبارك وتعالى ، ولابد من سؤال الله الفهم وطلب الهداية منه سبحانه ، كما أن الإطلاع على أقوال

المفسرين الذين التزموا المنهج السابق ومنحهم الله عزوجل فهماً في كتابه أمر لاغنى عنه .

٥ ـ السنة :

السنة هي ماصدر عن رسول الله ﷺ غير القرآن مما يقصد به التشريع للأمة من قول أو فعل أو تقرير ، ولاتتلقى إلا بإسناد صحيح حسب القواعد التي وضعها علماء الحديث لذلك ولا يُحتج أو يُعمل بما لم يصح عن الرسول ﷺ وهي بمنزلة كتاب الله عزوجل في وجوب العمل بها.

وفي اعتقاد أنها من عند الله عزوجل ، إلا أن اللفظ لرسول الله ﷺ وتعبدنا سبحانه بلفظ القرآن ومعناه ، والسنة لاتخالف القرآن لأنهما من مصدر واحد كما قال تعالى : ﴿ **وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى** ﴾ (النجم : ٣).

وقال أيضاً: ﴿ **إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولاتكن للخائنين خصيماً** ﴾ (النساء : ١٠٥) .

وماإجتهد الرسول ﷺ فيه من أمر الشريعة فهو حق فإن الله سبحانه لايقره على باطل أبداً، وكل ماثبت عن رسول الله ﷺ بخبر العدل الحافظ عن مثله إلى رسول الله يجب اعتقاده والعمل به وهو يسمى خبر الآحاد إلا ماشذ وأُعلّ .

٦ ـ أهل السنة والجماعة :

وهم أهل القرآن كذلك وسُموا بأهل السنة لإلتزامهم بالسنة في العقيدة والعمل في الظاهر والباطن وسُموا بالجماعة لكونهم يأمرون بالإجتماع على ماكانت عليه الجماعة الأولى جماعة الصحابة رضي الله عنهم ، وينهون عن الإختلاف ، وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول :

«الجماعة ماوافق الحق وإن كنت وحدك» ، ومعنى الجماعة في الأحاديث التي أوجبت الإلتزام بها وعدم الخروج عليها ، جماعة أهل الإسلام إذا اجمعوا على أمر من أمور الشرع ، أو جماعة الأئمة المجتهدين أو السواد الأعظم أو الصحابة أو

جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير ، لا تعارض بين هذه الأقوال .

٧ ـ أهل الحديث :

الذين يعنون بحديث الرسول رواية ودراية وبالقرآن علماً وعملاً واعتقاداً ويقدمونها على قول كل أحد ورأيه ، فهم أهل السنة والقرآن كمالك والشافعي وأحمد والبخاري ومسلم .... وغيرهم ممن كان يجمع بين الفقه ورواية الحديث رضي الله عنهم أجمعين .

أولا التوحيد وأصول الإيمان

التوحيد هو أول الدين وآخره ، وباطنه وظاهره ، وهو دعوة جميع الرسل وأول واجب على المكلف وحق الله على عباده وأول مسألة في الدعوة إلى الله ، إذ من أجل التوحيد خلق الله الخلق ، وعليه يكون مصيرهم في الآخرة ، والشرك أكبر الكبائر وأول مايُنهى عنه ، كما ورد في نصوص الشريعة .

وأصل التوحيد معرفة الله بأسمائه وصفاته ، وإفراده بصفات الربوبية ثم ماتستلزم هذه المعرفة من إفراد الله بالعبادة كلها ، وهذا معنى كلمة لاإله إلا الله .

توحيد الأسماء والصفات

قال تعالى : ﴿ **ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه** ﴾ (الأعراف : ١٨٠) فمعرفة الله بأسمائه وصفاته ومحبته ودعاؤه بها ، والتعبد له بمقتضاها أشرف العلوم ولا يجوز التقليل من شأنه ، أو أنه من جملة الترف العقلي أو أن الإنشغال به إنشغال بما غيره أولى منه .

وطريق التلقي في ذلك هو الكتاب والسنة على طريقة السلف فنؤمن بكل ماوصف الله به نفسه ووصفه به رسول الله ﷺ من غير تعطيل ولا تحريف ، ومن

غير تكييف ولاتمثيل وليس العقل وعلم الكلام والفلسفة مصدراً في معرفة ذلك .

ولايجوز تشبيه الله بخلقه ولاتعطيل صفة من صفاته سبحانه ،

قال تعالى : ﴿ **ولم يكن له كفواً أحد** ﴾(الإخلاص : ٤) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿**ليس كمثله شئ وهو السميع البصير**﴾(الشورى : ١١) .

والكف عن التأويل في هذا الباب ـ هو إجماع السلف ، لاتجوز مخالفته إذ إجماعهم حجة على من بعدهم ، وطريقتهم أسلم وأعلم وأحكم ، والتأويل (كقول البعض استوى بمعنى استولى ، واليد بمعنى القدرة ، والنزول بمعنى نزول الأمر) بدعة وليس من عقيدة أهل السنة والجماعة .

والكلام على الصفات فرع على الكلام في الذات ، فكما أن إثبات ذات الرب إثبات وجود لا إثبات تكييف ، فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات تكييف إذ ذاته سبحانه لاتشابه ذوات المخلوقين ، وكذلك صفاته سبحانه لاتشابه صفات المخلوقين والسلف يثبتون الصفة دالة على معناها ، مع تفويض الكيفية إلى الله تعالى ، كقول الإمام مالك رحمه الله : الإستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة .

فتفويض السلف تفويض كيف لا تفويض معنى ، ومن نسب إليهم تفويض المعنى ، وأن آيات الصفات من المتشابه ، بمعنى أنه لايعلم معناها بالكلية ، وأن ظاهرها غير مراد فقد جمع بين التعطيل والجهل بعقيدة السلف .

توحيد الربوبية

وهو الإعتقاد الجازم بأن الله هو الخالق الرازق ، الذي يدبر الأمر ويعطي ويمنع ويخفض ويرفع ويحي ويميت ، لاشريك له في ذلك ، وبأنه وحده المالك لكل ذرة في هذا الكون ، بلا ند ولامعين ، ولاشفيع بغير إذنه ، وبأنه وحده السيد الآمر الحاكم الذي لايشرع للبشر غيره ، وقد دلت على ذلك أدلة الشرع والعقل .

ومن مظاهر الشرك فى الربوبية :

١ ـ اعتقاد حلول الرب في بعض خلقه أو اتحاده بهم .

٢ ـ اعتقاد أن هناك في الكون أقطاباً وأبدالاً من الصالحين أوغيرهم ، ولهم قدر من التصرف في حياة الناس ، من نفع وضر وإعطاء ومنع .

قال تعالى:﴿ **وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ، وإن يمسسك بخير فهو على كل شئ قدير** ﴾ (الأنعام : ١٧) .

٣ ـ اعتقاد أن أحداً له حق التشريع والحكم دون الله تعالى سواء كان فرداً أو جماعة أوشعباً أو دولة .

قال تعالى:﴿ **أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله** ﴾ (الشورى : ٢١) .

وقال:﴿ **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله** ﴾ (التوبة : ٣١) .

والحكم بغير ماأنزل الله من أصول الكفر وهو ينقسم إلى قسمين :

كفر أكبر وكفر أصغر .

القسم الأول : الكفر الأكبر وهو أنواع :(١)

١ ـ أن يجحد شريعة الله المعلومة من الدين بالضرورة كمن ينكر أحكام الله في الحدود والمعاملات والأموال والدماء وغيرها ويقول : إن الدين لا دخل له بذلك .... وهذا كفر بالإجماع .

٢ ـ أن يعتقد ثبوت الشرع في ذلك كله لكنه يفضل القوانين الوضعية على الشرع ويرى أن الشريعة غير مناسبة لهذا الزمان ، وهذا كفر بالإجماع .

قال تعالى : ﴿ **ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون** ﴾ (المائدة : ٥٠).

---

١ ـ راجع فتوى الشيخ محمد بن إبراهيم ـ أضواء البيان للشنقيطي ـ عمدة التفاسير (أحمد شاكر) ـ ابن كثير ـ الشريعة الإلهية لا القوانين الوضعية (الأشقر) .

٣ ـ أن يعتقد أن القوانين الوضعية مساوية لحكم الله .

٤ ـ أن يعتقد أن شريعة الله أفضل لكنها غير واجبة ، وأنه مخير في أن يأخذ بها أو أن يتركها إلى مايراه هو عدلاً ومصلحة من غير دليل من الشريعة ، إذ من المعلوم بالضرورة وجوب تنفيذ حكم الله .

٥ ـ مضاهاة القوانين الوضعية بالأحكام الشرعية ، وجعل مصادر وموارد لها ، وإضفاء اسم المشرع على من يضعها ، وإلزام الناس بتلك القوانين وتحتيمها عليهم .

٦ ـ مايحكم به كثير من رؤساء العشائر والقبائل وغيرهم من حكايات تلقوها عن آبائهم وأجدادهم يعلمون مخالفتها للشرع ويقدمونها في الحكم على شرع الله إعراضاً عنه .

القسم الثانى الكفر الأصغر :

كفر دون كفر ـ لايخرج عن الملة ـ وهو الذي قاله ابن عباس وغيره عمن تحمله شهوته أوهواه أو الرشوة أو غيرها على الحكم في قضية أو قضايا ـ ولو كثرت ـ بغير ماأنزل الله ، مع إقراره واعتقاده أن حكم الله ورسوله هو الحق وأنه الأصل الذي يُحكم به ، وإقراره على نفسه بالخطأ والظلم .... وهذه من أكبر الكبائر إذ معصية سماها الله كفراً أعظم من غيرها .

قال تعالى : **﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾** (المائدة : ٤٤).

تنبيه

الصور المذكورة المعدودة ضمن الكفر الأكبر - المخرج من الملة - لابد من التفريق فيها بين النوع والمعين ، أو معرفة الفرق بين الحكم العام والفتوى بكفر شخص معين أو ردته ، إذ ذلك مرده لأهل العلم واجتهادهم في ثبوت شرائط التكفير وإنتفاء موانعه .

وليس من هذا الباب خطأ الحاكم الذي بلغ مرتبة الإجتهاد في شرع الله ، بل هذا كما قال النبي ﷺ :

« إذ اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإن أخطأ فله أجر » ، والواجب على كل مسلم أن يدعو خصمه في أي نزاع إلى من يحكم بينهما بشرع الله ، ومن أهل العلم إن لم يوجد قضاء شرعي ، ولايحل له أن يطلب التحاكم إلى المحاكم الوضعية ، وإن اضطر للوقوف أمامها لنيل حق أو دفع ظلم عن نفسه أو غيره ، لايمكنه تحصيله بغير ذلك ، فلا يطالب إلا بما يعطيه له الشرع ، وليعلم أن فتوى المفتي ، وحكم الحاكم وقضاء القاضي لا يجعل الحرام حلالاً ولا الحلال حراماً .

توحيد الألوهية

وهو إفراد الله بالعبادة الظاهرة والباطنة ، وطريقة القرآن إلزام المشركين بتوحيد الألوهية ، بكونهم يقرون بإنفراد الله بالربوبية ، فمشركوا العرب وأهل الكتاب وغيرهم يقرون بأن الله هوالخالق الرازق المحي المميت .

وعلى الرغم من ذلك صرفوا العبادة لغير الله قال تعالى : ﴿ **أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده ، ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله** ﴾(النمل : ٦٤) .

ولا إله إلا الله - كلمة التوحيد - معناها لامعبود بحق إلا الله ، وهي تتضمن الكفر بالطاغوت والإيمان بالله .

﴿ **فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا إنفصام لها** ﴾

(البقرة : ٢٥٦) .

والطاغوت هو كل ماعُبد من دون الله وهو راضٍ ، ويشمل الشيطان والساحر والكاهن والحاكم المبدل لشرع الله .

والعبادة : اسم جامع لكل مايحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة ﴿ **قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين** ﴾ (الأنعام : ١٦٢) .

ومن مظاهر الشرك في الألوهية :

١ ـ دعاء غير الله والإستغاثة به (فيما لا يقدر عليه إلا الله) وطلب المدد منه ، قال تعالى : ﴿ **قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا** ﴾ (الإسراء : ٥٦) .

٢ ـ الإستعاذة بغير الله كالجن وغيرهم ، قال تعالى : ﴿ **وأنه كان رجال من الأنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً** ﴾ (الجن : ٦) .

٣ ـ الذبح لغير الله ، قال تعالى : ﴿ **فصل لربك وانحر** ﴾ (الكوثر : ٢) .

٤ ـ النذر لغير الله ﴿ **وماأنفقتم من نفقة أونذرتم من نذر فإن الله يعلمه** ﴾ (البقرة : ٢٧٠).

٥ ـ التبرك بالأحجار والأشجار معتقداً أنها تنفع وتضر لحديث ذات أنواط ، وكذلك لبس الحلقة والخيط والتمائم لدفع البلاء أو رفعه ، فإن اعتقد أنها لاتنفع ولاتضر من دون الله ، بل هي سبب فهذا كذب على الشرع وعلى القدر وهي من وسائل الشرك وذرائعه ، ومن جملة الشرك الأصغر .

أما التمائم من القرآن ففي جوازها خلاف بين السلف ، وكذلك التبرك بآثار الصالحين ، غير الأنبياء ، ففي جوازه خلاف والراجح منعه سداً للذريعة ، ولترك الصحابة له ، وهو كالإجماع منهم مع وجود المقتضي وانتفاء الموانع .

٦ ـ الإستسقاء بالأنواء للحديث القدسي: « **من قال مُطرنا بنوء كذا وكذا فهو**

كافر بى مؤمن بالكوكب» فاعتقاد أن النجوم تنزل المطر ،وكذا طلب ذلك منها شرك أكبر أما التلفظ بالنوات مع سلامة الإعتقاد ، واعتقاد أنها علامة فالراجح كراهة ذلك تحريماً .

٧ـ إتيان العرافين والكهان وتصديقهم فيما يدعون من علم الغيب ، واعتقاد أنهم يعلمون مفاتح الغيب الخمس ـ شرك أكبر ، قال تعالى : ﴿ **وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو**﴾ (الأنعام : ٥٩) .

ولايحل تعلم الكهانة ولا سؤال الكهان ولو مزاحاً ، كما لايجوز قراءة الفنجان والكف ، أو ضرب الرمل والودع للحديث:« من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد » .

٨ـ التحاكم إلى غير شرع الله لقول النبي ﷺ لعدي بن حاتم :

« ألم يُحلوا لكم الحرام ويحرموا عليكم الحلال فاتبعتموهم » قال بلى ، قال : «فتلك عبادتهم ». والمتبع لغيره في التحليل والتحريم على وجهين :

أـ أن يعلم بأنهم بدلوا دين الله فيتبعهم على التبديل ، فيعتقد تحليل ماحرم الله وتحريم ماأحل الله ، اتباعاً للرؤساء مع علمه أنهم خالفوا دين الرسل ، فهذا كفر ، وقد جعله الله ورسوله شركاً .

ب ـ أن يكون اعتقاده في تحليل الحلال وتحريم الحرام ثابتاً ولكن يطيع في معصيته الله فهذا له حكم أمثاله من أهل الذنوب (ذكره ابن تيميه) .

٩ ـ السحر : قال تعالى ﴿ **وماكفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر** ﴾(البقرة : ١٠٢) .

والسحر له حقيقة ، ويخلق الله عنده مايشاء وتعلمه وتعليمه حرام ، وفي تكفير الساحر تفصيل عند أهل العلم .

١٠ ـ الغلو في الصالحين ، وبناء المشاهد والمساجد على قبورهم وإقامة الموالد حولها وشد الرحال إليها ، مما حذر منه النبي ﷺ أشد التحذير فقال :

«لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ماصنعوا» متفق عليه وقال : «لاتتخذوا قبري عيداً» وقال : «لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجد الكعبة ، ومسجدي هذا والمسجد الأقصى» .

وقد صرف القبوريون العبادات كالذبح والنذر ..... لغير الله بزعم محبة الأولياء والصالحين ، وهذا من أعظم أسباب البلاء لذا كان محاربة هذه البدع من أهم الواجبات على الدعاة إلى الله .

١١ ـ التوسل في الدعاء بمعنى طلب الدعاء من الأموات والغائبين وهذه بدعة بالإتفاق ، وكذلك التوسل بمعنى السؤال بالحق والجاه والذات ،ـ وإن كان مختلفاً فيه ـ إلا أن الراجح منعه ، إذ لم يرد عن الصحابة رضي الله عنهم ، بل تركوا ذلك مع وجود المقتضي وانتفاء الموانع ، فإن اعتقد المتوسل أن معنى الجاه ، تصريف الكون والنفع والضر فيكون شركاً ، كذلك دعاء غير الله وطلب المدد منه على جهة الشفاعة فهذا شرك أكبر .

والمشروع التوسل إلى الله

١ ـ بأسمائه وصفاته .   ٢ ـ العمل الصالح .

٣ ـ بدعاء الصالحين الأحياء كأن تطلب ممن تتوسم فيه الصلاح أن يدعو لك .

١٢ ـ الشفاعة الشركية من جنس مايعتقده المشركون في الأصنام ، أنها تشفع عند الله بغير إذنه كما يشفع الوزراء عند الملوك ، أما الشفاعة الشرعية يوم القيامة ، فهي لمن أذن الله له من النبيين والملائكة والصالحين ـ بعد الإستئذان ـ وتكون لأهل التوحيد خاصة ، وحقيقتها أن الله يتفضل على أهل التوحيد بواسطة دعاء من أذِنَ له ليريهم منزلته وينال بذلك الكرامة عند الله .

وهكذا فالشرك ينقسم إلى قسمين أكبر وأصغر .

فالشرك الأكبر ، صرف أي عبادة لغير الله .

والشرك الأصغر : كل ذريعة أو سبب يؤدي إلى الشرك الأكبر ، ومنه الرياء والحلف بغير الله ، ومايجري على الألسنة كقوله:« ماشاء الله وشئت ، وتوكلت على الله وعليك » وكذلك التطير وبإرادة الإنسان بعمله الدنيا وحكم الشرك الأصغر ، حكم الكبائر في كون صاحبه لايخلد في النار .

الإيمان بالملائكة

١ ـ الإيمان بأنهم عباد الله مكرمون لايعصون الله ماأمرهم ويفعلون مايؤمرون .

٢ ـ خلقهم الله من نور وليسوا بنات لله ولا أولاداً ولا شركاء .

٣ ـ من صفاتهم أن لهم أجنحة يتفاوتون في عددها ﴿ **أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع** ﴾(فاطر : ١) . لايأكلون ولا يشربون ولا ينامون ، ولايفترون عن الطاعة ، مطهرون من الشهوات ، منزهون عن الآثام والخطايا ، يتأذون مما يتأذى منه بنو آدم ومن أماكن المعصية ، وعندهم المقدرة على التشكل والتلون ولديهم سرعات كبيرة .

٤ ـ منهم جبريل الموكل بالوحى ، وميكائيل الموكل بالقطر ، وإسرافيل الموكل بالصور ، وملك الموت الموكل بقبض الأرواح وله أعوان ولايصح تسميته بعزرائيل ومنهم الموكل بكتابة الأعمال ، ومنهم خزنة الجنة ومقدمهم رضوان ، ومنهم خزنة جهنم ورؤسائهم تسعة عشر مقدمهم مالك ومنهم حملة العرش وغيرهم ممن لايحصيهم إلا الله .

٥ ـ ويجب على المؤمن أن يحب جميع ملائكة الله ، ومن عادى أحداً منهم فهو كافر ﴿ **من كان عدواً لله وملائكته وكتبه ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين** ﴾(البقرة : ٩٨). وعليه أن يتشبه بالملائكة في المداومة على الطاعة وتسوية الصفوف في الصلاة ويبعد عن إيذائهم بالمعاصي والذنوب .

الإيمان بالكتب

١ ـ الإيمان بأنهـا منزلة من عند الله وأنهـا كـلام الله لاكـلام غـيـره تكلم الله بها حقيقة .

٢ ـ الإعتقاد بأن كل مافيها من الشرائع كان واجباً على الأمم الذين نزلت إليهم .

٣ ـ الإعتقاد بأنها كلها يصدق بعضها بعضاً ، وذلك لاينافي نسخ بعضها بعض ﴿**ولأحل لكم بعض الذى حُرم عليكم**﴾ (آل عمران : ٥٠) . وكما نسخ القرآن ماخالفه من الشرائع السابقة وكذلك نسخ بعض آيات القرآن ببعضها حق .

كما قال تعالى : ﴿ **مانسخ من آية أو ننسها نأت بخيرمنها أو مثلها** ﴾(البقرة : ١٠٦) .

٤ ـ يجب الإيمان بما سمى الله في كتابه منها : القرآن والتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى .

٥ ـ القرآن مهيمن على ماقبله ، أي شاهد مصدق لما فيها من الحق ، مبين لما زاده أهل الملل السابقة عليها ، مما ليس منها ، ولما نقصوه وبدلوه وحرفوه .

٦ ـ مابأيدي أهل الكتاب اليوم من كتب ، هي مما وقع فيه التحريف بنص القرآن تحريف كتاب:﴿ **فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم** ﴾ (البقرة : ٧٩) .

وتحريف لسان:﴿ **وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب** ﴾ (آل عمران : ٥٢).

وتحريف معاني:﴿ **يحرفون الكلم من بعد مواضعه** ﴾ .

٧ ـ والقرآن كلام الله حقيقة ، حروفه ومعانيه غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود قبل يوم القيامة ، ولايسع أحداً الخروج عن شريعته إلى يوم الدين .

الإيمان بالرسل والأنبياء

الرسول من أوحى الله إليه وأمره بتبليغ رسالة ، والنبي من أوحى الله إليه ولم يؤمر بتبليغ رسالة ، والرسل جميعهم دينهم واحد ، وهو الإسلام ﴿ **إن الدين عند الله الإسلام** ﴾ (آل عمران : ١٩) .

ودعوتهم واحدة هي التوحيد ، صادقون مصدقون ، بارون راشدون هداة مهتدون بلغوا كل ماأمروا به ، والكفر بواحد منهم كفر بجميعهم ، وكفر بالله الذي أرسلهم وأفضلهم أولوا العزم ، محمد وإبراهيم وموسى وعيسى ونوح صلى الله عليهم وسلم أجمعين .

وأفضلهم محمد ﷺ ، والتفضيل بينهم لله لا للناس ، ولا يكون بإنتقاص المفضول ، ومعنى عدم التفريق بين أحد منهم أي في الإيمان بهم جميعاً ، وإن كان بعضهم أفضل من بعض .

والرسل رجال وبشر من البشر ، يأكلون الطعام ، ويمشون في الأسواق ، وجعل الله لمن شاء منهم أزواجاً وذرية ، فلا يُعبدون ولايُغالى فيهم ، وقد خصهم الله بالأخلاق العظيمة من الصدق والأمانة والطهر وعصمهم من المعاصي ، وإجماع أهل السنة على عصمتهم من الكبائر والصحيح أن العصمة من الصغائر أيضاً ، لامن النسيان والسهو والخطأ وسائر عوارض البشرية ، لكن لا يقرون عليه بل يُنهون لذا فهم قدوة للعباد ﴿ **أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده** ﴾ (الأنعام : ٩٠).

ويجب الإيمان بالخمسة والعشرين نبياً المذكورين بأسمائهم في القرآن ، والإيمان بأن هناك رسلاً آخرين لم يقصهم الله على نبيه في القرآن .

وإتباع محمد ﷺ فرض على كل مكلف من الأنس والجن إلى يوم القيامة ، إذا بلغته رسالته ، لايقبل الله من أحد صرفاً ولاعدلاً إلا الإيمان به .

قال تعالى : ﴿ **قل ياأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً** ﴾ (الأعراف : ١٨٥)

وقال النبي ﷺ : « والذي نفسي بيده لايسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولانصراني ثم لايؤمن بي إلا أدخله الله النار » . رواه مسلم .

وكل من ادعى النبوة بعد النبي ﷺ فهو كافر لايجوز تصديقه قال تعالى :

﴿ **ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين** ﴾ (الأحزاب : ٤٠) .

وقال النبي ﷺ : « لانبي بعدي » . فطوائف البابية والبهائية والقاديانية وماشابهها كلها خارجة من ملة الإسلام تجري عليها أحكام المرتدين ، والمسلمون هم اتباع كل الأنبياء إذ دين الأنبياء واحد ـ هو الإسلام ـ وانما تعددت الشرائع ، وشريعة الإسلام مهيمنة على سائر الشرائع .

ومن اعتقد أنه يسوغ لأحد أن يكون مع النبي ﷺ كالخضر مع موسى لايلتزم بشريعته ، لأن له شريعة أخرى فهو كافر بالإجماع ، فقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لو كان موسى بن عمران حياً لما وسعه إلا أن يتبعني » .

وكل نبي أفضل من جميع الأولياء بالإجماع ، والصحابة هم سادات الأولياء بعد الأنبياء وكل مؤمن تقي ولي من أولياء الله ، وبحسب إيمانه وتقواه بحسب ولايته له تعالى .

والنبوة لاتُنال بالكسب والإجتهاد ، بل هي فضل ومنة من الله ﴿ **الله أعلم حيث يجعل رسالته** ﴾(الأنعام : ١٢٤) ، وإذا رأيت الرجل يطير في الهواء أو يمشي على الماء فلا تصدقه حتى تعرض عمله على السنة ، فهذا هو الفارق بين الكرامة الرحمانية والخارقة الشيطانية ، والإستقامة هي أعظم كرامة .

الإيمان باليوم الآخر

ويشمل الإيمان بالموت وسؤال القبر وحياته ، وعلامات الساعة والبعث والنشور والحساب والميزان والصراط والجنة والنار .

١ ـ الموت حق على جميع المخلوقات ﴿ **كل شئ هالك إلا وجهه** ﴾ (القصص : ٨٨) ، والمقصود الأعظم هو الإستعداد له قبل نزوله بالإيمان والعمل الصالح .

٢ ـ يجب الإيمان بسؤال الملكين لكل ميت عن ربه وعن دينه ونبيه ، وأن العبد إذا مات يكون في نعيم أو عذاب ، وذلك يحصل لروحه وبدنه ، ومَن كذب بهذا فهو

ضال مبتدع .

٣ـ ويجب الإيمان بأشراط الساعة الصغرى والكبرى .

فمن **الصغرى** ، رفع العلم وظهور الجهل وضياع الأمانة وكثرة النساء وكثرة القتل ، وغيرها مما ثبت في النصوص .

ومن **الكبرى** ظهور المهدي وظهور المسيح الدجال ونزول عيسى بن مريم يحكم بشريعة الإسلام ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية (أي لايقبلها) ويقتل الدجال ، وخروج يأجوج ومأجوج ، والخسف والدخان ، والدابة وطلوع الشمس من مغربها وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم .

٤ـ ولايعلم وقت قيام الساعة إلا الله ، فلا طلوع لملك مُقرب ولا لنبي مرسل على ذلك ويجب الإيمان بالنفخ في الصور ، وقيام الأجساد بعد عودة الأرواح إليها والحساب والميزان والصراط ، وكُتُبَ الأعمال التي تؤخذ باليمين أو بالشمال من خلف الظهر والشفاعة والحوض مما استفاضت به الأحاديث .

٥ـ الإيمان بالجنة والنار وهما موجودتان الآن لاتفنيان أبداً ولايفنى من فيهما ونعيم الجنة ، حسي ومعنوي ، وأعظم نعيم أهل الجنة النظر إلى وجهه بأبصارهم والنار عذابها حسي ومعنوي ، ولايبقى فيها أحد من أهل التوحيد ممن قال لا إله إلا الله ، بل لابد أن يخرجوا منها بشفاعة الشافعين وبرحمة رب العالمين .

الإيمان بالقدر

ونؤمن بالقدر خيره وشره ، وإنه نظام التوحيد فمن كذَّب بالقدر فقد نقض تكذيبه توحيده ، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما ، والقدر سر الله تعالى في خلقه لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل والتسليم بالقدر إنما يكون في المصائب لا في المعايب ، إذ لابد من الإنتهاء عنها شرعاً ، كما لابد من بذل الوسع في تعاطي ماأمر الله به من الأسباب ، ومراتب القضاء ومشيئته وخلقه لها .

١ ـ أن نؤمن بأن الله تعالى عليم بالخلق وهم عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلاً وأبداً ، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال .

٢ ـ ثم الإيمان بكتابة الله سبحانه المقادير ويدخل فيه خمسة تقادير :

التقدير (**الأزلي**)كتابة الميثاق .

وتقدير(**شقاوة العباد وسعادتهم)** .

والتقدير(**العمري**) .

و التقدير (**الحولي**)في ليلة القدر .

والتقدير(**اليومي**).

وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع جملة وتفصيلاً ، فقد كتب في اللوح المحفوظ ماشاء ، وإذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه بعث إليه ملكاً فيؤمر بأربع كلمات فيقال له اكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد ونحو ذلك فهذا التقدير كما يقول ابن تيميه كان ينكره غلاة القدرية قديماً ومنكروه اليوم قليل .

(٣) الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة وأن ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن ، وأنه مافي السموات ومافي الأرض من حركة ولاسكون إلا بمشيئة الله سبحانه ، لايكون في ملكه مالايريد ، وأنه سبحانه على كل شئ قدير من الموجودات والمعدومات . فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه لاخالق غيره ولا رب سواه ، ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله ونهاهم عن معصيته ، وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولايحب الكافرين ولا يرضى عن القوم الفاسقين ، ولايأمر بالفحشاء ولايرضى لعباده الكفر ولا يحب الفساد .

(٤) والعباد فاعلون حقيقة ، والله خالق أفعالهم ، والعبد هو المؤمن والكافر والبر والفاجروالمصلي والصائم وللعباد قدرة على أعمالهم ، ولهم إرادة ، والله

خالقهم وإرادتهم .

كما قال تعالى : ﴿ **لمن شاء منكم أن يستقيم وماتشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين** ﴾(التكوير : ٢٨) ، وهذه الدرجة ـ كما يقول ابن تيميه ـ يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبي ﷺ مجوس هذه الأمة ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات حتى سلبوا العبد قدرته واختياره ، ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها .

الولاء والبراء

أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله ، ومقتضى الإيمان الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين ، ومقتضى الكفر بالطاغوت ، البراء من الشرك وأهله .

قال تعالى : ﴿ **إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا** ﴾(المائدة: ٥٥) .

وقال : ﴿ **قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه ......** ﴾(الممتحنة : ٤) .

من معاني الولاء :

الحب والرضا والنصرة والطاعة والمتابعة والمعاونة والقيام بالأمر ، ولوازم هذه الأمور : كالتشبه والركون وإظهار المودة ، وتولية الولايات .

وهذه المعاني يجب صرفها لله ولرسوله والمؤمنين ، فيحب الله ورسوله والمؤمنين ويرضى بالله رباً وبالإسلام ديناً ، وينصر دين الله بكل ممكن ومستطاع ، وينصر كل مؤمن ظالماً أومظلوماً (بأن يمنع الظالم من ظلمه والمظلوم ممن ظلمه) ، ويطيع الله ويطيع رسوله ﷺ ، وأولي الأمر من العلماء والأمراء ، الذين يقودون الناس بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، ويتابع طريق المؤمنين ، ويتشبه بالنبي ﷺ وصحابته الكرام ، كما يهتم بأمر المسلمين وينصح لهم ويتعاون معهم على البر والتقوى ويتخذ منهم الأخلاء والأصدقاء دون غيرهم .

ومن أحب الكافرين (المقطوع بكفرهم كفرعون وأبي جهل) ووادهم على

كفرهم ورضى بكفرهم وأطاعهم فيه واتبعهم على مبادئهم المخالفة لدين الإسلام فهو كافر مثلهم ، كمن ينادي بالمساواة بين الأديان ، ويقول إن أهل الإيمان منهم اليهود والنصارى المكذبين برسول الله ﷺ .

ولايجوز لمسلم أن يصادق الكفار ولا أن يتشبه بهم فيما هو من خصائصهم كما لايجوز له مشاركتهم في أعيادهم ولاتهنئتهم بها أوبمظاهر الشرك التي يفعلونها ، ولايصح التسمي بأسمائهم ولا الدعاء لهم بالمغفرة إذا ماتوا على الكفر ، ولا التأريخ بتاريخهم ويتحرز من السفر لبلادهم إلا لحاجة أو ضرورة مع الحرص على إظهار شعائر الدين .

وليس من موالاة الكفار هديتهم وعيادتهم في مرضهم والعدل معهم والتزوج من الكتابية وأكل ذبائح أهل الكتاب والبيع والشراء والإجارة والشركة وقبول الهبة منهم ورحمتهم بالرحمة العامة ومجادلتهم بالتي هي أحسن ، والإستعانة بهم في مصالح المسلمين دون أن يكون لهم سلطان على المسلمين ، وكذا إجابتهم لحق ولتعظيم حرمات الله ، ولنعلم أن المسلم أولى بكل خير والكافر أولى بكل شر .

والله قد أذهب عنا عصبية الجاهلية وتفاخرها بالأحساب ، فالناس مؤمن تقي ، وفاجر شقي ، ولافضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى ، ويجب الحذر من دعوات القومية والوطنية والقبلية فهي دعوات الجاهلية لايقبلها المسلم ولايقف تحت راياتها ولاينصر عليها ، ولايغضب لها ولا يميز بين الناس استناداً عليها .

كما لايجوز الإنضمام إلى الهيئات والنحل التي تقوم على مبادئ تخالف دين الإسلام كالماسونية والعلمانية ونحوها .

قال تعالى : ﴿ **فإن عصوك فقل إني برئ مما تعملون** ﴾(الشعراء : ٢١٦) .

وقال : ﴿ **قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين** ﴾ (يونس : ١٠٨).

(١) الإيمان قول وعمل ونية ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية

قال تعالى: ﴿ **وماكان الله ليضيع إيمانكم** ﴾ (البقرة : ١٤٣) . أي صلاتكم إلى بيت المقدس فسمى الصلاة إيماناً ، وقال سبحانه : ﴿ **ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم** ﴾ (الفتح : ٤) .

وقال النبي ﷺ: « الإيمان بضع وستون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان » .

فالإيمان قول باللسان وإقرار بالجنان (القلب) وعمل بالأركان .

(٢) من مات على التوحيد دخل الجنة يوما من الدهر ، يصيبه قبل هذا اليوم مايصيبه لأحاديث الشفاعة وفضل الشهادة .

(٣) من مات على الشرك بعد بلوغ الرسالة فهو مخلد في النار أبداً ﴿ **إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء** ﴾ ، وأما من لم تبلغهم الرسالة فهم من أهل الإمتحان في عرصات القيامة كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة .

(٤) المسلم الذي يرتكب الكبائر ويصر عليها (أي لايتوب منها) لا يُكَّفر بفعلها ولا يخلد في النار لو دخلها في الآخرة ـ مالم يستحلها لقوله تعالى : ﴿ **ويغفر مادون ذلك لمن يشاء** ﴾ وهذه الآية في غير التائب لأن التائب من الشرك مغفور له فالآية إذن فيمن مات على الشرك ، ولكن ينقص إيمان المرء بمعصيته وفسقه لقول النبي ﷺ : « لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » رواه مسلم .

(٥) من رجحت حسناته على سيئاته بواحدة دخل الجنة بغير دخول النار إلا تحلة القسم ، ومن تساوت حسناته وسيئاته فهو من أصحاب الأعراف ومآلهم إلى الجنة ومن رجحت سيئاته على حسناته استحق دخول النار .

(٦) ومن استحق دخول النار من عصاة الموحدين فهو في مشيئة الله ، إن شاء

عذبه وإن شاء غفر له ـ فالناس يدورون بين فضل وعدل في الدنيا والآخرة ـ ومن هذا الصنف من يدخل النار بلا شك ولكن المسلم لا يدخل النار دخـول الكفـار ولايعذب فيها عذاب الكفار ولا يُخلد فيها خلود الكفار .

(٧) لايختلف أهل السنة في أن تارك النطق بالشهادتين مع القدرة عليها كافر مخلد في النار ، حتى لو اعتقد صحتها بقلبه دون نطق لقوله ﷺ :

« يخرج من النار من قال لا إله إلا الله » .

(٨) والخلاف فيمن ترك الأركان الأربعة تكاسلاً لاجحوداً (وهي الصلاة والصوم والزكاة والحج) من مسائل الإجتهاد عند أهل السنة لايُبدع المخالف فيها ولايُفسق وليست كمسألة مرتكب الكبيرة ، فمن كفَّر مرتكب الكبيرة كالزنا والسرقة أو حكم بخلوده في النار (كالخوارج والمعتزلة) فهو مبتدع .

وأما من كفَّر تارك الصلاة (وهي أشهرها) فهو مجتهد مأجور على أي حال ، وكذا من لم يُكفر كفراً ينقل عن الملة فهو مجتهد ، وهذه المسألة مما يسوغ فيها الخلاف عند أهل السنة ، وإن كان جمهور فقهائهم يقولون عنه كفر دون كفر ، أما تركها جحوداً فكفره معلوم من الدين بالضرورة .

(٩) ومثله الخلاف في تكفير بعض طوائف أهل البدع مما ليس فيه إجماع عند أهل السنة ـ بل هو من مسائل الإجتهاد ـ كالخوارج ومتأخري القدرية والمعتزلة والروافض ، والجمهور على عدم تكفيرهم .

(١٠) لا يُكفر مسلم معين ثبت له حكم الإسلام إلا بعد بلوغ الحجة التي يكفر المخالف لها ، نقل الإجماع عليه ابن حزم وأقره شيخ الإسلام ابن تيميه في منهاج السنة ، سواء كان خلافه في الأصول أو الفروع وهذه الحجة يقيمها عالم أو ذو سلطان مطاع بحيث تنتفي الشبهات وتدرأ المعاذير ويحيَّ من حيَّ عن بينة ويهلك من هلك أيضاً عن بينة .

(١١) يثبت حكم الإسلام بالنطق بالشهادتين بالنص والإجماع ، نقله ابن رجب وغيره ، وكذا بالولادة لأبوين مسلمين لحديث :

« كل مولود يولد على الفطرة » متفق عليه .

والولد يتبع المسلم من والديه ، ومن توقف في الحكم بالإسلام لمن نطق بالشهادتين أو ولد مسلماً ولم يُعلم عنه شرك ولا ردة ، فهو مبتدع لمخالفته إجماع السلف الصالح على ذلك ، ولا يستثنى من ذلك إلا من يقولها حال كفره فلابد من نطقها مع البراءة من الكفر .

(١٢) استمرار عصمة الدم والمال لمن دخل في الإسلام متوقف على التزامه بالصلاة والزكاة وسائر حق الإسلام كما في الحديث :

« أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة .... » الحديث رواه مسلم .

(١٣) يجب الحذر في الجملة من تكفير من قد عُلم إسلامه بيقين لقول النبي ﷺ : « من قال لأخيه ياكافر فقد باء بها أحدهما » .

وقال ﷺ : « لعْن المؤمن كقتله » .

فثبوت عقد الإسلام بيقين لايزحزح بشك ، وإذا كانت الحدود تُدرأ بالشبهات فأولى ثم أولى أمر التكفير ، ولأن يخطئ الحاكم في العفو خير من أن يخطئ في القصاص .

وكان الإمام مالك يقول : (لو احتمل المرء الكفر من تسعة وتسعين وجها واحتمل الإيمان من وجه لحملته على الإيمان تحسيناً للظن بالمسلم) .

وكان الإمام أحمد يقول لعلماء وقضاة الجهمية : (أنا لو قلت قولكم لكفرت ، ولكني لا أكفركم لأنكم عندي جهال) .

وإذا كانت الناس اليوم قد ورثت الإسلام وجهلت معانيه ولم تقم عليهم الحجة الرسالية قياماً يتأكد معه أن يحيَ من حيَّ عن بينة ، وإن يهلك من هلك عن بينة ، فعلينا بدعوتهم والرفق بهم وتعليمهم ماجهلوه من دين الله لا المسارعة في تكفيرهم

الصحابة والخلافة والإمامة

قال تعالى : ﴿ **والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه** ﴾ .

وقال النبي ﷺ : « **خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم** » .

وقال ﷺ: « **لاتسبوا أصحابى فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً مابلغ مُد أحدهم ولا نصيفه** » .

(١) فالواجب على كل مسلم حب الصحابة وتوليهم ومعرفة فضلهم - خصوصاً أفضلهم أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على ثم باقي العشرة المبشرين بالجنة - وأهل بدر وأهل بيعة الرضوان ومن أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى .

وكذا أزواج النبي ﷺ والإيمان بأنهن أزواجه في الجنة ، وحب أهل بيته كما أوصانا النبي ﷺ .

(٢) والخلفاء بعد الرسول ﷺ أبوبكر ثم عمر ثم عثمان ثم على رضي الله عنهم أجمعين لإجماع الصحابة على ذلك وإجماعهم حجة ملزمة ، ومن طعن في خلافة واحد منهم فهو أضل من حمار أهله .

(٣) ومن قدَّم علياً على أبو بكر وعمر في الفضل أو الخلافة فهو ضال مبتدع كما ثبت عن على لما سئل أي هذه الأمة أفضل بعد نبيها قال : (أبو بكر وعمر) .
رواه البخاري .

(٤) ومن قدم علياً على عثمان في الفضل لا في الخلافة فهو مخطئ ، لكن لايُفسق ولا يتبع ، وهي مسألة يُعذر فيها المخالف ، وكان من أهل السنة من يقولها قديماً (كنا بين أصحاب رسول الله ﷺ فنقدم أبا بكر ثم عمر) ثم انعقد الإجماع على تقديم عثمان في الفضل والخلافة معاً لحديث ابن عمر ثم عثمان) رواه البخاري .

(٥) يجب الإمساك عما شجر بين الصحابة بعد مقتل عثمان رضى الله عنه من خلاف وقتال ، فقد زيد فيه ونُقص وغُير عن وجهه ، وكثير مما يروى كذب وزور عليهم ، وأكثر أهل السنة على أن علياً اجتهد وأصاب والمخطئ من خالفه وكلاهما مأجور وكل مجتهد مأجور مرفوع عنه الإثم معذور في خطئه لقول النبي ﷺ :

« الحاكم إذا اجتهد فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر » .

وقوله ﷺ عن الخوارج:« تقتلهم أولى الطائفتين بالحق » وقد قاتلهم على رضى الله عنه .

وسب الصحابة من عظائم الذنوب ، سواء علياً ومن معه أو طلحة أو الزبير أو معاوية ومن معهم رضى الله عنهم أجمعين ، بل هم جميعاً ممن قال الله فيهم:

﴿ ونزعنا مافى قلوبهم من غل إخواناً على سرر متقابلين ﴾ .

(٦) ولا عصمة لأحد بعد النبي ﷺ ، لاالصاحب ولا إمام ولا ولي بل الجميع يجوز عليه الكبائر والصغائر ، لكن للصحابة مزية على من بعدهم للسبق للإسلام والصحبة والهجرة والجهاد في سبيل الله .

(٧) وأولياء الله هم المؤمنون المتقون في كل زمان ومكان من أهل السنةوالجماعة لهم الكرامات والفضائل في الدنيا والآخرة مايوجب حبهم وتوليهم ولكن يجب الحذر من الغلو فيهم أو عبادتهم من دون الله .

(٨) ومن اعتقد في أحد منهم أو من غيرهم الألوهية (كالنصيرية العلويين في على ، والدروز في الحاكم بأمر الله ، والباطنية في إمامهم) أو النبوة (كطوائف من الروافض) أو اعتقد تحريف القرآن أو خطأ الوحي ، فهو كافر بلا خلاف عند أهل السنة ، ولايختلف أهل السنة في عدم تكفير الشيعة المفضلة (الزيدية) .

(٩) وإ قامة الخلافة التي بها تجتمع كلمة المسلمين فرض وواجب على المسلمين عودتها على منهاج النبوة مما بشر به النبي ﷺ ، والسعى إلى ذلك واجب بكل الطرق الشرعية وأهمها الدعوة إلى الله تعالى .

الإتباع

(١) فرض على الناس جميعاً التأدب مع النبي ﷺ وطاعته واتباع سننه قال تعالى: ﴿ **من يُطع الرسول فقد أطاع الله** ﴾ ﴿ **كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة** ﴾ فالكتاب القرآن ، والحكمة سنة رسول الله ﷺ .

(٢) ومقتضى شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ تجريد متابعته وتحكيمه في كل موارد النزاع في أصول الدين وفروعه ، وفي العقائد والأحكام ومنازل القلوب والرضا بحكمه ، والإنقياد له ، والتسليم لسنته ، والإعراض عمن خالفه وتقديم قوله وهديه وأمره ونهيه على قول كل أحد كائناً من كان .

(٣) التوحيد توحيدان ، توحيد المرسل وتوحيد متابعة الرسول ، وكل الطرق مسدودة إلا طريق رسول الله ﷺ ، وكل من أراد تربية نفسه وتزكيتها فعليه بالمتابعة الصادقة لرسول الله ﷺ علماً وعملاً واعتقاداً .

(٤) من اعتقد أن هدي غير النبي ﷺ أكمل من هديه ، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه ، كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر ، وكذلك من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ، ولو عمل به فقد كفر .

لقوله تعالى : ﴿ **ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم** ﴾ .

وكذلك من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه أو عقابه كفر والدليل قوله تعالى: ﴿ **قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن ، لاتعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم** ﴾ ويدخل فيما ذكرنا من اعتقد أن الأنظمة والقوانين التي يسنها الناس أفضل من شريعة الإسلام أو أن نظام الإسلام لايصلح تطبيقه في القرن العشرين أو أنه كان سبباً في تخلف المسلمين أو أنه يُحصر في علاقة المرء بربه دون أن يتدخل في شئون الحياة الأخرى ومن ذلك أن يرى أن إنفاذ حكم الله في قطع يد السارق أو رجم الزاني المحصن لا يناسب العصر الحاضر .

ويدخل في ذلك أيضاً كل من أعتقد أنه يجوز الحكم بغير شريعة الله في المعاملات أو الحدود أو غيرهما وإن لم يعتقد أن ذلك أفضل من حكم الشريعة لأنه بذلك يكون قد استباح ماحرم الله إجماعاً وكل من استباح ماحرم الله مما هو معلوم من الدين كالزنا والخمر والربا والحكم بغير شريعة الله فهوكافر بإجماع المسلمين .

الإجتهاد والتقليد

(١) الإتباع أن يتبع الإنسان ماأنزل الله على رسوله ، أي يأخذ بالحجة التي يأخذ بها العلماء ، ومن استبانت له السنة لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس .

(٢) والتمذهب بمذهب إمام معين من الأمور الجائزة للعاجز عن الإجتهاد لعذر وليس بلازم ، إذ لاواجب إلا ماأوجبه الله ورسوله .

أما التعصب المذهبي ، وهو أن يرد كل ماخالف إمامه ولا يقبل منه شيئاً حتى ولو استبانت له الحجة فهو مذموم ، ومنه البدع ، وقد نهى الأئمة عن هذا التعصب وعن هذا الجمود .

(٣) احترام الأئمة المجتهدين المقبولين عند الأمة (كالأئمة الأربعة والثوري وابن عيينة وابن المبارك .....) ومحبتهم وموالاتهم - واجب على كل مسلم - إذ هم ورثة النبي ﷺ ، وليس أحد منهم يتعمد مخالفة الرسول ﷺ خصوصاً الأئمة الأربعة (أصحاب المذاهب الفقهية المعروفة) - ولكن كل يُؤخذ من قوله ويُترك إلا رسول الله ﷺ .

(٤) الإنتقال بين المذاهب بمجرد التشهي بغير دليل ، والإنتقاء من المذاهب مايُناسب الهوى بدعة ضلالة ومنكر يخالف الإجماع ، ومن تتبع رخص المذاهب تجمع فيه الشر كله ، فكيف بمن تتبع زلات العلماء ، وصنع منها دينا !!! .

(٥) الواجب على العالم الجامع لأدوات الإجتهاد أن يجتهد ويتبع ماوصله من الأدلة ، يدل الناس عليها ، ولايحل له التقليد إلا عند العجز .

والواجب على الجاهل الذي لاقدرة له على النظر في الأدلة ولا فهمها ولا الترجيح بينها ، أن يسأل العلماء ويتبعهم على مايفتونه ، ومن كان عنده علم وإطلاع وتمييز بين الأقوال والمذاهب فليس هو كالجاهل العامي المقلد بل عليه أن يتبع مااطلع على دليله الشرعي من أقوال العلماء وله إذا جمع الأدلة في مسألة أو أكثر أن يرجح بين الأقوال .

ومَن علم مسألة فهو بها عالم ، ومسائل الإجتهاد تتجزأ ولايحل القول في دين الله بغير علم ومن سئل عن دليل المسألة التي يتكلم بها بيِّنه ولاحرج في سؤال عالم في مسائل الصلاة وآخر في مسائل الزكاة .... ويستفتي العلماء من أى مذهب ويجتهد في اختيار الأعلم والأورع .

(٦) الآراء العارية عن الدليل متساوية ويجوز العمل بأى واحد منها إذا اطمأن إليه قلب المكلف ، والتعصب لواحد منها ضلال .

(٧) لايصح القول بإغلاق باب الإجتهاد ، فما أكثر الحوادث المستجدة التي تتطلب ممن هو أهل للإجتهاد والإستنباط أن يطبق الأحكام الشرعية على الواقع المساوي لها وأن يحكم على الجديد من أمور الحياة وشؤونها وضروراتها .

(٨) الإجتهاد هو بذل العالم وسعه في استنباط الحكم ، فإن حكم بنص فقد حكم بحكم الله ، وإن حكم بما يفهم ويرى فيجب أن يغلب على ظنه أن الله لو أنزل نصاً لهذا الحكم لكان موافقاً لما أفتى به .

(٩) وطاعة ولي الأمر المسلم فيما يجتهد فيه لمصالح المسلمين والنصح له واجب ولايجوز مخالفته إلا إذا أمر أمراً صريحاً بمعصية الله عزوجل ويجوز الإفتاء بغير مايراه إذا كان مع المفتي دليل وطاعته في الأمور العامة إذا كان مجتهداً متأولاً مشروعة .

أما في الأمور الخاصة والتي لا يتأتى من ورائها تفريق المسلمين فلاتجوز إذا كانت

الحجة بخلاف أمره ، ولايجوز للكافر أن يتولى إمرة المسلم .

(١٠) التحاكم إلى الله ورسوله يقطع الخلاف ، فإن لم تتضح الحجة عذر كل أخاه ووكل سريرته إلى الله عزوجل وأحسن الظن بأخيه وأساء الظن بنفسه .

(٧) أهل السنة والجماعة

هناك فارق بين أهل السنة وأهل القبلة ، فليس كل من انتسب للقبلة يكون من أهل السنة ، بل قد يكون من أهل البدع والأهواء كحالة الخوارج الذين لم يكفرهم علي رضى الله عنه ولاجمهور الصحابة

جاء في« شرح الطحاوية» ٢٨٦ (ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ماداموا بما جاء به النبي ﷺ معترفين وله بكل ماقاله وأخبر مصدقين).

قال رسول الله ﷺ : « من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا ، وأكل ذبيحتنا ، فهو المسلم ، له مالنا وعليه ماعلينا » أخرجه البخاري وغيره .

ويشير الشيخ رحمه الله بهذا الكلام إلى أن الإسلام والإيمان واحد وأن المسلم لايخرج من الإسلام بإرتكاب الذنب مالم يستحله .

والمراد بقوله : أهل قبلتنا من يدعى الإسلام ويستقبل الكعبة وإن كان من أهل الأهواء ، أو من أهل المعاصي ، مالم يُكذِّب بشئ مما جاء به الرسول ﷺ .....) إلى أن قال (ولانُكفر أحداً من أهل القبلة بذنب مالم يستحله ولانقول لايضر مع الإيمان ذنب لمن عمله) .

فرد بذلك على الخوارج القائلين بالتكفير بكل ذنب كما رد على المرجئة فإنهم يقولون : لايضر مع الإيمان ذنب ، كما لاينفع مع الكفر طاعة ، فهؤلاء في طرف والخوارج في طرف وكلاهما على ضلالة خالفوا بها ماكان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام .

فهذا هو مقياسنا وميزاننا ، ولا يثبت الحق بمجرد الإدعاء ، ولذلك لزم على الأفراد والدول والجماعات أن تعرض نفسها على أصول وقواعد أهل السنة والجماعة .

فقد كانوا يثبتون كل ماوافق الكتاب والسنة وماخالفهما أبطلوه ، ولا معصوم عندهم إلا رسول الله ﷺ .

وإجماع السلف الصالح عندهم حجة شرعية مُلزمة لمن بعدهم ، وهم لايقرون قولاً ولا يقبلون اجتهاداً إلا بعد عرضه على الكتاب والسنة والإجماع ، ولا يعارضون القرآن والسنة بعقل أورأى أو قياس ، ولايوجبون على العاجز في معرفة العلم مايجب على القادر .

والجماعة عندهم هى مناط النجاة في الدنيا والآخرة ، فأهل السنة هم أهل الجماعة وأهل التوسط والإعتدال وهم أيضاً أهل الجُمل الثابتة بالقرآن والسنة والإجماع ، فهم أهل الشريعة ، وهم الإمتداد التاريخي لأهل ملة الإسلام جمعوا الدين علماً وعملاً ، ظاهراً وباطناً ، ولا يأخذون إلا ماكان ثابتاً عن الرسول ﷺ.

والسلف الصالح يقومون بكتاب الله حفظاً وتلاوة وتفسيراً ، كما يهتمون بالحديث معرفة وفهماً وتمييزاً لصحيحه من سقيمه (لأنهما مصدر التلقي) ، مع إتباع العلم بالعمل ويؤمنون بالكتاب كله ويجمعون بين القوة وبين العمل بالأسباب والتوكل على الله ويحرصون على إقامة حضارة على منهاج النبوة ، فالتطور عندهم لاينافي التخلق بأخلاق المؤمنين.

والسلفية ليس معناها الجمود على وسائل التطور الأولى ، والسلف كانوا يحرصون على معرفة السنن والنزول على حكمها وقد اختلفت اجتهاداتهم تبعاً لتفاوت علمهم بالسنة ، ولكن ضبطوا أنفسهم لحرصهم على الوحدة والإئتلاف وجمع كلمة المسلمين على الحق وتوحيد صفوفهم على التوحيد والإتباع وابعاد كل أسباب النزاع والخلاف بينهم . والحق في النهاية لايخرج عنهم .

وأهل السنة هم الطائفة المنصورة ، وهم خير الناس للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكرويحافظون على الجماعة ويلتزمون الطاعة في المعروف ومن هنا لايتميزون على الأمة في أصول الدين باسم سوى السنة والجماعة ولايوالون

ولا يعادون على رابطة سوى الإسلام والسنة ، ويغزون مع أمرائهم أبراراً كانوا أم فجاراً من أجل إقامة شرائع الإسلام سيماهم الإنصاف والعدل ، فهم يراعون حق الله تعالى ولهذا لايغلون في موال ولايجورون على معاد ، ولايغمطون ذا فضل فضله أياً كان ، ويحرصون على الإحسان والرحمة وحسن الخلق مع الناس كافة صبغتهم ربانية ، ويدعون إلى الله على بصيرة ويعلمون أن الدعوة بالسلوك أبلغ من الدعوة بالقول ، ويبدأون فيها بالأهم .

والبيان أول واجباتها ويبلغونها بالحكمة والموعظة الحسنة ولايجادلون الناس إلا بالتي هي أحسن ، فتخلق بهذه السمات وهذه الخصائص ، واحرص على أن تكون في واقعك وواقع الناس حتى نسلم في دنيانا وآخرتنا من سخط ربنا .

إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم [1]

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أن هذا القرآن العظيم الذي هو أعظم الكتب السماوية ، وأجمع الجميع وأصوبها ، وهذه الآية الكريمة أجمل الله جل وعلا فيها جميع مافي القرآن من الهدى إلى خير الطرق وأعدلها وأصوبها .

فلو تتبعنا تفصيلها على وجه الكمال لأتينا على جميع القرآن العظيم ، لشمولها لجميع مافيه من الهدى إلى خير الدنيا والآخرة ، فمن ذلك توحيد الله جل وعلا فقد هدي القرآن فيه للطريق التي هي أقوم الطرق وأعدلها .

وهي توحيده جل وعلا في ربوبيته وفي عبادته وفي أسمائه وصفاته ، ومن تتبع الآيات وجد أن الأسئلة المتعلقة بتوحيد الربوبية إستفهامات تقرير ، يراد منها أنهم إذا أقروا رتب لهم التوبيخ والإنكار على ذلك الإقرار لأن المقر بالربوبية يلزمه الإقرار بالألوهية ضرورة .

نحو قوله تعالى : ﴿ **أفي الله شك** ﴾.

وقوله : ﴿ **قل أغير الله أبغي رباً** ﴾ واليهود والنصارى لاينكرون الربوبية وإقرارهم هذا يلزمهم أن يوجدوا ربهم ، وأن يفردوه

---

١ ـ راجع تفسير الآية في أضواء البيان للشنقيطي (سورة الاسراء) .

بالعبادة ولايجعلوا معه آلهة أخرى ، وأن ينزهوه سبحانه عن الصاحبة والولد ونحن نذكر بعون الله ـ بعض المسائل والشبهات ونوضح كيف هدى القرآن فيها للتي هي أقوم .

(١) من هَدْيه ، جعله الطلاق بيد الرجل

قال تعالى : ﴿ **يأيها النبى إذا طلقتم النساء** ﴾ الآية ونحوها من الآيات ، وفيها جعل سبحانه الطلاق بيد الرجل وذلك لأن النساء مزارع وحقول ، تبذر فيها النطف كما يبذر الحب في الأرض قال تعالى : ﴿ **نساؤكم حرث لكم** ﴾ .

ولاشك أن الطريق التي هي أقوم الطرق : أن الزارع لا يُرغم على الإذراع في حقل لايرغب الزراعة فيه لأنه يراه غير صالح له ، والدليل الحسي القاطع على ماجاء به القرآن من أن الرجل زارع والمرأة مزرعة ، لأن آلة الإزراع مع الرجل ، فلو أرادت المرأة أن تجامع الرجل وهو كاره لها لارغبة له فيها لم تستطع ، بخلاف الرجل فإنه قد يرغمها وهي كارهة فتحمل وتلد .

فدلت الطبيعة والخلقة على أنه فاعل وأنها مفعول به ولذا أجمع العقلاء على نسبة الولد له لا لها وتسوية المرأة بالرجل في ذلك مكابرة في المحسوس كما لايخفى .

(٢) إباحة تعدد الزوجات إلى أربع [1]

وهذا من هدي القرآن للتي هي أقوم ، فإذا خاف الرجل عدم العدل بينهن لزمه الإقتصار على واحدة أو ملك يمينه ، كما قال تعالى : ﴿ **وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ماملكت أيمانكم** ﴾ .

وإباحة تعدد الزوجات أمور محسوسة يعرفها كل العقلاء منها :

أن المرأة الواحدة تحيض وتمرض وتنفس إلى غير ذلك من العوائق المانعة من قيامها بأخص لوازم الزوجية ، والرجل مستعد للتسبب في زيادة الأمة ، فلو حبس

١ ـ راجع كتابي « وعاشروهن بالمعروف » ٧١ ـ ٨٣ .

عليها في أحوال عذرها لعطلت منافعه باطلاً في غير ذنب .

ومنها : أن الله أجرى العادة بأن الرجال أقل عدداً من النساء في أقطار الدنيا وأكثر تعرضاً لأسباب الموت منهن في جميع ميادين الحياة ، فلو قعد الرجل على واحدة لبقي عدد ضخم من النساء محروماً من الزواج ، فيضطرون إلى ركوب الفاحشة .

فالعدول عن هدي القرآن في هذه المسألة من أعظم أسباب ضياع الأخلاق والإنحطاط إلى درجة البهائم في عدم الصيانة والمحافظة على الشرف والمروءة والأخلاق ، فسبحان الحكيم الخبير ﴿ **كتاب أحكمت آياته ثم فُصلت من لدن حكيم خبير** ﴾ .

ومنها : أن الإناث كلهن مستعدات للزواج ، وكثير من الرجال لاقدرة لهم على القيام بلوازم الزواج لفقرهم فالمستعدون للزواج من الرجال أقل من المستعدات له من النساء ، لأن المرأة لاعائق لها .

والرجل يعوقه الفقر وعدم القدرة على لوازم النكاح ، فلو قصر الواحد على الواحدة لضاع كثير من المستعدات للزواج أيضاً بعدم وجود أزواج ، فيكون ذلك سبباً لضياع الفضيلة وتفشي الرذيلة والإنحطاط الخلقي وضياع القيم الإنسانية كما هو واضح .

والذي أباحه الإسلام هو تعدد الزوجات لاتعدد العشيقات ، فإن خاف الرجل ألا يعدل بينهن ، وجب عليه الإقتصار على واحدة لأن الله تعالى يقول : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان** ﴾ والتفضيل بينهن في الحقوق الشرعية لايجوز لقوله تعالى ﴿ **فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة** ﴾(النساء : ١٢٩) .

أما الميل الطبيعي بمحبة بعضهن أكثر من بعض ، فهو غير مستطاع دفعه للبشر فلا حرج فيه وهو المراد بقوله:﴿ **ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء** ﴾(النساء : ١٢٩) .

ومايزعمه بعض الملاحدة من أعداءدين الإسلام من أن تعدد الزوجات يلزمه الخصام

والشغب الدائم المفضي إلى نكد الحياة ، وأن هذا ليس من الحكمة ، فهو كلام ساقط ، يظهر سقوطه لكل عاقل ، لأن الخصام والمشاغبة بين أفراد أهل البيت لا انفكاك عنه البتة فيقع بين الرجل وأمه ، وبينه وبين أبيه ، وبينه وبين أولاده ، وبينه وبين زوجته الواحدة ، فهو أمر عادي ليس كبير شأن .

وهو في جنب المصالح العظيمة التي ذكرناها في تعدد الزوجات من صيانة النساء وتيسير التزويج لجميعهن ، وكثرة عدد الأمة لتقوم بعددها الكثير في وجه أعداء الإسلام ، كلا شئ لأن المصلحة العظمى يقدم جلبها على دفع المفسدة الصغرى .

ففداء الأسارى مصلحة راجحة ، ودفع فدائهم النافع للعدو مفسدة مرجوحة فتقدم عليها المصلحة الراجحة ، وكذلك العنب تعصر منه الخمر وهي أم الخبائث ، إلا أن مصلحة وجود العنب والزبيب والإنتفاع بهما في أقطار الدنيا مصلحة راجحة على مفسدة عصر الخمر منها ألغيت لها تلك المفسدة المرجوحة .

فالقرآن أباح تعدد الزوجات لمصلحة المرأة في عدم حرمانها من الزواج ولمصلحة الرجل بعدم تعطل منافعه في حال قيام العذر بالمرأة الواحدة ولمصلحة الأمة ليكثر عددها فيمكنها مقاومة عدوها لتكون كلمة الله هي العليا ، فهو تشريع حكيم خبير لايطعن فيه إلا من أعمى الله بصيرته بظلمات الكفر .

وتحديد الزوجات بأربع تحديد من حكيم خبير ، وهو أمر وسط بين القلة المفضية إلى تعطل بعض منافع الرجل ، وبين الكثرة التي هي مظنة عدم القدرة على القيام بلوازم الزوجية للجميع .

وعموماً فقد تشترط المرأة على زوجها ألا يتزوج عليها بأخرى عند العقد فيلزمه الوفاء والمعروف عرفاً كالمشروط شراطاً ، وإباحة التزوج بأكثر من أربع خصوصية من خصوصيات رسول الله ﷺ ومن تتبع قصص الأنبياء كدواد وسليمان وغيرها علم أن التعدد نظام كان موجوداً قبل بعثة النبي ﷺ ، وقد أجازت كثيرمن بلدان

العالم التعدد بعد أن كانت تحرمه وتمنعه ، تحقيقاً للمصلحة الظاهرة ودفعاً للمضرة والمفسدة وعموماً فالمسلم يدور مع إسلامه حيث دار ﴿ **فأقم وجهك للدين حنيفاً** ﴾ .

(٣) تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث

قال تعالى : ﴿ **وإن كانوا إخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين ، يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شئ عليم** ﴾ وقد صرح تعالى في هذه الآية الكريمة : أنه يبين لخلقه هذا البيان الذي من جملته تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث لئلا يضل فمن سوى بينهما فيه فهو ضال قطعاً .

ثم بين أنه أعلم بالحكم والمصالح وبكل شيء من خلقه ، ولاشك أن الطريق التي هي أقوم الطرق وأعدلها : تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث الذي ذكره الله تعالى ، كما أشار تعالى إلى ذلك بقوله : ﴿ **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض** ﴾ بعضهم أي الرجال على بعض أي النساء .

وقوله ﴿ **وللرجال عليهن درجة** ﴾ وذلك لأن الذكورة كمال خَلْقي ، وقوة طبيعية وشرف وجمال والأنوثة نقص خلقي وضعف طبيعي كما هو محسوس مشاهد لجميع العقلاء ، لايكاد ينكره إلا مكابر في المحسوس .

وقد أشار جل وعلا إلى ذلك بقوله : ﴿ **أو من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين** ﴾ لأن الله أنكر عليهم في هذه الآية الكريمة أنهم نسبوا له مالايليق به من الولد ومع ذلك نسبوا له أخس الولدين وأنقصهما وأضعفهما .

ولذلك ينشأ في الحلية أي الزينة من أنواع الحلي والحُلَل ليجبر نقصه الخلقي الطبيعي بالتجميل بالحلي والحلل وهو الأنثى ، بخلاف الرجل ، فإن كمال ذكورته وقوتها وجمالها يكفيه عن الحلي وقال تعالى : ﴿ **ألكم الذكر وله الأنثى ، تلك إذاً قسمة ظيزى** ﴾ وإنما كانت هذه القسمة ظيزي - أي غير عادلة - لأن الأنثى أنقص من الذكر خلقة وطبيعة ، فجعلوا هذا النصيب الناقص لله جل وعلا سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيراً ، وجعلوا الكامل لأنفسهم .

والآيات في هذا المعنى كثيرة ومعلوم عند عامة العقلاء أن الأنثى متاع لابد له ممن يقوم بشئونه ويحافظ عليه ، وقد شبه العلماء النساء بالطعام والفاكهة ، وجاءت السنة الصحيحة بالنهي عن قتل النساء والصبيان في الجهاد لأنهما من جملة مال المسلمين الغانمين .

ثم المرأة الأولى خُلقت من ضلع الرجل الأول ، فأصلها جزء منه إذاً فالعقل الصحيح الذي يدرك الحكم والأسرار ، يقضي بأن الناقص الضعيف بخلقته وطبيعته يلزم أن يكون تحت نظر الكامل في خلقته ، القوي بطبيعته ، ليجلب له مالايقدر على جلبه من النفع ويدفع عنه مالايقدر على دفعه من الضرر .

ولذلك كانت القوامة للرجل ، وبمقتضاها يُلزم بالإنفاق على نسائه ، والقيام بجميع لوازمهن في الحياة كما قال تعالى: ﴿ **وبما أنفقوا من أموالهم** ﴾ وهذا يجعل الرجل مترقباً للنقص دائماً بالإنفاق وبذل المهور لهن والبذل في نوائب الدهر والمرأة مترقبة للزيادة بدفع الرجل لها المهر ، وإنفاقه عليها وقيامه بشئونها ، وإيثار مترقب النقص دائماً على مترقب الزيادة دائماً لجبر بعض نقصه المترقب ، حكمته ظاهرة واضحة ، لاينكرها إلا من أعمى الله بصيرته بالكفر والمعاصي ولذا قال تعالى: ﴿ **للذكر مثل حظ الأنثيين** ﴾ .

ولأجل هذه الحكم التي بينا بها فضل نوع الذكر على الأنثى في أصل الخلقة والطبيعة ، جعل الحكيم الخبير الرجل هو المسئول عن المرأة في جميع أحوالها وخصه بالرسالة والنبوة والخلافة دونها ، وملكه الطلاق دونها ، وجعله الولي في النكاح دونها ، وجعل أنساب الأولاد إليه لا إليها ، وجعل شهادته في الأموال بشهادة إمرأتين في قوله تعالى: ﴿ **فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء** ﴾ وجعل شهادته تقبل في الحدود والقصاص دونها ، إلى غير ذلك من الفوارق الحسية والمعنوية والشرعية بينهما .

وقد صح عن النبي ﷺ اللعن على من تشبه منهما بالآخر والمرأة التي تحاول أن

تكون كالرجل في جميع الشئون ، إمرأة مترجلة متشبهة بالرجال ملعونة في كتاب الله وعلى لسان رسول الله ﷺ .

وكذلك المخنثون المتشبهون بالنساء فهم أيضاً ملعونون وحالهم أخزى ، وهذا يجعلنا نقول : إن تسوية الأنثى بالذكر في جميع الأحكام والميادين فيها من الفساد والإخلال بنظام المجتمع الإنساني مالا يخفى على أحد إلا من أعمى الله بصيرته .

فالأنثى بصفاتها الخاصة بها صالحة لأنواع من المشاركة في بناء المجتمع صلاحاً لايصلح لها غيرها كالحمل والوضع والإرضاع وتربية الأولاد وخدمة البيت والقيام على شئونه وهذه الخدمات التي تقوم بها للمجتمع داخل بيتها في ستر وصيانة وعفاف ومحافظة على الشرف والفضيلة ، لاتقل عن خدمة الرجل بالإكتساب .

ومن المعلوم أن المرأة في زمن حملها ورضاعها ونفاسها لاتقدر على مزاولة أي عمل فيه أي مشقة كما هو مشاهد فإذا خرجت هي وزوجها بقيت خدمات البيت كلها ضائعة .

على أن خروج المرأة وابتذالها فيه ضياع المروءة والدين لأن المرأة متاع وهو أشد متعة الدنيا تعرضاً للخيانة فتعريضها لأن تكون مائدة للخونة فيه مالا يخفى على أدنى عاقل .

ودعوى الجهلة أن دوام خروج النساء متبرجات وإختلاطهن بالرجال يُذهب إثارة غرائز الرجال ، لأن كثرة الإمساس تُذهب الإحساس كلام في غاية السقوط والخسة ، لأن معناه : إشباع الرغبة مما لايجوز ، والإمساس المذكور لايُذهب إثارة الغريزة باتفاق العقلاء ، لأن الرجل يمكث مع زوجته سنين كثيرة ، ولاتزال ملامسته لها ورؤيته لبعض جسمها تثير غريزته ، كما هو مشاهد لاينكره إلا مكابر .

وقد أمر رب السموات والأرض ، خالق هذا الكون ومدبر شئونه ، العالم بخفايا أموره ، وبكل ماكان وماسيكون فيه بغض النظر عما لايحل .

قال تعالى : ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن ....** ﴾ الآية .

ونهى المرأة أن تضرب برجلها لتسمع الرجال صوت خلخالها في قوله تعالى : ﴿ **ولا يضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن** ﴾ ونهاهن عن لين الكلام لئلا يطمع أهل الخنى فيهن ، قال تعالى : ﴿ **فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً** ﴾ .

(٤) الرقة

ومن هدي القرآن للتي هي أقوم : ملك الرقيق المعبر عنه في القرآن بملك اليمين وذلك في آيات كثيرة كقوله تعالى ﴿ **والذين هم لفروجهم حافظون، إلا على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين** ﴾ (المعارج : ٢٩ ، ٣٠) والمراد بملك اليمين في هذه الآية وغيرها ملك الرقيق بالرقة ، وسبب الملك بالرقة : هو الكفر ومحاربة الله ورسوله فإذا أقدر الله المسلمين المجاهدين الباذلين مهجهم وأموالهم ، وجميع قواهم ، وماأعطاهم الله لتكون كلمة الله هي العليا على الكفار ، جعلهم ملكاً لهم بالسبي ، إلا إذا اختار الإمام المن أو الفداء لما في ذلك من المصلحة على المسلمين .

وهذا الحكم من أعدل الأحكام وأوضحها وأظهرها حكمة ، وذلك أن الله جل وعلا خلق الخلق ليعبدوه ويوحدوه ، ويمتثلوا أوامره ويتجنبوا نواهيه كما قال تعالى : ﴿ **وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ، ماأريد منهم من رزق وماأريد أن يطعمون** ﴾ وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة وجعل لهم السمع والأبصار والأفئدة ليشكروه .

فتمرد الكفار على ربهم وطغوا وعتوا ، وأعلنوا الحرب على رسله لئلا تكون كلمته هي العليا ، واستعملوا جميع المواهب التي أنعم عليهم بها في محاربته وارتكاب مايسخطه ، ومعاداته ومعاداة أوليائه القائمين بأمره ، وهذا أكبر جريمة

يتصورها الإنسان فعاقبهم الحكم العدل اللطيف الخبير جل وعلا ـ عقوبة شديدة تناسب جريمتهم ، فسلبهم التصرف ووضعهم من مقام الإنسانية إلى مقام أسفل منه كمقام الحيوانات ، فأجاز بيعهم وشراءهم ، وغيرذلك من التصرفات المالية ، مع أنه لم يسلبهم حقوق الإنسانية سلباً كلياً ، فأوجب على مالكهم الرفق والإحسان إليهم وأن يطعموهم مما يطعمون ويكسوهم مما يلبسون ، ولايكلفوهم من العمل مالا يطيقون وإن كلفوهم أعانوهم ، كما هو معروف في السنة الواردة عنه ﷺ ، مع الإيصاء عليهم في القرآن .

كما في قوله تعالى : ﴿ **واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذى القربى واليتامى** ﴾ إلى قوله : ﴿**وما ملكت أيمانكم**﴾ (النساء : ٣٦).

وتشوف الشارع تشوفاً شديداً للحرية والإخراج من الرق فأكثر أسباب ذلك كما أوجبه في الكفارات من قتل خطأ وظهار ويمين وغير ذلك وأوجب سراية العتق وأمر بالكتابة في قوله:﴿ **فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً** ﴾ورغب في الإعتاق ترغيباً شديداً .

ولو فرضنا (ولله المثل الأعلى) أن حكومة من هذه الحكومات التي تنكر مسألة الرقيق وتشنع في ذلك على دين الإسلام قام عليها رجل من رعاياها كانت تغدق عليه النعم ، وتسدي إليه جميع أنواع الإحسان ودبر عليها صورة شديدة يريد بها اسقاط حكمها ، ثم قدرت عليه بعد مقاومة شديدة فإنها تقتله شر قتلة .

ولا شك أن ذلك القتل يسلبه جميع تصرفاته وجميع منافعه ، فهو أشد سلباً لتصرفات الإنسان ومنافعه من الرق بمراحل .

والكافر قام ببذل كل مافي وسعه ليحول دون إقامة نظام الله الذي شرعه ليسير عليه خلقه فينشر بسببه في الأرض الأمن والطمأنينة والرخاء والعدالة والمساواة في الحقوق الشرعية وتنظم به الحياة على أكمل الوجوه وأعدلها وأسماها ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم**

تذكرون ﴾ فعاقبة الله هذه المعاقبة بمنعه التصرف ووضع درجته وجريمته تجعله يستحق العقوبة بذلك .

فإن قيل : إذا كان الرقيق مسلماً فما وجه ملكه بالرق؟ مع أن سبب الرق الذي هو الكفر ومحاربة الله ورسله قد زال ؟ .

فالجواب أن القاعدة المعروفة عند العلماء وكافة العقلاء :

« أن الحق السابق لايرفعه الحق اللاحق ، والأحقية بالأسبقية ظاهرة لاخفاء بها فالمسلمون عندماغنموا الكفار بالسبي ثبت لهم حق الملكية بتشريع خالق الجميع وهو الحكيم الخبير فإذا استقر هذا الحق وثبت ثم أسلم الرقيق بعد ذلك كان حقه في الخروج من الرق بالإسلام مسبوقاً بحق المجاهد التي سبقت له الملكية قبل الإسلام وليس من العدل والإنصاف رفع الحق السابق بالحق المتأخر عنه كما هو معلوم عن العقلاء.

نعم يحسن بالمالك ويجمل به أن يعتقه إذا أسلم ، وقد أمر الشارع بذلك ورغب فيه وفتح له الأبواب الكثيرة فسبحان الحكيم الخبير﴿ **وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لامبدل لكلماته وهو السميع العليم** ﴾ فقوله:﴿ **صدقاً** ﴾ أي في الإخبار وقوله: ﴿ **عدلاً** ﴾ أي في نظام الأحكام ولاشك أن من ذلك العدل : الملك بالرق وغيره من أحكام القرآن .

(٥) القصاص

وهذا الحكم من هدي القرآن للتي هي أقوم ، فإن الإنسان إذا غضب وهم بأن يقتل إنساناً آخر فتذكر أنه إن قتله قُتل به ، خاف العاقبة فترك القتل ، فحي ذلك الذي كان يريد قتله ، وحي هو لأنه لم يقتل فيقتل قصاصاً ، فقتل القاتل يحيا به مالا يعلمه إلا الله كثرة .

قال تعالى : ﴿ **ولكم فى القصاص حياة ياأولي الألباب لعلكم تتقون** ﴾ (البقرة : ١٧٩) ولا شك أن هذا من أعدل الطرق وأقومها ، ولذلك يُشاهد في أقطار الدنيا

قديماً وحديثاً قلة وقوع القتل في البلاد التي تُحكم بكتاب الله ، لأن القصاص رادع عن جريمة القتل .

ومايزعمه أعداء الإسلام من أن القصاص غير مطابق للحكمة لأن فيه إقلال عدد المجتمع بقتل إنسان بعد أن مات الأول وأنه ينبغي أن يعاقب بغير القتل فيحبس وقد يولد له في الحبس فيزيد المجتمع ، كلام ساقط عار من الحكمة لأن الحبس لايروع الناس عن القتل فإذا لم تكن العقوبة رادعة فإن السفهاء يكثر منهم القتل فيتضاعف نقص المجتمع بكثرة القتل وأصحاب الشفقة الكاذبة اليوم على الجناة والقتلة ينبغي أن ينظروا نفس النظرة تجاه المجني عليهم إقامة للحق والعدل .

(٦) قطع يد السارق

وهذا الحكم أيضاً من هدي القرآن للتي هي أسد وأعدل قال تعالى : ﴿ **والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم** ﴾ (المائدة : ٣٨) .

وقال النبي ﷺ: « لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » .

وجمهور العلماء على أن القطع من الكوع ، وأنها اليمنى فإن سرق ثانياً قُطعت رجله اليسرى ثم إن سرق فيده اليسرى ، ثم إن سرق فرجله اليمنى ثم يعزر .

وقيل يقتل ، كما جاء في الحديث : « ولا قطع إلا في ربع دينار أو قيمته أو ثلاثة دراهم » وليس قصدنا هنا تفصيل أحكام السرقة وشروط القطع كالنصاب والإخراج من حرز ولكن مرادنا أن نبين أن قطع يد السارق من هدي القرآن للتي هي أقوم .

وذلك أن هذه اليد الخبيثة الخائنة التي خلقها الله لتبطش تكتسب في كل مايرضيه من امتثال أوامره واجتناب نهيه ، والمشاركة في بناء المجتمع الإنساني فمدت أصابعها الخائنة إلى مال الغير لتأخذه بغير حق واستعملت قوة البطش المودعة فيها في المجتمع إذ لانظام له بغير المال فعاقبها خالقها بالقطع والإزالة ، كالعضو الفاسد

الذي يجر الداء بسائر البدن ، فإنه يزال بالكلية ، إبقاء على البدن ، وتطهيراً له من المرض لذلك فإن قطع اليد يطهر السارق من دنس ذنب ارتكاب معصية السرقة مع الردع البالغ بالقطع عن السرقة .

قال البخاري في صحيحه : « باب الحدود كفارة » وساق حديث عبادة بن الصامت وفيه : « ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به فهو كفارته » .

وقطع يد السارق كان معروفاً في الجاهلية فأقره الإسلام وقد اعترض بعض الملحدين الذين لايؤمنون بالله ورسوله فقالوا : كيف تُقطع يد فيها نصف الدية (أي خمسمائة دينار) في مقابلة ربع دينار ؟ وماوجه العدالة والإنصاف في ذلك وقد رد البعض بقوله

عز الأمانة أغلاها ، وأرخصها ذل الخيانة ، فافهم حكمة الباري .

وقال بعضهم : لما خانت هانت ، وقال الفخر الرازي : ثم إنا أجبنا عن هذا الطعن بأن الشرع إنما قطع يده بسبب أنه تحمل الدناءة والخساسة في سرقة ذلك القدر القليل فلا يبعد أن يعاقبه الشرع بسبب تلك الدناءة هذه العقوبة العظيمة أ.هـ .

وقد جعل الشرع قطع يد السارق في السرقة خاصة دون غيرها من الجنايات على الأموال كالغصب والإنتهاب ونحو ذلك وذلك لأن هذه الجنايات قليلة بالنسبة إلى السرقة ولأن الأمر الظاهر غالباً توجد البينة عليه بخلاف السرقة فإن السارق إنما يسرق خفية بحيث لايطلع عليه أحد فيعسر الإنصاف منه فغلظت عليه الجناية ليكون أبلغ في الزجر والعلم عند الله تعالى .

(٧) رجم الزاني المحصن وجلد البكر

من هدي القرآن للتي هي أقوم : رجم الزاني المحصن ذكراً كان أو أنثى ، وجلد الزاني البكر مائة جلدة ذكراً كان أم أنثى وحكم الرجم موجود في التوراة وهو ثابت بالكتاب والسنة . ويدل على ذلك قول عمر رضي الله عنه في حديثه الصحيح المشهور : «فكان مما أنزل إليه آية الرجم ، فقرأناها وعقلناها ووعيناها ، ورجم

رسول الله ﷺ ورجمنا بعده » الحديث .

والملحدون يقولون : إن الرجم قتل وحشي لايناسب الحكمة التشريعية ولاينبغي أن يكون مثله في الأنظمة التي يُعامل بها الإنسان لقصور إدراكهم عن فهم حكم الله البالغة في تشريعه .

والحاصل : أن الرجم عقوبة سماوية معقولة المعنى ، لأن الزاني لما أدخل فرجه في فرج إمرأة على وجه الخيانة والغدر فإنه ارتكب أخس جريمة عرفها الإنسان بهتك الأعراض ، وتقذير الحرمات والسعي في ضياع أنساب المجتمع الإنساني والمرأة التي تطاوعه في ذلك مثله .

ومن كان كذلك فهو نجس قذر لايصلح للمصاحبة ، فعاقبه خالقه الحكيم الخبير بالقتل ليدفع شره البالغ غاية الخبث والخسة ، وشر أمثاله عن المجتمع ويطهره هو من التنجيس بتلك القاذورات التي ارتكب وجعل قتلته أفظع قتلة لأن جريمته أفظع جريمة والجزاء من جنس العمل .

وشدة قبح الزنى أمر مركوز في الطبائع وقد قالت هند بنت عتبة وهي كافرة : ماأقبح ذلك الفعل حلالاً فكيف به وهو حرام . وغلظ جل وعلا عقوبة المحصن بالرجم تغليظ أشد من تغليظ عقوبة البكر بمائة جلدة ، لأن المحصن قد ذاق عسيلة النساء ، ومن كان كذلك يعسر عليه الصبر عنهن ، فلما كان الداعى إلى الزنا أعظم كان الردع عنه أعظم وهو الرجم .

وأما جلد الزاني البكر ذكر كان أو أنثى مائة جلدة فذلك لقوله تعالى : ﴿ **الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة** ﴾(النور : ٢) لأن هذه العقوبة تردعه وأمثاله عن الزنى وتطهره من ذنبه ومن هذا يتبين لك أن من أقوم الطرق معاقبة فظيع الجناية بعظيم العقاب جزاء وفاقاً .

(٨) التقدم لاينافي التمسك بالدين

خَيَّل أعداء الدين لضعاف العقول ممن ينتمي إلى الإسلام ، أن التقدم لايمكن إلا بالانسلاخ من دين الإسلام وهذا باطل لاأساس له فالقرآن الكريم يدعو إلى التقدم في جميع الميادين التي لها أهمية في دنيا أو دين ولكن ذلك التقدم في حدود الدين والتحلي بآدابه الكريمة وتعاليمه السماوية .

قال تعالى : ﴿ **وأعدوا لهم ماستطعتم من قوة** ﴾.

فهو أمر جازم بإعداد كل مافي الإستطاعة من قوة ولو بلغت القوة من التطور مابلغت فهو أمر جازم بمسايرة التطور في الأمور الدنيوية ، وعدم الجمود على الحالات الأول إذا طرأ تطور جديد ولكن كل ذلك مع التمسك بالدين .

ولابد من التفريق بين العبادات والمعاملات ، فالعبادات الأصل فيها التوقيف أي أنها تؤخذ دون زيادة أو نقصان سواء كنا في العصر الأول أو في القرن العشرين .

أما المعاملات فالأصل فيها الإباحة إذا روعيت ضوابطها الكلية ، مثل لاضرر ولا ضرار ﴿ **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ....** ﴾(النساء : ٥٨)فلا حرج في صناعة طائرة أو صاروخ .... أو إنشاء ملجأ أو مستشفى والوسائل العصرية لها حكم الغايات وهي لما استُخدمت له ، فإن استخدمت في أمر صالح فهي صالحة وإن استُخدمت في أمر فاسد فهي فاسدة .

وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » ولذلك نقول : إن النسبة بين التمسك بالدين والتقدم كالنسبة بين الملزوم ولازمه ، لأن التمسك بالدين ملزوم للتقدم ، بمعنى أنه يلزم عليه التقدم كما صرحت بذلك النصوص .

فانظر كيف خيلوا لضعاف النفوس أن الربط بين الملزوم ولازمه كالتنافي الذي بين النقيضين والضدين وأطاعوهم في ذلك لسذاجتهم وجهلهم وعمى بصائرهم فهم ماتقولوا على الدين الإسلامي ورموه بما هو برئ منه إلا لينفروا منه ضعاف

العقول ممن ينتمي للإسلام ليمكنهم الإستيلاء عليهم لأنهم لو عرفوا الدين حقاً واتبعوه لفعلوا بهم مافعل أسلافهم بأسلافهم ، فالدين هو هو وصلته بالله هي هي ولكن المنتسبين إليه في جل أقطار الدنيا تنكروا له ، ونظروا إليه بعين المقت والإزدراء فجعلهم الله أرقاء للكفرة الفجرة ولو راجعوا دينهم لرجع لهم عزهم ومجدهم وقادوا جميع أهل الأرض وهذا مما لاشك فيه .

﴿ ذلك ولو يشاء الله لانتصرمنهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض ﴾ .

(٩) اتباع التشريع المخالف كفر بواح

ذكرنا أن القرآن شريعة مستقلة كالتوراة ، وذلك بعكس الإنجيل ، كما ذكرنا أيضاً أن الدين واحد وإنما تعددت الشرائع وشريعة الإسلام حاكمة ومهيمنة على سائر الشرائع وقول البعض كيف تطبقون الشريعة الإسلامية في دولة يسكنها اليهود والنصارى بالإضافة للمسلمين ، يدل على جهل بالشرع والواقع ، فالنصارى لايأنفون من تطبيق الشريعة عليهم في المواريث وغيرها ، ولاينبغي لهم أن يأنفوا ، إذ لاشريعة لديهم .

ومن المعلوم أن كل بلد تطبق نظامها ودستورها على كل رعاياها ، فكيف لانطبق تشريع الخالق العليم الحكيم على خلقه !!! والعجب ممن يحكم غير تشريع الله ثم يدعى الإسلام ، كما قال تعالى : **﴿ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وماأنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً ﴾**(النساء : ٦٠) وقال : **﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾**(المائدة : ٤٤) وقال : **﴿ أفغير الله أبتغى حكماً وهو الذى أنزل إليكم الكتاب مفصلاً والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين ﴾** (الأنعام : ١١٤) .

فمن هدي القرآن للتي هي أقوم بيانه أن كل من اتبع تشريعاً غير التشريع الذي جاء به سيد ولد آدم محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه فاتباعه لذلك

التشريع المخالف كفر بواح ، مخرج من الملة الإسلامية ، فطاعة شياطين الإنس والجن في تشريعهم المخالف للوحي عبادة لهم من دون الله .

قال تعالى : ﴿ **إن يدعون من دونه إلا إناثاً وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً** ﴾(النساء : ١١٧).

وقال عن خليله ﴿ **ياأبت لاتعبد الشيطان** ﴾ أي بطاعته في الكفر والمعاصي ولما سأل عدي بن حاتم النبي ﷺ عن قوله تعالى : ﴿ **اتخذوا احبارهم ورهبانهم أرباباً** ﴾ (التوبة : ٣١) الآية بيّن له أن معنى ذلك أنهم أطاعوهم في تحريم ماأحل الله وتحليل ماحرم والآيات بمثل هذا كثيرة .

(١٠) الرابطة بين أفراد المجتمع هي الإسلام لا شئ سواه

من هدي القرآن للتي هي أقوم ، هديه إلى أن الرابطة التي يجب أن يعتقد أنها هي التي تربط بين أفراد المجتمع وأن ينادي بالإرتباط بها دون غيرها إنماهي دين الإسلام لأنه هو الذي يربط بين أفراد المجتمع حتى يصير بقوة تلك الرابطة جميع المجتمع الإسلامي كأنه جسد واحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

فربط الإسلام لك بأخيك كربط يدك بمعصمك ورجلك بساقك كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ : « إن مثل المؤمنين في تراحمهم وتعاطفهم وتوادهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

هذه الرابطة هي التي جعلت أخا الإنسان كنفسه ، كما في قوله تعالى : ﴿ **ولا تخرجون أنفسكم من دياركم** ﴾ (البقرة : ٨٤) وثبت في الصحيح عنه ﷺ أنه قال : « **لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه** » ومما يدل على أن الرابطة الحقيقية هي الدين وأن تلك الرابطة تتلاشى معها جميع الروابط النسبية والعصبية قوله تعالى : ﴿ **لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو أخوانهم أوعشيرتهم** ﴾ وقوله : ﴿ **إنما المؤمنون إخوة**

فأصلحوا بين أخويكم ﴾ .

فهذه الآيات ومثلها تدل على أن النداء برابطة أخرى غير الإسلام لايجوز ولاخلاف بين المسلمين أن الرابطة التي تربط أفراد أهل الأرض بعضهم ببعض وتربط بين أهل الأرض والسماء هي رابطة « **لا إله إلا الله** » فلا يجوز البتة النداء برابطة غيرها .

ومن والى الكفار بالروابط النسبية وغيرها محبة لهم، ورغبة فيهم يدخل في قوله تعالى : ﴿ **ومن يتولهم منكم فإنه منهم** ﴾ (المائدة : ٥١).

وقوله تعالى : ﴿ **إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير** ﴾ .

روابط مشبوهة

ماأكثر الدعوات الخبيثة الهدامة المرفوعة كالقوميةو الوطنية والإنسانية وزمالة الأديان .... التي يروج لها الكفار لتكون بمثابة رايات يتكتل تحتها أبناء المسلمين بدلاً من الراية الإسلامية ، حتى تكون الموالاة والمعاداة والقتال والمسالمة لأجلها ، والكفار قاتلهم الله - لم يقتصروا على راية واحدة يرفعونها للمسلمين بدل إسلامهم ولم يقتصروا على خطة واحدة بل كثرت خططهم وشعاراتهم وراياتهم وذلك من باب تكثير السهام على الفريسة فإن أخطأها الأول أوالعاشر لم يخطئها العشرون أو الثلاثون والذي لا تروق له القومية تجذبه شباك الوطنية أو الإنسانية أو زمالة الأديان أو الإشتراكية .... وهكذا ، ولاينجو منهم إلا من اعتصم بالكتاب والسنة .

(١) القومية [١]

روى البخاري من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال :

«كنا في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال الأنصاري : ياللانصار ، وقال المهاجري : ياللمهاجرين ، فسمعها رسول الله ﷺ فقال : ماهذا ؟ فقالوا : كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار ، فقال الأنصاري : ياللأنصار ، وقال المهاجري : ياللمهاجرين ، فقال النبي ﷺ :

« دعوها فإنها منتنة .... » الحديث فقول هذا الأنصاري : ياللأنصار ، وهذا المهاجري يا : للمهاجرين ، هو النداء بالقومية العصبية بعينه .، وقول النبي ﷺ :

« دعوها فإنها منتنة » يقتضي وجوب ترك النداء بها ، وحسبك بالنتن موجباً للتباعد لدلالته على الخبث البالغ .

فدل هذا الحديث الصحيح على أن في النداء برابطة القومية مخالفة لما أمر به النبي ﷺ ، وأن فاعله يتعاطى المنتن وفي بعض روايات الحديث : « مابال دعوى الجاهلية » فإذا صح بذلك أن الدعوة للقومية من دعوى الجاهلية فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : « ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية » .

واعلم أن رؤساء الدعاة إلى نحو هذه القومية العربية : أبو جهل وأبولهب والوليد بن المغيرة ، ونظراؤهم من رؤساء الكفرة ، وقد بين الله تعالى تعصبهم لقوميتهم في آيات كثيرة كقوله : ﴿ **قالوا حسبنا ماوجدنا عليه آباءنا ......** ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ **قالوا بل نتبع ماألفينا عليه آباءنا** ﴾.

وقد علم في التاريخ حال العرب قبل الإسلام وحالهم بعده كما لايخفى وقد بين الله جل وعلا في محكم كتابه أن الحكمة في جعله بني آدم شعوباً وقبائل هي التعارف بينهم وليست هي أن يتعصب كل شعب على غيره ، وكل قبيلة على غيرها

---

١ ـ راجع اضواء البيان جـ(٣) ص ٤٠١ ـ ٤٠٢ ـ نقد القومية العربية (لابن باز) ـ أهمية الجهاد ٣٩٨ ـ ٤١٠ .

قال جل وعلا: ﴿ **يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ ولا ننكر أن المسلم ربما انتفع بروابط نسبية لاتمت إلى الإسلام بصلة ، كما نفع الله نبيه ﷺ بعمه أبي طالب ، وقد نفع الله بتلك العصبية النسبية شعيباً عليه و على نبينا الصلاة والسلام .

قال تعالى: ﴿ **قالوا ياشعيب مانفقه كثيراً مما تقول ،وانا لنراك فينا ضعيفاً ولولا رهطك لرجمناك** ﴾ الآية

وقد ثبت في الصحيح عنه ﷺ أنه قال : « إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » فيلزم الناظر في هذه المسألة أن يفرق بين الأمرين ، ويعلم أن النداء بروابط القوميات لايجوز على كل حال ، ولاسيما إذا كان القصد بذلك القضاء على رابطة الإسلام ، وإزالتها بالكلية بدعوى أنه لايساير التطور الجديد ، أو أنه جمود وتأخر عن مسايرة ركب الحضارة ، نعوذ بالله من طمس البصيرة .

وأن منع النداء بروابط القوميات لاينافي أنه ربما انتفع المسلم بنصرة قريبه الكافر بسبب العواطف النسبية والأواصر العصبية التي لاتمت إلى الإسلام بصلة ، وذلك لأنها تشمل المسلم والكافر .

ومعلوم أن المسلم عدو الكافر كما قال تعالى : ﴿ **لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله** ﴾ (المجادلة : ٢٢).

وفي الحديث : « من قاتل تحت رآية عمية يغضب لعصبة أويدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتل فقتله جاهلية » رواه مسلم .

ومن يطلع على نشأة القومية العربية والعوامل المؤثرة في نشأتها ، وعلى تصريح دعاتها يدرك خطورة الكيد الذي يمارس لتحريف دين المسلمين كما حرفت اليهودية والنصرانية من قبل .

يقول جورج كيرك مؤلف كتاب « موجز تاريخ الشرق الأوسط »:إن القومية العربية ولدت في دار المندوب السامي البريطاني !!! ، والحاصل : أن الرابطة

الحقيقية التي تجمع المفترق وتؤلف المختلف هي رابطة « **لا إله إلا الله** » .

ألا ترى أن هذه الرابطة التي تجعل المجتمع الإسلامي كله كأنه جسد واحد ، وتجعله كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، عطفت قلوب حملة العرش ومن حوله من الملائكة على بني آدم في الأرض مع مابينهم من الإختلاف .

وقد قال سبحانه عن أبي لهب عم النبي ﷺ ﴿ **سيصلى ناراً ذات لهب** ﴾ (المسد : ٣)، ويقابل ذلك بما لسلمان الفارسي من الفضل والمكانة ، فقدروى عن النبي ﷺ أنه قال فيه : « سلمان منا أهل البيت » رواه الطبراني والحاكم في المستدرك وقد اختلف في تصحيحه ، وقد أجاد من قال :

لقد رفع الإسلام سلمان فارس وقد وضع الكفر الشريف أبا لهب .

وقد أجمع العلماء على أن الرجل إن مات وليس له من الأقارب إلا ابن كافر أن إرثه يكون للمسلمين بإخوة الإسلام ، ولايكون لولده لصلبه الذي هو كافر ، والميراث دليل القرابة ، فدل ذلك على أن الأخوة الدينية أقرب من البنوة النسبية .

(٢) الوطنية [١]

الوطنية هي تقديس الوطن بحيث يصير الحب فيه والبغض لأجله والقتال من أجله وإنفاق الأموال من أجله حتى يطغى على الدين وحتى تحل الرابطة الوطنية محل الرابطة الدينية .

فالوطنيون يحبون أبناء وطنهم وإن كانوا على غير ملتهم أكثر من محبتهم لمن كانوا على ملتهم إذا لم يكونوا في وطنهم ، بل قد يصل الأمر بالوطنيين إلى اجتماعهم على محاربة المسلمين مع الكفار لأن الكفار من أبناء وطنهم !!

فالوطنية على هذا النحو بضاعة مستوردة كغيرها من المستوردات وماأكثرها ، يقول الأستاذ محمد قطب عن هدف تصدير الكفار لشعار الوطنية إلى الأمةالإسلامية مايلي :

« وقد كانت دعاوى الوطنية والقومية المصدرة عن عمد إلى العالم الإسلامي من بين وسائل الغزو الفكري الذي استخدمه الصليبيون المحدثون في الغارة على العالم الإسلامي كما سمى شاتيليه كتابه السالف الذكر .

ومن المقولات الفاجرة المستخدمة لترويج دعوة الوطنية ، الدين لله والوطن للجميع فكان التراب بمقتضاها أهم على صاحبها من دينه ، ومن المعلوم أنه لاخير في وطن بلا دين ».

(٣) الإنسانية

الدعوة إلى الإنسانية هي نتاج يهودي ، وذلك لأن اليهود يعتبرون جميع الأجناس البشرية من غير اليهود هم الحمير التي خلقها الله ليركبها الشعب اليهودي المختار ، وهم يخططون لإقامة مملكة عالمية يحكمها يهودي من نسل داود ، وكان من تخطيطهم الخبيث أن انقسموا فريقين ، فريقاً ساعد على إنجاح الثورة الفرنسية التي

---

١ ـ اقتبست الكلام عن الوطنية والإنسانية وزمالة الأديان من كتاب « أهمية الجهاد » لعلي بن نفيع العلياني باختصار وشيء من التصرف

يسير على مبادئها العالم الرأسمالي أوربا وأمريكا ومن يسير في فلكهم ، وفريقاً أشعل الثورة الشيوعية التي تشمل روسيا والصين ومن يسير في فلكهم .

تقول البروتوكلات : « كنا أول من اخترع كلما الحرية والمساواة والإخاء (وهي مبادئ الثورة الفرنسية التي تبنتها الشعوب الغربية على أساس أنها أم المبادئ التحررية في العالم !!!) التي أخذ العميان يرددونها في كل مكان دون تفكير أووعي وهي كلمات جوفاء لم تلحظ الشعوب الجاهلة مدى الإختلاف بل التناقض الذي يشيع في مدلولها .

إن شعار الحرية والمساواة والإخاء الذي أطلقناه قد جلب لنا أعواناً من جميع أنحاء الدنيا وأساءت هذه الكلمات إلى الرخاء السائد لدى المسيحيين وحطمت سلمهم ووحدتهم (البرتوكول الأول) .

إن المبادئ الإنسانية التي رفعتها الثورة الفرنسية، عبارة عن كلمات مطاطة ، بلا ضابط ولا رابط فالحرية قد تصل إلى الفوضى العارمة ، والمساواة كما هي موجودة في الدول الشيوعية عبارة عن ظلم وبغي وتحقير لإنسانية الإنسان والأخوة المذكورة لاندري أتتم على أساس عقائدي أم فكري أم سياسي أم اقتصادي أم أجتماعي .

فإذا انتقلنا إلى الثورة الشيوعية ، علمنا كيف نفذ اليهود بسمومهم عن طريق هذا المسمى هنا وهناك .

يقول الحاخام لويزبرونس عن مؤسس العقيدة والفكر الماركسي (إن كارل ماركس حفيد للحاخام مردخاي. ماركسياً كان في روحه وفي اجتهاده وعمله ونشاطه وكل ماقام به وأعد له فكراً وأسلوباً ، أشد إخلاصاً لإسرائيل من الكثيرين ممن يتشدقون اليوم بأدوارهم في مولد الدولة اليهودية » (لعبة اليمين واليسار) .

وقد كانت العقيدة والفكرة الماركسية هي إحدى الأعمدة الأساسية في عملية التضليل العقائدي والفكري للشعوب والتي شارك فيها دارون ، وفرويد ودوركايم وماركس ونيتشة وسارتر وذلك بمعونة الإعلام اليهودي الذي رعى هذه الأفكار

وروجتها الشيوعية وليدة الماسونية أو على الأقل تربطهما صلة القربى الوثيقة عن طريق الأمم اليهودية العالمية .

لقد ابتكر اليهود الدعوة إلى الإنسانية الواحدة ، ونجحوا إلى حد كبير في صرف المسلمين عن عقيدتهم التي تأمرهم بمحبة المؤمن وموالاته ومناصرته وبغض الكافر ومعاداته ومنابذته ، وأرادوا لهم أن يتعاملوا مع غيرهم على أساس الرابطة الإنسانية بغض النظر عن العقيدة والدين وسخروا مايملكون من وسائل لتحقيق هذا الهدف ومن أهم هذه الوسائل الجمعيات الماسونية ووسائل الإعلام والمنظمات الدولية .

إن الدعوة إلى أن يعيش الإنسان مع أخيه الإنسان ويحبه ويمد يده إليه ولا يجاهده لأجل عقيدته دعوة ماسونية [1] تهدف إلى إسقاط الجهاد وعقيدة الولاء والبراء .

إن المسلم أمره الله أن يتعامل مع البشر على أساس الرابطة الدينية فالإنسان إما مهتد وإما ضال كافر ، والمسلم صديق للمهتدي عدو للكافر هذا من ناحية الولاء القلبي والمحبة .

أما تعامل البيع والشراء فلايدخل في هذا بل يبتاع المسلم من أي كافر ويبيع له مالم يكن محرماً ، ونزيد المسألة وضوحاً أثناء كلامنا على حكم التعامل مع أهل الكتاب بإذن الله .

---

١ - جمعية سرية يهودية هي سبب كثير من البلايا والنكبات ، ويسمونها بالقوة الخفية ، أسسوها بادئ الأمر ضد النصارى لتحريف الأناجيل وإفساد عقائد النصارى ، وغاية الماسونية تأسيس جمهوريات علمانية تتخذ الوصولية والنفعية أساساً لها ولها تأثير على كثير من القادة والحكام ورجال الفكر .... وللماسونية درجات متفاوتة ، ولهم أندية مثل الروتاري والليونز والاتحاد والترقي .

(٤) زمالة الأديان

الدعوة إلى زمالة الأديان في هذا العصر دعوة خبيثة تظهر أحياناً بهذا الأسم وأحياناً باسم التقريب بين الأديان وأحياناً باسم جمعيات الصداقةبين الأديان ونحو هذه المسميات .

وجوهرها وهدفها في الحقيقة هو أن يكسب اليهود والنصارى في هذا العصر اعترافاً من المسلمين بصحة دينهم ، وهذا له دور كبير في صد النصارى واليهود عن الدخول في الإسلام .

وذلك لأن كثيراً من النصارى وبعض اليهود متعطشون إلى دين شامل كامل كالإسلام وقد سئموا مما يسمى عندهم بالمسيحية أو اليهودية التي هي من صنع الأحبار والرهبان وليست الدين الصحيح الذي أنزله الله على موسى وعيسى عليهما السلام فإذا سمع هؤلاء تلك الشنشنة التي تصدر من أشخاص يطلق عليهم ألقاب علمية ودينية كبيرة المتضمنة لاعترافهم بالدين النصراني والدين اليهودي المحرفين وسمعوا حرص أولئك العلماء الأكابر إلى مد أيديهم إلى دين النصارى واليهود والبحث عن مزاملته بأي ثمن ومحاولة تقريبه من الإسلام خاب ظنهم وقالوا لماذا ننتقل إلى الإسلام وهو كديننا الذي نشعر فيه بالتعاسة بل إن ديننا أفضل منه بدلالة حرص أصحابه على تقريبنا إليهم ليكسبوا بذلك شرفاً وعزاً .

ثم منهم من يمكث على دينه المنحرف ومنهم من يزهد في الأديان عموماًو ينتقل إلى الشيوعية وماأكثر هذا الصنف الأخير !!! .

وقد نجم عن هذه الدعوة الخبيثة التي يروج لها الخبثاء أو المغفلون بأن تغير مفهوم الولاء والبراء عند قطاع كبير من المسلمين وظن أن اليهود والنصارى من عداد المؤمنين الناجين يوم القيامة ، وتناسى هؤلاء عن عمد أو جهل قول النبي ﷺ :

« والذي نفس محمد بيده لايسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولانصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار » رواه مسلم .

لقد جاور رسول الله ﷺ يهود المدينة سنين طوالاً قبل أن يجليهم عنها ، جادلوه خلالها وخاصموه ودعاهم بدوره إلى كلمة الإيمان والإسلام ولم يدعهم للتوفيق بين الإسلام واليهودية أو إلى التقريب بينهما ولو علم خيراً أو بعض خير في ذلك لفعله .

وحاّج وفد من نجران الرسول ﷺ في النصرانية فدعاه الرسول من ناحية إلى الإسلام ولم يدعه إلى التوفيق بين الإسلام والنصرانية ونزل عليه قوله تعالى : ﴿ **قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولانشرك به شيئاً ولايتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ،فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون** ﴾ . (آل عمران : ٦٤) .

إن الدعوة إلى زمالة الأديان ماهي إلا جزء من الحملة المسعورة على العقيدة الإسلامية لكي تفقد تميزها وصفاءها ونقاءها ولكن الله لأعدائه بالمرصاد وسوف يأتي اليوم الذي يقول فيه الشجر والحجر يامسلم ياعبد الله ورائي يهودي تعال فاقتله ،وعندئذ لاتنفعهم جمعيات الصداقة والتقريب ومؤتمرات الأديان العالمية وعسى أن يكون قريبا .

(١١) هدي القرآن إلى حل المشاكل العالمية

ومن هدي القرآن للتي هي أقوم ، هديه إلى حل المشاكل العالمية بأقوم الطرق وأعدلها ، وهي من أعظم هذه المشكلات التي يعاني منها العالم الإسلامي في جميع المعمورة .

المشكلة الأولى
ضعف المسلمين

وهذه المشكلة تشكل فتنة لكثير من المسلمين يترتب عليها انصرافهم عن دينهم وإنبهارهم بقوة أعدائهم بل قد يمتنع البعض من الدخول في الإسلام عندما يرى ضعف المسلمين في أقطار الدنيا في العَدد والعُدد .

وقد هدى القرآن العظيم إلى حل هذه المشكلة بأقوم الطرق وأعدلها ، فبين أن علاج الضعف عن مقاومة الكفار إنما هو بصدق التوجه إلى الله تعالى ، وقوة الإيمان به والتوكل عليه لأن الله قوي عزيز قاهر لكل شئ فمن كان من حزبه على الحقيقة لايمكن أن يغلبه الكفار ولو بلغوا من القوة مابلغوا .

ومن أدلة ذلك ماحدث في غزوة الأحزاب ، قال تعالى : ﴿ **إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ،هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديداً** ﴾(الأحزاب : ١٠ ، ١١) وقد عالج المؤمنون هذه المشكلة بصدق الإيمان واليقين .

يقول تعالى : ﴿ **ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ماوعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ومازادهم إلا إيماناً وتسليما** ﴾ (الأحزاب : ٢٢)وكان من نتيجة هذا العلاج ماقصه علينا ربنا بقوله : ﴿ **ورد الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً، وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطئوها وكان الله على كل شئ قديراً** ﴾ (الأحزاب : ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧) وهذا الذي نصرهم الله به على عدوهم ماكانوا يظنونه ولايحسبون أنهم ينصرون به وهو الملائكة والريح .

قال تعالى : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها** ﴾ (الأحزاب : ٩) وشواهد كثيرة تدل على أن الإخلاص لله وقوة الإيمان به هو السبب لقدرة الضعيف على القوي وغلبته له ﴿**كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين** ﴾(البقرة : ٢٤٩) ، ﴿ **وإن جندنا لهم الغالبون** ﴾ .

المشكلة الثانية
تسليط الكفار على المؤمنين

استشكل الناس قديماً وحديثاً ، تسليط الكفار على المؤمنين بالقتل والجراح وأنواع الإيذاء مع أن المسلمين على الحق والكفار على الباطل ، وهذه المشكلة استشكلها كذلك أصحاب النبي ﷺ ، فأفتى الله جل وعلا فيها وبين السبب في ذلك بفتوى سماوية تُتلى في كتابه جل وعلا وذلك أنه لما وقع ماوقع بالمسلمين يوم أحد فقُتل عم رسول الله ﷺ وابن عمته ، ومُثل بهما ، وقتل غيرهما من المهاجرين وقُتل سبعون رجلاً من الأنصار ، وجرح رسول الله ﷺ وشُقت شفته ، وكسرت رباعيته وشج ﷺ ، استشكل المسلمون ذلك وقالوا كيف يدال منا المشركون ؟ ونحن على الحق وهو على الباطل ؟ فأنزل الله قوله تعالى : ﴿ **أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا . قل هو من عند أنفسكم** ﴾(آل عمران : ١٦٥)

وقوله تعالى : ﴿ **قل هو من عند أنفسكم** ﴾ فيه إجمال بينه تعالى بقوله : ﴿ **ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم من بعد ماأراكم ماتحبون منكم من يريد الدنيا ـ إلى قوله ـ ليبتليكم** ﴾ (آل عمران ١٥٢).

ففي هذه الفتوى السماوية بيان واضح لأن سبب تسليط الكفار على المسلمين هو فشل المسلمين وتنازعهم في الأمر وعصيانهم أمره ﷺ وإرادة بعضهم الدنيا مقدماً على أمر رسول الله ﷺ ومن عرف أصل الداء عرف الدواء كما لايخفى .

المشكلة الثالثة
اختلاف القلوب

وهذا الداء من أعظم الأسباب في القضاء على كيان الأمة الإسلامية لإستلزامه الفشل وذهاب القوة والدولة كما قال تعالى : ﴿ **ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم** ﴾ فترى المجتمع الإسلامي اليوم في أقطار الدنيا يضمر بعضهم لبعض العداوة والبغضاء ، وإن جامل بعضهم بعضاً فإنه لايخفى على أحد أنها مجاملة ، وأن

ماتنطوي عليه الضمائر مخالف لذلك .

وقد نجحت فيهم سياسات فرق تسد التي استخدمها الأعداء بدهاء شديد فأقُصيت الشريعة الإسلامية واستبدلت بنظم وفلسفات ومناهج ، وتم التمكين للعملاء والخونة لدينهم وحوربت الفضيلة ، وأضيُفت الهالات حول كل انحراف وفسق وفجور ...... وكان مكر الليل والنهار ، وعلى هذا شب الصغير وهرم الكبير فكيف لاتختلف القلوب وقد بين تعالى في سورة الحشر أن سبب هذا الداء الذي عمت به البلوى إنما هوضعف العقل ، قال تعالى : ﴿ **تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى** ﴾ ثم ذكر العلة لكون قلوبهم شتى بقوله:﴿ **ذلك بأنهم قوم لايعقلون** ﴾ .

ولاشك أن داء ضعف العقل الذي يصيبه فيضعفه عن إدراك الحقائق ، وتمييز الحق من الباطل والنافع من الضار والحسن من القبيح ، لادواء له إلا إنارته بنور الوحي ، لأن نور الوحي يحيا به من كان ميتاً ويضئ الطريق للمتمسك به ، فيريه الحق حقاً والباطل باطلاً ، والنافع نافعاً ، والضار ضاراً .

قال تعالى : ﴿ **أومن كان ميتاً فأحييناه ، وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها** ﴾وقال تعالى : ﴿ **الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور** ﴾ .

ومن أخرج من الظلمات إلى النور أبصر الحق لأن ذلك النور يكشف له عن الحقائق فيريه الحق حقاً والباطل باطلاً قال تعالى : ﴿ **أفمن يمشى مكباً على وجهه أهدى أمن يمشى سوياً على صراط مسقيم** ﴾ ...... إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الإيمان يُكسب الإنسان حياة بدلاً من الموت الذي كان فيه ، ونوراً بدلاً من الظلمات التي كان فيها وهذا النور يكشف الحقائق كشفاً عظيماً ، فيبصر النفوس بمواضع الأقدام ، وتستعصي على حيل الأعداء وتكون بمقتضاه يداً واحدة على عدو الله وعدوها .

حكم معاملة أهل الكتاب

أولا : عقد الذمة [1]

شارط عمر أهل الذمة على شروط المسلمين فأتم بها المسلمون بعده ، وقد ذكرها أهل السير وغيرهم .

فروي سفيان الثوري عن مسروق عن عبد الرحمن بن غنم قال : كتبت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين صالح نصارى الشام وشرط عليهم فيه أن لايحدثوا في مدينتهم ولاماحولها ديراً ولا كنيسة ولاقلاية ولاصومعة راهب ولايجددوا ماخرب ولايمنعوا كنائسهم أن ينزلها أحد المسلمين ثلاث ليالي يطعمونهم ، ولايؤوا جاسوساً ، ولايكتموا غشاً للمسلمين ، ولايعلموا أولادهم القرآن ، ولايظهروا شركاً ، ولايمنعوا ذوي قرابتهم من الإسلام إن أرادوا ، وأن يوقروا المسلمين ، وأن يقوموا لهم إذا أرادوا الجلوس ، ولايتشبهوا بالمسلمين بشئ من لباسهم في قلنسوة ولا عمامة ، ولا نعلين ولافرق في شعر ، ولا يتسموا بأسماء المسلمين ، ولا يكتنوا بكناهم ، ولايركبوا سرجاً ولايتقلدوا سيفاً ، ولايتخذوا شيئاً من سلاح ، ولا ينقشوا خواتيمهم بالعربية ، ولايبيعوا الخمور ، وأن يجزوا مقادم رؤوسهم ، وأن يلزموا زيهم حيث ماكانوا ، وأن يشدوا الزنانير ولايجاوروا المسلمين بموتاهم ولايضربوا الناقوس إلا ضرباً خفيفاً ، ولايرفعوا أصواتهم بالقراءة في كنائسهم في شئ من حضرة المسلمين ، ولا يخرجوا شعانين ، ولايرفعوا مع موتاهم أصواتهم ولايظهروا النيران معهم ، ولايشتروا من الرقيق ماجرت عليه سهام المسلمين .

فإن خالفوا في شئ مما شرطوه ، فلا ذمة لهم وقد حل للمسلمين منهم مايحل من أهل المعاندة والشقاق » أخرجه أبو داود في سننه .

قال ابن تيميه : ولما كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأهل الذمة هذه الشروط والتزموها ، أوصى بهم نوابه ومن يأتي بعده من الخلفاء وغيرهم ، وهذا

---

١ ـ الذمة هي العهد والأمان وعقد الذمة يبرمه الحاكم أو نائبه مع بعض أهل الكتاب أو غيرهم .

هو العدل الذي أمر الله به رسوله ففي صحيح البخاري عن عمر بن الخطاب أنه قال في خطبته عند وفاته : وأوصى الخليفة من بعدي بذمة الله وذمة رسوله ﷺ أن يوفي لهم بعهدهم ، وأن يقاتل من ورائهم ولايكلفوا إلا طاقتهم .

وهذا امتثال لقول النبي ﷺ : « ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه من حقه أو كلفه فوق طاقته ، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة » .رواه أبو داود ، فكان هذا في النصارى الذين أدوا إليه الجزية .

ثم إن عمر بن الخطاب لما فتح الشام وأدوا إليه الجزية عن يد وهم صاغرون أسلم منهم خلق كثير لايحصي عددهم إلا الله تبارك وتعالى ، فإن العامة والفلاحين وغيرهم كان عامتهم نصارى ، ولم يكن في المسلمين من يعمل فلاحة ولم يكن للمسلمين في دمشق مسجد يصلون فيه إلا مسجد واحد لقلتهم ، ثم صار أكثر أهل الشام وغيرهم مسلمين طوعاً لاكرهاً ، فإن إكراه أهل الذمة على الإسلام غير جائز كما قال تعالى : ﴿ **لاإكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ،فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لاانفصام لها والله سميع عليم ،الله ولى الذين آمنوا يخرجهم الظلمات إلى النور والذين كفروا أوليائهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات ،أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ البقرة(٢٥٥ ، ٢٥٧)

قال أبو عبيد في كتاب الأموال عن ابن الزبير قال : كتب النبي ﷺ إلى أهل اليمن أنه من أسلم من يهودي أو نصراني ، فإنه من المؤمنين ، له مالهم وعليه ماعليهم ، ومن كان على يهودية أونصرانية ، فإنه لايفتن عنها وعليه الجزية » [1]

قال ابن شهاب : أول من أعطى الجزية من أهل الكتاب أهل نجران فيما بلغنا ، وكانوا نصارى .

---

١ ـ الجزية : مبلغ من المال يوضع على من دخل في ذمة المسلمين وعهدهم من أهل الكتاب .

حقوق أهل الذمة

ذكر عبد الله ناصح علوان في كتابه« **حرية الإعتقاد فى الشريعة الإسلامية**» الحقوق التي فرضها الإسلام لأهل الذمة تحت ظل دولته وسلطانه فقال :

١ ـ يجب الكفّ عن قتالهم إذا جنحوا للسلم ودفعوا الجزية لقوله تعالى :

﴿ ...... **حتى يعطوا الجزية عن يد وهو صاغرون** ﴾ (التوبة : ٢٩).

والحديث:« فادعهم إلى أداء الجزية ، فإن أجابوك فاقبل منهم وكفّ عنهم » .

٢ ـ يجب المحافظة على أموالهم ، ودمائهم ، وأعراضهم ......

جاء في «**نصب الراية** »عن علي كرم الله وجهه : [١]

«وإنما بذلوا الجزية لتكون أموالهم كأموالنا ، ودمائهم كدمائنا » وجاء في شرح البخاري للعيني : عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال :

« من قتل معاهداً (أي ذمياً) بغير حق لم يُرَحْ رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً » .

٣ ـ يجب أن يتركوا أحراراً في معابدهم وأحوالهم الشخصية ...... جاء في معاهدة عمر رضي الله عنه لأهل فلسطين مايلي : « هذا ماأعطى عمر أمير المؤمنين أهل إيليا من الأمان أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم .... لايكرهون على دينهم ، ولايضار أحد منهم » .

٤ ـ يجب أن يعطوا من الحقوق العامة مايُعطى للمسلمين سواء بسواء وكنموذج لمعرفة حقوق الذميين الناتجة من عقد الذمة نذكر جانباً مما جاء في كتاب النبي ﷺ لأهل نجران كماجاء في كتابي « فتوح البلدان » و« الخراج » :

(ولنجران ولحاشيتها جوار الله وذمة محمد ﷺ على أموالهم وأنفسهم وأرضهم ، وملتهم ، وغائبهم ، وشاهدهم ، وعشيرتهم ، وبِيعتهم ، وكل ماتحت أيديهم من قليل أو كثير ..... لانغير أسقف من أساقفتهم ولاراهب من رهبانهم ....

---

١ ـ الأولى أن يقال : رضي الله عنه فشأن علي في ذلك كشأن سائر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

ولايحشرون ولا يعشرون ، ولا يطأ أرضهم جيش ، ومن سأل منهم حقاً فبينهم النّصَفُ (العدل) غير ظالمين ولا مظلومين .

٥ ـ يجب حمايتهم من كل اعتداء ، ورفع الظلم عنهم والدفاع عن أنفسهم وأموالهم،وساق وصية عمر للخليفة من بعده بالوفاء لهم ، والقتال من ورائهم وألا يكلفهم فوق طاقتهم .

كما ذكر حديث أبي داود في نهي النبي ﷺ عن ظلمهم ، وذكر السماحة معهم في أخذ الجزية وكيف أنه تسقط بالعمى ، والزمانة المرضية ، والعجز الدائم والشيخوخة ، ولاتضرب الجزية على نساء أهل الكتاب ، ولا على صبيانهم حتى يبلغوا ، ولا على عبيدهم ومجانينهم ، وأصحاب الصوامع من الرهبان ....

وأنها تسقط عن الذمي إذا أسلم ، لما روى الإمام أحمد وأبو داود « ليس على من أسلم جزية » وهذا مجمع عليه لدى الفقهاء ....

تلكم أهم الحقوق التي أعطاها الإسلام لمن يعيش تحت ظلال الدولة الإسلامية من أهل الكتابين اليهود والنصارى ، وهي حقوق عظيمة ضخمة لايمكن أن يجدوها في أي دين سماوي [1] ، أو نظام أرضي أو قانون دولي .

##ماينتقض به العقد

القاعدة العامة التي رآها الفقهاء في التعامل مع أهل الذمة : أن لهم مالنا ، وعليهم ماعلينا .

وبمقتضى عقد الذمة لايجوز لهم أن يتصرفوا تصرفاً لايتفق مع تعاليم الإسلام ، كعقد الربا ، وغيره من العقود المحرمة ، كما تقام عليهم الحدود متى فعلوا مايوجب ذلك .

وقد ثبت أن النبي ﷺ رجم يهوديين زنيا بعد إحصانهما ، أما مايتصل بعقائدهم

---

١ ـ دين الله واحد من لدن آدم حتى رسول الله ﷺ ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ وإنما تعددت الشرائع كما ذكرنا ، أما الأديان الباطلة فهي كثيرة .

وعبادتهم داخل كنائسهم ومايتصل بزواجهم وطلاقهم وماشابه ذلك ، فلهم فيها الحرية تبعاً للقاعدة الفقهية المقررة « اتركوهم ومايدينون » وإن تحاكموا إلينا فلنا أن نحكم لهم بمقتضى الإسلام أو نرفض ذلك لقوله تعالى :

﴿ فإن جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم ، وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً ،وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين ﴾ (المائدة : ٤٢).

وكما يجوز هذا العقد لمن يريد أن يعيش مع المسلمين وتحت ظلال الإسلام فإنه يجوز للمستقلين في أماكنهم بعيداً عن المسلمين فقد عقد رسول الله ﷺ مع نصارى نجران عقداً ، مع بقائهم في أماكنهم ، وإقامتهم في ديارهم ، وهكذا فأنت ترى أنه عقد بين طرفين يجب الوفاء به .

وقد روى عن ابن عمر رضي الله عنهما : كان آخر ماتكلم به النبي ﷺ أن قال : « احفظوني في ذمتي » فإذا امتنع أهل الذمة عن الجزية [1] ،أو رفضوا التزام حكم الإسلام ،أو تعدوا على مسلم بقتل ، أويفتنه عن دينه ، أو زنا الذمي بمسلمة ، أو أصابها بزواج ، أو عملَ عَمل قوم لوط ، أو قطع الطريق ، أو تجسس ، أو آوى جاسوساً ، أو ذكر الله ورسوله أو كتابه أو دينه بسوء ، فإن هذا ضرر يعم المسلمين في أنفسهم ، وأعراضهم وأموالهم ، وأخلاقهم ، ودينهم وينتقض بذلك عقد الذمة .

قيل لابن عمر رضي الله عنهما : « إن راهباً يشتم النبي ﷺ فقال : لو سمعته لقتلته ، إنا لم نعطه الأمان على هذا » .

وكذا إذا لحق بدار الحرب ، بخلاف ماإذا أظهر منكراً ، أو قذف مسلماً ، فإن عهده لاينتقض ، وإذا انتقض عهده ، فإن عهد نسائه وأولاده لا ينتقض ، لأن النقض حدث منه فيختص به ، وإذا انتقض عهده ، كان حكمه حكم الأسير ، فإن أسلم حَرُم قتله ، لأن الإسلام يجب ماقبله .

---

١ ـ راجع فقه السنة جـ (١١) ١٦٠.

ثانياً : المستأمن

إذا طلب الأمان أي فرد من الأعداء المحاربين قُبلَ منه ، وصار بذلك آمناً ، لايجوز الإعتداء عليه بأي وجه من الوجوه قال تعالى : ﴿ **وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لايعلمون** ﴾ (التوبة : ٦).

وهذا الحق ثابت للرجال والنساء والأحرار والعبيد ، فمن حق أي فرد من هؤلاء أن يؤمنَّ أيَّ فرد من الأعداء يطلب الأمان ، ولايُمنع من هذا الحق أحد من المسلمين إلا الصبيان والمجانين، فقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال :

« قد أجرنا (أمَّنَّا) من أجرت ياأم هانئ » رواه البخاري .

وفي الحديث:« ذمة المسلمين واحدة، يسعى بها أدناهم ،وهم يدٌ على من سواهم » .رواه أحمد وأبو داود وغيرهما .

وإذا تقرر الأمان بالعبارة أو الإشارة حَرُم الغدر والإعتداء على المؤمن ، فقد روى البخاري في التاريخ والنسائي عن النبي ﷺ قال :

« **من أمَّنَ رجلاً على دمه فقتله ،فأنا برئ من القاتل ،وإن كان المقتول كافراً** »

وروى البخاري ومسلم وأحمد عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ :

« **لكل غادر لواء يُعرف به يوم القيامة**، ويصير المؤمَّنُ من أهل الذمة ، ولايجوز إلغاء أمانه إلا إذا ثبت أنه أراد أن يستغل هذا الحق في إيقاع الضرر بالمسلمين ، كأن يكون جاسوساً لقومه على المسلمين .

وقد ذكر صديق حسن خان في«الروضة الندية»(٤٠٨) مانصه :

« إنما يصح الأمان من آحاد المسلمين إذا أمن واحداً أو اثنين ، فأما عقد الأمان لأهل ناحية على العموم فلا يصح إلا من الإمام على سبيل الإجتهاد ، وتحري المصلحة كعقد الذمة ولو جُعل ذلك لآحاد الناس صار ذريعة إلى إبطال الجهاد »

والرسول مثل المؤمَّن سواء أكان يحمل الرسائل أو يمشي بين الفريقين المتقاتلين

بالصلح ، أو يحاول وقف القتال لفترة يتيسر فيها نقل الجرحى والقتلى لقول النبي ﷺ لرسولَيْ مسيلمة :

« لولا أن الرسل لاتقتل لضربت أعناقكما » رواه أحمد وأبو داود .

والمستأمن إذا قصر الإقامة بصفة دائمة ، فإنه يتحول إلى ذمي ويكون له حكمه ويتبعه في الأمان ، ويلحق به زوجته وأبناؤه الذكور القاصرون والبنات جميعاً ، والأم والجدات والخدم ، ماداموا يعيشون مع الحربي الذي أُعطى الأمان ، وإذا دخل الحربي دار الإسلام بأمان ، كان له حق المحافظة على نفسه وماله وسائر حقوقه ومصالحه ، مادام متمسكاً بعقد الأمان ، فإذا عاد إلى دار الحرب بطل الأمان بالنسبة لنفسه ويبقى بالنسبة لماله .

قال ابن قدامة في « المغني » إذا دخل حربي دار الإسلام بأمان فأودع ماله مسلماً أو ذمياً ، أو أقرضهما إياه ، ثم عاد إلى دار الحرب ، نظرنا ، فإن دخل تاجراً أورسولاً متنزهاً أو لحاجة يقضيها ، ثم يعود إلى دار الإسلام ، فهو على أمانه في نفسه وماله لأنه لم يخرج بذلك عن نية الإقامة في دار الإسلام ، فأشبه الذمي لذلك .

وإن دخل دار الحرب مستوطناً ، بطل الأمان في نفسه ، وبقي في ماله ، لأنه بدخوله دار الإسلام بأمان ثبت الأمان لماله فإذا بطل الأمان في نفسه بدخوله دار الحرب بقي في ماله لإختصاص المبطل بنفسه ، فيختص البطلان به » وتطبق علي المستأمن القوانين الإسلامية ويُمنع من التعامل بالربا ، وتُطبق عليه العقوبات الإسلامية إذا أتى مايوجب ذلك ويُصادر ماله إذا حارب المسلمين ، فإذا مات المستأمن في دار الإسلام ، أو في دار الحرب فإن ملكيته لماله لاتذهب عنه ، وتنتقل إلى ورثته ، وهذا قول جمهور العلماء .

ثالثاً : الولاء والبراء في الإسلام

من أصول العقيدة الإسلامية ، أنه يجب على كل مسلم يدين بهذه العقيدة ، أن يوالي أهلها ويعادي أعدائها ، فيحب أهل التوحيد والإخلاص ويواليهم ، ويبغض أهل الأشراك ويعاديهم وذلك من ملة إبراهيم ، قال تعالى :

﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبرهيم والذين معه ، إذ قالوا لقومهم إنا برءآؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العدواة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾(الممتحِنة : ٤) .

وقال سبحانه : **﴿ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لايهدى القوم الظالمين ﴾** (المائدة : ٥١).

وقال جلا وعلا : **﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء ﴾** (الممتحنة١).

بل لقد حرم الله موالاة الكافرين ولو كانوا من أقرب الناس إلينا نسباً فقال تعالى : **﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون ﴾** (التوبة : ٢٣).

وقال: **﴿ لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حآد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ﴾** (المجادلة : ٢٢).

وفي تفسير قوله تعالى : **﴿ والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ، إلاتفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير ﴾** أي إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين وإلا وقعت فتنة في الناس وهوالتباس الأمر ، واختلاط المؤمنين بالكافرين فيقع بين الناس فساد منتشر عريض طويل ، **ومن مظاهر موالاة الكفار** : [1]

١ ـ التشبه بهم في الملبس والكلام وغيرها لقول النبي ﷺ :

« من تشبه بقوم فهو منهم » فيحرم التشبه بالكفار فيما هو من خصائصهم من عاداتهم وعباداتهم وسمتهم وأخلاقهم كحلق الرأس وإطالة الشوارب ، والرطانة

---

١ ـ راجع رسالة الولاء والبراء لصالح بن فوزان .

بلغتهم إلا عند الحاجة ، وفي هيئة اللباس والأكل والشرب وغير ذلك .

٢ ـ الإقامة في بلادهم ، وعدم الإنتقال منها إلى بلاد المسلمين لأجل الفراربالدين ومستثنى من ذلك المستضعفون ، الذين لايستطيعون الهجرة ، وكذلك من كان في إقامته مصلحة دينية كالدعوة إلى الله ونشر الإسلام في بلادهم ، قال تعالى :

﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيما كنتم ،قالوا كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً ، إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لايستيطعون حيلة ولايهتدون سبيلاً ،فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً ﴾ .

(النساء : ٩٧ ـ ٩٨).

٣ ـ السفر لبلادهم لغرض التنزهه ومتعة النفس ، فلو وجدت ضرورة كالعلاج والتجارة والتعليم للتخصصات النافعة التي لايمكن الحصول عليها إلا بالسفر إليهم ، فيجوز بقدر الحاجة وإذا انتهت الحاجة وجب الرجوع إلى بلاد المسلمين ، ويشترط كذلك لجواز هذا السفر أن يكون مظهراً لدينه معتزاً بإسلامه مبتعداً عن مواطن الشر ، حذراً من دسائس الأعداء ومكائدهم ، وكذلك يجوز السفر أو يجب إلى بلادهم إذا كان لأجل الدعوة إلى الله ونشر الإسلام .

٤ ـ إعانتهم ومناصرتهم على المسلمين ومدحهم والذب عنهم ، وهذا من نواقض الإسلام وأسباب الردة ـ نعوذ بالله من ذلك .

٥ ـ الإستعانة بهم والثقة بهم وتوليتهم المناصب التي فيها أسرار المسلمين واتخاذهم بطانة ومستشارين قال تعالى : **﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم لايألونكم خبالاً ودوا ماعنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وماتخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ، هاأنتم أولاء تحبونهم ولايحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضُّوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور ﴾** (آل عمران : ١١٨ ـ ١١٩) .

وروى الإمام أحمد عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قلت لعمر رضي الله عنه : لي كاتب نصراني قال : مالك قاتلك الله ، أما سمعت قول الله تعالى : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض** ﴾ (المائدة : ٥١) ألا اتخذت حنيفاً ، قلت : ياأمير المؤمنين . لي كتابته وله دينه قال : لاأكرمهم إذ أهانهم الله ، ولاأعزهم إذ أذلهم الله ، ولا أدنيهم وقد أقصاهم الله .

وقد روى الإمام أحمد ومسلم : « أن النبي ﷺ خرج إلى بدر فتبعه رجل من المشركين فلحقه عند الحرة فقال : إني أردت أن اتبعك وأصيب معك ، قال تؤمن بالله ورسوله ؟ قال : لا ، قال : ارجع فلن أستعين بمشرك » .

٦ ـ التأريخ بتاريخهم خصوصاً التاريخ الذي يعبر عن طقوسهم وأعيادهم كالتاريخ الميلادي وهذا ابتداع من أنفسهم وليس هو من دين المسيح ، ولهذا لما أراد الصحابة رضي الله عنهم وضع تاريخ للمسلمين في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه عدلوا عن تواريخ الكفار وأرخوا بهجرة الرسول ﷺ مما يدل على وجوب مخالفة الكفار في هذا وفي غيره مما هو من خصائصهم .

٧ ـ مشاركتهم في أعيادهم أو مساعدتهم في إقامتها أو تهنئتهم بمناسبتها أو حضور إقامتها قال تعالى : ﴿ **والذين لايشهدون الزور** ﴾ (الفرقان : ٧٢) .

قال غير واحد من أهل العلم الزور أي أعياد المشركين .

٨ ـ مدحهم والإشادة بما هم عليه من المدنية والحضارة والإعجاب بأخلاقهم ومهارتهم دون نظر إلى عقائدهم الباطلة ودينهم الفاسد .

قال تعالى : ﴿ **ولاتمدن عينيك إلى مامتعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى** ﴾(طه : ١٣١)ولايتعارض ذلك مع أهمية أخذنا بأسباب القوة والتقدم والتحضر الحقيقية .

٩ ـ التسمي بأسمائهم ، مما يسبب الإنفصال بين هذا الجيل والأجيال السابقة من جهة ، والتآلف والمودة مع أصحاب الأسماء الأجنبية من الكفار .

١٠ ـ الإستغفار لهم والترحم عليهم قال تعالى : ﴿ **ماكان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ماتبين لهم أنهم أصحاب الجحيم** ﴾ (التوبة : ١١٣).

معاملات جائزة لاتدخل ضمن معنى الموالاة

لامحبة ولا إخوة ولا صداقة ، ولامودة ، ولا موالاة بين المسلمين والكفار وهذا لايمنع جواز المعاملات الآتية :

١ ـ جواز الإهداء إليه ، وقبول هديته ، وأكل طعامه إن كان كتابياً : يهودياً أو نصرنياً لقوله تعالى : ﴿ **وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم** ﴾(المائدة : ٤) .

وهي ذبائحهم باتفاق المفسرين .

ولما صح عنه ﷺ أنه كان يُدعى إلى طعام يهود المدنية فيجيب الدعوة ويأكل مما يقدم له من طعامهم ، وقد كان السلف الصالح يهدون للمشركين وليس بينهم وبينهم مودة كما بوب البخاري على ذلك فقال : باب صلة الوالد المشرك ، باب صلة الأخ المشرك ، واستدل على ذلك بأن النبي ﷺ أهدى إلى عمر حلة سيراء وأنه أرسل بها إلى أخ له من أهل مكة قبل أن يُسلم .

وعمر هو هو الذي قال للنبي ﷺ في أسارى بدر : « ...... ولكن أرى أن تمكنني من فلان ـ قريب لعمر ـ فأضرب عنقه وتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين » ، وقال ابن عبد البر في هذه القصة : « فيه جوا ز الهدية للكافر ولو كان حربياً » .

٢ ـ العدل معهم وذلك لقوله تعالى : ﴿ **ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى** ﴾ (المائدة : ٨) .

ولما أرسل النبي ﷺ عبد الله بن رواحة رضي الله عنه إلى يهود خيبر وهم أهل ذمة يومئذ لكي يخرص نخيلهم ، فحاولوا رشوته ، قال لهم :

« يأعداء الله تطعموني السحت والله لقد جئتكم من عند أحب الناس إليّ ولأنتم أبغض إليّ من عدتكم من القردة والخنازير ولا يحملني بغضي إياكم وحبي إياه على أن لا أعدل بينكم فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض » فالعدل معهم واجب ولايعني هذا محبتهم وهل تكون أخوة بيننا وبين من تضطره إلى أضيق الطريق لقول رسول الله ﷺ : « لاتبدؤا اليهود ولا النصارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه » رواه أبو داود .

٣ ـ تشميته إذا عطس وحمد الله تعالى بأن يقول له : يهديكم الله ويصلح بالكم إذ كان الرسول ﷺ يتعاطس عنده يهود رجاء أن يقول لهم : يرحمكم الله ، فكان يقول لهم يهديكم الله ويصلح بالكم .

٤ ـ عدم أذيته في ماله أو دمه أو عرضه أن كان غير محارب لقول الرسول ﷺ يقول الله تعالى: « **ياعبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا** » رواه مسلم ، وقوله : « من آذى ذمياً فأنا خصمه يوم القيامة » رواه مسلم .

٥ ـ يرحمه بالرحمة العامة كإطعامه إن جاع ، وسقيه إن عطش ، ومداوته إن مرض ، وكإنقاذه من تهلكة ، وتجنيبه الأذى لقوله ﷺ : « إرحم من في الأرض يرحمك من في السماء » روا ه الطبراني والحاكم .

وقوله : « في كل ذي كبد رطبة أجر » رواه أحمد وابن ماجه .

٦ ـ الرحم الكافرة توصل من المال ونحوه كما قال الخطابي وغيره .

قال تعالى: ﴿ **لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين** ﴾ .

وقال جل وعلا: ﴿ **وإن جاهداك على أن تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفاً** ﴾ .

فأباحت هذه الآيات الإقساط والمصاحبة بالمعروف وإسداء البر والخير ومنعت الآيات الأخرى وجود المودة بيننا وبين الكفار ، إذ المودة هي عمل القلب

٧ ـ يجوز للمسلم زواج الكتابيات من الكفار بل ومعاشرتهن بالمعروف لقوله تعالى: ﴿ **والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولامتخذى أخدان** ﴾ (الممتحنة : ٥).

وليس معنى معاشرتها بالمعروف أن يحب ماعليه زوجته الكتابية من دين باطل ولايحل للمؤمنات الزواج بالكافر مطلقاً لقوله تعالى: ﴿ **لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن** ﴾،ولقوله:﴿ **ولاتنكحوا المشركين حتى يؤمنوا** ﴾ (البقرة : ٢٢١).

إذ الإسلام يعلو ولا يُعلى ، والقوامة من أعظم السبيل وقد قال تعالى: ﴿ **ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً** ﴾ (النساء: ١٤١).

٨ ـ يجوز ضيافته ،كما ورد في عقد الذمة ،وعيادته فقد عاد النبي ﷺ الغلام اليهودي وقال له أسلم ، فقال له أبوه أطع أبا القاسم ، فأسلم الغلام ،فاضت روحه من ساعته فقال النبي ﷺ لأصحابه:صلوا على صاحبكم ، كما يجوز أيضاً البيع والشراء معهم وقد مات النبي ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي .

متى تُشرع مخالفة أهل الكتاب ومتى تجوز موافقتهم ؟

ذكر شيخ الإسلام ابن تيميه ، الشروط المأخوذة على أهل الذمة ، وذلك في كتابه القيم « اقتضاء الصراط المستقيم ، مخالفة أصحاب الجحيم » في ص ١٢١ :

« وأما الإجماع فمن وجوه من ذلك أن أميرالمؤمنين عمر في الصحابة رضي الله عنهم ،ثم عامة الأئمة بعده ،وسائر الفقهاء : جعلوا في الشروط المشروطة على أهل الذمة من النصارى وغيرهم فيما شرطوه على أنفسهم .

« أن نوقر المسلمين ونقوم لهم من مجالسنا إن أرادوا الجلوس ، ولانتشبه بهم في شئ من ملابسهم : قلنسوة ، أو عمامة ،أو نعلين أو فرقة شعر ، ولانتكلم بكلامهم ،ولانكتني بكناهم ،ولانركب السروج ولانتقلد السيوف ، ولانتخذ شيئاً من السلاح ، ولانحمله ،ولاننقش خواتيمنا بالعربية ، ولانبيع الخمور ، وأن نُجُزَّ مقادم رءوسنا وأن نلزم زِيَّنا حيثما كان ، وأن نشد الزنانير على أوساطنا ،وأن

لانظهر الصليب على كنائسنا ولا نظهر صليباً ولا كتباً من كتب ديننا في شئ من طرق المسلمين ولا أسواقهم ، ولانضرب بنواقيسنا في كنائسنا إلا ضرباً خفيفاً ولانرفع أصواتنا مع موتانا ، ولانظهرالنيران معهم في شئ من طرق المسلمين » رواه حرب بإسناد جيد ....

ولانخرج باعوثاً،والباعوث : أنهم يخرجون مجتمعين كما نخرج يوم الأضحى والفطر،ولا شعانينا .... ولانجاورهم بالجنائز ولانبيع الخمور ...... وهذه الشروط أشهر شئ في كتب الفقه والعلم وهي مجمع عليها في الجملة بين العلماء من الأئمة المتبوعين وأصحابهم وسائر الأئمة ولولا شهرتها عند الفقهاء لذكرنا ألفاظ كل طائفة فيها وهي أصناف .

الصنف الأول : مامقصوده التميز عن المسلمين في الشعور واللباس والأسماء والمراكب والكلام ونحوها ليتميز المسلم من الكافر ولا يشبه أحدهما الآخر في الظاهر ....

ومن جملة الشروط : مايعود بإخفاء منكرات دينهم وترك إظهارها ....

ومنها : مايعود بإخفاء شعار دينهم كأصواتهم بكتابهم ....

ومنها : مايعود بترك إكرامهم وإلزامهم الصغار الذي شرعه الله تعالى ...... إلى أن قال ص ١٧٦ مانصه :

ثم إنه ثبت بعد ذلك في الكتاب والسنة والإجماع الذي كمل ظهوره في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ماشرعه الله في مخالفة الكافرين أو مفارقتهم في الشعار والهدي وسبب ذلك :

أن المخالفة لهم لاتكون إلا بعد ظهور الدين وعلوه كالجهاد وإلزامهم بالجزية والصغار فلما كان المسلمون في أول الأمر ضعفاء لم يشرع المخالفة لهم :

فلما كمل الدين وظهر وعلا شرع ذلك ومثل ذلك اليوم : لو أن المسلم بدار حرب أو دار كفر غير حرب : لم يكن مأموراً بالمخالفة لهم في الهدي الظاهر ، لما

عليه في ذلك من الضرر بل قد يُستحب للرجل أو يجب عليه : أن يشاركهم أحياناً في هديهم الظاهر ، إذا كان في ذلك مصلحة دينية : من دعوتهم إلى الدين والإطلاع على باطن أمرهم لإخبار المسلمين بذلك ، أو دفع ضررهم عن المسلمين ونحو ذلك من المقاصد الصالحة .

فأما في دار الإسلام والهجرة التي أعز الله فيها دينه ، وجعل على الكافرين بها الصغار والجزية : ففيها شُرعت المخالفة وإذا ظهرت الموافقة والمخالفة لهم بإختلاف الزمان ظهرت حقيقة الأحاديث في هذا » أ . هـ .

يتضح من هذا الكلام القيم أن إقامة الشرع والدين تتطلب قدرة واستطاعة وتمكيناً ، ومن المعلوم أن الواجبات تسقط بالعجز وعدم الإستطاعة ﴿ **لايكلف الله نفساً إلا وسعها** ﴾ ﴿ **وماجعل عليكم فى الدين من حرج** ﴾ .

وقد ذكرت في كتابي «تحصيل الزاد لتحقيق الجهاد»[1] جواز مهادنة الكفار بمال عند ضعف المسلمين ونقلت أقوال أهل العلم في ذلك ، وإستدلالهم بفداء الأسير المسلم بمال إذا لم يطلق إلا بذلك .

وقولهم إذا دعت الضرورة لمصالحة الكفار على مال ، كأن يخاف على المسلمين الهلاك أو الأسر فيجوز لأنه يجوز للأسير فداء نفسه بالمال فكذا ههنا ولأن بذله المال إن كان فيه صغار فإنه يجوز تمثله لدفع صغار أعظم منه وهو القتل والأسر وسبي الذرية الذي يفضي سبيهم إلى كفرهم .

لكم دينكم ولي دين

ليس في هذه الآية أنه رضى بدين المشركين ، ولا أهل الكتاب كما يظنه بعض الملحدين ، ولا أنه نهى عن جهادهم كما ظنه بعض الغالطين ، وجعلوها منسوخة بل فيها براءته من دينهم ، وبراءتهم من دينه وأنه لا تضره أعمالهم ولايجزون بعمله ولا ينفعهم .

---

١ ـ راجع الكتاب ٢٥ ـ ٣١ .

وهذا أمر محكم لايقبل النسخ ولم يرض الرسول بدين المشركين ، ولا أهل الكتاب طرفة عين قط ، فقوله تعالى : ﴿ **قل ياأيها الكافرون ، لاأعبد ماتعبدون ،ولاأنتم عابدون ماأعبد ،ولا أنا عابد ماعبدتم ، ولاأنتم عابدون ماأعبد ، لكم دينكم ولى دين** ﴾

شبيه بقوله جل وعلا : ﴿**لى عملى ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا برئ مما تعملون** ﴾ فهي كلمة توجب براءته من عملهم وبراءتهم من عمله .

والنبي ﷺ لم يرض قط إلا بدين الله الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه مارضي قط بدين الكفار ، لامن المشركين ، ولا من أهل الكتاب ، ولهذا قال النبي ﷺ في ﴿ **قل ياأيها الكافرون** ﴾ هي براءة من الشرك ، وهذا أمر محكم لايمكن نسخه بحال ، كما قال تعالى عن الخليل : ﴿ **وإذا قال إبراهيم لأبيه وقومه إننى براءٌ مما تعبدون إلا الذى فطرنى فإنه سيهدين** ﴾ (الزخرف : ٢٦-٢٧) .

بل قال تعالى لنبيه ﴿ **واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ،فإن عصوك فقل إنى برئ مما تعملون** ﴾ (الشعراء : ٢١٥-٢١٦).

فإذا كان قد برأه الله من معصية من عصاه من أتباعه المؤمنين فكيف لايبرئه من كفر الكافرين الذين هم أشد له معصية ومخالفة ؟

ولاتعارض بين قوله تعالى : ﴿ **لكم دينكم ولى دين** ﴾ .وبين قوله سبحانه في سورة الشورى : ﴿**وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ،لاحجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير**﴾ (الشورى : ١٥) .

إذ نحن نؤمن بالكتب المنزلة ، لا المحرفة والمغيرة والمبدلة فقد أخبر سبحانه عن تفرق الذين أوتوا الكتاب كتفرق اليهود والنصارى وتفرق فرق اليهود ، وفرق النصارى كالنسطورية واليعقوبية ، والملكانية .ثم قال : ﴿ **وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب** ﴾ (الشورى : ١٤) .

وقال : ﴿ **ولقد آتينا موسى الكتاب فاختُلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك**

لقضى بينهم وانهم لفى شك منه مريب﴾ (هود: ١١٠).

وقال تعالى: ﴿ **وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن وماقتلوه يقينا، بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً﴾** (النساء: ١٥٧-١٥٨).

وقد تتابعت الآيات تنهى عن اتباع المشركين وتأمر جميع الخلق أن يؤمنوا بجميع ماأنزل الله، كما أمر سبحانه نبيه ﷺ أن يعدل بين جميع الخلق ﴿ **وأمرت لأعدل بينكم﴾**.

شهادة بعض المنصفين [١]

يقول الأستاذ «أرنولد» في كتابه «الدعوة إلي الإسلام» مانصه:

(ولما بلغ الجيش الإسلامي وادي الأردن، وعسكر أبو عبيدة في (فحل) كتب الأهالي المسيحيون في هذه البلاد إلى العرب المسلمين يقولون:

«يامعشر المسلمين: أنتم أحب إلينا من الروم، وإن كان الروم على ديننا، أنتم أوفى وأرأف بنا، وأكف عن ظلمنا، وأحسن ولاية علينا، ولكنهم غلبونا على أمرنا ومنازلنا»قال:« وغلق أهل مدينة حمص أبواب مدينتهم دون جيش هرقل وأبلغوا المسلمين أن ولايتهم وعدلهم أحب إليهم من ظلم إلا غريق وتعسفهم ..... »

« ظهر أن الفكرة التي شاعت بأن السيف كان العامل في تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة عن التصديق، فإن الدعوة والإقناع كانا هما الطابعين الرئيسيين لحركة الدعوة هذه، وليس القوة والعنف» أ.هـ.

ويقول «غوستاف لوبون» قولته المشهورة: «ماعرف التاريخ فاتحاً أعدل ولا أرحم من العرب» ومما يذكره التاريخ: أن التتار لما غزوا بلاد الإسلام ووقع كثير من المسلمين والنصارى في أسرهم، ثم عادت الغلبة للمسلمين، ودان ملوكهم بالإسلام، خاطب شيخ الإسلام أمير التتار بإطلاق الأسرى، فسمح له الأمير

١-راجع حرية الاعتقاد لناصح علوان ص ٥٥-٦١.

التتاري بفك أسرى المسلمين ، وأبى أن يسمح بأهل الذمة ، فقال شيخ الإسلام: لابد من فك الأسرى من اليهود والنصارى لأنهم أهل ذمتنا فأطلقهم له .

ومما كتبه عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عمرو بن العاص عامله على مصر :
« إن معك أهل ذمة وعهد ، وقد أوصى رسول الله ﷺ بهم ، وأوصى بالقبط ، فقال : « **استوصوا بالقبط خيراً فإن لهم ذمة ورَحِماً** » .

وذكر أبو يوسف في كتابه « الخراج » أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر بشيخ من أهل الذمة يسأل على أبواب المساجد بسبب الجزية ، والحاجة والسن فقال : ماأنصفناك إن كنا أخذنا منك الجزية في شيبتك ، ثم ضيعناك في كبرك ، ثم أجرى عليه من بيت المال مايصلحه ، ووضع الجزية عنه وعن ضربائه (أمثاله) .

ومما ذكره التاريخ بملء الإفتخار والإعتزاز أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اقتص من ابن واليه « عمرو بن العاص » لضربه مصرياً قبطياً بدون حق ثم التفت إلى عمرو وقال له قولته المشهورة :

« ياعمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً » وبعض هذا يكفي وهو بمثابة الرد القاطع على من يقول لك مانصنع باليهود والنصارى إذا قام في المجتمع حكم الإسلام ؟ نقول : نصنع بهم ماأمر به الإسلام ، ونعاملهم بما عاملهم به سلفنا الصالح حتى قال المنصفون من أهل الملل الأخرى:« ماعرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب » (١)

مقارنة وموازنة أخلاقهم بدينهم ،وكل إناء بما فيه ينضح

مما أجمع عليه المؤرخون أن الصليبيين ذبحوا في يوم واحد في الحرب الصليبية الأولى سبعين ألف مسلم تذبيح النعاج حتى أن الدماء كانت تجري أنهاراً في المسجد الأقصى وشوارع القدس ، فلم يرقبوا في مؤمن إلاً ولا ذمة ، ولم يرحموا كبيراً ولا

---

١ ـ العرب لاقيمة لهم بدون الإسلام ، بل سرعان مايعودون لمثل الجاهلية الأولى أو أشر إذا انحرفوا عن كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

صغيراً ، ولم يحترموا امرأة ولا طفلاً ، ولم يوقروا عالماً ولا شيخاً ..... على حين عامل السلطان صلاح الدين الصليبيين أحسن معاملة وأكرمهم أسمى إكرام حين حرّر بيت المقدس من اعتدائهم الأثيم ، فما أراق دماً ولا انتهك حرمة ولا نقض عهداً ... بل ظلت الكنائس والمعابد أمانة في يديه وفي يد مَنْ جاء من بعده يحسنون القيام بها والحفاظ عليها ....

إلي أن دخل جيوش الحلفاء بيت المقدس في الحرب العالمية الأولى وقال القائد الإنجليزي « اللنبي » الآن انتهت الحروب الصليبية وقد فعلوا مافعلوه باسم الصليب وتحت رايته وصدق فيهم قول الله:﴿ **قد بدت البغضاء من أفواههم وماتخفي صدورهم أكبر** ﴾ (آل عمران : ١١٨) وذكر الدكتور في كتابه « العلاقات السياسية الدولية » ....

في الأندلس لقي المسلمون أشد العذاب وأبشع الظلم من محاكم التفتيش التي كانت تأمر بتنصير المسلمين كرهاً ثم بحرق الكثير منهم ونصح « كردينال » طليطلة الذي كان رئيساً لمحاكم التفتيش بقطع رؤوس جميع من لم يتنصر من العرب رجالاً ونساءً وشيوخاً وولداناً .

وأراد « شارلمان » أن يستأصل شأفة الإسلام تأييداً لهيبة الكنيسة ، وأن يسحق دولة الأندلس المستقلة احتفاظاً بكبرياء الفتح والظفر ، وعقد مسلمواغرناطة معاهدة التسليم والأمان من الملكين الكاثوليكيين : « فرديناند » و« إيزابيلا» اللذين نكثا بالعهود والمواثيق فكبلا ثلاثة ملايين من المسلمين بالأغلال وأعمل الكاثوليك في رقابهم السيف تنكيلاً وانتقاماً ..... » .

ومما ذكره الدكتور « حامد سلطان » في كتابه « القانون الدولي العام » :

(في سنة ١٤٥٤ م و أصدر البابا مرسوماً منح فيه « هنري البحار » البرتغالي الحق في أن يغزو ، وأن يحتل ، ويجوز البحار اللازمة للقضاء على انتشار الإسلام .

وكان مما جاء في هذا المرسوم البابوي مايلي : (إن سرورنا العظيم أن نعلم أن

ابننا المحبوب « هنري البحار» أمير البرتغال قد سار في خُطى أبيه الملك « جون » بوصفه جندياً قديراً من جنود المسيح ، ليقضي على أعداء الله ، وأعداء المسيح من المسلمين والكفرة .... أ . هـ .

وجاء في النشيد الإيطالي المشهور مايلي : « أماه صلي ولاتبكي ، بل اضحكي وتأملي ، ألا تعلمين أن إيطاليا تدعوني وأنا ذاهب إلى طرابلس فرحاً مسروراً لأبذل دمي في سبيل سحق الأمة الملعونة ولأحارب الديانة الإسلامية وسأقاتل بكل قوتي لمحو القرآن ... إن سألك أحد عن عدم حِدَادك عليّ فأجيبيه : إنه مات في محاربة الإسلام) !! .

ومافعلته الصليبية في فلسطين والأندلس وليبيا ...... في الماضي ، وماتفعله في الفلبين والحبشة وقبرص وإريتريا ، وزنجبار ، وكينيا وجنوب إفريقيا والبوسنة والهرسك .... في الحاضر أكبر دليل على العداء اللئيم والحقد الدفين الذي تأصل في كيانهم ، وخالط شغاف قلوبهم قديماً وحديثاً !!! .

ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى

قال تعالى : ﴿ **لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودةللذين أمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لايستكبرون** ﴾ (المائدة : ٨٢) .

هذه الآية نزلت في النجاشي وأصحابه لما قدم عليهم المسلمون في الهجرة الأولى حسب ماهو مشهور في سيرة ابن اسحاق وغيره ـ خوفاً من المشركين وفتنتهم وكانوا ذوي عدد .

ثم هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة بعد ذلك فلم يقدروا على الوصول إليه حالت بينهم وبين رسول الله ﷺ الحرب فلما كانت وقعة بدر وقتل الله فيها صناديد الكفار ، قال كفار قريش : إن ثأركم بأرض الحبشة فاهدوا إلى النجاشي وابعثوا إليه رجلين من ذوي رأيكم لعله يعطيكم مَن عنده فتقتلوهم بمن قُتِل منكم ببدر ، فبعث

كفار قريش عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة بهدايا فسمع النبي ﷺ بذلك ، فبعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري وكتب معه إلى النجاشي فقدم على النجاشي فقرأ كتاب رسول الله ﷺ ثم دعا جعفر بن أبي طالب والمهاجرين وأرسل إلى الرهبان والقسيسين فجمعهم ثم أمر جعفر أن يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فقاموا تفيض أعينهم من الدمع .

فهم الذين أنزل الله فيهم ﴿ **ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى** ﴾ وقرأ ﴿ **إلى الشاهدين** ﴾ رواه أبو داود وذكر البيهقي عن ابن اسحاق قال : قدم إلى النبي ﷺ عشرون رجلاً وهو بمكة أو قريب من ذلك من النصارى حين ظهر خبره من الحبشة ، فوجدوه في المسجد فكلموه وسألوه ، ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة فلما فرغوا من مسئلتهم رسول الله ﷺ عما أرادوا دعاهم رسول الله ﷺ إلى الله عزوجل ، وتلا عليهم القرآن ، فلما سمعوه فاضت أعينهم من الدمع ، ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ماكان يوصف لهم في كتابهم من أمره .

فلما قاموا من عنده اعترضهم أبو جهل في نفر من قريش فقالوا : خيبكم الله من رَكْب ! بعثكم مَنْ وَرَائكم من أهل دينكم ترتادون لهم فتأتونهم بخبر الرجل ، فلم تظهر مجالستكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال لكم ، مانعلم ركباً أحمق منكم ـ أو كما قال لهم ـ فقالوا سلام عليكم لانجاهلكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، لانألوا أنفسنا خيراً ، فيقال : إن النفر النصارى من أهل نجران .

ويقال : إن فيهم نزلت هؤلاء الآيات:﴿ **الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون** ﴾ إلى قوله:﴿ **لانبتغى الجاهلين** ﴾ وقال قتادة : نزلت في ناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى ، فلما بعث الله محمداً ﷺ آمنوابه فأثنى الله عليهم .

قال القرطبي : وهذا المدح لمن آمن منهم بمحمد ﷺ دون من أصر على كفره

ولهذا قال:﴿ **وأنهم لا يستكبرون** ﴾أي عن الإنقياد إلى الحق أ . هـ .

ولهـذا جاء بعـدها قوله تعـالى : ﴿ **وإذا سـمعوا ماأنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين** ﴾(الآية٨٣)

وبيَّن الله سبحانه في هذه الآيات أن أشد الكفار تمرداً وعتواً وعداوة للمسلمين اليهود ويضاهيهم المشركون وبيّن أن أقربهم مودة النصارى وقوله تعالى :

﴿ **فاكتبنا مع الشاهدين** ﴾ أي مع أمة محمد ﷺ الذين يشهدون بالحق.

ومما ذكرنا تعلم أن المدح لايشمل من أصر على باطله وكفره من النصارى ، فالآية إنما نزلت فيمن آمن من النصارى وصدق بالحق كالنجاشي ومن كان على شاكلته .

إسلام المفكر الفرنسي جارودي

رغم تعرض الإسلام لحروب متتالية من التشهير والتشويه ، الأمر الذي أدى إلى انصراف كثير من المسلمين عن الإلتزام بمعاني دينهم ، وتمكن الأعداء من رقابهم وبحيث صارت العلمانية هي الراية المرفوعة في معظم البلاد الإسلامية .

أقـول : رغم هذا الواقع المر ، إلا أنه لايكاد يمر علينا يوم إلا ونسمع بإسلام الكثيرين والإحصائيات في ذلك أشهر من أن تذكر ، وبعض هؤلاء من جملة المشاهير ومايكاد الواحد من هؤلاء يسلم حتى تنهال عليه الأسئلة من هناك وهناك تطلب منه رأي الإسلام في شتى نواحي الحياة !!! .

وهذا الأمر يذكرني بحالة بعض الفنانات المعتزلات المحجبات اللاتي يطلب منهن الرأي في قضية البوسنة والسياسة والإقتصاد الإسلامي وأمور تحتاج نوعاً من الإجتهاد في دين الله ، وباعاً في معرفة الشرع والواقع مما قدلا يتيسر لبعض هؤلاء التائبين أو الذين دخلوا في دين الله .

ولانقول هذا انتقاصاً لقدر أحد فلكل علم عالم والحق يُقبل من كل من جاء به ، وقد يغلب على بعض من أسلم نزعة صوفية ومن المعلوم أنه قد وقع في نظير شرك وكفر اليهود والنصارى ، طوائف من المنتسبين للإسلام ، كعقيدة الحلول والإتحاد

والغلو في الأولياء والصالحين كما هو مشاهد في بعض الصوفية بالإضافة لظهور كثير من البدع كالإحتفال بالموالد على النحو المعروف وترك النظافة وهجر الدنيا والإنزواء في الخرائب ...... وقد صح الخبر عن رسول الله ﷺ في نهي أمته عن متابعة اليهود والنصارى وبيّن الصادق المصدوق أن ماحذر منه سيقع في بعض طوائف الأمة فقال :

« لتتبعن سنن من كان قبلكم شبر بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه ، قالوا يارسول الله : اليهود والنصارى قال فمن ».

وفي بعض الروايات : « قالوا يارسول الله فارس والروم قال فمن» وهذه الأحاديث هي من دلائل نبوة رسول اله ﷺ وهي تنطبق أول ماتنطبق على الصوفية ومن شابههم من هذه الأمة .

وقد قال العلماء من سعادة الحدث إذا نسك أن يوفق إلى صاحب سنة يحمله عليها وبعض من دخل الإسلام قد يتبنى الدعوة لمؤتمرات التقريب بين الأديان ، فيجب الحذر ، ولايسعنا أن نطعن في إسلامه أو أن نتهمه في نواياه ، ولكننا نقول :

لابد من إحسان الظن بهؤلاء وتعليمهم ماجهلوه من دين الله ومحبتهم لإسلامهم ، ونحن نقبل من الناس علانيتهم ونكل سرائرهم لله تعالى ونُحسن الظن بالناس ونسيء الظن بأنفسنا وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول :

أيها الناس إن الوحي قد انقطع فمن أظهر لنا خيراً أمناه وقربناه ، ليس لنا في سريرته، الله يتولاه في سريرته ، ومن أظهر لنا شراً لم نؤمنه ولم نقربه ، وإن قال : إن نيته حسنة .

نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان

المسيح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام علامة من علامات الساعة العشر الكبرى وقد وردت الروايات توضح صفته ورفعه ومكان نزوله والحكم الذي يحكم به ......

ومن جملة ذلك مارواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : ليلة أسري بي لقيت موسى ، فنعته إلى أن قال:« ولقيت عيسى فنعته فقال : ربعة (ليس بالطويل ولا بالقصير) أحمر كأنما خرج من ديماس - يعني الحمام -

• وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :

« رأيت عيسى وموسى وإبراهيم فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر » وقد ورد بأن له لمة (شعر الرأس إذا جاوز شحمة الأذنين) قد رجَّلها تملأ مابين منكبيه وهو سبط الشعر ويكون نزوله عند المنارة البيضاء شرقي دمشق وعليه مهرودتان (أي ثوبين مصبوغين بورس ثم زعفران) واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ ، ولا يحل يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه ، ويكون نزوله على الطائفة المنصورةالتى تقاتل قاتل على الحق وتكون مجتمعة لقتال الدجال ، فينزل وقت إقامة الصلاة فيصلي خلف أمير تلك الطائفة .

وفي رواية فيقول له إمام المسلمين : ياروح الله تقدم فيقول : تقدم أنت فإنه اقيمت لك ، وفي رواية مسلم:« بعضكم على بعض أمراء تكرمة هذه الأمة .

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿**وانه لعلم للساعة**﴾ أي أن نزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة علامة على قرب الساعة ، وهذا قول ابن عباس وغيره .

وقد دلت الآيات على أن اليهود لم يقتلوا عيسى عليه السلام ولم يصلبوه ، بل رفعه الله إلى السماء قال تعالى : ﴿ **إذ قال الله ياعيسى إني متوفيك ورافعك إليَّ** ﴾ (آل عمران : ٥٥) .

كما جاءت الأحاديث المتواترة تدل على أن من أهل الكتاب من سيؤمن بعيسى عليه السلام آخر الزمان وذلك عند نزوله وقبل موته ، قال تعالى : ﴿ **وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً** ﴾ (النساء : ١٥٧-١٥٩) .

قال ابن تيميه : «الحمد لله : عيسى عليه السلام حي ، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية » .

وثبت في الصحيح عنه أنه ينزل على المنارة البيضاء شرقي دمشق ، وأنه يقتل الدجال ، ومن فارقت روحه جسده لم ينزل جسده من السماء وإذا أحيي فإنه يقوم من قبره وأما قوله تعالى :

﴿ **إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا** ﴾(آل عمران : ٥٥) .

فهذا دليل على أنه لم يعن بذلك الموت إذ لو أراد بذلك الموت لكان عيسى في ذلك كسائر المؤمنين فإن الله يقبض أرواحهم ويعرج بها إلى السماء فعلم أن ليس في ذلك خاصية وكذلك قوله : ﴿ **ومطهرك من الذين كفروا** ﴾ ولوكان قد فارقت روحه جسده لكان بدنه في الأرض كبدن سائر الانبياء أو غيره من الأنبياء .

وقد قال تعالى في الآية الاخرى ﴿ **وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم ،وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن وماقتلوه يقينا ، بل رفعه الله إليه** ﴾(النساء : ١٥٧ ـ ١٥٨)فقوله هنا : ﴿**بل رفعه الله إليه** ﴾ يبين انه رفع بدنه وروحه .

كما ثبت في الصحيح أنه ينزل ببدنه وروحه ، اذ لو اريد موته لقال : ﴿**وماقتلوه وماصلبوه** بل مات ...... ﴾ولهذا قال من قال من العلماء إني متوفيك : أى قابضك ، أى قابض روحك وبدنك .

يقال : توفيت الحساب واستوفيته ، ولفظ التوفي لايقتضي نفسه توفي الروح دون البدن ولاتوفيهما جميعاً إلا بقرينة منفصلة ، قد يراد به توفي النوم كقوله تعالى : ﴿**الله يتوفى الأنفس حين موتها ، والتى لم تمت فى منامها** ﴾(الزمر : ٤٢).

وقوله : ﴿ **هو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ماجرحتم بالنهار** ﴾ (الأنعام : ٦٠).

وقوله : ﴿**حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا** ﴾(الأنعام : ٦١) أ . هـ .

والنصوص تدل على بطلان ماادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك فأخبر الله أنه لم يكن الامر كذلك وإنما شبه لهم فقتلوا الشبيه وهم لايتبينون ذلك .

ثم إنه رفعه الله إليه وأنه باق حي وأنه سينزل قبل القيامة كما دلت على ذلك الاحاديث المتواترة وقد ذكر ذلك ابن جرير الطبري وابن كثير ، وأحمد شاكر والألباني وغير واحد من أهل العلم .

والمسيح كان في السماء الثانية مع أنه أفضل من يوسف وإدريس وهارون لانه يريد النزول إلى الأرض قبل يوم القيامة بخلاف غيره وآدم كان في سماءالدنيا لأن نسم أبنائه تعرض عليه كما بيَّن ابن تيميه .

والمسيح عليه السلام لاينزل بشرع جديد بل يحكم بالشريعة الإسلاميةويكون من أتباع محمدﷺ إذ لانبي بعد رسول الله ﷺ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « كيف أنتم إذا أنزل فيكم ابن مريم فأمكم منكم » رواه مسلم .

قال ابن أبي ذئب فأمكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى وسنة نبيكم ﷺ .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لاتزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة ».

قال : فينزل عيسى بن مريم ﷺ فيقول أميرهم تعال صل بنا فيقول : لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة » فمما يدل على بقاء التكليف بعد نزول عيسى عليه السلام صلاته مع المسلمين وحجه وجهاده للكفار ووضعه الجزية يدل على أن مشروعية أخذ الجزية مقيد بنزوله بإخبار نبينا ﷺ فهو المبين للنسخ بقوله لنا :

« والله لينزلن ابن مريم حكماً عادلاً فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية » رواه مسلم . وفي زمن نزول عيسى عليه السلام ينتشر الأمن وتظهر

البركات وتذهب الشحناء والتباغض والتحاسد .

روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « والانبياء اخوة لعلات [1] ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد ، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم لأنه لم يكن بيني وبينه نبي نازل ......فيهلك الله في زمانه المسيح الدجال وتقع الامنة على الارض حتي ترتع الأسود مع الإبل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات لاتضرهم » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « والله لينزلن عيسى بن مريم حكماً عدلاً .... وليضعن الجزية ولتتركن القلاص (الناقة الشابة) فلايسعى عليها ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد ، وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد » رواه مسلم .

وهو يمكث في الأرض سبع سنين بعد نزوله ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون قال تعالى عن عيسى عليه السلام : ﴿**والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً**﴾ وقد جاء في رواية مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما « فيبعث الله عيسى بن مريم ....

ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضه » .

الحكمة في نزول عيسى عليه السلام دون غيره

ذكر يوسف بن عبد الله الوابل في أشراط الساعة (٣٣٩) مانصه : « تلمس بعض العلماء الحكمة في نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان دون غيره من الأنبياء ولهم في ذلك عدة أقوال :

١ ـ الرد على اليهود في زعمهم أنهم قتلوا عيسى عليه السلام فبين الله تعالى

---

١ ـ أمهاتهم مختلفة وأبوهم واحد أي أن إيمان الأنبياء واحد وشرائعهم مختلفة .

كذبهم وأنه الذي يقتلهم ويقتل رئيسهم الدجال ...... ورجح الحافظ ابن حجر هذا على غيره .

٢ ـ أن عيسى عليه السلام وجد في الإنجيل فضل أمة محمد ﷺ كما في قوله تعالى : ﴿ **ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه** ﴾(الفتح : ٢٩) فدعا الله أن يجعله منهم فاستجاب الله دعائه وأبقاه حتى ينزل آخر الزمان مجدداً لأمر الاسلام .

قال الإمام مالك رحمه الله : « بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام يقولون : والله لهؤلاء خير من الحواريين كما بلغنا » .

قال ابن كثير : وصدقوا في ذلك فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة والأخبار المتداولة ، وقد ترجم الإمام الذهبي لعيسى عليه السلام في كتابه « تجريد اسماء الصحابة فقال « عيسى بن مريم عليه السلام صحابي ونبي فإنه رأى النبي ﷺ ليلة الإسراء وسلم عليه فهو آخر الصحابة موتاً .

٣ ـ إن نزول عيسى عليه السلام من السماء لدنوا أجله ليدفن في الأرض إذ ليس لمخلوق من التراب أن يموت في غيرها ، فيوافق نزوله خروج الدجال فيقتله عيسى عليه السلام .

٤ ـ إنه ينزل مكذباً للنصارى فيظهر زيفهم في دعواهم الأباطيل ويهلك الله الملل كلها في زمنه إلا الإسلام فإنه يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية .

٥ ـ إن خصوصيته بهذه الأمورالمذكورة لقول النبي ﷺ : «أناأولى الناس بعيسى بن مريم ليس بيني وبينه نبي » رواه البخاري .

فرسول الله أخص الناس به وأقربهم إليه فان عيسى بشر بأن رسول الله ﷺ يأتي من بعده ودعا الخلق إلى تصديقه والإيمان به كما في قوله تعالى : ﴿ **ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد** ﴾ (الصف : ٦) .

وفي الحديث : « قالوا يارسول الله أخبرنا عن نفسك ؟ قال : نعم، أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى أخي عيسى » أ. هـ.

النصارى آمنوا بمسيح لاوجود له
واليهود ينتظرون المسيح الدجال

قال ابن القيم في كتابه« هداية الحيارى» ١٣٥ : فالمسلمون يؤمنون بالمسيح الصادق الذي جاء من عند الله بالهدى ودين الحق الذي هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول .

والنصارى إنما تؤمن بمسيح دعى إلى عبادة نفسه وأمه وأنه ثالث ثلاثة وأنه الله وابن الله ، وهذا هو آخر المسيح الكذاب لو كان له وجود ، فإن المسيح الكذاب يزعم أنه الله ، والنصارى في الحقيقة أتباع هذا المسيح كما أن اليهود إنما ينتظرون خروجه ،وهم يزعمون أنهم ينتظرون النبي الذي بشروا به ،فعوضهم الشيطان بعد مجيئه من الإيمان به انتظاراً للمسيح الدجال .وهكذا كل من أعرض عن الحق يعوض عنه بالباطل ....

والنصارى لما أنفوا أن يكون المسيح عبداً لله تعوضوا من هذه الأنفة بأن رضوا بجعله مصفعة لليهود ومصلوبهم الذي يسخرون منه ويهزءون به ، ثم عقدوا له تاجاً من الشوك بدل تاج الملك وساقوه في جبل إلى خشبة الصلب يصفقون حوله ويرقصون فلا بتلك الأنفة له من عبودية الله بهذه النسبة له أعظم الذل والضيق والقهر .

وكذلك أنفوا أن يكون للبترك والراهب زوجة وولد وجعلوا لله رب العالمين الولد ،وكذلك أنفوا أن يعبدوا الله وحده لاشريك له ويطيعوا عبده ورسوله ثم رضوا بعبادة الصليب والصور المصنوعة بالأيدي في الحيطان وطاعة كل من يحرم عليهم ماشاء ويحلل لهم ماشاء ويشرح لهم من الدين ماشاء من تلقاء نفسه ....

إلى أن قال رحمه الله: وتأمل قول المسيح : « إني لست أدعكم أيتاماً لأني

سآتيكم عن قريب » كيف هو مطابق لقول أخيه محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليهما « ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً ، فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ، ويضع الجزية ، .وأوصى أمته بأن : « يقرئه السلام منه من لقيه منهم » .

وفي حديث آخر : « كيف تهلك أمة أنا في أولها وعيسى في آخرها »؟

وقد ذكر ابن تيمية في« الجواب الصحيح »١٨٦ حـ ٢ مانصه : فإنه لاريب أنه

(أي المسيح) ولد من مريم العذراء التي لم يمسها بشر قط وأن الله أظهر على يديه الآيات ، وأنه صعد إلى السماء ، كما أخبر الله بذلك في كتابه ، كما تقدم ذكره ، فإذا كان هذا مما أخبرت به الأنبياء في النبوات التي عند اليهود لم ينكروا ذلك ، وإن كان اليهود يتأولون ذلك على غير المسيح كما في النبوات من البشارة بمحمد ﷺ ، فهو حق ، وإن كان الكافرون به من أهل الكتاب يتأولون ذلك على غيره » ....

وذكر قول عزرا الكاهن [يأتي المسيح ويخلص الشعوب والأمم] .

ثم قال ابن تيميه : وهذا مما لايتنازع فيه المسلمون ، فإنهم يقرون بما أخبر به في كتابه من إتيان المسيح عليه السلام وتخليص الله به كل من آمن به من الشعوب والأمم إلى بعث محمد ﷺ ، فكل من كان مؤمناً بالمسيح ، متبعاً لما نزل عليه من غير تحريف ولا تبديل ، فإن الله خلصه بالمسيح من شر الدنيا والآخرة ، كما خلص الله تعالى بموسى من اتبعه من بني إسرائيل ، ومن حرف وبدّل فلم يتبع المسيح ومن كذّب محمداً ﷺ فهو كمن كذب المسيح بعد أن كان مقراً بموسى عليه السلام .
ولكن هذا النص وأمثاله حجة على اليهود الذين يتأولون ذلك على أن هذا ليس هو المسيح بن مريم ، وإنما هو مسيح ينتظر ، وإنما ينتظرون المسيح الدجال مسيح الضلالة ، فإن اليهود يتبعونه ويقتلهم المسلمون معه حتى يقول الشجر والحجر :

يامسلم هذا يهودي ورائي تعال فاقتله ، وهكذا قال في النبوة الثانية التي ذكروها عن « أرميا » النبي ﷺ أ . هـ .

وقد روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيالسة » .

وفي رواية للإمام أحمد « سبعون ألفاً عليهم التيجان ».

وقد ورد في الأخبار أن المسيح عند نزوله ، يكون الدجال متوجهاً نحو بيت المقدس فيلحق به عيسى عند باب « لد» (بفلسطين) فإذا رآه الدجال ذاب كما يذوب الملح فيقول له عيسى عليه السلام إن لي فيك ضربة لن تفوتني فيتداركه عيسى فيقتله بحربته وينهزم أتباعه فيتبعهم المؤمنون فيقتلونهم حتى يقول الشجر والحجر يامسلم ياعبد الله ، هذا يهودي خلفي تعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود » .

مآخذ البروتستانت على البابا والكنيسة

اعتبر البروتستانت أن التعاليم والإحتفالات والخرافات الوثنية قد دمجت بالإيمان والعبادة في ديانة أتباع المسيح الإسميين ، فقد وافق المسيحيون على اتحاد الوثنية بالمسيحية ، ودخل عبدة الأصنام الكنيسة متمسكين بأصنامهم ، فغيروا أصنامهم إلى صور المسيح والعذراء والقديسين ولتسهيل عملية دخول الوثنيين إلى الكنيسة أدخل تدريجياً إلى العبادة المسيحية كثيراً من التعاليم الكاذبة والطقوس الخرافية وعبادة الصور والذخائر .

ومرسوم المجلس العام (المجلس الثاني لنيس سنة ٧٨٧ م) أقر نهائياً هذا النظام المسيحي الوثني .

ولكي تكمل عملها المدنس للمقدسات كما يرى البروتستانت ، تجرأت روما على أن تحذف الوصية الثانية من شريعة الله التي تنهى عن عبادة التماثيل ، وقسمت الوصية العاشرة إلى اثنين لكي يبقى العدد كاملاً قالوا : عبث الشيطان أيضاً

بالوصية الرابعة وعمد إلى إغفال يوم السبت القديم الذي باركه الرب وقدسه تكوين (٢ : ٢، ٣) ومجد وعظم بدلاً منه العبد الذي كان يحفظه الوثنيون يوم الشمس المكرم وذكروا أنه في أوائل القرن الرابع أصدر الإمبراطور قسطنطين مرسوماً صار يوم الأحد بموجبه عيد عام في كل أنحاء الإمبراطورية ،وكان يوم الشمس مقدساً عند رعاياه الوثنيين فصار المسيحيون يكرمونه ، وقد حثه على ذلك أساقفة الكنيسة الذين أدركوا أنه إن حفظ الوثنيين والمسيحيين نفس اليوم يسهل على الوثنيين قبول المسيحية الإسمية ، إلى أن صار يوم الأحد الوثني يكرم كتشريع إلهي في حين اعتبر يوم السبت الكتابي أحد الذخائر اليهودية ،والذين يكرمونه اعتبروا ملعونين

ومن أهم هذه المآخذ بالإضافة لذلك :

(١) إدعاء البابا للربوبية والألوهية .

وقد اعترض البروتستانت على الإدعاءات التي نسبها البابا لنفسه فقد صار :

« نائب الله على الأرض » ولقب نفسه : « الرب الإله البابا » وادعى العصمة وتسلط على الكنيسة والدولة وطالب الجميع بالولاء، قالوا :

وهكذا تحول الإيمان عن المسيح مؤسس الكنيسة الحقيقي إلى بابا روما ،وعوضاً عن الإيمان بيسوع المسيح من أجل غفران الخطايا والخلاص الأبدي اتجه للبابا وإلى الكهنة والأساقفة الذين فوضهم .

وعلموا أن البابا هو وسيطهم الأرضي ،وبدونه لايستطيع أحد أن يتقدم إلى الله، وأكثر من هذا فإنه بالنسبةإليهم هو في مكان الله ،وتتوجب طاعته المطلقة والإنحراف عن طاعته يستوجب أقسى عقاب ،وهكذا انحرفت عقول الناس عن الله إلى إنسان معرض للخطأ أو الضلال وذكروا أن الكتاب المقدس يعارض بصورة مباشرة عقيدة سيادة البابا « للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد » (لوقا ٨ : ٤).

لم يذكر الله في كلمته قط أنه عين أي إنسان عدا المسيح رأساً للكنسية .

الكتاب المقدس يعظم الله ويضع الإنسان الفاني في مكانه المناسب ، فالبابا ليس له سلطان على كنيسة المسيح إلا ماقد ادعاه اغتصاباً .

وأصبحت روما الوثنية في نظر البروتستانت روما البابوية فزور الرهبان بعض الكتابات القديمة وازداد الإدعاء عندما أعلن البابا غريغوريوس السابع في القرن الحادي عشر عصمة كنيسة روما قالوا : ثم أعلن ذلك البابا المتعجرف أن له السلطان أن يخلع الأباطرة ، وأن أحداً من الناس مهما علا مقامه لايحق له أن يلغي أحكامه أما هو فمن حقه أن يلغي أحكام الآخرين .

(٢) الإبتهال إلى القديسين وعبادة مريم .

يرى البروتستانت أن تعاليم الفلاسفة الوثنيين لاقت قبولاً من الناس وكان لها تأثير على الكنيسة ومن أبرز تلك الضلالات عندهم الإعتقاد بخلود الإنسان الطبيعي وإحساسه بعد الموت ، قالوا : هذا التعليم بنت عليه روما ضلالة الإبتهال إلى القديسين وتمجيد العذراء مريم وهرطقة العذاب الأبدي لمن يموتون .

(٣) المطهر .

رأوا أن هذا اختراع آخر من ابتكار الوثنية الذي أسمته روما المطهر واستخدمته في إرهاب الجماهير المتمسكة بالخرافات ، حيث يذهب الذين لايستحقون الهلاك الأبدي لكي ينالوا عقاباً عن خطاياهم ثم بعد أن يتطهروا من نجاستهم يُسمح لهم بالدخول إلى السماء .

(٤) القداس .

قالوا : أُستعيض عن فريضة العشاء الرباني بالذبيحة الوثنية المسماه ذبيحة القداس ، فلقد ادعى كهنة البابويةأنهم بشعائر سخيفة يمكنهم تحويل الخبز والخمر العاديين إلى نفس جسد ودم المسيح وبوقاحة ادعوا علنا أنهم قادرون على أن «يخلقوا الله خالق كل الأشياء » .

(٥) صكوك الغفران .

ذكر البروتستانت أن الحالة كانت تدعو إلى اختلاق دجل آخر يمكن روما من الإستفادة مالياً من مخاوف ورذائل تابعيها ، وقد وجدت ضالتها في عقيدة صكوك

الغفران فقدم البابا للناس الوعد بالغفران لخطاياهم الحاضرة والماضية والمستقبلة والعتق من كل الآلام والعقوبات ، كما علموا الشعب أن دفع أموالهم للكنيسة يحرره من الخطية ويعتق أرواح أصدقائهم الموتى المحبوسة في لهيب النار والعقاب .

(٦) محاكم التفتيش .

في القرن الثالث عشر أقيمت أرهب الأنظمة البابوية ـ محاكم التفتيش ـ وذكر البروتستانت أن سلطان الظلمة كان يعمل مع السلطة البابوية .ففي مجامعهم السرية سيطر الشيطان وزبانيته على عقول الناس الأشرار الذين اخترعوا وسائل تعذيب أقسى وأرهب من أن تنظرها عين بشر حتى صرخت أجسام الملايين من الشهداء الممزقة إلى الله لينتقم لها من تلك السلطة المرتدة وأصبحت البابوية طاغية العالم ، فالملوك والأباطرة انحنوا خضوعاً أمام أحكام البابا وبدا وكأن بابا روما يتحكم في مصائر الناس الآن وفي الأبدية . وبكل غيرة ووقار كان الناس يمارسون طقوسها ويحفظون أعيادها ويكرمون رجال الكهنوت ويعولونهم بسخاء .

لوثر ودعوته الإصلاحية

رأى لوثر أن الكتب المقدسة كانت مجهولة ليس فقط للعامة بل للكهنة أيضاً مما سمح للكهنة ممارسة سلطانهم بحريةغير محدودة فمارسوا الرذيلة بدون رادع كما تفشى الإحتيال والطمع والإسراف .

وفي قصور البابوات والأساقفة تم ارتكاب أحط مشاهد الفجور والنجاسة والجرائم المنفرة جداً مما جعل بعض رؤساء الحكومات يحاولون عزلهم وقد أراد لوثر أن يخرج من ظلمتها ولم يعترف بأساس آخر للإيمان غير الكتاب المقدس ووقف يصرخ لما رأى الكتاب المقدس لأول مرة وقلب صفحاته وقال :

« ليت الله يعطيني هذا الكتاب ليكون ملكي الخاص » ٧٠ .

ودخل أحد الأديرة وكرس نفسه لحياة الرهبنة ، وتحمل الإذلال بصبر إذ كان يظن أنه لازم له بسبب خطاياه وقال عن نفسه : « لقد كنت راهباً تقياً واتبعت قوانين الرهبنة بالتدقيق أكثر مما أقدر أن أعبر عنه ، ولو أمكن لراهب أن يرث السماء بأعمال النسك التي يمارسها لكان لي الحق في ذلك .... .ولو استمريت على ذلك مدة أطول لأدت بي تلك العذابات إلى الموت » ٨ .

ورُسم لوثر كاهناً ، وأخذ يعظ ثم زار روما فكتب يقول :

« لايستطيع أحد أن يتصور الخطايا والأعمال الشائنة التي ترتكب في روما ، ولايصدق وجودها إلا من رآها بنفسه ، وقد صار أمراً عادياً أن يقول الناس : إذا كانت هناك جحيم فإن روما مبنية عليها ، انها بؤرة تخرج منها كل أنواع الخطايا » (١١) .

ولما أراد أن يصعد « سلم بيلاطس » لينال صك الغفران سمع صوتاً يقول له : البار بالإيمان يحيا (رومية ١ : ١٧) ، وعندما ترك لوثر روما حول قلبه عنها أيضاً ومن ذلك الوقت إزداد الإنفصال إلى أن قطع كل علاقة له بالكنيسة البابوية .

وحصل على درجة الدكتوراة من جامعة ويتنبرج وقد صرح بثبات أن :

« المسيحيين يجب ألا يقبلوا تعاليم ليس لها سلطان الكتاب المقدس » وامتدت دعوته قال لوثر بعد بدء دعوته بسنين قليلة : « إن الله لايقودني بل يدفعني إلى الأمام ، إنه يحملني فأنا لست سيد نفسي ، أنا أرغب في أن أعيش في راحة وسكون ولكن قد ألقى بي وسط الإضطرابات والإنقلابات » ١٢ .

واعترض على بناء كاتدرائية القديس بطرس بأموال صكوك الغفران ودخل في معركة مع عرش البابوية والتاج المثلث [١] الموضوع على رأس البابا وصفوه بالهرطقة ، وصرخ البابويون « إنها خيانة عظمى ضد الكنيسة أن تسمح لهرطوقي شنيع أن يعيش ساعة واحدة بعد الآن لتنصب له المشنقة فوراً » ٢٠ .

---

١ ـ ملك السماء والأرض والمناطق السفلى (هذا هو الذي يرمز إليه التاج في اعتقادهم) .

وعقدت محاكمة للوثر وقيل له تراجع وإلا ستُحرم ويُحرم كل الموالين لك وكل من يؤيدونك في المستقبل وسيقذف بكم خارج الكنيسة »٢٢ .

وألح في دفاعه أن يظهر البابا أو مبعوثه من الكتاب المقدس خطأ تعاليمه وقال :

« لا أستطيع أن أخضع إيماني للبابا أو للمجالس لأنه واضح كوضوح الشمس ، انهم كثيراً ماأخطأوا ، وعارضوا بعضهم البعض مالم أقتنع من شهادة الكتاب المقدس والآيات التي اقتبستها ، ويقيد ضميري بكلمة الله فإني لا أستطيع أن أتراجع ، ولن أتراجع لأن المسيحي لا يكون في مأمن عندما يخالف ضميره ، هنا أقف ولا يمكنني أن أفعل غير ذلك وليساعدني الله » (٢٢) .

وعندما أوصل لوثر البيان البابوي قال : إني أحتقره وأهاجمه لأنه غيرورع وكاذب .... إن المسيح نفسه هو الذي يُدان في هذا البيان ...... انني الآن أشعر بحرية أعظم في قلبي لأني قد عرفت أن البابا هو ضد المسيح ، وأن عرشه هوعرش الشيطان نفسه » ٢٨.ثم ظهر منشور يُعلن فصل لوثر النهائي عن الكنيسة ، وشُهر به كمن هو ملعون من السماء كما شملت هذه الإدانة جميع الذين قبلوا تعاليمه وهكذا بدأ الصراع بين البروتستانتية والكاثوليكية .

إصلاح لوثر والبروتستانت بحاجة لإصلاح

لقد استند لوثر في حربه على البابا والكنيسة الكاثوليكة إلى الكتاب المقدس وبيَّن انحرافهم عن تعاليمه ، وفاته أن يثبت صحة الكتاب المقدس من جهة ، وأن يتابع رسول الله ﷺ الذي بشرت به النبوات ، ويُسلم وجهه لله ويترك العقائد الكفرية من جهة أخري .

قال ابن تيميه في «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح »جـ (١) ٣٧٧ مانصه :

« فإن المسلمين واليهود والنصارى متفقون على أن في الكتب الإلهية الأمر بعبادة الله وحده لاشريك له ، وأنه أرسل إلى الخلق رسلاً من البشر ، وأنه أوجب العدل وحرم الظلم والفواحش والشرك ، أو أمثال ذلك من الشرائع الكلية ، وأن فيها الوعد بالثواب والوعيد بالعقاب بل هم متفقون على الإيمان باليوم الآخر .

وقد تنازعوا في بعض معانيها واختلفوا في تفسير ذلك كما اختلفت اليهود والنصارى في المسيح المبشر به النبوات هل هو المسيح بن مريم عليه السلام أو مسيح آخر ينتظر ؟ والمسلمون يعلمون أن الصواب في هذا مع النصارى ، لكن لايوافقونهم على ماأحدثوا فيه من الإفك والشرك .

وذكر ص ٣٨٠ مسألة التبديل فقال : والتوراة هي أصح الكتب وأشهرها عند اليهود والنصارى ومع هذا فنسخة السامرة مخالفة لنسخة اليهود والنصارى حتى في نفس الكلمات العشر ، ذكر في نسخة السامرة منها ـ من أمر استقبال الطور ـ ماليس في نسخة اليهود والنصارى ، وهذا مما يبين أن التبديل وقع في كثير من نسخ هذه الكتب ، فإن عند السامرة نسخاً متعددة وكذلك رأينا في الزبور نسخاً متعددة تخالف بعضها بعضاً مخالفة كثيرة في كثير من الألفاظ والمعاني يقطع من رآها أن كثيراً منها كذب على زبور داود عليه السلام .

وأما الأناجيل فالإضطراب فيها أعظم منه في التوراة » أ . هـ .

وقد سبق أن بينا أسباب هذا الإضطراب وصوره ويبدو أن لوثر كان كحاطب بليل وكما هو معلوم فإن التفسير فرع التصحيح ، والحكم على شئ فرع عن تصوره والسلوك مرآة الفكر .

فإعتقاد لوثر لكل ماجاء في الإنجيل أوالكتاب المقدس ، وإلزامه خصومه به ، كان يُحسب له ، لو ثبت الأصل الذي يحتج به ويبني عليه .

قال ابن القيم في «هداية الحياري »١٠٢ فما بعدها مانصه :

« النصارى تخالف التوراة التي بأيدي اليهود ، والتي بأيدي السامرة تخالف هذه وهذه ، وهذه نسخ الإنجيل يخالف بعضهابعضاً ويناقضه ، فدعواهم أن نسخ التوراة والإنجيل متفقة شرقاً وغرباً من البهت والكذب الذي يروجونه على أشباه الأنعام ، وإن هذه التوراة التي بأيدي اليهود فيها من الزيادة والتحريف والنقصان مالا يخفى على الراسخين في العلم .

وهم يعلمون قطعاً أن ذلك ليس في الانجيل الذي أنزله الله على المسيح ، وكيف يكون في التوراة قصة موت موسى ودفنه في أرض موآب ؟ وكيف يكون في الإنجيل الذي أنزل على المسيح « قصة صلبه » وماجرى له ، وأنه أصابه كذا وكذا وصلب يوم كذا وكذا ، وأنه قام من القبر بعد ثلاث ، وغير ذلك مما هو من كلام الشيوخ النصارى ، وغايته أن يكون من كلام الحواريين خلطوه بالإنجيل وسموا الجميع إنجيلاً وكذلك كانت « الأناجيل عندهم أربعة » يخالف بعضها بعضاً .

ومن بهتهم وكذبهم قولهم : إن التوراة التي بأيديهم وأيدي اليهود والسامرة سواءو النصارى لا يقرون أن الإنجيل منزل من عند الله على المسيح وأنه كلام الله [(١)] بل كل فرقهم مجمعون على أنها أربعة تواريخ ألفها أربعة رجال معروفون في أزمان مختلفة ولايعرفون عن الإنجيل غير هذا : « إنجيل ألفه متى تلميذ المسيح بعد

---

١ ـ النصارى لايقرون : أن المسيح ترك إنجيلاً مكتوباً ويقولون : أن الروح القدس ألهم كتاب الأناجيل وعصمهم من الخطأ ، والروح القدس هو الله نفسه عند الأرثوذكس (كنيسة الأسكندرية) وهو إله مستقل بنفسه .

تسع سنين من رفع المسيح وكتب بالعبرانية في بلد يهود (يهوذا بالشام أي أورشليم القدس) بالشام ، وإنجيل ألفه مرقس الهاروني تلميذ شمعون (أي بطرس سمعان) بعد ثلاث وعشرين سنة من رفع المسيح ، وكتبه باليونانية في بلاد أنطاكية من بلاد الروم ، ويقولون أن شمعون المذكور هوألفه ثم محى اسمه من أوله ونسب إلى تلميذه مرقس ، وإنجيل ألفه (لوقا) الطبيب الأنطاكي تلميذ شمعون بعد تأليف مرقس ، وإنجيل ألفه يوحنا تلميذ المسيح بعد مارفع المسيح ببضع وستين سنة ، كتبه باليونانية ، وكل واحد من هذه الأربعة يسمونه الإنجيل ، وبينها من التفاوت والزيادة والنقصان مايعلمه الواقف عليها ، وبين توراة السامرة واليهود والنصارى من ذلك مايعلمه من وقف عليها .... فدعوى الكاذب الباهت أن نسخ التوراة والإنجيل متفقة شرقاً وغرباً بعداً وقرباً ، من أعظم الفرية والكذب وقد ذكر غير واحد من علماء الإسلام مابينها من التفاوت والزيادة والنقصان والتناقض لمن أراد الوقوف عليها (**انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**) لابن تيميه ، و(**إظهار الحق لرحمة الله الهندى .....**) ولولا الإطالة وقصد ماهو أهم منه لذكرنا منه طرفاً كبيراً . هـ .

إتباع لوثر للمسيح يوجب عليه إتباع رسول الله ﷺ

لقد أظهر لوثر في اعتراضه على البابا والكنيسةالكاثوليك تمسكاً بالكتاب المقدس وعملاً بأقوال المسيح ونحن بإذن الله نلزمه بما تمسك به ، وندعوه للدخول في الإسلام ومتابعة رسول الله ﷺ هو وغيره من أهل الكتاب ، فالعلم بأنه ﷺ مذكور في الكتب المتقدمة يُعرف من وجوه متعددة :

(١) أخبار من قد ثبتت نبوته قطعاً بأنه مذكور عندهم في كتبهم ، فقد أخبر به من قام الدليل القطعي على صدقه فيجب تصديقه فيه ، هذا لولم يعلم ذلك إلا من مجرد خبره فكيف إذا تطابقت الأدلة على صحة ماأخبر به .

(٢) أنه جعل الإخبار به من أعظم أدلة صدقه وصحة نبوته وهذا يستحيل أن يصدر إلا من واثق كل الوثوق بذلك ، وأنه على يقين جازم به .

(٣) أن المؤمنين به من الأحبار والرهبان الذين آثروا الحق على الباطل صدقوه في ذلك وشهدوا له بما قال .

(٤) أن المكذبين والجاحدين لنبوته لم يمكنهم إنكار البشارة والإخبار بنبوة نبي عظيم الشأن صفته كذا وكذا وصفة أمته ومخرجه وشأنه ، لكن جحدوا أن يكون هو الذي وقعت به البشارة وأنه نبي آخر غيره ، وعلموا هم والمؤمنون به من قومهم إنهم ركبوا متن المكابرة وامتطوا غارب البهت .

(٥) أن كثيراً منهم صرح لخاصته وبطانته بأنه هو هو بعينه ، وأنه عازم على عداوته ما بقي .

(٦) أن إخبار النبي ﷺ بأنه مذكور في كتبهم هو فرد من أفراد إخباراته بما عندهم في كتبهم من شأن أنبيائهم وقومهم وماجرى لهم وقصص الأنبياء المتقدمين وأممهم وشأن المبدأ والمعاد وغير ذلك مما أخبرت به الأنبياء وكل ذلك ما يعلمون صدقه فيه ومطابقته لما عندهم ، وتلك الإخبارات أكثر من أن تحصى ولم يكذبوه يوماً واحداً في شئ منها .

وكانوا أحرص الناس على أن يظفروا منه بكذبة واحدة أو غلطة أوسهو فينادون بها عليه ويجدون بها السبيل إلى تنفير الناس عنه ، فلم يقل أحد منهم يوماً من الدهر أنه أخبر بكذا وكذا في كتبنا وهوكاذب فيه بل كانوا يصدقونه في ذلك وهم مصرون على عدم اتباعه ، وهذا من أعظم الأدلة على صدقه فيما أخبر به لو لم يعلم إلا بمجرد خبره .

(٧) أنه أخبر بهذا لأعدائه من المشركين الذين لاكتاب عندهم ، وأخبر به لأعدائه من أهل الكتاب وأخبر به لأتباعه فلو كان هذا باطلاً لا صحة له لكان ذلك تسليطاً للمشركين أن يسألوا أهل الكتاب فينكرون ذلك هو تسليطاً لأهل الكتاب على

الإنكار وتسليطاً لأتباعه على الرجوع عنه والتكذيب له بعد تصديقه ، وذلك ينقض الغرض المقصود بإخباره من كل وجه وهو بمنزلة رجل يخبر بما يشهد بكذبه ويجعل إخباره دليلاً على صدقه وهذا لايصدر من عاقل ولا مجنون ، فهذه الوجوه يعلم بها صدق ماأخبر به وإن لم يعلم وجوده من غير جهة إخباره فكيف وقد علم وجود ماأخبر به ؟ .

(٨) أنه لو قدر أنهم لم يعلموا بشارة الأنبياء به وإخبارهم بنعته وصفته لم يلزم أن لايكونوا ذكروه وأخبروا به وبشروا بنبوته ؟ إذ ليس كل ماقاله الأنبياء المتقدمون وصل إلى المتأخرين وأحاطوا به علماً ، وهذا مما يعلم بالإضطرار ، فكم من قول قد قاله موسى وعيسى ولاعلم لليهود والنصارى به ، فإذا أخبر به من قام الدليل القطعي على صدقه لم يكن جهلهم به موجباً لرده وتكذيبه .

(٩) أنه يمكن أن يكون في نسخ غير هذه النسخ التي بأيديهم فأزيل من بعضها ونسخت هذه مما أزيل منه .

(١٠) أنه استشهد على صحة نبوته بعلماء أهل الكتاب وقد شهد له عدو لهم فلايقدح جحد الكفرة الكاذبين المعاندين بعد ذلك .

قال تعالى : ﴿ **ويقول الذين كفروا لست مرسلاً قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب** ﴾(الرعد : ٤٣).

وقال تعالى : ﴿ **قل أرأيتم إن كان من عند غير الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لايهدى القوم الظالمين**﴾(الاحقاف : ١٠).

وقال تعالى : ﴿ **ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لايستكبرون . وإذا سمعوا ماأنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين** ﴾ (المائدة : ٨٢، ٨٣).

وقال تعالى : ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ،وإذا يُتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين ، أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما**

صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون ﴾(القصص : ٥٢).

وإذا شهد واحد من هؤلاء لم يوزن به ملء الأرض من الكفرة ، ولاتُعارَض شهادُته بجحود ملء الأرض من الكفار ، كيف والشاهد له من علماء أهل الكتاب أضعاف أضعاف المكذبين له منهم .

(١١) أنه لو قُدر أنه لاذكر لرسول الله ﷺ بنعته ولاصفته ولاعلامته في الكتب التي بأيدي أهل الكتاب اليوم لم يلزم من ذلك أن لايكون مذكوراً في الكتب التي كانت بأيدي أسلافهم وقت بعثته ولاتكون اتصلت على وجهها إلى هؤلاء بل حرفها أولئك وبدلوا وكتموا ، وتواصوا وكتبوا ماأرادوا وقالوا هذا من عند الله .

ثم اشتهرت تلك الكتب وتناقلها خلفهم عن سلفهم فصارت المغيرة المبدلة هي المشهورة والصحيحة بينهم خفية جداً ، ولاسبيل إلى العلم بإستحالة ذلك ، بل هو في غاية الإمكان ، فهؤلاء السامرة غيروا مواضع من التوراة .

ثم اشتهرت النسخ المغيرة عندجميعهم فلا يعرفون سواها وهجرت بينهم النسخ الصحيحة بالكلية ، وكذلك التوراة التي بأيدي النصارى .

وهكذا تبدل الأديان والكتب ولولا أن الله سبحانه تولى حفظ القرآن بنفسه وضمن للأمة أن لاتجتمع على ضلالة لأصابه ماأصاب الكتب قبله .

قال تعالى : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ (الحجر : ٩) .

(١٢) أنه من الممتنع أن تخلو الكتب المتقدمة عن الإخبار بهذا الأمر العظيم الذي لم يطرق العالم من حين خلق إلى قيام الساعة أمر أعظم منه ولا شأن أكبر منه ، فإنه قلب العالم وطبق مشارق الأرض ومغاربها ، واستمر على العالم على تعاقب القرون وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ومثل هذا النبأ العظيم لابد أن تتطابق الرسل على الإخباربه .

وإذا كان الدجال رجل كاذب يخرج في آخر الزمان وبقاؤه في الأرض أربعين يوماً قد تطابقت الرسل على الإخباربه وأنذر به كل نبي قومه من نوح إلى خاتم

الرسل ، فكيف تتطابق الكتب الإلهية من أولها إلى آخرها على السكوت عن الإخبار بهذا الأمر العظيم الذي لم يطرق العالم أمراً أعظم منه ولايطرقه أبداً ، هذا مالا يسوغه عقل عاقل وتأباه حكمة أحكم الحاكمين ، بل الأمربضد ذلك.

ومابعث الله سبحانه نبياً إلا أخذ عليه الميثاق بالإيمان بمحمد وتصديقه .

كما قال تعالى: ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ،قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى ،قالوا أقررنا ،قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين** ﴾

قال ابن عباس : مابعث الله من نبي إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به وليتابعنه .

الصراع من أجل إقامة النظام العالمي

مامن صاحب عقيدة ،إلا وهو يحرص على نشر عقيدته ، ويتمنى أن لو الناس كل الناس دخلوا في معتقده ، وبغض النظر عن صحة هذا المعتقد أو خطؤه ، وتجده يحب ويبغض ويوالي ويعادي في سبيل هذه العقيدة ، ولذلك فهو يصطدم بعقائد الآخرين ، وبسعيهم الحثيث من أجل إنفاذ مايعتقدونه ، وهذا مايطلق عليه اسم صراع المناهج أو الصراع الأيديولوجي .

ولذلك فتساؤل البعض ، لماذا الحروب ، ولماذا الخلاف ، ولماذا لانعيش في سلام .... يدل على جهل الواقع ، وغفلة من السنن الشرعية والكونية .

قال تعالى: ﴿**ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم** ﴾(البقرة : ١٢٠).

وقال سبحانه : ﴿ **إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء وودوا لو تكفرون** ﴾(الممتحنة : ٢).

وقال : ﴿ **إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله** ﴾(الأنفال : ٣٦).

وقال تعالى: ﴿ **ولايزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم** ﴾

(هود : ١١٨ ـ ١١٩)وكما هو مشاهد فسنن التدافع ماضية في الخلق ﴿ **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض** ﴾(البقرة : ٢٥١) .

والصراع بين الإيمان والكفر والحق والباطل وبين أولياء الله وأولياء الشيطان قديم ، وقد جاهد النبي ﷺ الكفار بالسيف والسنان وجاهد المنافقين بالحجة واللسان وصاحب هذا السؤال لم يميز بين الحق الذي يجب أن يحييٍّ به وفي سبيله ويزود بنفسه وماله دونه وبين الباطل المر الذي تئن النفوس وتود الخلاص منه ومن أهله .

والإنسان حين يُسلم وجهه لله ويعتقد إعتقاد الحق ، ولايغفل عن الواقع المحيط به ، وأنه بذلك يكون قد دخل في صراع مع المذاهب والنظم والفلسفات الأرضية ومع الديانات المحرفة والمغيرة والمبدلة ، فليس هو في الساحة وحده .

فالشيوعي يحرص على نشر إلحاده ، وإمتلاك أسباب القوة لغرض الهيمنة على البلاد والعباد كما صنعت روسيا في أفغانستان وغيرها ، بل كانوا ينقلون أبناء الأفغان المسلمين إلى روسيا لتعليمهم مبادئ الإلحاد ، ورفضوا العلوم الليبرالية وصبغوا المناهج بالصبغة الشيوعية ....

وحرص اليهود على إقامة دولة عالمية عاصمتها القدس أمر لايخفى على أحد وكلام زعمائهم وساستهم بلغة الدين ، ومن جملة ذلك تصريح موشى ديان عقب حرب سنة ١٩٦٧ بأنه يوم بيوم خيبر وذلك في الكنيست الإسرائيلي .

فلو انتقلنا للفاتيكان لوجدنا حرصاً عظيماً من الكنيسة الكاثوليكية والبابا ـ قديماً وحديثاً ـ على الهيمنة والسيطرة على أزمة الأمور وإخضاع الحكومات والشعوب لكلمة الرب التي حرفوها وغيروها وبدلوها !!! .

ومحاولات التبشير في أفريقيا وهنا وهناك ، و تقاربهم من الكنيسة الأرثوذكسية والبروتستاتينية لبسط النفوذ ، أمرواضح .

فلو تركنا هؤلاء وانتقلنا إلى الشيعة لوجدناهم لايقلون حرصاً على نشر المعتقد الشيعي ، وتصدير نموذج الثورة الخومينية الشيعية الإيرانية ، وحرصهم على بسط

النفوذ على الحرم ، وعداوتهم لأهل السنة حتى في بلادهم أمر لايخفى .

بل لانغالي لو قلنا إن عُبَّاد البقر والشيطان لهم عقيدة ودعوة وحرص على إنفاذ مايعتقدونه وعداوة لغيرهم ، وماأحداث السيخ والهندوس مع المسلمين منا ببعيدة

وأرى قبل أن ننتقل لمناقشة من أحق العقائد والدعوات لإقامة النظام العالمي ، أن نُذّكـر بمقـولة الرئيس الأمـريكي السـابق بوش في خطابه الرئاسي سنة ١٩٩١ م حين قال : (١)

إن أمريكا هي الوحيدة التي تملك المكانة الأخلاقيـة لإقامة النظام العالمي !!!

فساق المقدمة وهي امتلاك أمريكا للمكانة الأخلاقية واستخلص منها النتيجة وهي الأحقية بإقامة النظام العالمي الواحد . فلا بأس من أن ننطلق من هذه العبارة حتى ننظر من الذي يمتلك المكانة الأخلاقية بحق وبصدق ، فلا يبقى مجال لمنازعته في إقامة النظام العالمي ، وقبل أن نبدأ لابد من التنويه بقيمة الأخلاق وماهيتها وارتباطها بالعقيدة والدين .

المكانة الأخلاقية اللازمة لإقامة النظام العالمي

للأخلاق أهمية بالغة لما لها من تأثير كبير في سلوك الإنسان ومايصدر عنه ، وفي ذلك يقول الغزالي :

فإن كل صفة تظهر في القلب يظهر أثرها على الجوارح حتى لاتتحرك إلا على وفقها لامحالة ومعنى ذلك أن صلاح أفعال الإنسان بصلاح أخلاقه .

قـال تعـالى : ﴿ **والبلد الطيب يخـرج نبـاته بإذن ربه والذى خـبث لايخـرج إلا نكداً** ﴾ (الأعراف : ٥٨) .

ولهذا كان لابد من الحرص على تزكية النفوس وغرس معاني الأخلاق الجيدة فيها ، فوزن الأفعال والتروك سيتم بميزان الأخلاق وصحة هذا الوزن أو فساده إنما

---

١ ـ نص عبارته « إنها لفكرة عظيمة : نظام عالمي جديد تتعاون فيه أمم مختلفة من أجل قضية مشتركة .... الولايات المتحدة هي الوحيدة التي تمتلك المكانة الأخلاقية والوسائل اللازمة لدعم هذا النظام ».

يتوقف على نوع المعاني الأخلاقية التي يحملها الإنسان من حيث جودتها أو رداءتها .

وقد بلغ من إهتمام الإسلام بالجانب الأخلاقي ، تعريف النبي ﷺ للدين بحسن الخلق وأنه أكثر مايرجح كفة الحسنات يوم الحساب ، وأن أفضل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً وبيّن أن حسن الخلق أمر لازم وشرطاً لابد منه للنجاة من النار والفوز بالجنة ، وعلل صلوات الله وسلامه عليه الرسالة بتقويم الأخلاق وإشاعة المكارم والفضائل وامتدحه سبحانه بحسن الخلق .

فقال:﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ (القلم : ٤) .

والنصوص في هذه المعاني كثيرة ، ودعوة الإسلام إلى الأخلاق الكريمة ليست دعوة عامة مجملة فحسب ، بل من تتبع الكتاب والسنة وجد أن التحلي بالأخلاق الجيدة والتخلي عن الأخلاق الرديئة قد أتى مفصلاً لئلا تختلف الناس فيها وتتدخل الأهواء في تحديد المراد منها ، فمن مظاهر رحمة الله بعباده أن بيّن لهم مايتقون وما يأخذون وما يتركون .

ومن خصائص نظام الأخلاق في الإسلام الشمول ، ونعني به أن دائرة الأخلاق الإسلامية واسعة جداً فهي تشمل جميع أفعال الإنسان الخاصة بنفسه أو المتعلقة بغيره سواء أكان الغير فرداً أو جماعة أو دولة فلا يخرج شئ عن دائرة الأخلاق ولزوم مراعاة معانيها مما لانجد له نظيراً في أية شريعة سماوية سابقة ولا في أية شريعة وضعية .

ومن أمثلة ذلك العلاقات الدولية التي صارت تفتقد للمعاني الأخلاقية حتى قال أحدهم : لامكان للأخلاق في العلاقات الدولية [1] ولهذا كان الخداع والتضليل والغدر والكذب من البراعة السياسية .

---

١ ـ لما صرح وزير الخارجية المصري بأن أمريكا والأمم المتحدة تكتل بمكيالين ، لأنهم سارعوا بضرب العراق بينما لم يحركوا ساكناً تجاه الصرب والكروات في إبادتهم البوسنيين المسلمين ردت عليه أمريكا بقولها : ضربنا العراق لمصلحتنا ولم نتدخل في البوسنة لمصلحتنا أيضا!!! .

إن الإسلام حين يرفض هذا النظر السقيم يعتبر ماهو قبيح في علاقات الأفراد قبيحاً أيضاً في علاقات الدول فلا يحل في ديننا الغدر ، والله لايحب الخائنين حتى ولو كانت الخيانة مع قوم كافرين ، وكانوا في نقض العهد بادين .

قال تعالى : ﴿ **وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لايحب الخائنين** ﴾ (الأنفال : ٥٨) .

ولايجوز للمسلم أن يخون أهل دار الحرب إذا دخل ديارهم بأمان .... فالأخلاق لازمة في الوسائل والغايات.

قال تعالى : ﴿ **وإن استنصروكم فى الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق** ﴾(الأنفال : ٧٢) .

فلا تجوز نصرة المسلمين المظلومين إن استلزمت نقض العهد مع الكفار الظالمين .

إن الأخلاق في الإسلام موصولة بالإيمان وتقوى الله.

قال تعالى : ﴿ **فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين**﴾(التوبة : ٤).

ولا إيمان لمن لاأمانة له ، ولا عهد له ، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال :

« والله لا يؤمن ، والله لايؤمن ، والله لايؤمن ، قيل من يارسول الله ؟ قال الذي لايأمن جاره بوائقه » .

فهل رأت الدنيا مثل هذه الأخلاق التي يدعو إليها الإسلام ؟يرسي أصولها ودعائمها !!! .

والآن ننتقل لذكر بعض صور الحرص على إقامة النظام العالمي ، والرصيد الأخلاقي لكل ملة في حرصها هذا .

طبيعة اليهود

لقد كان آباء وأسلاف اليهود يشاهدون في كل يوم من الآيات مالم يره غيرهم من الأمم ، وقد فلق الله لهم البحر وأنجاهم من عدوهم وماجفت أقدامهم من ماء البحر حتى قالوا لموسى ﴿ **اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون** ﴾ (الأعراف : ١٣٨)

ثم عبدوا العجل من بعده ، لماذهب لميقات ربه ، ولم يقدر هارون على منعهم وكانوا يهمون برجم موسى وأخيه هارون في كثير من الأوقات !! ولما ندبهم إلى الجهاد قالوا : ﴿ **اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون** ﴾ (المائدة : ٢٤).

وآذوا موسى بأنواع الأذى حتى قالوا : إنه آدر ـ أي منتفخ الخصية ـ فلم يكفوا حتى رأوه أحسن خلق الله متجرداً ، ولما مات أخوه هارون قالوا : إن موسى قتله وغيبه حتى عاينوه ميتاً .

وآثروا العود إلى مصر وإلى العبودية ليشبعوا من أكل اللحم والبصل والقثاء والعدس ، وآثرو ا ذلك على المن والسلوى ، وانهماكهم على الزنا وموسى بين أظهرهم حتى ضعفوا عن عدوهم ، وعبادتهم الأصنام بعد عصر يوشع بن نون وتحايلهم على صيد الحيتان في يوم السبت حتى مسخوا قردة خاسئين ، وقتلهم الأنبياء بغير حق ، حتى قتلوا في يوم واحد سبعين نبياً ، في أول النهار وأقاموا السوق آخره ، وقتلهم يحيى بن زكريا ونشرهم إياه بالمنشار ، وإصرارهم على العظائم ، واتفاقهم على تغيير كثير من أحكام التوراة ، ورميهم لوطاً بأنه وطئ ابنتيه وأولدهما .

فلو بلغت ذنوب المسلمين عدد الحصا والرمال والتراب والأنفاس مابلغت مبلغ قتل نبي واحد ولا وصلت إلى قول الأمة الغضبية ، إخوان القردة :

﴿ **إن الله فقير ونحن أغنياء** ﴾ (آل عمران : ١٨)٠

وقولهم ﴿ **عزير ابن الله** ﴾ (التوبة : ٣٠)٠

وقولهم ﴿ نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ (المائدة : ١٨).

وقولهم: « إن الله بكى على الطوفان حتى رمد من البكاء وجعلت الملائكة تعوده ».

وقولهم : « إنه عض أنامله على ذلك ».

وقولهم : « إنه ندم على خلق البشر وشق عليه لما رأى من معاصيهم وظلمهم » وأعظم من ذلك نسبة هذا كله إلى التوراة التي أنزلها على كليمه !!! .

وهذه الأمة الغضبية وإن كانوا مفترقين إفتراقاً كثيراً فيجمعهم فرقتان « القراؤون والربانيون » وكلهم مثل همج رعاع يجمعهم طبل ويفرقهم عصى !! كما هو واضح في قصتهم مع شاؤل الخارج على داود ، وحيل حاخاماتهم الدنيئة معلومه وذلك لابتزاز الأموال والمكانة بإظهار التشدد والورع .

ومن شريعتهم نكاح إمرأة الأخ أو العار وهذه من جملة مسائل شرعهم المبدل أو المنسوخ ، وصلاتهم عبارة عن دعاء على الأمم وإفك على الله تعالى وتقدس .

وقد لاقى إخوان القردة من الإذلال والصغار من مختلف الأمم والدول مما كان سبباً في طمس معالم دينهم وآثارهم ، وقد جحدوا نبوة المسيح ورموه وأمه بالعظائم ونعته والبشارة به موجود في كتبهم !!.

واليهود تقر أن السبعين كاهناً اجتمعوا على اتفاق من جميعهم على تبديل ثلاثة عشر حرفاً من التوراة ، وذلك بعد المسيح في عهد القياصرة الذين كانوا تحت قهرهم وهم يقرون أيضاً أن السامرة حرفوا مواضع من التوراة وبدلوها تبديلاً ظاهراً وزادوا ونقصوا ، والسامرة تدعى ذلك عليهم ، وعلى الرغم من ذلك كله يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار ، وأن شعوب العالم حميراً وعبيد لهم ، مستباحة أموالهم وأعراضهم يخادعون ويسرقون ويغشون ويرتكبون كل الجرائم دون وازع أو رادع .

فاليهود هم اليهود قديماً وحديثاً وامتلاكهم لسلاح المال واستخدامهم لعنصر النساء أضر شئ على الدنيا ، وماجاوروا شعباً إلا وعلم خستهم ودناءتهم .

وتكفي القراءة السريعة لبنود البروتوكلات لحكماء صهيون لتتعرف على طبيعة العقلية التي تريد أن تحكم الدنيا ، ومن عجيب الأمر أن تجد ساسة وزعماء اليهود يحرصون على التكلم بلغة الدين حتى يومناهذا ، فهل هذا هو الدين الذي سيقيمون له وبه الدولة العالمية !!! .

الدولة اليهودية العالمية (١)

إن التخطيط اليهودي يقوم على أساس تثبيت أقدامهم وتحطيم كل ماهو غير يهودي أو مناوئ لليهود وتمجيد اليهودية في جميع مظاهرها ، وإشاعة العلمانية اللادينية تُعتبر من أخطر الوسائل التي يستخدمها اليهود لإنفاذ مخططاتهم .

ومن أجل إقامة الدولة العالمية حرصوا على جمع اليهود من كل بلاد العالم ويسعون لهدم المسجد الأقصى لإقامة هيكل سليمان على أنقاضه وبحيث تصبح القدس عاصمةلدولة إسرائيل الكبرى .

وقد استطاعوا أن ينتزعوا الإعتراف بدولة إسرائيل وأن يقيموا علاقات طبيعية مع المسلمين ، وفرضوا بذلك سياسة الأمر الواقع وساعدهم على ذلك أمور عديدة فهذه الدولة العقائدية ـ في إسمها وعلمها المرفوع .... جاءت ثمرة الجهد اليهودي المنظم ، وثمرة هيئة الأمم المتحدة المشبوهة وثمرة الخيانة لبعض الزعماء العرب ، وهى ثمرة التآمر الماسوني الصهيوني الذي أقصى السلطان عبد الحميد وجاء بأتاتورك والحرب العالمية الأولى وهو ثمرة التآمر البريطاني ووعد بلفور ، ثم هي قبل كل شئ وبعده انتقام رباني بسبب نسياننا لديننا ، فالمتتبع للأحداث يجد أن مؤتمر بال في سويسرا سنة ١٨٩٧ م بزعامة الصحفي اليهودي هرتزل قد عُقد للمطالبة بالدولة اليهودية ، وتوالت الأحداث لتكتمل المؤامرة في نهاية الحرب العالمية الأولى بإيقاع

١ ـ راجع كتابي « دولة إسرائيل الكبرى و اتفاق غزة وأريحا » .

الصراع بين العرب والترك ، وحلول فرنسا وإنجلترا بدلاً من الدولة العثمانية في هذه المناطق بعد معركة أدارتها إنجلترا بقيادة لورانس (ملك العرب غير المتوج)، وجلاء إنجلترا عن فلسطين سنة ١٩٤٨ م تمهيداً لأن تقع بما فيها بيت المقدس في أيدي اليهود .

وقد سارعت أمريكا وروسيا (وجهان لعملة يهودية واحدة) ـ بالإعتراف بالدولة اليهودية ـ بعد قيامها بدقائق ، ومن عجيب الأمر أن وعد بلفور والثورة الشيوعية قد حدثتا في سنة واحدة ، بل في شهر واحد ، وانتهت حرب الأسلحة الفاسدة والخيانة والعمالة سنة ١٩٤٨ م بالهدنة ، ثم أصبحت قضية فلسطين قضية المتاجرة وكسب الزعامة من جهة البعض ، والشجب والإستنكار من جهة الفريق الآخر ، ومالم يكسبه اليهود بالحرب كسبوه بالسلم .

وإذا كان لابد من مواجهة مع اليهود ، فهذا يدفعنا للتعرف على طبيعتهم وأهدافهم ، من باب عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه ومن باب اعرف عدوك ، لابد من فهم الدين اليهودي الذي يوجه عقل الصهيوني وقلبه مساره متمثلاً في التوراة والتلمود ، كما ينبغي فهم المخططات اليهودية والصهيونية (برتوكولات صهيون ومذكرات هرتزل) ومعرفة أن الجمعيات اليهودية[1]، سرية وعلنية تهدف إلى تدمير البشرية ، فالصهيونية هي اليهودية الحقيقية المتمثلة بالتوراة ، وهي التي وصفها عزرا وبطانته في المنفى في بابل ، ولو نظرنا في البروتوكولات ، سنجد أن البروتوكول الأول يقول : الحق يكمن في القوة ، وعلى باب الكنيست رسموا خريطة دولة إسرائيل من النيل إلى الفرات ، أي أن العراق ومصر وسورية والأردن ولبنان والحجاز داخلة في إطار أرض الميعاد عند اليهود ، وقد استطاع اليهود مؤخراً

---

١ ـ الوكالة اليهودية العالمية تمثل قيادة الكيان اليهودي فهي تضم مختلف فرقهم وأحزابهم وهيئاتهم من خلال علماء كبار متخصصين ، ويسخر هؤلاء العلماء جميع إمكاناتهم لخدمة الأهداف والمطامع اليهودية ، وقد تمكنت من إقامة دولة لهم في فلسطين .

أن يحصلوا من بابا الفاتيكان بروما على البراءة من دم المسيح ، واعترف البابا بنوتهم لله وبالمجد لهم ودعا إلى اتحاد الشعب اليهودي مع الكنيسة المسيحية ، علماً بأن اليهود يخاصمون النصارى عقدياً ويتهمونهم بعبادة الصور والصليب كما يتهمون المسيح والعذراء ، وقد استطاع اليهود السيطرة والتغلغل في المنظمات الدولية كالأمم المتحدة ، وامتلاك سلاح الإعلام والمال والإقتصاد ، وتوجيه دفة السياسة في بعض البلدان الأوربية والأمريكية ، نقول ذلك بعيداً عن التهويل والتهوين أيضاً ، ورغم معرفتنا بذلك كله إلا أننا نقول : إنهم ماعادوا مرة للإفساد إلا وعاد عليهم ربنا بالإهلاك وإفسادهم الآن لايخفى على أحد .

﴿ **وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا** ﴾(الإسراء : ٨) .

وقد روي البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « لاتقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود ، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجرو الشجر فيقول الحجر والشجر : يامسلم ياعبد الله هذا يهودي خلفي تعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود » .

واليهود الآن يزرعون الغرقد بكثرة ، وهم يتجمعون الآن بفلسطين من شتى بقاع العالم لتكون هذه البقعة هي مقبرتهم بإذن الله .

وقد دلت الأخبار على أن المسلمين يدخلون بيت المقدس ويصلون فيه بإذن الله وقل عسى أن يكون قريبا .

أخلاقيات الفاتيكان والكنيسة

جاء في بريد الإسلام العدد الثاني:« أذاعت وكالة C.N.N الأمريكية من « سان فرانسيسكو » الخبر التالي:

« على مدى ست سنوات كاملة من البحث والتمحيص قام فريق يتكون من مائتي باحث يفحص حقيقة نسبة الأقوال المنسوبة إلى المسيح في الإنجيل ، وقد أعلن مؤتمر المسيح Jesus Seminar أخيراً النتيجة التي توصل إليها الفريق وهي :

أنه من بين ألف وخمسمائة مقولة منسوبة إلى المسيح في الإنجيل ، لايصح أن ينسب إليه سوى إحدى وثلاثين مقولة ».

وقد استعان الباحثون بكتب المكتبات المصرية القديمة وكتب الفولكلور ، وكذلك كتب الأنثروبيولوجيا ، بالإضافة إلى الإنجيل نفسه ، من أجل الوصول إلى حقيقة الإنجيل .

وقال البروفيسور « روبرت فانك » : إن المسيحيين الأوائل استلهموا تعليمات المسيح شفاهاً فقط ، حيث إنها بقيت غير مدونة لعدة أحقاب بعد المسيح ».

وقال المذيع « مانقوله هو : أن عيسى قال العديد من الأشياء ، ولكن لأنه أصبح شخصية مهمة تاريخياً فقد تقول عليه أشخاص آخرون مسيحيون بالدرجة الأولى تقولوا عليه أشياء لم تخرج من فمه ».

وقد وجهت هذه النتيجة باعتراض من القيادات الدينية التقليدية التي لم تُدْلِ بأي حجة علمية على اعتراضها ، بل اكتفى بعضهم بأن قال:« إن هذه الإكتشافات ستؤدي إلى المشاكل » وقال آخر:« إننا لو حذفنا هذا القدر الكبير فسوف نذيب العهد الجديد كله » .

وقال فوكس الكاثوليكي:« فليقولوا لى : من أين يستمد صغارنا القوة في المستقبل ؟ ! وقال فريق البحث Jesus Seminar:« إن وظيفتنا هي مجرد بحث تاريخي وإن أعضاء الفريق ينوون أن يتركوا النتائج تفرض نفسها حيث ينبغي لها أن

تكون » وهذا الخبر هو شهادة شاهد من أهلها يتوافق مع ماسبق أن ذكرناه ونقلناه بشيء من التفصيل في مواضع متعددة من الكتاب .

ويبقى السؤال كيف تتربى الأجيال على أساس كهذا ؟ وهل تتوافر بعد ذلك عناصر الثقة في الأصول النصرانية ، حتى يندفع الناس بأمان وطمئنينة للعمل بمقتضاها ؟! والأمر لايتطلب منا أن نذكر وندلل ببعض الأسفار[1] وماورد فيها من إثارة الغرائز والشهوات وتشبيه بالنساء مما لا تطيب به نفس .

وأشد من ذلك فساد العقيدة ومايترتب على ذلك من فساد الأخلاق والسلوك ومن ذلك ماذكره الإمام ابن القيم بعد كلامه على المجامع العشرة المشهورة .

قال رحمه الله : « فإذا كانت هذه حال المتقدمين مع قرب زمنهم من أيام المسيح وبقاء أخبارهم فيهم والدولة دولتهم والكلمة لهم وعلماؤهم إذ ذاك أوفر ماكانوا واحتفالهم بأمر دينهم واهتمامهم به كما ترى ثم هم مع ذلك تائهون حائرون بين لاعن وملعون لايثبت لهم قدم ولايتحصل لهم قول في معرفة معبودهم ، بل كل منهم قد اتخذ إلهه هواه ، وباح باللعن والبراءة ممن اتبع سواه ، فما الظن بحثالة الماضيين ، ونفاية الغابرين ، وزبالة الحائرين ، وذرية الضالين ، وقد طال عليهم الأمد وبعد العهد وصار دينهم مايتلقونه عن الرهبان ، وقوم إذا كشفت عنهم وجدتهم أشبه شيء بالأنعام ، وإن كانوا في صور الأنام .

بل هم كما قال تعالى ومن أصدق من الله قيلاً ؟: ﴿ **إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً** ﴾ (الفرقان : ٤٢) .

وهؤلاء هم الذين عناهم الله سبحانه بقوله : ﴿ **ياأهل الكتاب لاتغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل** ﴾ (المائدة : ٧٧) .

ومن أضل من أمة الضلال بشهادة الله ورسوله عليهم ؟ وأمة اللعن بشهادتهم على نفوسهم بلعن بعضهم بعضاً ؟ وقد لعنهم الله سبحانه على لسان رسوله في

---

١ ـ ومن ذلك نشيد الأنشاد الأصحاح الأول ...... والسابع والثامن ٩٨٥ ـ ٩٩١ .

قوله ﷺ : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد - يحذر مايفعلون - » .

هذا والكتاب واحد والرب واحد والنبي واحد ، والدعوى واحدة ، وكلهم يتمسك بالمسيح وإنجيله وتلاميذه ثم يختلفون فيه هذا الإختلاف المتباين .

فمنهم من يقول : « إنه الإله » (يقصد الأرثوذوكس).

ومنهم من يقول:« إبن الإله » (وهذا قول جميع النصارى لتطبيق المزمور الثاني على المسيح عليه السلام).

ومنهم من يقول:« ثالث ثلاثة » (الكاثوليك) .

ومنهم من يقول:« إنه عبد » (جميع النصارى لتطبيق نبوءة أشعياء عليه نبوءة الإصحاح الثاني والأربعين).

ومنهم من يقول:« إنه أقنوم وطبيعة » (الأرثوذوكس) .

ومنهم من يقول:« طبيعتان » (وهذا مذهب الكاثوليك) إلى غير ذلك من المقالات التي حكوها عن أسلافهم وكل منهم يكفر صاحبه .

فلو أن قوماً لم يعرفوا لهم إلهاً ثم عُرض عليهم دين النصرانية هكذا لتوقفوا عنه وامتنعوا من قبوله ، فوازن بين هذا وبين ماجاءبه خاتم الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليه تعلم علماً يضارع المحسوسات أو يزيد عليها

﴿ *إن الدين عند الله الإسلام* ﴾ (آل عمران : ١٩) أ . هـ .

وذكر الفضائح الأخلاقية المتفشية وسط رجال دينهم كالبابا الذي كانت له ألف عشيقة والقس سوجارت .... ومايحدث بسبب الاعتراف .... والتواطؤ المريب مع الصرب الصليبيين في وحشيتهم وهمجيتهم .... وغير ذلك كثير مما يندى له الجبين ، لاأظن ذلك يخفى من جهة ، ولايستغرب من جهة أخرى ، فما الذي يُنتظر من وراء خراب ودمار العقيدة ؟! .

حرص الكنيسة على إقامة النظام العالمي

البابا يوحنا بولس الثاني يصر على أن: «البشر ليس لهم أمل يعول عليه لخلق نظام سياسي طبيعي يمكن تطبيقه مالم يكن على أساس الديانة الكاثوليكية» وقد اجتمع رؤساء الكنائس البروتستانتية الأمريكية والأرثوذكسية الشرقية مع البابا يوحنا بولس الثاني، ووصفوا اجتماعهم هذا كأول مناقشة جماعية على الطريق إلى الوحدة.

وقد ذكر القسيس دونالد جونز من طائفة المثودست المتحدين ورئيس قسم الدراسات اللاهوتي في جامعة كارولينا الجنوبية عن هذا الإجتماع أنه: «أهم اجتماع لمجلس الوحدة الكنائسي في هذا القرن».

ووصفه القسيس بول أي كروجونير في أنديانا بوليس وهو موظف في مجلس الوحدة الكنائسية العالمي في كنيسة (تلاميذ المسيح) بأنه: «يوم جديد في حركة الإتحاد الكنائسي العالمي يفتح مستقبلاً حيث الله يجمعنا إلى بعض إن الكاثوليكية تزحف وتتمركز في أماكن كثيرة [1] وهي بعيدة المدى في خططها وأساليب عملها تستخدم كل وسيلة لنشر نفوذ ها وزيادة قوتها.

إن الكنيسة الكاثوليكية اليوم تحاول أن تقدم للعالم وجهاً جميلاً، فهي تقدم الإعتذرات عن سجلها القاسي، ولكن الحقيقة أنها لم تتغير إذ لازالت تحتضن نفس المبادئ، والإعتذار بأن الكنسية قد أسيء إليها جعل العالم البروتستانتي ينظر إلى الكاثوليكية بعين الرضا والقبول، وكثيرون من هؤلاء يقولون: إنه ليس من الإنصاف الحكم على كنيسة اليوم بالرجسات والسخافات التي اتصف بها حكمها في عصور الجهل والظلام وهم يعتذرون عن قسوتها الرهيبة ويظنون أن هذه القسوة كانت نتيجة وحشية تلك العصور ويضيفون أن تأثير المدنية الحديثة قد غير أفكارها.

١ ـ للنصارى دولة تتحدث باسمهم إسمها «الفاتيكان» ورئيس هذه الدولة هو أكبر رجل دين بين النصارى، يختاره رجال الدين عندهم عن طريق الإنتخابات ويلقب «بالبابا» وله سفراء يمثلونه في معظم دول العالم وكلمته مسموعة في أمريكا وأوربا وخصوصاً فرنسا لأنها تعتبر نفسها حامية خمس النصارى في العالم.

لقد كان البروتستانت يرون أن الكاثوليكية كنظام لاتنسجم مع مبادئ الكتاب المقدس ، ولكن حدث تغيير كبير ، فقد صرحت بعض الدول البروتستانتية بأن الإختلاف بينها وبين الكاثوليكية أقل اليوم مما كان قبلاً والسبب في ذلك عدم التمسك بالعقائد التي فصلت بين البروتستانت والنظام البابوي ، فلم يعد هناك اختلاف كبير في النقاط الجوهرية .

وإذا كانوا قد علموا أولادهم يوماً أن يمقتوا البابوية لاتهامهم روما وتعاليمها بالخيانة إلا أن ذلك يتباعد كثيراً عما يُنادى به اليوم من أهمية الإقتراب من البابوية ومناصرتها ، وهذا لاينفي وجود بعض الأصوات المبعثرة هنا وهناك ، تدق نواقيس الخطر وتعلن أن سيادة الكنيسة الكاثوليكية سيهدد الحريات المدنية والدينية وأنها لايمكنها التنازل عن مبادئها التي حكمت مسيرتها في الأجيال الماضية كادعاء العصمة وتأكيد روما أن الكنيسة لم ولن تخطئ أبداً بغض النظر عن الكنيسة التي ستكون لها الهيمنة والسيادة .

وإن كانت المؤشرات المادية ترجح كفة الكنيسة الكاثوليكية على الأرثوذكسية والبروتستانتية ، إلا أن الأمر يدل على سعي حثيث وحركة دءوب من أجل تسلم زمام الأمور وبسط النفوذ هنا وهناك ، بل المحاولة لرأب الصدع وتوحيد الكلمة واضحة كما مر بك ، ولايبقى بعد ذلك إلا ردع المخالفين بهذه القوة العالمية ففي يمين الولاء للبابا ترد هذه العبارة :

« إني سأضطهد وأقاوم بكل قوتي الهراطقة والمنشقين والعصاة على سيدنا البابا أو خلفائه » وهذه اليمين يحلفه كل كاردينال ورئيس أساقفة وأسقف في الكنيسة الكاثوليكية .

وقد وصف ريتشارد لوجر ـ عضو مجلس الشيوخ ـ الفاتيكان بأنه:« منتدى سياسي حساس وقوة سياسية بارزة من أجل الحشمة في العالم » وقال:« إنها تمثيلية محرجة لحكومتنا أن ترسل فقط مبعوث شخصى إلى البابا » .

وذكروا أن الفاتيكان أخذ مكانه المناسب في العالم كصوت عالمي وذلك تحت قيادة البابا يوحنا بولس الثاني الشجاعة ، وقالوا عن البابا إنه زعيمنا كلنا وأنه سيكون الزعيم العالمي في وحدة الكنيستين الإنجليكانية والكاثوليكية ، وتلبية لدعوة البابا اجتمع قادة من ديانات الأرض في مدينة ايطالية هادئة من مدن القرون الوسطى تُدعي أسيس ....

تصريحات كثيرة تُعبر عن واقع العودة أو صبغ الحياة بصبغة نصرانية وبحيث تكون السيادة للبابا والكنيسة الكاثوليكية ...

ولا أغالي لو قلت إنه تجمع لبعث الوثنية من جديد ومحاولة نفخ الروح فيها ، فيا ليتهم رجعوا لدين المسيح الأصل وأسلموا وجوههم لله ، وأفردوا ربهم بالتوحيد والعبادة وآمنوا برسول الله ﷺ الذي بشرهم به موسى وعيسى وسائر الأنبياء وتركوا التبديل والتغيير والغلو في عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ...

أقول : لو آمنوا لكان خيراً لهم وهنيئاً لهم حينئذ صبغ الحياة المادية بالدين والتجمع من أجل إقامة الدولة العالمية وسيجدوننا تبعاً لهم بإذن الله لاننافسهم زعامة ولاسيادة :

﴿ قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لانعبد إلا الله ولانشرك به شيئاً ولايتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ .
(آل عمران : ٦٤) .

هل امتلك الأمريكان المكانة الأخلاقية ؟

لايمكننا الفصل بين الأخلاقيات والسلوكيات لدى فرد أو أمة وبين العقيدة التي تدين بها ، وهذا من باب رد الفروع إلى أصولها أو النتائج إلى مقدماتها ، إذ كما هو معلوم فإن لكل مقدمة نتيجة ولكل عقيدة تأثير .

قال تعالى : ﴿ **إنما المشركون نجس** ﴾ (التوبة : ٢٨) .

وليس ذلك لنجاسة أبدانهم بسبب عدم استخدام الماء ، وإنما ذلك بسبب عدم اعترافهم بالحق ، فالإعتراف بالحق فضيلة وجحده رذيلة ، ولذلك كان التوحيد طهارة في الأخلاق والسلوك ......

والشرك بضد ذلك فإذا علمنا أن الأمريكان يتبعون الكنيسة البروتستانتية ، سهل علينا أن نحدد الملامح الأخلاقية لهم فالسلوك مرآة الفكر ، ينضاف إلى ذلك موجات التحلل والتفلت من معاني الخير التي لاتكاد تخلو منها دعوة وإلا فالشيطان فقيه في الشر ، ومن فقهه في الشر يرضى الإنسان ببعض أفعال البر والخير حتى يوهمه بأنه ممن يُحسن الصنع .

ولايخفى حرص الكنيسة الكاثوليكية على احتواء البروتستانت كما بينا ومايترتب على ذلك من إزدياد حدة السوء .

إن قول بوش في خطابه:« نحن الأمريكيون علينا مسؤولية فريدة للقيام بالمهمة الشاقة في نشر الحرية ، وحينما نفعل ذلك تعم الحرية من بين كل أمم العالم ، الولايات المتحدة وحدها ، التي تمتلك المكانة الأخلاقية والوسيلة للقيام بهذه المهمة » يدل على غطرسة وعنجهية أمريكية معتادة ، وعلى مغالطة للحق والواقع مكشوفة ومفضوحة ، وإلا فمتى كانت المكانة الأخلاقية حكراً على الأمريكان ؟!

وهل كانت الدنيا خلواً من معاني الأخلاق قبل اكتشاف الأمريكيتين وظهور أمريكا بهذا المظهر ؟!

وهل امتلاك أمريكا لبعض مظاهر القوة هو المقصود بالوسائل اللازمة للقيام

بهذه المهمة ؟!

هل المكانة الأخلاقية هي في تحويل فيتنام إلى غابات محروقة ، أو في قتل أكثر من ربع مليون عراقي في ظهورهم أثناء الإنسحاب وتدمير المستشفيات والجسور في بغداد أم هي في صناعة الإنقلابات العسكرية.

يقول المعلق السياسي المكسيكي رودولفو أوريب : « إن عدالة النظام العالمي الجديد - أي الذي تنادي به أمريكا تمثلت في نوع من الإجراء الذي يتخذ ضد كل من لا يسمع ويطيع الرئيس الأمريكي ، إنه سيصنف بأنه سخيف وشيطان إن عدو أمريكا لابد أن يوصف بأنه متعصب وغير عقلاني ومنحرف وتاجر مخدرات وإرهابي إلى غير ذلك من الأوصاف التي تبرر استخدام القوة ضده ».

أين المكانة الأخلاقية في مساندة اليهود وهم يمارسون أبشع مظاهر الظلم والإضطهاد للشعب الفلسطيني المسلم وموقفهم لايقل خزياً في ترك الصرب الصليبيين يبيدون الشعب البوسني المسلم ، فلما أُعتُرض عليهم بموقفهم تجاه العراق قالوا : تدخلنا في العراق لمصلحتنا ، وامتنعنا عن التدخل في قضية البوسنة أيضاً لمصلحتنا !!!.

إن سعي أمريكا للزعامة والسيطرة على العالم ليس دافعه الغرور والصلف الأمريكي فقط بل الأحقاد الموروثة من جهة والتدهور الإقتصادي الأمريكي من جهة أخرى .

إن القوة إن لم تستند إلى حق وشرعية كانت عربدة وظلماً وطغياناً ووبالاً على صاحبها ولايسعنا ولايسع غيرنا أن نفصل الأرض عن السماء ، فليس القرار النهائي للأمم المتحدة وشرعيتها الجائرة - كغطاء لأمريكا - نحن بحاجة لقراءة واعية للسنن الشرعية والكونية .

﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً﴾(الإسراء : ١٦) .

والنذر والأمثلة في ذلك كثيرة ،راجع ماحدث في فيضان المسيسبي وإعصار أندروا ...

﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد ﴾(هود : ١٠٢) .

ماالذي يتصور لمن يبيحون الشذوذ والإجهاض ، وهل من الممكن أن يدوم الباطل والظلم ؟!

إن الأشياء بحقيقتها وواقعها لابمجرد الإدعاء ، إننا نرفض هذه الحريات ـ الجنة الموعودة ـ التي يروج لها الأمريكان من وراء نظامهم العالمي الجديد والتي تعني حرية أن يزني الإنسان ويُزنى به (وهذه هي الحرية الشخصية) ، وإن يجهر بكفره وإلحاده وإباحيته (وهذه هي حرية الرأي والفكر) وأن يمتلك بالربا وبلا ضابط ولا رابط (حرية تملك) .

إن تملك الأمريكان من إقامة النظام العالمي الجديد يساوي هدم العقيدة الصحيحة والأخلاق الفاضلة .

النظام العالمي الجديد

لقد كان الجهاد الأفغاني بمثابة مسمار في نعش الشيوعية ، فإذا مااقتربنا من عقيدة ونظام هذا المعسكر الشيوعي تيقنا أنه يحمل في طياته عوامل هدمه ، فهو معسكر وُلد لكي يموت ومحاولات إنعاشه وإطالة عمره محكومة حتماً بالفشل .

لقد أدى انصراف الدب الروسي إلى أموره الداخلية ـ في ظاهر الأمر ـ إلى أن أصبحت أمريكا ذات يد طليقة تبطش بها في أي مكان شاءت من العالم واستخدمت الأمم المتحدة كديكور لتغطية سياسات العربدة .

وجاء جورج بوش وهو رئيس المخابرات السابق والخبير بالإرهاب والدسائس والمؤمرات وفي ذهنه أفكار ويلسون [1] وروزفلت عن أهمية وجود قوة استعمارية تفرض نظامها على شعوب العالم وقد كان أول شئ فعله بوش حينما دخل البيت

١ـ فكرة (الأمن الجماعي) لويلسون ، و(رجال الشرطة الأربعة) لروزفلت .

الأبيض هو أن علق صورة روزفلت ، إذن فالنظام العالمي الجديد ، سبقته محاولات ومقدمات ، وقد أتى بوش ممثلاً لليمين الأمريكي ، وهو البروتستانتي المتدين ، وراعي مصالح شركات النفط ، ورئيس المخابرات السابق .

يقول بوش في خطاب ترشيحه للرئاسة سنة ١٩٨٨ : «نحن الأمريكيون الذين أنقذنا أوربا ، وقضينا على داء شلل الأطفال ، وذهبنا إلى القمر ، وأضأنا العالم بثقافتنا ، نحن الآن علي مشارف قرن جديد فأي بلد سوف يحمل اسمه ذلك القرن؟ أنا أقول إنه سيكون قرن أمريكي آخر ».

وقال وزير الخارجية الأمريكي جيمس بيكر في خطاب له يوم ٥ سبتمبر سنة ١٩٩٠ : « أمريكا يجب أن تقود ، إن التدخل الأمريكي وحده هو القادر على أن يضع السلام العالمي الذي يتطلع إليه شعبنا ».

وقال بوش لمجموعة من رجال الأعمال من شيكاغو : « في المستقبل المنظور ليس هناك بلد سينازعنا القيادة ، وبينما ينصرم القرن العشرين ويهل القرن الحادي والعشرون ستبقى أمريكا تمثل آخر أمل للبشرية » .

إذن فالنظام العالمي الجديد يعني الهيمنة الأمريكية المطلقة بغطرستها وعجرفتها أو هو كما يقول أحد السياسيين : (نظام أمريكي يديره رئيس مخابرات سابق) إن التفسير الوحيد[1] لهذا (النظام الجديد) الذي يبشر به بوش هو مافهمه رئيس وزراء ماليزيا مهاتير محمد حينما قال :

« إن الحملة الأمريكية الحالية تحمل في طياتها ضغوطاً على الدول الأخرى منها ماهو سياسي واجتماعي واقتصادي كذلك ، بل إني لا أستبعد حملات عسكرية » لقد بدأ الحديث عن النظام العالمي لمواجهة الإرهاب الدولي (اللبنانيون الفلسطينيون) ، ثم انتقل إلى مواجهة تجارة المخدرات (كولمبيا ، بنما) ثم أخيراً بدأ الحديث عن الأصولية والأصوليين .

١ـ راجع مقالة النظام العالمي الجديد (لمحمد عبد الرحمن الخفيف) بمجلة السنة عدد (١٣) .

إن أمريكا لاتقبل من أوربا فضلاً عن غيرها أن تشكل تهديداً للهيمنة الأمريكية المطلقة في العالم ، وهي الآن تقود ، بل تعربد دون أن يستطيع أحد أن يرفع رأسه حتى وإن أدى بها ذلك إلى تجاوز قرارات مجلس الأمن .

ويقترح البعض الآن فكرة « الشركاء العالميون » بحيث تتحقق سيطرة هؤلاء الشركاء على مصائر شعوب العالم باسم (الشرعية الدولية) بقيادة أمريكا هذا هو النظام العالمي الجديد الذي ملأوا الدنيا ضجيجاً عنه ، لاشئ أكثر من عربدة وتسلط أمريكي بغطاء دولي .

تعسف البروتستانت في تطبيق نبوءة الوحش على أمريكا

في كتاب ماذا وراء النظام العالمي الجديد[1] يقول : « مؤلفه على نقيض أولئك الذين يحفظون وصايا الله وعندهم إيمان يسوع ، يشير الملاك الثالث إلى فريق آخر ينطق الملاك بإنذار خطير ومخيف ضد أخطاءهم وضلالاتهم فيقول : إن كان أحد يسجد للوحش ولصورته ويقبل سمته على جبهته أو على يده فهو أيضاً سيشرب من خمر غضب الله » رؤيا ١٤ : ٩، ١٠ .

إن النبوءة التي تحوي هذه الرموز تبدأ في سفر الرؤيا الاصحاح الثاني عشر بالتنين الذي حاول أن يهلك المسيح عند ولادته ، التنين هو الشيطان (رؤيا ١٢ : ٩)

وهو الذي حرك هيرودوس لكي يقتل المخلص ولكن وسيلة الشيطان الرئيسية التي استخدمها ضد المسيح وضد شعبه في غضون القرون الأولى للتاريخ المسيحي كانت الأمبراطورية الرومانية .

وهكذا ففي حين أن التنين يرمز إلى الشيطان فإنه بصورة ثانوية يرمز إلى روما الوثنية ، وفي الإصحاح الثالث عشر (الأعداد ١ ـ ١٠) يأتي وصف لوحش آخر « شبه نمر » وقد أعطاه التنين « قدرته وعرشه وسلطاناً عظيماً » هذا الرمز كما

---

١ ـ لم يذكر المؤلف اسمه ، ويبدو أنه من طائفة البروتستانت الحانقين على النظام البابوي والكنيسة الكاثوليكية .

اعتقد البروتستانت يرمز إلى البابوية التي ارتقت إلى القوة والعرش والسلطان الذي كان قبلاً للإمبراطورية الرومانية القديمة ....

هذه النبوة التي هي مطابقة تقريباً للوصف الذي جاء عن القرن الصغير الوارد في سفر دانيال (٧) تشير بلا شك إلى البابوية .

ثم يقول النبي : « ورأيت واحداً من رؤوسه كأنه مذبوح للموت ».

ثم يقول أيضاً : « إن كان أحد يجمع سبياً فإلى السبي يذهب وإن كان أحد يقتل بالسيف فينبغي أن يقتل بالسيف ».

ففي سنة ١٧٩٨ أخذ البابا أسيراً بواسطة الجيش الفرنسي بأمر من نابليون بونابارت بهذا أصيبت البابوية بجرح مميت وتمت النبوة القائلة : إن كان أحد يجمع سبياً فإلى السبي يجب أن يذهب ، ثم يقدم النبي رمزاً آخر فيقول : ثم رأيت وحشاً آخر طالعاً من الأرض وكان له قرنان شبه خروف (رؤيا ١٣ : ١١) .

وتحت عنوان أمريكا في النبوة كتب يقول : كتب كاتب مرموق في وصفه قيام الولايات المتحدة من فراغ قائلاً : كبذار صامت نمونا إلى أن أصبحنا إمبراطورية .

وكتبت جريدة أوربية عن الولايات المتحدة تصفها كإمبراطورية مدهشة « طالعة وسط سكون الأرض وكانت كل يوم تزداد قوة وكبرياء كان له قرنان شبه خروف » هذان القرنان يمثلان بصورة صحيحة الشباب والبراءة والرقة واللطف التي تمثلت بهم الولايات المتحدة .

لكن الوحش ذو القرنين شبه الخروف كان يتكلم كتنين ويعمل لكل سلطان الوحش أمامه ويجعل الأرض والساكنين فيها يسجدون للوحش الأول الذي شفى جرحه المميت ..... قائلاً للساكنين على الأرض أن يصنعوا صورة للوحش الذي كان به جرح السيف وعاش »(رؤيا ١٣ : ١١ ـ ١٤) .

فلكي تصنع الولايات المتحدة صورة للوحش ينبغي أن السلطة الدينية تسيطر على الحكومة المدنية بحيث تستخدم الكنيسة السلطة المدنية في إتمام أغراضها .

إن صورة الوحش تمثل البروتستانتية المرتدة التي ستتشكل عندما تطلب الكنائس البروتستانتية معونة السلطة الدينية لغرض إرغام الناس على قبول عقائدها .

وذكر أن البابوية أول مااستخدمت السلطة المدنية كان لغرض فرض يوم الأحد « كيوم الرب » ولكن الكتاب المقدس بين أن اليوم السابع وليس اليوم الأول هو يوم الرب فقد قال المسيح:« إن ابن الإنسان هورب السبت » والوصية الرابعة تعلن : أما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك وعلى لسان النبي أشعياء يدعوه الرب « يوم قدس » مرقس ٢ : ٢٨ وأشعياء ٥٨ : ١٣ .

إن هذا المؤلف البروتستانتي يلزمه أولاً إثبات النبوءات التي استدل بها ، وفي حالة ثبوتها يلزمه أن يترك الواقع يفسر له هذه النبوءات دون تعسف أو تكلف ،بحيث ينطبق الخبرعلى الواقع تمام التطابق ، طالما أنه خبر صادق نطق به النبي يوحى ربه ، فالحيوانات والرموز والإشارات قد تصدق على هذا وعلى غيره ، وقد يتواجد وجه شبه بين الصورة والأصل ولكي تجزم بالتطابق تحتاج لدليل أوضح من شمس النهار .

ولايسعنا إلا أن نردد مع البروتستانت والكاثوليك وغيرهم قول ربنا

﴿ وقل للذين لايؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون، وانتظروا إنا منتظرون ولله غيب السماوات والأرض وإليه يرجع الأمركله فاعبده وتوكل عليه وماربك بغافل عما تعملون ﴾ (هود : ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣) .

ماأحسن ماذكر شيخ الإسلام ابن تيميه في كتابه « الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » فقد ذكر كلاماً مجملاً بليغاً يخضع له كل من تأمله ، فافتح له قلبك وعقلك ، نفعنا الله وإياك به قال مانصه :

« وسيرة الرسول ﷺ وأخلاقه وأقواله وأفعاله من آياته ، أي من دلائل نبوته قال: وشريعته من آياته ، وأمته من آياته ، وعلم أمته من آياته ، ودينهم من آياته ، وكرامات صالحي أمته من آياته .

وذلك يظهر بتدبر سيرته من حين ولد إلى أن بُعث ، ومن حين بُعث إلى أن مات ، وتدبُّر نسَبه وبلده وأصله وفضله ، فإنه كان من أشرف أهل الأرض نسباً من صميم سُلالة إبراهيم الذي جعل الله في ذريته النبوة والكتاب فلم يأت بعد إبراهيم نبي إلا من ذريته ، وجعل الله له ابنين : إسماعيل وإسحاق ، وذكر في التوراة هذا وهذا ، وبشّر في التوراة بما يكون من ولد إسماعيل ولم يكن من ولد إسماعيل من ظهر فيه مابشَّرت به النبوات غيره .

ودعا إبراهيم لذرية إسماعيل بأن يبعث الله فيهم رسولاً منهم ، ثم الرسول ﷺ من قريش صفوة بني إبراهيم ، ثم من بني هاشم صفوة قريش ، ومن مكة أم القرى وبلد البيت الذي بناه إبراهيم ودعا الناس إلي حجه ولم يزل محجوجاً من عهد إبراهيم ، مذكوراً في كتب الأنبياء بأحسن وصف .

وكان ﷺ من أكمل الناس تربية ونشأة لم يزل معروفاً بالصدق والبر ومكارم الأخلاق والعدل وترك الفواحش والظلم وكل وصف مذموم ، مشهوداً له بذلك عند جميع من يعرفه قبل النبوة ومن آمن به ومن كفر به بعد النبوة ، ولايعرف له شئ يعاب به لافي أقواله ولافي أفعاله ولا في أخلاقه ، ولاجُرّب عليه كذبة قط ، ولا ظلم ولافاحشة .

وقد كان ﷺ خلقه وصورته من أحسن الصور وأتمها وأجمعها للمحاسن الدالة

على كماله .

وكان أمياً من قوم أميين لايعرف هو ولاهم مايعرفه أهل الكتاب من التوراة والإنجيل ، ولم يقرأ شيئاً من علوم الناس ولاجالس أهلها .

ولم يدَّع نبوة إلى أن أكمل الله له أربعين سنة ، فأتى بأمر هو أعجب الأمور وأعظمها وبكلام لم يسمع الأولون والآخرون بنظيره .

وأخبر بأمر لم يكن في بلده وقومه من يعرف مثله ثم اتبعه أتباع الأنبياء وهم ضعفاء الناس ، وكذَّبه أهلُ الرياسة وعادوه وسَعَوا في هلاكه وهلاك من اتبعه بكل طريق ، كما كان الكفار يفعلون بالأنبياء وأتباعهم .

والذين اتبعوه لم يتبعوه لرغبة ولا لرهبة فإنه لم يكن عنده مال يُعطيهم ، ولا جهات يوليهم إياها ولاكان له سيف بل كان السيف والجاه والمال مع أعدائه وقد آذوا أتباعه بأنواع الأذى وهم صابرون محتسبون لايرتدون عن دينهم ، لما خالط قلوبهم من حلاوة الإيمان والمعرفة .

وكانت مكة يحجها العرب من عهد إبراهيم فيجتمع في الموسم قبائل العرب فيخرج إليهم يبلغهم الرسالة ويدعوهم إلى الله صابراً على مايلقاه من تكذيب المكذِّب وجفاء الجافي وإعراض المعرض إلى أن اجتمع بأهل يثرب وكانوا جيران اليهود ، وقد سمعوا أخباره منهم وعرفوه ، فلما دعاهم علموا أنه النبي المنتظر الذي يخبرهم به اليهود .

وكانوا سمعوا من أخباره أيضاً ماعرفوا به مكانته ، فإن أمره كان قد انتشر وظهر في بضع عشرة سنة فآمنوا به وبايعوه على هجرته وهجرة أصحابه إلى بلدهم ، وعلى الجهاد معه ، فهاجر هوومن اتبعه إلى المدينة ، وبها المهاجرون والأنصار ليس فيهم من آمن برغبة دنيوية ، ولابرهبة إلا قليلاً من الأنصار أسلموا في الظاهر ثم حَسُن إسلام بعضهم ، ثم أُذن له في الجهاد ، ثم أُمر به ،

ولم يزل قائماً بأمر الله علَى أكمل طريقة وأتمهاَ ، من الصدق والعدل والوفاء

لايُحفظ له كذبة واحدة ولاظلم لأحد ، ولاغدر بأحد ، بل كان أصدق الناس وأعدلهم وأوفاهم بالعهد مع اختلاف الأحوال ، من حرب وسلم وأمن وخوف ، وغني وفقر وقدرة وعجز ، وتمكن وضعف ، وقلة وكثرة ، وظهور على العدو تارة ، وظهور العدو تارة ، وهو على ذلك كله لازمٌ لأكمل الطرق وأتمها ، حتى ظهرت الدعوة في جميع أرض العرب التي كانت مملوءة من عبادة الأوثان ، ومن أخبار الكُهَّان ، وطاعة المخلوق في الكفر بالخالق وسفك الدماء المحرمة ، وقطيعة الأرحام لايعرفون آخرة ولامعاداً ، فصاروا أعلمَ أهل الأرض وأدْيَنَهم وأعدَلهم وأفضلهم حتى إن النصارى لما رأوهم حين قدموا الشام قالوا : ماكان الذين صحبوا المسيح أفضل من هؤلاء .

وهذه آثار علْمهم وعَملهم في الأرض وآثار غيرهم ، يعرف العقلاء فَرْقَ مابين الأمرين وهو ﷺ مع ظهور أمره ، وطاعة الخلق له ، وتقديمهم له على الأنفس والأموال ، مات ولم يخلِّف درهماً ولاديناراً ، ولاشاة ولا بعيراً ، إلا بغلته وسلاحه ودرعه مرهونة عند يهودي على ثلاثين وسَقْاً من شعير ابتاعها لأهله وكان بيده عَقَار ينفق منه على أهله والباقي يصرفه في مصالح المسلمين .

فحكم بأنه لايورث ولايأخذ ورثته شيئاً من ذلك وهو في كل وقت يُظهر من عجائب الآيات وفنون الكرامات مايطول وصفه ، ويخبرهم بما كان ومايكون ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويُحل لهم الطيبات ويُحرّم عليهم الخبائث ويشرع الشريعة شيئاً بعد شئ .

حتى أكمل الله دينه الذي بعثه به ، وجاءت شريعته أكملَ شريعة ، لم يبق معروف تعرف العقول أنه معروف إلا أمر به ، ولانهى عن شئ فقيل : ليته لم يَنْه عنه ، وأحل لهم الطيبات لم يحرّم منهاشيئاً كما حُرم في شريعة غيره ، وحرَّم الخبائث لم يُحلَّ منها شيئاً كما استحل غيره .

وجمع محاسن ماعليه الأمم ، فلا يُذكر في التوراة والإنجيل والزبور نوع من الخبر

عن الله وعن الملائكة وعن اليوم الآخر إلا وقد جاء به على أكمل وجه .

وأخبر بأشياء ليست في الكتب ، وليس في الكتب إيجابٌ لعدل وقضاء بَفضل وندب إلى الفضائل وترغيب في الحسنات إلا وقد جاء به وبما هو أحسن منه .

وإذا نظر اللبيب في العبادات التي شرعها وعبادات غيره من الأمم ظهر له فَضْلها ورُجحانها ، وكذلك في الحدود والأحكام وسائر الشرائع وأمته على أكمل الأمم في كل فضيلة .

وإذا قيس علمهم بعلم سائر الأمم ظهر فضل علمهم وإن قيس دينهم وعبادتهم وطاعتهم لله بغيرهم ظهر أنهم أدْين من غيرهم .

وإذا قيس شجاعتهم وجهادهم في سبيل الله وصبرهم على المكاره في ذات الله ظهر أنهم أعظم جهاد وأشجع قلوباً .

وإذا قيس سخاؤهم وبرُّهم وسماحة أنفسهم بغيرهم ، ظهر أنهم أسخى وأكرم من غيرهم .

وهذه الفضائل به نالوها ، ومنه تعلموها ، وهو الذي أمرهم بها ، لم يكونوا قبله متبعين لكتاب جاء هو بتكميله ، كما جاء المسيح بتكميل شريعةالتوراة ، فكانت فضائل أتباع المسيح وعلومهم بعضها من التوراة وبعضها من الزبور وبعضها من النبوات وبعضها من المسيح وبعضها ممن بعده كالحوار بين ومن بعض الحواريين وقد استعانوا بكلام الفلاسفة وغيرهم حتى أدخلوا ـ لما غيروا دين المسيح ـ في دين المسيح أموراً من أمور الكفار المناقضة لدين المسيح .

وأما أمة محمد ﷺ فلم يكونوا قبله يقرءون كتاباً ، بل عامتهم ماآمنوا بموسى وعيسى وداود والتوراة والإنجيل والزبور إلا من جهته .

وهو الذي أمرهم أن يؤمنوا بجميع الأنبياء ويقروّا بجميع الكتب المنزلة من عند الله ، ونهاهم عن أن يفرقوا بين أحد من الرسل فقال تعالى في الكتاب الذي جاء به :

﴿ قولوا آمنا بالله ومـاأنزل إلينا ومـاأنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب

والأسباط وماأوتى موسى وعيسى وماأوتى النبيون من ربهم ،لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ، فإن آمنوا بمثل ماآمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم فى شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ﴾(البقرة : ١٣٦ ـ ١٣٧) .

وقال تعالى : **﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ، لايكلف الله نفساً إلا وسعها لها ماكسبت وعليها مااكتسبت ﴾**
(الآية البقرة : ٢٨٥) .

وأمته عليه السلام لايستحلون أن يُوجدوا شيئاً من الدين غير ماجاء به ، ولا يبتدعون بدعة لما أنزل الله بها من سلطان ، ولايشرعون من الدين مالم يأذن به الله لكن ماقصه عليهم من أخبار الأنبياء وأممهم ،اعتبروا به ، وما حدثهم أهل الكتاب موافقاً لما عندهم صدقوه ، ومالم يُعلم صدقه ولا كذبه أمسكوا عنه ، وما عرفوا بأنه باطل كذبوه ، ومن أدخل في الدين ماليس منه من أقوال متفلسفة الهند والفرس واليونان أو غيرهم ، كان عندهم من أهل الإلحاد والإبتداع .

وهذا هو الدين الذي كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وهو الذي عليه أئمة الدين الذين لهم في الأمة لسان صدق ، وعليه جماعة المسلمين وعامتهم ومن خرج عن ذلك كان مذموماً مدحوراً عند الجماعة وهو مذهب أهل السنة والجماعة الظاهرين إلى قيام الساعة ، الذين قال فيهم رسول الله ﷺ :

« لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لايَضُرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة » وقد يتنازع بعض المسلمين مع اتفاقهم على هذا الأصل الذي هو دين الرسل عموماً ، ودين محمد ﷺ خصوصاً ، ومن خالف هذا الأصل كان عندهم مُلحداً مذموماً .

ليسوا كالنصارى الذين ابتدعوا ديناً ماقام به أكابر علمائهم وعُبادهم ، وقاتل عليه ملوكهم ودان به جمهورهم ، وهو دين مبتدع ليس هو دين المسيح ولا دين

غيره من الأنبياء والله سبحانه أرسل رسله بالعلم النافع والعمل الصالح ، فمن اتبع الرسل حصل له سعادة الدنيا والآخرة وإنما دخل في البدع من قصَّر في اتباع الأنبياء علماً وعملاً .

ولما بعث الله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ، تلقى ذلك عنه المسلمون من أمته فكل علم نافع وعمل صالح عليه أمة محمد ، أخذوه عن نبيهم ، كما ظهر لكل عاقل أن أمته أكمل الأمم في جميع الفضائل العلمية والعملية ، ومعلوم أن كل كمال في الفرع المتعلِّم هو في الأصل المعلِّم ، وهذا يقتضى أنه عليه السلام كان أكمل الناس علماً وديناً .

وهذه الأمور توجب العلم الضروري بأنه كان صادقاً في قوله :

« إني رسول الله إليكم جميعاً » لم يكن كاذباً مفترياً ، فإن هذا القول لايقوله إلا من هو من خيار الناس وأكملهم ، إن كان صادقاً ، أو من هو من أشر الناس وأخبثهم إن كان كاذباً ، وماذكر من كمال علمه ودينه يناقض الشر والخبث والجهل

فتعين أنه متصف بغاية الكمال في العلم والدين ، وهذا يستلزم أنه كان صادقاً في قوله : « إني رسول الله إليكم جميعاً » لأن الذي لم يكن صادقاً إما أن يكون متعمد للكذب أو مخطئاً ، والأول يوجب أنه كان ظالماً غاوياً ، والثاني يقتضي أنه كان جاهلاً ضالاً .

ومحمد ﷺ كان علمه ينافي جهله ، وكمال دينه ينافي تعمد الكذب ، فالعلم بصفاته يستلزم العلم بأنه لم يكن يتعمد الكذب ولم يكن جاهلاً بلا علم ، وإذا انتفى هذا وذاك تعين أنه كان صادقاً عالماً بأنه صادق .. ولهذا نزهه الله عن هذين الأمرين بقوله تعالى : **﴿ والنجم إذا هوى،ماضل صاحبكم وماغوى، وماينطق عن الهوى، إن هو إلا وحى يوحى ﴾** (النجم : ١ ـ ٤).

وقال تعالى عن الملك الذي جاء به : **﴿ إنه لقول رسول كريم، ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين ﴾**(التكوير : ١٩ ، ٢٠) .

ثم قـال عنه : ﴿ **وماصاحبكم بمجنون، ولقد رآه بالأفق المبين، وماهو على الغيب بضنين ، وماهو بقول شيطان رجيم ، فأين تذهبون إن هو إلا ذكر للعالمين** ﴾ (التكوير : ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧).

وقال تعالى : ﴿ **وإنه لتنزيل رب العالمين ،نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين** ﴾ إلى قوله : ﴿ **هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزّل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون** ﴾ (الشعراء : ٢٢١ ـ ٢٢٣).

بيّن سبحانه أن الشيطان إنما ينزل على من يناسبه ليحصل به غرضه ، فإن الشيطان يقصد الشر وهو الكذب والفجور ، ولايقصد الصدق والعدل ، فلا يقترن إلا بمن فيه كذب ، إما عمداً وإما خطأ وفجور أيضاً ، فإن الخطأ في الدين هو من الشيطان أيضاً .

كما قال ابن مسعود لما سئل عن مسألة : أقول فيها برأيي ، فإن يكن صواباً فمن الله وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه ، فإن رسول الله ﷺ بريء من تنزل الشياطين عليه في العمد والخطأ .

بخلاف غير الرسول فإنه قد يخطئ ويكون خطؤه مغفوراً له ، فإذا لم يُعرف له خبر أخبر به كان فيه مخطئاً ولا أمرٌ أمر به كان فيه فاجراً ، عُلِمَ أن الشيطان لم ينزل عليه وإنما ينزل عليه ملك كريم ، ولهذا قال في الآية الأخرى عن النبي ﷺ : ﴿ **إنه لقول رسول كريم ،وماهو بقول شاعر قليلاً ماتؤمنون ، ولابقول كاهن قليلاً ماتذكرون، تنزيل من رب العالمين** ﴾ (الحاقة : ٤٠ ـ ٤٣) أ.هـ .

عالمية الدعوة الإسلامية

المسلم حين يرتفع لمستوى إسلامه ودينه ، لابد وأن يستشعر عالمية هذه الدعوة حتى وإن عاش حياة الإستضعاف وافتقد أسباب التمكين ، فقد أمر رسول الله ﷺ أن يصدع في المشركين بقوله تعالى : ﴿ **قل ياأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً** ﴾(الأعراف : ١٥٨) وكانت الآيات المكية تتنزل عليه بهذا المعنى ﴿ **وماأرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾(الأنبياء : ١٠٧) .

، ﴿ **إن هو إلا ذكر للعالمين ،ولتعلمن نبأه بعد حين** ﴾(ص : ٨٧، ٨٨) .

، ﴿ **تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً** ﴾(الفرقان : ١) .

وقد وردت الأخبار والبشارات عن الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه بفتح قصور كسرى وقيصر وقال لخباب بن الأرت :

« والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لايخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون ..... » .

وقد حدث ذلك كله ، وانتشرت هذه الدعوة في أرجاء المعمورة ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً ، فأعزهم الله بعد ذلة ، وجمعهم بعد فرقة ، وكانت هذه الأمة ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس** ﴾(آل عمران : ١١٠) .

إن المسلمين أحق الناس بإقامة النظام العالمي الواحد ، فقد أمرهم ربهم بإقامة الخلافة الإسلامية ، التي تنظم المسلمين في شتى بقاع الأرض ، والتي تنبثق عنها الولايات والإمارات هنا وهناك ، وهذه الخلافة موضوعة لإقامة الدين وسيادة الدنيا به .

قال تعالى : ﴿ **وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة** ﴾(البقرة : ٣٠).

وقد دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة لم يخالف في ذلك إلا الأصم حيث أنه كان عن الشريعة أصم ، لقد تم إعلان الوحدة الكبرى للدين.

---

١ ـ راجع كلام الماوردي وابن تيمية في السياسة الشرعية ، وكلام القرطبي والشنقيطي في تفسير الآية .

قال تعالى : ﴿ **قولوا آمنا بالله ومأأنزل إلينا ومأأنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ومأأوتي موسى وعيسى ومأأوتي النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون** ﴾ (البقرة : ١٣٦).

وقال سبحانه : ﴿ **وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا ،قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وماكان من المشركين** ﴾ .(البقرة : ١٣٥) .

وقال: ﴿ **إن الدين عند الله الإسلام** ﴾ (آل عمران : ١٩) .

وفي الحديث : « أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة ليس بيني وبينه نبي ، والأنبياء إخوة لعلات ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد » رواه البخاري .

وفي الحديث الذي رواه مسلم قال رسول الله ﷺ : « والذي نفس محمد بيده لايسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولانصراني ثم يموت ، ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار » .

وقد بينا أن عيسى عليه السلام عندما ينزل في آخر الزمان يحكم بحكم الإسلام ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويصلى مأموماً بإمام المسلمين ، ولما رأى النبي ﷺ صحيفة من التوراة في يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال له :

« والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى عليه السلام ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم ..... » .

وفي رواية : « لو كان موسى حياً بين أظهركم ماحل له إلا أن يتبعني » رواه أحمد وحسنه الألباني .

إن المسلم يعلم أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، وقد امتلك الدنيا مؤمنان وكافران ، أما المؤمنان فسليمان وذو القرنين ، وأما الكافران فالنمرود وبختنصر .

فالدنيا يعطيها ربنا لمن يحب ومن لايحب أما الآخرة فلا يعطيها إلا لمن أحب كما يعلم المسلم أيضاً أنه لابد من إحقاق الحق وإبطال الباطل والسعي في إيصال

الخير للبشر كافة ، وهذا كله يلقي على عاتق المسلمين واجبات عظام ومسؤوليات كبار ، لابدمن حملها بقوة للقيام بدور القيادة والريادة لهذه البشرية والشهادة على سائر الأمم .

قال تعالى : ﴿ **هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس** ﴾ (الحج : ٧٨) .

ولن تتم هذه القيادة وهذه الشهادة إلا بعودة صادقة إلى منابع القوة [1] والعز والتمكين وذلك بالتمسك بهذا الدين عقيدة وعبادة وشريعة كاملة للحياة ، وعندئذ يتحقق وعد الله سبحانه:﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدوننى لايشركون بى شيئاً ،ومن كفر بعدذلك فأولئك هو الفاسقون** ﴾ (النور : ٥٥) .

ونحن في سعينا وأخذنا بأسباب إقامة نظامنا العالمي ، لابد من معرفة أننا لسنا وحدنا في الساحة ،فهناك طوائف كثيرة ،تسعى هي الأخرى لفرض نظامها الذي تراه .

---

١ ـ راجع كتابنا (الضوابط الشرعية لتحقيق الأخوة الإيمانية والوحدة الإسلامية) ، وكتابنا (تحصيل الزاد لتحقيق الجهاد).

الملك له مالك والخلق له خالق ، يحكم لا معقب لحكمه ويقضي سبحانه ولاراد لقضائه ، وماعلينا إلا أن نقول سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ، آمنا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً .

فليس عندنا مانتوارى به ، أو نتكتمه خجلاً إذا صح وثبت ، فلسان حالنا قبل مقالنا يردد حينئذ أن صدقت ربنا وبلغت رسلك ونحن على ذلك من الشاهدين

وقد صح عن رسول الله ﷺ فيما رواه أحمد وغيره أنه قال :

« بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يُعبد الله وحده لاشريك له ...... الحديث » وكما هو معلوم فقد واجه النبي ﷺ المشركين بالسيف والسنان كما واجه المنافقين بالحجة والبيان ، فلكل مقام مقال ، وكم من بلد فُتحت بالسيف والسنان وكم من بلد (كالمدينة والهند) فُتحت بالقرآن .

فإن قيل مجيء الأنبياء موضوع لمصالح العالم وهم مأمورون بالرأفة والرحمة ومحمد جاء بالسيف وسفك الدماء وقتل النفوس فصار منافياً لما جاء به موسى وعيسى فزال عن حكمهما في النبوة لمخالفتهما في السيرة فالإجابة عنه كما ذكر الماوردي في كتاب أعلام النبوة (١٣٩) من ثلاثة وجوه :

إحداهما :

أن الله تعالى بعث إلى كل نبي بحسب زمانه فمنهم من بعثه بالسيف لأن السيف أنجع ومنهم من بعثه باللطف لأن اللطف أنفع ، كما خالف بين معجزاتهم بحسب أزمانهم ، فبعث موسى بالعصا في زمان السحر ، وبعث عيسى بإحياء الموتى في زمان الطب ، وبعث محمداً بالقرآن في زمان الفصاحة ، لأن الناس في بدء أمرهم يتعاطفون مع القلة ثم يتنافرون ويتحاسدون مع الكثرة ، ولذلك قال الرسول ﷺ :

«نجا أول هذه الأمة باليقين والزهد ويهلك آخرها بالبخل والأمل ».

والجواب الثاني :

أن السيف إذا كان لطلب الحق كان خيراً ، واللطف إذا كان مع إقرار الباطل كان شراً لأن الشرع موضوع لإقرار الفضائل الإلهية والحقوق الدينية ، ولذلك جاء الشرع بالقتل والحدود ليستقر به الخير وينتقص به الشر ، لأن النفوس الأشرة لايكفيها إلا الرهبة فكان القهر أبلغ في انقيادها من الرغبة ، وكانت العرب أكثر الناس شراً وعتواً لكثرة عددهم ، وقوة شجاعتهم فلذلك كان السيف فيهم أنفع من اللطف .

الجواب الثالث :

أنه لم يكن في جهاده بالسيف بدعاً من الرسل ولا أول من أثخن في أعداء الله تعالى وقبل هذا إبراهيم عليه السلام جاهد الملوك الأربعة الذين ساروا إلى بلاد الجزيرة للغارة على أهلها ، وحاربهم حتى هزمهم بأ حزابه وأتباعه .

وهذا يوشع بن نون قتل نيفاً وثلاثين ملكاً من ملوك الشام وأباد من مدنها مالم يبق له أثر ولا من أهلها كافرمن غير أن يدعوهم إلى دين أو يطلب منهم أتاوة وساق الغنائم وغزا داود من بلاد الشام مالم يدع فيها رجلاً ولا إمرأة إلا قتلهم وهو موجود في كتبهم .

ومحمد ﷺ بدأ بالإستدعاء وحارب بعد الإباء وروى ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : مارأيت رسول الله ﷺ منتصراً من مظلمة ظُلمها قط مالم ينتهك من محارم الله تعالى شئ فإذا انتهك من محارم الله تعالى شئ كان أشدهم في ذلك غضباً ، وماخُير بين أمرين إلا اختار أيسرهما مالم يكن مأثماً ، وقد كان ﷺ أحث الناس على الصفح والتعاطف .

روي أسيد بن عبد الرحمن عن فروة بن مجاهد عن عقبة بن عامر قال :

« لقيت رسول الله ﷺ ، فقال لي ياعقبة : صل من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك»، فهل يكون أحن على الخلق مما يأمرهم بمثل هذا ؟ أ . هـ .

واعف عمن ظلمك »، فهل يكون أحن على الخلق مما يأمرهم بمثل هذا ؟ أ . هـ .

إن الله تعالى أرحم بعبده المؤمن من الأم بولدها وقد شرع لنا شرعاً محكماً والنبي ﷺ صادق مصدق ﴿ **وماينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى** ﴾ (النجم : ٣، ٤)وقد جاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين فأين جهاد الدفع والطلب[1] عند المسلمين من الحملات الصليبية ومذابح الصرب للمسلمين البوسنيين وتحريك البابا لأوربا والأسطول الفرنسي في مشكلة لبنان وتقتيل اليهود للمسلمين في دير ياسين ومدرسة بحر البقر وصبرا وشاتيلا ....

هذه هي خيانة وفعل اليهود مع المدنيين والعُزّل ، وهم أحفاد الذين دعاهم نبي الله موسى يوماً لقتال العماليق فقالوا له :

﴿ **فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون** ﴾(المائدة : ٢٤)

وكانوا من قبل يُلّحون عليه طلباً لقتالهم ، فما كان منه إلا أن قال :

﴿ **إني لاأملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين** ﴾.(المائدة : ٢٥) .

والفارق كبير بين القتال المشروع وغير المشروع وبين الحق والباطل وبين الإيمان والكفر .

المستقبل للإســـــلام بغلبته وظهوره على الأديان كلها

وردت الأخبار الصادقة تبشر بعودة التمكين لدين الله في الأرض ، مما لايبقى معه مجال لليأس ولا القنوط من رحمة الله ، مهما تردى حال هذه الأمة ، وتمكن الأعداء من رقابها ففي الحديث :

« إن الله ز وي (أي جمع وضم) لي الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها مازوى لي منها » رواه مسلم .

وقال رسول الله ﷺ : « ليبلغن هذا الأمر مابلغ الليل والنهار ، ولايترك الله

---

١ ـ جهاد الدفع أي دفع الكفار عن ديار المسلمين وهذا فرض عين. وجهاد الطلب أي طلب الكفار في ديارهم لإبلاغهم الحق ، وهذا فرض على الكفاية ، راجع كتابنا (تحصيل الزاد لتحقيق الجهاد)

بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين ، بعز عزيز أو بذل ذليل ، عزاً يعز الله به الإسلام وذلاً يذل به الكفر » رواه ابن حبان وغيره وصححه الألباني .

وفي الحديث أيضاً : « لا يذهب الليل والنهار حتى تُعبد اللات والعزى » فقالت عائشة : يارسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله

﴿ هو الذى أرسل رسـوله بالهـدى ودين الحق ليظهـره على الدين كله ولو كـره المشركون ﴾ (التوبة : ٣٣) .

أن ذلك تاماً ، قال : « إنه سيكون من ذلك ماشاء الله » رواه مسلم .كما بشرت الأحاديث الصحيحة بعودة الخلافة وأنها ستكون على منهاج النبوة بإذن الله ، كما في الحديث : « تكون النبوة فيكم ماشاء الله أن تكون ، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ، فتكون ماشاء الله أن تكون ، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكاً عاضاً فيكون ماشاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها ، ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون ماشاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ، ثم سكت »

رواه أحمد وغيره وصححه الألباني .

وعن أبي قُبيل قال : كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص وسئل أي المدينتين تفتح أولاً ، القسطنطينية أو رومية ؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق ، قال : فأخرج منه كتاباً ، قال : فقال عبد الله : بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب ، إذا سُئل رسول الله ﷺ : أي المدينتين تفتح أولاً أقسطنطينية أو رومية ؟ فقال رسول الله ﷺ : مدينة هرقل تفتح أولاً « يعني القسطنطينية »

رواه أحمد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي .

قال الألباني : ورومية هي روما كما في معجم البلدان ، وهي عاصمة إيطاليا اليوم ، وقد تحقق الفتح الأول على يد محمد الفاتح العثماني كما هو معروف وذلك بعد أكثر من ثمانمائة سنة من إخبار النبي ﷺ ، وسيتحقق الفتح الثاني بإذن الله تعالى

ولابد ﴿ ولتعلمن نبأه بعد حين ﴾(ص : ٨٨) .

ولاشك أيضاً أن تحقيق الفتح الثاني يستدعي أن تعود الخلافة الراشدة إلى الأمة المسلمة أ . هـ .

ومن جملة الأخبار التي تبعث الأمل في النفوس ماورد عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال :

« إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها »

أخرجه أبو داود والحاكم والطبراني في الأوسط بإسناد صحيح .

كما وردت المبشرات بوجود طائفة ظاهرة ناجية منصورة فعن أبي معاوية رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :«لاتزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله ، لايضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس »

رواه مسلم .

وفي لفظ:« من يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين ،ولاتزال عصابة من المسلمين يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم إلى يوم القيامة » رواه مسلم .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« لاتزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة . قال فينزل عيسى بن مريم ﷺ فيقول أميرهم : تعال صل بنا ،فيقول لا ، إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة هذه الأمة » رواه مسلم .

الأخبار كثيرة تدل على أن المسلمين سيعودون أقوياء في مادياتهم ومعنوياتهم وسلاحهم ، فهيا بنا نعود لديننا ونوحد صفوفنا لتسلم راية قيادة البشرية ، وهذا يتطلب عمل الفريق بداية ونهاية ، مع معرفة كل منا بواجبه ومهمته ، فقد نجد في وسط أمواج عاتية حتى نصل إلى بر الأمان ، وننتقل من هذه الداربسلام إلى دار السلام .

الإسلام قادم بدلالة الكتب السابقة

في نقل يوحنا عن المسيح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام :

« إن البارقليط لايجيئكم مالم أذهب فإذا جاء وبخ العالم على الخطيئة ولا يقول من تلقاء نفسه شيئاً ، ولكنه مما يسمع به يكلمكم ، ويسوسكم بالحق ويخبركم بالحوادث والغيوب ».

وفي نقل آخر عنه :

« إن البشير ذاهب والبارقليط بعده يحي لكم الأسرار ويقيم لكم كل شئ وهو يشهد لي كما شهدت له فإني لأجيئكم بالأمثال وهويأتيكم بالتأويل » .

والبارقليط بلغتهم لفظ من الحمد وقد قال النبي ﷺ : «وأنا أحمد وأنا محمود ، وأنا محمد » .

وألفاظ العبرانية قريبة من ألفاظ العربية فهي أقرب اللغات إلى العربية ، والمتأمل لهذه النصوص وغيرها يجد أن الذي شهد للمسيح وعلمهم كل شئ وذكرهم بكل ماقال لهم المسيح ، ووبخ العالم على الخطيئة ، وأرشد الناس إلى جميع الحق ، ولا ينطق من عنده بل يتكلم بما يسمع ويخبرهم بكل مايأتي ، ويعرفهم جميع مالرب العالمين ويقدر على مالا يقدر عليه المسيح ، ويعلم مالا يعلمه المسيح ،

هو رسول الله ﷺ ، الذي قال عنه المسيح : « إن لي كلاماً كثيراً أريد أن أقوله ولكنكم لاتستطيعون حمله ، ولكن إذا جاء روح الحق ذاك الذي يرشدكم إلى جميع الحق ، لأنه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بما يسمع ويخبركم بكل مايأتي ويعرفكم جميع ماللأب » .

وقال لهم : « إن لم أذهب لم يأتكم الفارقليط ، فإذا انطلقت أرسلته إليكم » وتأمل قول المسيح : « إن ذلك عجيب في أعيننا » وقوله في هذه البشارة : « إن ملكوت الله سيأخذ منكم ويدفع إلى أمة أخرى » .

فالأمر قد صار لرسول الله ﷺ ولم يبق بأيدي النصارى إلا دين باطله أضعاف

أضعاف حقه ، وحقه منسوخ بما بعث الله به محمداً ﷺ ، فالواجب على العالم طاعته والإنقياد لأمره ، وماأشد مطابقة قول المسيح هذا لقوله تعالى :

﴿ **ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون** ﴾ (الأنبياء : ١٠٥) .

وقوله تعالى : ﴿ **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدوننى لايشركون بى شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هو الفاسقون** ﴾(النور : ٥٥) .

وتأمل قوله في الفارقليط المبشر به:« يفشي لكم الأسرار ويفسر لكم كل شيء فإني جئتكم بالأمثال وهو يأتيكم بالتأويل » تجده مطابقاً للواقع من كل وجه .

ولقوله تعالى : ﴿ **وأنزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء** ﴾(النحل : ٨٩) .

ولقوله تعالى : ﴿ **ماكان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون** ﴾ (آخر يوسف).

وتأمل قول المسيح:« ألم تر إلى الحجر الذي أخره البناؤون صار رأساً للزاوية » تجده مطابقاً لقول النبي ﷺ :

« **مثلى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل بنى داراً فأكملها وأتمها إلا موضع لبنة منها فجعل الناس يطوفون بها ويعجبون منها ،ويقولون هلاّ وضعت تلك اللبنة ؟** ».

إن المسلمين هم أتباع المرسلين في الحقيقة وأتباع عيسى حقاً ،أما أعداؤه فهم عباد الصليب الذين رضوا أن يكون إلهاً مصفوعاً مصلوباً مقتولاً ولم يرضوا أن يكون نبياً عبداً لله وجيهاً عنده مقرباً لديه ، ولو تتبعت البشارات لوجدت أن بشارة المسيح بالنبي ﷺ فوق كل بشارة لما كان أقرب الأنبياء إليه وأولاهم به وليس بينه وبين نبي .

سُئل النبي ﷺ عن أول أمره فقال : « أنا دعوة إبراهيم وبشرى عيسى » .

فهو الذي ساد العالم بعد المسيح وأطاعه العالم ظاهراً وباطناً وانقادت له القلوب والأجساد وأطيع في السر والعلانية في محياه وبعدمماته في جميع الأعصار وأفضل الأقاليم والأمصار وسارت دعوته مسير الشمس وبلغ دينه مابلغ الليل والنهار وخرت لمجيئه الأمم على الأذقان ، وبطلت به عبادة الأوثان ، وقامت به دعوة الرحمن ، واضمحلت به دعوة الشيطان ، وأذل الكافرين والجاحدين وأعز المؤمنين وجاء بالحق وصدق المرسلين ، حتى أعلن التوحيد على رؤوس الأشهاد ، وعبد الله وحده لاشريك له في كل حاضر وباد ، وأمتلأت به الأرض تحميداً وتكبيراً لله وتهليلاً وتسبيحاً ، و اكتست به بعد الظلم والظلام عدلاً ونوراً .

وفي مزمور من مزامير داود :

« اللهم ابعث جاعل السنة حتى يعلم الناس أنه بشر » أي ابعث نبياً يعلم الناس أن المسيح بشر لعلم داود أن قوماً سيدعون في المسيح مادعوه .

وهذا هو محمد ﷺ ومن بشائر ميخاء من أنبياء بني إسرائيل في كتابه :

« فأما الآن فيستسلم إلى الوقت الذي تلد فيه الوالدة ويقوم فيرعاهم »

يعني الرب « وبكرامة اسم الله ربه ويقبلون بهم إلى من سيعظم سلطانه إلى أقطار الأرض ويكون على عهده إلا الإسلام » .

ومن بشائر موسى عليه السلام في التوراة ماجاء به في الفصل العشرين من السفر الخامس :

« إن الرب جاء من طور سيناء وأشرق من ساعير واستعلى من جبال فاران ومعه عن يمينه ربوات جيش القديسين فمنحهم إلى الشعوب ودعا لجميع قديسيه بالبركة ».

فمجئ الله تعالى من طور سيناء هو إنزاله التوراة على موسى ، وإشراقه من ساعير إنزاله الإنجيل على عيسى لأنه كان سكن ساعير أرض الخليل في قرية ناصرة واستعلاؤه من جبال فاران إنزاله القرآن على محمد ﷺ وفاران هي جبال مكة في

قول الجميع ، فإن ناكروا كان دفعاً لما في التوراة ، ولأنه لم يستعل الدين كإستعلائه منها فاندفع الإنكار بالعيان وهذه البشارة شبيهة ببشارة حبقوق من أنبياء بني إسرائيل« جاء الله من طور سيناء واستعلن القدوس من جبال فاران وانكسف لبهاء محمد وانخسفت من شعاع المحمود وامتلأت الأرض من محامده ، لأن شعاع منظره مثل النور » .

وفي بشائر أرميا بن برخيا من أنبياء بني إسرائيل في أيام بختنصر « لما قتل أهل الرس نبيهم قال ابن عباس أ مر الله تعالى أن يأمر بختنصر أن يغزوا العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم فيقتلهم بما صنعوا بينهم فأمره بذلك ، فدخل بختنصر بلاد العرب فقتل وسبى حتى انتهى إلى تهامة فأتى بمعد بن عدنان فأمربقتله ، فقال له النبي لاتفعل فإن في صلب هذا نبياً يبعث في آخر الزمان يختم الله به الأنبياء ، فخلى سبيله وحمله معه حتى أتى حصوناً باليمن فهدمها ، وقتل أهلها وزوج معداً بأجمل امرأة منهم في زمانها وخلفه بتهامة حتى نسل بها» .

قال ابن عباس وفي ذلك نزل قوله تعالى :

﴿ **وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشانا بعدها قوماً آخرين** ﴾ (الأنبياء : ١١) .

فهذه بعض بشائر الأنبياء عن الكتب الإلهية المتناصرة بصحة نبوته ﷺ المتواترة الأخبار بانتشار دعوته وتأييد شريعته ، ولعل مالم يصل إلينا منها أكثر ، فمنهم من عينه باسمه ومنهم من ذكره بصفته ومنهم من عزاه إلى قومه ومنهم من أضافه إلى بلده ومنهم من خصه بأفعاله ومنهم من ميزه بظهوره وانتشاره ، وقد حقق الله جميعها فيه فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والحمد الله على نعمة الإسلام وكفي بها نعمة ، رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً .

فتاوى وقرارات هامة

(١) حكم تزوج الكافر بالمسلمة وتزوج المسلم بالكافرة وآثاره

جاء في القرار الثالث لمجلس المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي ص : ٦٩ مانصه :

أولا : إن تزوج الكافر بالمسلمة حرام لايجوز بإتفاق أهل العلم ولاشك في ذلك لما تقتضيه نصوص الشريعة قال تعالى :

﴿**ولاتنكحوا المشركين حتى يؤمنوا**﴾(البقرة : ٢٢١) .

وقال تعالى : ﴿ **فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ماأنفقوا** ﴾(الممتحنة : ١٠) .

والتكرير في قوله تعالى : ﴿ **لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن** ﴾(الممتحنة : ١٠) بالتأكيد والمبالغة بالحرمة وقطع العلاقة بين المؤمنة والمشرك .

وقوله تعالى : ﴿ **وآتوهم ماأ نفقوا** ﴾(الممتحنة : ١٠) أمر أن يُعطى الزوج الكافر ماأنفق على زوجته إذا أسلمت فلا يجمع عليه خسران الزوجية والمالية فإذا كانت المرأة المشركة تحت الزوج الكافر تحرم بإسلامها ولاتحل له بعد ذلك ....

فكيف يقال بإباحة ابتداء عقد النكاح الكافر على المسلمة ، بل أباح الله نكاح المرأة المشركة بعد ماتسلم وهي تحت رجل كافر لعدم إباحتها له بإسلامها فحينئذ يجوز للمسلم تزوجها بعد انقضاء عدتها كما نص عليه قوله تعالى :

﴿ **ولاجناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن** ﴾

ثانياً : وكذلك المسلم لايحل له نكاح المشركة لقوله تعالى :

﴿ **ولاتنكحوا المشركات حتى يؤمن** ﴾ (البقرة : ٢٢١) .

ولقوله تعالى : ﴿ **ولاتمسكوا بعصم الكوافر** ﴾(الممتحنة : ١٠) .

وقد طلق عمر رضي الله عنه امرأتين له كانتا مشركتين لما نزلت هذه الآية وحكى ابن قدامة الحنبلي أنه لاخلاف في تحريم نساء الكفار غير أهل الكتاب على المسلم ،

أما النساء المحصنات من أهل الكتاب فيجوز للمسلم أن ينكحهن لم يختلف العلماء في ذلك إلا أن الإمامية قالوا بالتحريم .

والأولى للمسلم عدم تزوجه من الكتابية مع وجود الحرة المسلمة قال شيخ الإسلام ابن تيميه : يكره تزوجهن مع وجود الحرائر المسلمات ، قال في الإختيارات وقاله القاضي وأكثر العلماء لقول عمر رضي الله عنه للذين تزوجوا من نساء أهل الكتاب:طلقوهن إلا حذيفة امتنع عن طلاقها ثم طلقها بعد لأن المسلم متى تزوج كتابية ربما مال إليها قلبه ففتنته وربما كان بينهما ولد فيميل إليها والله أعلم .

وقد جاء في مختصر فتاوى دار الإفتاء المصرية تحت عنوان : زواج المسلم من كتابية [١] ص (٥٢) المبادئ الآتية :

(١) يجوز للمسلم التزوج من كتابية مطلقاً .

(٢) يكره تنزيهاً زواج الكتابية التابعة لدار الإسلام .

(٣) يكره تحريماً زواج الكتابية التابعة لغير دار الإسلام وهي الحربية دفعاً لباب الفتنة وخشية قيامه معها بدار الحرب وتعريض الولد لتخلق بأخلاق أهل الكفر وخشية على الولد من الرق بأن تسبى وهي حبلى فيكون رقيقاً وإن كان مسلماً .

وتحت عنوان « زواج المسيحي بمسلمة وآثاره »[٢] ص ٥٦ وردت المبادئ التالية :

(١) زواج المسيحي بمسلمة ودخوله بها وإنجابه منها ولداً باطل ولا يثبت به نسبه شرعاً .

(٢) يكون الولد مسلماً تبعاً لأمه .

(٣) بوفاة الوالد معتنقاً الدين المسيحي يكون قد مات مرتداً من وقت اعتناقه الدين المسيحي سواء اعتنقه وهو صبي مميز على رأي الإمام محمد أو اعتنقه وهو بالغ على رأي أبي يوسف .

---

١ ـ المفتي فضيلة الشيخ محمد بخيت .

٢ ـ المفتي فضيلة الشيخ عبد المجيد سليم .

(٤) أولاد الزوج المسيحي لايرثون من هذا الولد أما إذا كان له أخ لأمه مسلماًفإنه يرثه بالنسبة لما اكتسبه في حال إسلامه فقط وماااكتسبه بعد ردته يكون لبيت المال .

(٢) زواج المسلم من مسيحية بالكنيسة (١)

جاء في مختصر فتاوى دار الإفتاء المصرية ص ٦١ المبادئ التالية :

(١) ذهاب المسلم إلى الكنيسة وتزوجه بمسيحية مغيراً اسمه المسلم ارتداد عن الدين الإسلامي ولابد في توبته وعودته إلى الإسلام من تبرئته من الدين الذي انتقل إليه .

(٢) عند العودة إلى الإسلام لابد من الإتيان بالشهادتين والتبرؤ من الدين الذي انتقل إليه .

(٣) إذا اشهر إسلامه بعد ذلك فإنه إذا اعتبر تبرؤاً من الدين الذي انتقل إليه فليس بظاهر أنه يعتبر إتياناً بالشهادتين ولابد من عمل إشهار جديد يتضمن إتيانه بالشهادتين وتبرؤه من كل دين يخالف دين الإسلام وخصوصاً الدين الذي انتقل إليه .

(٤) لابد من تجديد عقد زواجه بالمسلمة بعد الإتيان بالشهادتين إن لم يكن حصل منه ذلك قبل الزواج وأن تصادقه الزوجة في إشهار الإسلام أنه عقد عليها أو جدد العقد عليها بعد التبرئ والإتيان بالشهادتين .

(٥) عقد زواج المرتد بمسلمة فاسد لاباطل بخلاف الكافر الأصلي غير المرتد ويثبت به النسب وأولاده مسلمون إما تبعاً لهما أو تبعاً لأمهم .

(٦) إذا توفى والده في المدة بين زواجه بالمسيحية وإشهار إسلامه لايرث منه لأنه بماصدر منه صار مرتداً والمرتد لايرث أحداً مادام مرتداً ، وماجاء في إشهار إسلامه على فرض أنه إسلام وتوبة لايجعله مسلماً حين وفاة والده وإنما يجعله كذلك من يوم صدوره .

١ـ المفتي فضيلة الشيخ عبد المجيد سليم .

(٣) حكم وضع اليد على التوراة أو الإنجيل أو كليهما حين أداء اليمين أمام القضاء

جاء في القرار الأول لمجلس المجمع الفقهي بمكة المكرمة ص ٨٤ مانصه :

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لانبي بعده سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد :

فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي قد اطلع على السؤال الوارد حول حكم وضع المسلم يده على التوراة أو الإنجيل أو كليهما عند أداء اليمين القضائية أمام المحاكم في البلاد غير الإسلامية إذا كان النظام القضائي فيها يوجب ذلك على الحالف ، واستعرض المجلس آراء فقهاء المذاهب حول مايجوزالحلف به ، ومالا يجوز في القسم بوجه عام وفي اليمين القضائية أمام القاضي وانتهى المجلس إلى القرار التالي :

(١) لايجوز الحلف إلا بالله تعالى دون شيء آخر لقول رسول الله ﷺ : « من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت » .

(٢) وضع الحالف يده عند القسم على المصحف أو التوراة أو الإنجيل أو غيرها ليس بلازم لصحة القسم لكن يجوز إذا رآه الحاكم لتغليظ اليمين ليتهيب الحالف من الكذب .

(٣) لايجوز لمسلم أن يضع يده عند الحلف على التوراة أو الإنجيل لأن النسخ المتداولة منها الآن محرفة ، وليست الأصل المنزل على موسى وعيسى عليهما السلام ولأن الشريعة التي بعث الله تعالى بها نبيه محمداً ﷺ قد نسخت ماقبلها من الشرائع .

(٤) إذا كان القضاء في بلد ماحكمه غير إسلامي يوجب على من توجهت عليه اليمين وضع يده على التوراة أو الإنجيل أو كليهما فعلى المسلم أن يطلب من المحكمة وضع يده على القرآن ، فإن لم يستجيب لطلبه يُعتبر مكرهاً ، ولابأس عليه

في أن يضع يده عليهما أو على أحدهما دون أن ينوي ذلك تعظيماً .

والله ولي التـوفـيق وصلى الله على خـيـر خلقـه سـيـدنا مـحـمـد وعلى آله وصحبه وسلم .

(٤) حكم التسمية بعبد النبى وعبد المسيح [١]

المبادئ

(١) لايجوز التسمية شرعاً بعبد النبي خشية اعتقاد العبودية بالنبي ﷺ ، كما لاتجوز التسمية بعبد المسيح على ماذهب إليه الجمهور .

(٥) حكم شهادة المسيحى على عقد زواج مسلم [٢]

الموضوع

شهادة المسيحي على عقد زواج المسلم مبطلة له .

المبدأ

إذا كان أحد الشاهدين على عقد زواج المسلم مسيحياً بطل العقد .

(٦) مسيحى أسلم وكتب بالإكراه إقراراً بالكفر

جاء في مختصر فتاوى دار الإفتاء المصرية هذه الفتوى لفضيلة الشيخ علام السيد نصار ص ٣١٦ :

(١) من أجرى كلمة الكفر على لسانه أو كتبها تحت إكراه وقلبه مطمئن بالإيمان لايكون بذلك كافراً ، وعلى هذا إجماع الأئمة الأربعة .

(٢) متى زال الإكراه أمر بإظهار إسلامه ، فإن أظهره فهو باق على إسلامه .

---

١ ـ المفتي فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف ـ مختصر فتاوى دار الإفتاء المصرية ص (٦٥) .

٢ ـ المفتي فضيلة الشيخ عبد الرحمن قراعة ـ مختصر فتاوى دار الإفتاء المصرية ص (١٣٤) .

(٧) اعتناق الإسلام [١]

المبادئ

(١) الإقرار باعتناق الدين الإسلامي في الطلب المقدم إلى المحكمة الشرعية يعتد به ، ويكون المقر مسلماً من تاريخ تقديم الطلب أمام الكافة .

(٢) عند عدم إقراره في الطلب بذلك يعتد بإسلامه من تاريخ الإشهار به .

(٣) لايعتد بإسلامه في المدة السابقة على تقديم الطلب بذلك .

(٨) إسلام زوجة الكتابى

جاء في فتاوى دار الإفتاء المصرية فتوى فضيلة الشيخ أحمد هريدي ص ٣٢٠ والتي تضمنت المبادئ الأتية :

(١) بإسلام زوجة الكتابي يُعرض الإسلام على زوجها ، فإن أسلم فهي امرأته وإلا فرق القاضي بينهما بتطليقة بائنة قبل الدخول كان ذلك أم بعده .

(٢) ينقص هذا التفريق من عدد طلقاته عليها بمعنى أنه إذا أسلم بعد ذلك وتزوجها قبل زواجها من آخر لايكون عليها سوى طلقتين فقط .

(٣) تجب عليها العدة من تاريخ صدور حكم التفريق وتجب نفقتها عليه مادامت في العدة .

(٤) الولد يتبع خير الأبوين ديناً (أي يكون مسلماً) .

(٩) حكم تحويل الكنيسة إلى مسجد

أفتى فضيلة الشيخ حسن مأمون بجواز تحويل الكنيسة إلى مسجد إذا كانت معطلة ولا ينتفع بها فيما أنشئت من أجله بسبب عدم وجود مصلين بها (المصدر السابق ص ٣٢٦) .

---

١ ـ المفتي فضيلة الشيخ حسن مأمون ـ المصدر السابق ص ٣١٨ . هذا الكلام المذكور للحكم قضاءً بإسلام المسيحي وإلا فلو نطق بالشهادتين وأن عسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه حكم بإسلامه .

(١٠) هل يجوز دفن النصارى فى مقابر المسلمين ؟

أفتى فضيلة الشيخ أحمد هريدي بأن جبانة المسلمين وقف لايجوز التصرف في جزء منها وأنه متى خصصت أرض المقبرة لدفن موتى المسلمين صارت وقفاً على ماخصصت له على التأبيد ولايجوز شرعاً إخراج جزء منها عما أعدت له لدفن موتى الأقباط به (المصدر السابق ص ٣٥٢) .

(١١)عدم جواز دفن المسلمين فى مقابر الكافرين

سُئل فضيلة الشيخ ابن باز مفتي الديار السعودية : (١)

هل يجوز دفن المسلمين في مقابر غير المسلمين حيث أن المسلمين يسكنون في بلاد بعيدة عن مقابرهم ويحتاج دفنهم فيها أن يسافروا بالميت أكثر من أسبوع علماً بأن من السنة التعجيل بدفن الميت ؟ .

فأجاب : لايجوز للمسلمين أن يدفنوا مسلماً في مقابر الكافرين لأن عمل أهل الإسلام من عهدالنبي ﷺ والصحابة والتابعين وعدم دفن مسلم مع مشرك فكان هذا إجماعاً عملياً على إفراد المسلمين عن مقابر الكافرين .

ولما رواه النسائي عن بشير بن سعيد السدوسي قال : كنت أمشي مع رسول الله ﷺ فمر على قبور المسلمين فقال : لقد سبق هؤلاء شراً كثيراً ثم مر على قبور المشركين فقال لقد سبق هؤلاء خيراً كثيراً .

فدل هذا على التفريق بين قبور المسلمين وقبور المشركين ، وعلى كل مسلم ألا يستوطن بلداً غير إسلامي وألا يقيم بين أظهر الكافرين بل عليه أن ينتقل إلى بلد إسلامي فراراً بدينه من الفتن ليتمكن من إقامة شعائر دينه ويتعاون مع إخوانه المسلمين على البر والتقوى ويكثر سواد المسلمين ، إلا من أقام بينهم لنشر الإسلام وكان أهلاً لذلك قادراً عليه وكان ممن يعهد فيه أن يؤثر في غيره ولا يغلب على أمره فله ذلك وكذا من اضطر إلى الإقامة بين أظهرهم ، وعلى هؤلاء أن يتعاونوا ويتناصروا وأن يتخذوا لأنفسهم مقابر خاصة يدفنون فيها موتاهم .

---

١ ـ فتاوى إسلامية ص ٧١ .

(١٢) حكم حضور جنائز الكفار [١]

سُئل الشيخ ابن باز - حفظه الله - ماالحكم في حضور جنائز الكفار ، الذي أصبح تقليداً سياسياً وعرفاًمتفقاً عليه :

فأجاب : إذا وجد من الكفار من يقوم بدفن موتاهم فليس للمسلمين أن يتولوا دفنهم ولا أن يشاركوا الكفار ويعاونوهم في دفنهم أو يجاملوهم في تشييع جنائزهم فإن ذلك لم يعرف عن رسول الله ﷺ ولا عن الخلفاء الراشدين .

بل نهى رسول الله ﷺ أن يقوم على قبر عبد الله بن أبي سلول وعلل ذلك بكفره ،

قال تعالى : ﴿ **ولاتصل على أحدٍ منهم مات أبداً ولاتقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون** ﴾ (التوبة : ٨٤) .

وأما إذا لم يوجد منهم من يدفنه ، دفنه المسلمون كما فعل النبي ﷺ بقتلى بدر .

(١٣) الطريقة المثلى فى معاملة الذمى [٢]

سُئل الشيخ ابن باز عن الطريقة المثلى في معاملة الذمي ، وهل يعامل معاملة عادية ؟

فأجاب : الطريقة المثلى في معاملة المسلمين للذمي الوفاء له بذمته ، للآيات والأحاديث التي أمرت بالوفاء بالعهد وبره ومعاملته بالعدل لقوله تعالى :

﴿ **لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين** ﴾ ولين القول معه والإحسان إليه عموماً إلا فيما منعه الشرع كبدئه بالسلام وتزويجه المسلمة وتوريثه من المسلم ونحو ذلك مما ورد النص بمنعه ، وارجع في تفصيل الموضوع إلى كتاب« أحكام أهل الذمة» للعلامة ابن القيم الجوزية رحمه الله وكلام غيره من أهل العلم .

---

١ - المصدر السابق ص ٧٣ .

٢ - المصدر السابق ص ١٠ .

(١٤) عدم جواز مشاركة الكفار فى أعيادهم [١]

سُئل الشيخ ابن باز عن حكم تعطيل المدارس الإسلامية في غانا في أعياد اليهود والنصارى وعدم فعل ذلك في الأعياد الإسلامية ؟

فأجاب :

أولا : السنة إظهار الشعائر الدينية الإسلامية بين المسلمين وترك إظهارها مخالف لهدي رسول الله ﷺ وقد ثبت عنه أنه قال : «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين » الحديث .

ثانيا: لايجوز للمسلم أن يشارك الكفار في أعيادهم ويظهر الفرح والسرور بهذه المناسبة ويعطل الأعمال سواء كانت دينية أو دنيوية لأن هذا مشابهة لأعداء الله المحرمة وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : «من تشبه بقوم فهو منهم » .

وننصحك بالرجوع إلى كتاب «إقتضاء الصراط المستقيم» لشيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله فإنه مفيد جداً في هذا الباب .

(١٥) معنى الولاية [٢]

سُئل : مامعنى قوله تعالى: ﴿ **لاتتولوا قوماً غضب الله عليهم** ﴾ ومامعنى الولاية معهم وهل تكون الولاية أن تذهب إليهم وتحدثهم وتكلمهم وتضحك معهم ؟

فأجاب : نهى الله تعالى المؤمنين أن يوالوا اليهود وأشباهاهم من الكفار ولابمودة ومحبة وأخاء ونصرة وأن يتخذوهم بطانة ولو كانوا غير محاربين للمسلمين

قال تعالى : ﴿ **لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أوإخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه** ﴾ (المجادلة : ٢٢) .

وقال: ﴿ **ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم لايألونكم خبالاً ودوا ماعنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وماتخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم**

١، ٢ ـ المصدر السابق ص ٢٢ .

تعقلون ، هاأنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم ﴾ (آل عمران : ١١٨) .

ومافي معناها من نصوص الكتاب والسنة ، ولم ينه الله تعالى المؤمنين عن مقابلة معروف غير الحربيين بالمعروف أو تبادل المنافع المباحة معهم من بيع وشراء وقبول الهدايا والهبات .

قال تعالى : **﴿ لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ، إنما ينهاكم عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ،ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ﴾**(الممتحنة : ٨، ٩) .

(١٦) حكم سكن المسلم مع عائلات أمريكية [1]

سُئل الشيخ ابن باز : هل يجوز السكن مع عائلات أمريكية للإستفادة منهم في اللغة ؟

فأجاب : خير للمسلم أن يسكن مع المسلمين ، فإن الإختلاط بالكفار يُخشى منه الفتنة وتبلد النفس في النواحي الدينية والفتور أو الكسل عن أداء الواجب الإسلامي ونوافل الخير ، فتحري المسلم العزلة عنهم مااستطاع إلى ذلك سبيلاً احفظ لدينه وأسلم لأخلاقه ، فإن اضطر أن يسكن مع عائلات فليكن مع عائلات إسلامية ، وليحذر من الخلوة بنساء أجنبيات منه ، ولايجوز أن يسكن مع عائلات كافرة فيها رجال ونساء فإن المعروف فيهم عري النساء وعدم المحافظة على الأعراض وفي ذلك فتنة عظيمة وذريعة إلى الفاحشة وفساد الأخلاق ، وليست حاجته إلى الإستفادة في اللغة من العائلات الكافرة أمريكية أوغيرها بمبرر له أن يختلط بهذه العائلات فإن لديه مندوحة للإستفادة في اللغة من الدراسة الخاصة والمحادثة مع الزملاء بها دون السكن مع العائلات الكافرة ...... وبالله التوفيق ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم .

---

١ ـ المصدر السابق ص ٢٣ .

تشبه المسلم بالكافر [1]

المبادئ

(١) الكفر شئ عظيم فلا يُحكم به على مؤمن متى وجدت رواية أنه لايكفر ، ولايكفر مسلم إلا إذا اتفق العلماء على أن ماأتى به يوجب الردة .

(٢) لا يكفر المسلم متى كان لكلامه أو فعله احتمال ولو بعيداً يوجب عدم تكفيره .

(٣) لايخرج الرجل من الإيمان إلا جحود ماأدخله فيه .

(٤) مايتيقن بأنه ردة يحكم بها عليه ، ومايشك في أنه ردة لايحكم به ، لأن الإسلام الثابت لايزول بالشك .

(٥) مناط التكفير هو التكذيب أو الإستخفاف بالدين .

(٦) مجرد لبس البرنيطة ليس كفراً ، لأنه لا دلالة فيه على الإستخفاف بالدين ، ولا على التكذيب بشئ مما علم من الدين بالضرورة حتى يكون ذلك ردة إلا إذا وجد من لابسها شئ يدل دلالة قطعية على الإستخفاف أو التكذيب بشئ مما عُلم من الدين بالضرورة بأن ذلك يكون ردة .

(٧) كل من مجد واستحسن ماهو كفر إذا وجد منه مايدل على ذلك دلالة قطعية يحكم بكفره .

(٨) لابس البرنيطة قصد التشبه بغير المسلمين مع عدم مايدل على الإستخفاف أو التكذيب بشئ مما عُلم من الدين بالضرورة يكون آثماً ولايحكم بكفره .

(٩) قول الرسول ﷺ: « من تشبه بقوم فهو منهم » يحمل على أنه يكون كافراً مثلهم إن تشبه بهم فيما هو كفر كتعظيم يوم عيدهم تبجيلاً لدينهم ، أولبس شعارهم قاصداً الإستخفاف بالدين وإلا فإنه يكون آثماً مثلهم فقط .

(١٠) يحرم التشبه بأهل الكتاب فيما كان مذموماً بقصد التشبه بهم .

---

١ ـ المفتي فضيلة الشيخ عبد المجيد سليم ـ مختصر فتاوى دار الإفتاء المصرية ص ٢٢١ .

(١١) لبس القبعة وغيرها بدون قصد التشبه بالكفار بل قصداً لدفع برد أو حر فلا إثم في ذلك أبداً مادام لم يوجد منهم استخفاف أو تكذيب .

(١٨) حكم الماسونية والإنتماء إليها

نظر المجمع الفقهي الإسلامي - المنعقد بمكة المكرمة - في قضية الماسونية والمنتسبين إليها وحكم الشريعة الإسلامية في ذلك ، وقد قام أعضاء المجمع بدراسة وافية عن هذه المنظمة الخطيرة ، وطالع ماكتب عنها من قديم وجديد ، ومانشر عن وثائقها نفسها فيما كتبه ونشره أعضاؤها وبعض أقطابها من مؤلفات ، ومن مقالات في المجلات التي تنطق باسمها ، وقد تبين للمجمع بصورة لاتقبل الريب من مجموع ماطلع عليه من كتابات ونصوص مايلي :

(١) إن الماسونية منظمة سرية تخفي تنظيمها تارة وتعلنه تارة بحسب ظروف الزمان والمكان ولكن مبادئها الحقيقية التي تقوم عليها هي سرية في جميع الأحوال محجوب علمها حتى على أعضائها إلا خواص الخواص الذين يصلون بالتجارب العديدة إلى مراتب عليا فيها .

(٢) إنها تبنى صلة أعضائها بعضهم ببعض في جميع بقاع الأرض على أساس ظاهري للتمويه على المغفلين وهو الإخاء الإنساني المزعوم بين جميع الداخلين في تنظيمها دون تميز بين مختلف العقائد والنحل والمذاهب .

(٣) إنها تجتذب الأشخاص إليها ممن يهمها ضمهم إلى تنظيمها بطريق الإغراء بالمنفعة الشخصية على أساس أن كل أخ ماسوني مجند في عون كل أخ ماسوني آخر في أي بقعة من بقاع الأرض ، يعينه في حاجته وأهدافه ومشكلاته ويؤيده في الأهداف إذا كان من ذوي الطموح السياسي ويعينه إذا وقع في مأزق من المآزق أياً كان على أساس معاونته في الحق والباطل ظالماً أو مظلوماً . وإن كانت تستر ذلك ظاهرياً بأنها تعينه على الحق لا الباطل ، وهذا أعظم إغراء تصطاد به الناس من مختلف المراكز الإجتماعية وتأخذ منهم اشتراكات ماليه ذات بال .

(٤) إن الدخول فيها يقوم على أساس احتفال بإنتساب عضو جديد تحت مراسم وأشكال رمزية إرهابية لإرهاب العضو إذا خالف تعاليمها والأوامر التي تصدر إليه بطريق التسلسل في الرتبة .

(٥) إن الأعضاء المغفلين يتركون أحراراً في ممارسة عباداتهم الدينية وتستفيد من توجيههم وتكليفهم في الحدود التي يصلحون لها ويبقون في مراتب دنيا أما الملاحدة أو المستعدون للإلحاد فترتقي مراتبهم تدريجياً في ضوء التجارب والإمتحانات المتكررة للعضو على حسب استعدادهم لخدمة مخططاتها ومبادئها الخطيرة .

(٦) إنها ذات أهداف سياسية ولها في معظم الإنقلابات السياسية والعسكرية والتغييرات الخطيرة ضلع وأصابع ظاهرة أو خفية .

(٧) إنها في أصلها وأساس تنظيمها يهودية الجذور ويهودية الإدارة العليا العالمية السرية وصهيونية النشاط .

(٨) إنها في أهدافها الحقيقية السرية ضد الأديان جميعها لتهديمها بصورة عامة وتهديم الإسلام في نفوس أبنائه بصورة خاصة .

(٩) إنها تحرص على اختيار المنتسبين إليها من ذوي المكانة المالية أو السياسية أو الإجتماعية أو العلمية أو أية مكانة يمكن أن تستغل لها ولذلك تحرص كل الحرص علي ضم الملوك والرؤساء والوزراء وكبار موظفي الدولة ونحوهم .

(١٠) إنها ذات فروع تأخذ أسماء أخرى تمويهاً وتحويلاً للأنظار لكي تستطيع ممارسة نشاطاتها تحت مختلف الأسماء إذا لقيت مقاومة لإسم الماسونية في محيط ما وتلك الفروع المستورة بأسماء مختلفة من أبرزها منظمة الأسود (الليونز) والروتاري - إلى غير ذلك من المبادئ والنشاطات الخبيثة التي تتنافي كلياً مع قواعد الإسلام وتناقضه مناقضة كلية .

وقد تبين للمجمع بصورة واضحة العلاقة الوثيقة للماسونية باليهودية

الصهيونية العالمية وبذلك استطاعت أن تسيطر على نشاطات كثير من المسئولين في البلاد العربية وغيرها في موضوع قضية فلسطين ، وتحول بينهم وبين كثير من واجباتهم في هذه القضية المصيرية العظمى لمصلحة اليهود والصهيونية العالمية .

لذلك ولكثير من المعلومات الأخرى التفصيلية عن نشاط الماسونية وخطورتها العظمى وتلبساتها الخبيثة وأهدافها الماكرة يقرر المجمع الفقهي إعتبار الماسونية من أخطر المنظمات الهدامة على الإسلام والمسلمين وأن من ينتسب إليها على علم بحقيقتها وأهدافها فهو كافر بالإسلام مجانب لأهله .

لكن الأستاذ الزرقاء أصر على إضافة جملة (معتقداً جواز ذلك) فيما بين جملة (على علم بحقيقتها وأهدافها) وبين جملة (فهو كافر ....) وذلك كيما ينسجم الكلام مع حكم الشرع في التمييز بين من يرتكب الكبيرة من المعاصي مستبيحاً لها وبين من يرتكبها غير مستبيح فالأول كافر والثاني عاص فاسق والله ولي التوفيق ، ،

وقد وقع على القرار عبد الله بن حميد ومحمد علي الحركان وعبد العزيز بن باز ومحمد محمود الصواف وصالح بن عثيمين ومحمد بن عبد الله السبيل ومحمد رشيد قباني ومصطفى الزرقاء ومحمد رشيدي وعبد القدوس الهاشمي الندوي .

(١٩) الصلح مع اليهود فى فلسطين هل يجوز ؟ [١]

المبادئ

(١) هجوم العدو على بلد إسلامي يوجب على أهلها الجهاد ضده بالقوة ، وهو في هذه الحالة فرض عين .

(٢) يتعين الجهاد في ثلاثة أحوال : عند التقاء الزحفين ، وعند نزول الكفار ببلد ، وعند استنفار الإمام لقوم للجهاد حيث يلزمهم النفير .

(٣) الإستعداد للحروب الدفاعية واجب على كل حكومة إسلامية .

(٤) مافعله اليهود بفلسطين اعتداء على بلد إسلامي يوجب على أهله أولاً رده بالقوة كما يوجبه ذلك ثانياً على كل مسلم في البلاد الإسلامية .

(٥) الصلح مع العدو على أساس رد مااعتدى عليه إلى المسلمين جائز ، أما إن كان على أساس تثبيت الإعتداء فهو باطل شرعاً .

(٦) موادعة أهل الحرب أو جماعة منهم جائزة شرعاً ، ولكن بشرط أن تكون لمدة معينة ، وأن تكون فيها مصلحة للمسلمين ، فإن لم تكن فيها مصلحة فهي غير جائزة بالإجماع .

(٧) قوله تعالى: ﴿ **وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله** ﴾(الأنفال : ٦١) . وإن كانت مطلقة لكن إجماع الفقهاء على تقييدها برؤية مصلحة للمسلمين في ذلك أخذاً من قوله تعالى : ﴿ **ولاتهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون** ﴾ (محمد : ٣٥) .

(٨) المعاهدات التي يعقدها المسلمون مع دول أخرى غير إسلامية جائزة شرعاً إذا كانت فيها مصلحة للمسلمين ، أما إذا كانت لتأييد دولة معتدية على بلد إسلامي فإنها تكون تقوية لمن اعتدى ، وذلك غير جائز شرعاً .

(٩) لليهود في فلسطين موقف خاص ، فهم موجودون بها بحكم سياسي هو الهدنة التي فرضتها الدول على الفريقين ، ونزلت الحكومات الإسلامية على

---

١ ـ المفتي فضيلة الشيخ حسن مأمون ـ مختصر فتاوى دار الإفتاء المصرية ص ٣٨٢ ـ ٣٨٣ .

حكمها إلى حين وجود حل عادل للمسألة .

(١٠) مافعله المسلمون من منع السلاح والذخيرة عن اليهود بعدم السماح بمرور ناقلاتها في بلادهم جائز ولا شيء فيه ، وإن كان اليهود يعتبرون ذلك اعتداء عليهم .

(٢٠) نداء للعالم الإسلامى حكومات وشعوباً حول فلسطين

القرار الثانى عشر

الحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين ، ،

وبعد ، ، ، ، ،

فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي المنعقد في مكة المكرمة في دورته العاشرة في ٢٤ صفر سنة ١٤٠٥ هـ الموافق ١٧/ ١٠/ ١٩٨٧ يحى الشعب الفلسطيني في جهاده المتواصل ضد الغاصبين المعتدين ، وصموده ضد المحتلين ، ويحى شجاعة هذا الشعب وبطولته .

وفي نفس الوقت الذي يتوجه فيه المجلس بالتحية الإسلامية للمجاهدين الفلسطينيين والدعوة الصادقة إلى الله العلي الكبير أن يكتب لهم النصر المؤزر ويؤيدهم بتوفيقه وحفظه .

وبهذه المناسبة قرر المجلس بالإجماع التوجه إلى العالم الإسلامي حكومات وشعوباً بوجوب القيام بدعم الجهاد الفلسطيني بكل وسائل الدعم المادية والمعنوية والسياسية والإقتصادية .

كما قرر المجلس جواز صرف بعض أموال الزكاة لهذا الجهاد الإسلامي ، والمهم في هذا النداء من المجلس أن يبادر المسلمون خفافاً وثقالاً للإستنفار لتأييدهم في هذا الجهاد في هذه المعركة التي هي معركة الإسلام في هذا العصر .

قال الله تعالى : ﴿**انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون**﴾(التوبة : ٤١) .

ووصية المجلس للشعب الفلسطيني المؤمن المجاهد أن يتمسكوا بحبل الله المتين

ويواصلوا جهادهم الإسلامي المبارك لإعلاء كلمة الله وحماية المسجد الأقصى المبارك ويعتصموا بالله هو مولاهم نعم المولى ونعم النصير ، والحمد الله رب العالمين وصلى الله وسلم على إمام المجاهدين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(٢١) ماحكم من قال : إن عيسى قد مات ؟

أجابت لجنة الفتوى بالسعودية بقولها : ثبت بالأدلة من الكتاب والسنة الصحيحة أن عيسى بن مريم عليهما السلام لم يقتل ولم يمت ، بل رفعه الله إليه حياً وأنه سينزل آخر الزمان حكماً عدلاً في هذه الأمة ، فمن قال إن عيسى بن مريم قد مات وأنه لاينزل آخر الزمان فقد خالف كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ ، وأخطأ خطأ فاحشاً ، ويحكم بكفره بعد البلاغ وإقامة الحجة عليه لتكذيبه لله ورسوله .

(٢٢) لماذا اختص عيسى بالرفع ؟

وجه هذا السؤال إلى لجنة الفتوى بالسعودية ونصه : بما أن محمداً ﷺ أفضل الأنبياء لما لم يرفع إلى السماء بدلاً من عيسى إذا كان عيسى رُفع إليها حقيقة ، ولماذا اختص عيسى بالرفع دون سائر الأنبياء ، علل ودلل ؟

فأجابت : إن الله تعالى وسع كل شئ رحمة وعلماً وأحاط بكل شئ قوة وقهراً سبحانه له الحكمة البالغة والإرادة والقدرة الشاملة ، اصطفى من شاء من الناس أنبياء ورسلاً مبشرين ومنذرين ورفع بعضهم فوق بعض درجات .

وخص كلاً منهم بما شاء من المزايا فضلاً منه ورحمة ، بالخلة خليلاً إبراهيم ومحمداً عليهما الصلاة والسلام وخص كل نبي بما أراد من الآيات والمعجزات التي تتناسب مع زمنه وبها تقوم الحجة على قومه حكمة منه وعدلاً لامعقب لحكمه وهو العزيز الحكيم اللطيف الخبير .

وليس كل مزية بمفردها بموجبة للأفضلية ، فاختصاص عيسى برفعه إلى السماء

حياً جار على مقتضى إرادة الله وحكمه ، وليس ذلك لكونه أفضل من إخوانه المرسلين كإبراهيم ومحمد وموسى ونوح عليهم الصلاة والسلام فإنهم أعطوا من المزايا والآيات مايقتضي تفضيلهم عليه .

وبالجملة فمرجع الأمر في ذلك إلى الله يدبره كما يشاء ولا يُسئل عما يفعل لكمال علمه ورحمته ، ثم إنه لايترتب على السؤال عن ذلك عمل أو تثبيت عقيدة بل ربما أصيب بالحيرة من حام حول ذلك واستولت عليه الريب والشكوك وعلى المؤمن التسليم فيما هو من شؤون الله وليجتهد فيما هو من شؤون العباد عقيدة وعملاً وهذا هو منهج الأنبياء والمرسلين وطريق الخلفاء الراشدين وسلف الأمة المهديين .

(٢٣) ماحكم الإسلام فى اليهود والنصارى

ماحكم الإسلام في اليهود والنصارى ـ مثلاً ـ ممن وصلتهم رسالة محمد ﷺ وعلموا بها لكنهم لم يتبعوه واتبعوا دينهم ؟

أجابت لجنة الفتوى بالسعودية بقولها : يعتبرون كفاراً ويعاملون معاملة الكفار في أحكام الدنيا والآخرة ، ولاينفعهم تمسكهم بدينهم مع كفرهم بما جاء به نبينا محمد ﷺ .

(٢٤) هل يجوز الشراء وقبول الهدية وسفور الوجه أمام النصرانية

إذا كان لنا جيران كفار (نصارى) فكيف نعاملهم إن قدموا لنا هدايا أنقبلها منهم وهل يجوز لنا أن نظهر لهم سافرات الوجوه أو أن يروا منا أكثر من الوجه ؟ وهل يجوز لنا أن نشتري من البائعين النصارى ؟

أجابت لجنة الفتوى بالسعودية برئاسة الشيخ ابن باز على السؤال بقولها :

الحمد الله وحده ، والصلاة والسلام على رسوله ، وآله وصحبه ...... وبعد ، أحسنوا إلى من أحسن إليكم منهم ، وإن كانوا نصارى فإذا أهدوا إليكم هدية

مباحة فكافئوهم عليها ، وقد قبل النبي ﷺ الهدية من عظيم الروم وهو نصراني وقبل الهدية من اليهود .

وقال تعالى : ﴿ **لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم منكم فأولئك هو الظالمون** ﴾(الممتحنة : ٨، ٩) .

ويجوز لك أن تظهري أمام نسائهم بما يجوز أن تظهري به أمام النساء المسلمات مما يكشف ومايتزين به من الملابس ونحوها في أصح قولي العلماء ، وأن تشتري منهن ماتحتاجين من المتاع المباح وبالله التوفيق ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

(٢٥) الحكم من لعن دين كارتر

ماالحكم فيمن يقول : يلعن دين كارتر يقصد به الرئيس الأمريكي السابق ؟ أوليس في هذا اللفظ سب لدين سماوي أنزل قبل نبينا محمد ﷺ ؟

أجابت لجنة الفتوى بالسعودية بقولها : الحمد الله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه وبعد :

اللعن هو الطرد والإبعاد عن رحمه الله ، ولعن دين من الأديان السماويةكفر ، ويجب نصح من صدر منه ذلك وبيان أنه كفر فإن أصر على السب بعد بيان الحكم فهو كافر إلا أن يكون قصد بدين كارتر ماعليه النصارى اليوم من اعتقادهم أن عيسى هو ابن الله وأنه لا يلزمهم اتباع محمد ﷺ فهذا دين باطل وليس ديناً سماوياً بل هو دين محدث لايكفر من سبه أو لعنه .

وننصحك بقراءة كتاب « الصارم المسلول على شاتم الرسول » ففيه من العلم في هذا الموضوع مالا تكاد تجده في غيره . وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله صحبه وسلم .

(٢٦) هل إرتداء البدلة والبنطلون فيه تشبيه بأهل الكتاب ؟ [١]

المراد بمشابهة الكفار المنهي عنها مشابهتهم فيما اختصوا به من العادات ومابتدعوه في الدين من عقائد وعبادات كمشابهتهم في حلق اللحية وشد الزنار ، وماتخذوه من المواسم والأعياد والغلو في الصالحين بالإستغاثة بهم والطواف حول قبورهم والذبح لهم ودق الناقوس وتعليق الصليب في العنق أو البيوت أو اتخاذه وشماً باليد مثلاً ، تعظيماً له واعتقاداً لما يعتقد ه النصارى .

ويختلف حكم مشابهتهم ، فقد يكون كفراً : كالتشبه بهم في الإستغاثة بأصحاب القبور والتبرك بالصليب واتخاذه شعاراً .

وقد يكون محرماً فقط كحلق اللحية وتهنئتهم بأعيادهم وربما أفضى التساهل في مشابهتهم المحرمة إلى الكفر والعياذ بالله .

أما لبس البنطلون والبدلة وأمثالها من اللباس فالأصل في أنواع اللباس الإباحة إلا أنه من أمور العادات .

قال تعالى : ﴿ **قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق** ﴾ (الأعراف : ٣٢) ويستثنى من ذلك مادل الدليل الشرعي على تحريمه أو كراهته كالحرير للرجل والذي يصف العورة لكونه شفافاً يرى من ورائه لون الجلد ، أو ككونه ضيقاً يحدد العورة ، لأنه حينئذ في حكم كشفها وكشفها لايجوز .

وكالملابس التي هي من سيما الكفار ، فلا يجوز لبسها لا للرجال ولا للنساء لنهي رسول الله ﷺ عن تشبه الرجال بالنساء ، والنساء بالرجال ، وليس اللباس المسمى بالبنطلون والقميص مما يختص لبسه الكفار ، بل هو لباس عام في المسلمين والكافرين في كثير من البلاد والدول وإنما تنفر النفوس من لبس ذلك في بعض البلاد لعدم الإلف ومخالفة عادة سكانها في اللباس ، وإن كان ذلك موافقاً لعادة غيرهم من المسلمين لكن الأولى بالمسلم إذا كان في بلد لم يعتد أهلها ذلك اللباس

---

(١)الإجابة للجنة الفتوي بالسعودية .

ألا يلبسه في الصلاة ولا في المجامع العامة ولا في الطرقات .

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

(٢٧) هل نحلق اللحى إذا أطلقوها ؟

جاء تعليل إعفاء اللحية والصلاة في النعال وغير ذلك بمخالفة اليهود والنصارى والمجوس فهل تترك مثل هذه الأحكام إذا فعلها أولئك المذكورون ؟

أجابت لجنة الفتوى بالسعودية بقولها : خير الهدي هدي محمد ﷺ ومن هديه ﷺ أنه يعفي لحيته ، وأمر بإعفائها وهو بذلك ممتثل لأمر الله بالإقتداء بإخوانه المرسلين قبله ومنهم هارون على نبينا وعليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين الصلاة والسلام ، وكان ذا لحية .

قال تعالى : ﴿ **أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده** ﴾(الأنعام : ٩٠) .

وأما التعليل الذي ذكره ﷺ فهو ينهى عن الإقتداء بهم في مخالفتهم وليس المراد ترتيب الحكم على العلة وجوداً أو عدماً ، فهم إذا وفروا لحاهم فهم متبعون في هذه الجزئية لهدي من قبلهم من الرسل وآخرهم محمد ﷺ الذي أرسله الله إلى الإنس والجن .

وأما الصلاة في النعال فهم لايصلون في نعالهم بناء على قوله تعالى خطاباً لموسى:﴿ **فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى** ﴾(طه : ١٢) .

وقد تقرر أن شرع من قبلنا شرع لنا مالم ترد في شرعنا نسخه ، وفي هذه الجزئية النسخ حاصل بفعل رسول الله ﷺ من الصلاة في النعلين إذا كانتا طاهرتين وأمره بذلك وكونهم لايصلون في نعالهم وهو مخالف لهدي الرسول ﷺ .

فلا يصح أن نهجر هذه السنة بناء على موافقتهم لنا فيما سنه لنا رسولنا ﷺ .

(٢٨) ماحكم قراءة الإنجيل (١)

الكتب السماوية السابقة وقع فيها كثير من التحريف والزيادة والنقص كما ذكر الله ذلك فلا يجوز للمسلم أن يُقدم على قراءتها والإطلاع عليها إلا إذا كان من الراسخين في العلم ويريد بيان ماورد فيها من التحريفات والتضارب بينها .

(٢٩) بدء النصرانى بغير قول السلام عليكم (٢)

نهانا رسول الله ﷺ عن بدء الكفار بالسلام ، فهل هذا النهي يقتصر على قول « السلام عليكم ورحمه الله » لهم ، أم هو نهي يشمل كل مبادأة بالتحية ؟

وهل يجوز لي أن أبدأ جاري النصراني بغير قول السلام عليكم ورحمة الله كأن أقول« صباح الخير » أو «كيف حالك » أو« صباح الخيربالإنجليزية » وجزاكم الله عنا وعن المسلمين خيراً ؟

الإجابة : لايجوز بداءةالكفار بالسلام ، لما ثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

« لاتبدأوا اليهود والنصارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه » رواه مسلم .

ومن حديث أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم » رواه البخاري ومسلم .

فيرد عليهم بما دل عليه الحديث وهو أن يقال : وعليكم ولا بأس أن يقول لكافر ابتداء « كيف حالك » و« كيف أصبحت » و « وكيف أمسيت » ونحو ذلك إذا دعت الحاجة إلى ذلك ، صرح بذلك جمع من أهل العلم منهم أبو العباس شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله .

---

١ ، ٢ ـ المصدر السابق .

(٣٠) حكم الصلبان على السجاد والفرش (١)

صنع الصليب حرام سواء كان مجسماً أم نقشاً أو رسماً أو غير ذلك على جدار أو فرش أو غير ذلك ، ولا يجوز إدخاله مسجداً ولا بيوتاً ولا دور تعليم من مدارس ومعاهد ونحو ذلك ، ولا يجوز الإبقاء عليه ، بل يجب القضاء عليه وإزالته بما يذهب بمعالمه من كسر ومحو وطمس وغير ذلك ، ولايجوز بيعه ولا الصلاة عليه .

(٣١) حكم تبادل التهنئة فى الأفراح والأعياد (٢)

ماحكم الإسلام في تهنئة النصارى في أعيادهم ؟ لأنه عندى خالي جاره نصراني يهنئه في الأفراح وفي الأعياد وهو أيضاً يهنئ خالي في فرح أو عيد وكل مناسبة ، هل هذا جائز تهنئة المسلم النصراني والنصراني للمسلم في أعيادهم وأفراحهم ؟ أفتوني جزاكم الله خيراً .

الإجابة :

لايجوز للمسلم تهنئة النصارى بأعيادهم ، لأن في ذلك تعاوناً على الإثم وقد نهينا عنه .

قال تعالى : ﴿ **ولاتعاونوا على الإثم والعدوان** ﴾(المائدة : ٢) .

كما أن فيه تودداً إليهم وطلباً لمحبتهم وإشعاراً بالرضى عنهم وعن شعائرهم وهذا لايجوز بل الواجب إظهار العداوة لهم وتبيين بغضهم ، لأنهم يحادون الله جل وعلا ويشركون معه غيره ، ويجعلون له صاحبة وولداً .

قال تعالى : ﴿ **لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه** ﴾

(المجادلة : ٢٢) .

١، ٢ ـ المصدر السابق .

وقال تعالى : ﴿ **قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده** ﴾ وبالله التوفيق ،

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

أحكام فقهية

(١) غسل الإسلام

إذا أسلم الكافر يجب عليه الغسل لحديث أبو هريرة رضي الله عنه : أن ثمامة الحنفي أسر وكان النبي ﷺ يغدو إليه فيقول : ماعندك ياثمامة ؟ فيقول : إن تقتل تقتل ذا دم وإن تمنن تمنن على شاكر ، وإن ترد المال نعطك منه ماشئت ، وكان أصحاب رسول الله ﷺ يحبون الفداء ويقولون : مانصنع بقتل هذا ؟ فمر عليه رسول الله ﷺ فأسلم ، فحلّه وبعث به إلى حائط (بستان) أبي طلحة ، وأمره أن يغتسل ، فاغتسل وصلى ركعتين ، فقال النبي ﷺ :

« لقد حسن إسلام أخيكم » رواه أحمد وأصله عند الشيخين .

(٢) الولاية فى الزواج

ذهب جمهور العلماء إلى أن المرأة لاتزوج نفسها سواء أكانت بكراً أو ثيباً ، كما أن المرأة لاتزوج المرأة ، وإنما يزوجها الولي لحديث : « لانكاح إلا بولي » ولحديث : « أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل ، فنكاحها باطل ، فنكاحها باطل ، فإن دخل بها فلها المهر بما استحل من فرجها ، فإن اشتجروا فالسلطان ولي من لاولي له » رواه أحمد وغيره وحسنه الترمذي .

ومن شروط الولي أن يكون مسلماً ، الولاية في العصبة ، فإن أسلمت المرأة ولا ولي لها مسلم ، وتقدم إليها الكفؤ ، وكانت بحيث لاتستطيع أن تصل إلى القاضي ليزوجها ، فلا حرج في أن يتولى ذلك بعض الصالحين .

قال القرطبي : وإذا كانت المرأة بموضع لاسلطان فيه ولا ولي لها ـ فإنها تُصيّر أمرها إلى من يوثق به من جيرانها فيزوجها ويكون هو وليها في هذه الحالة ، لأن الناس لابد لهم من التزوج ، وإنما يعملون فيه بأحسن مايمكن .

(٣) إقرار مايوافق الشرع من أنكحة الكفار إذا أسلموا

لم يتعرض رسول الله ﷺ لزواج غير المسلمين ، وهل وقعت أنحكتهم موافقة للشروط المعتبرة في الإسلام فتصح أم مخالفة لها فتبطل ؟

وإنما اعتبر حالها وقت إسلام الزوج ، فإن كان ممن يجوز له المقام مع امرأته أقرهما ولو كان في الجاهلية وقد وقع على غير شرطه من الولي والشهود وغير ذلك وإن لم يكن ممن يجوز له الإستمرار لم يقر عليه ، كما لو أسلم وتحته ذات رحم محرم ، أو أختان أو أكثر فهذا هو الأصل الذي أصلته سنة رسول الله ﷺ وماخالفه فلا يلتفت (أفاد ه ابن تيميه وابن القيم) .

(٤) الطبيب الكافر وعيادة الكافر

في كتاب« الآداب الشرعية» لابن مفلح : وقال الشيخ تقي الدين : إذا كان اليهودي أو النصراني خبيراً بالطب ثقة عند الإنسان جاز له أن يستطب (يكون طبيباً) كما يجوزله أن يودعه المال وأن يعامله .

كما قال تعالى : ﴿ **ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لايؤده إليك إلا مادمت عليه قائماً** ﴾(آل عمران : ٧٥) .

وفي الصحيح أن النبي ﷺ لما هاجر استأجر رجلاً مشركاً هادياً خريتاً (ماهراً) واتئمنه على نفسه وماله ، وكانت خزاعة عيناً لرسول الله ﷺ مسلمهم وكافرهم .

وقد روى أن النبي ﷺ أمر أن يستطب الحارث بن كلدة ، وكان كافراوإذا أمكنه أن يستطب مسلماً ، فهو كما لوأمكنه أن يودعه أو يعامله ، فلا ينبغي أن يعدل عنه .

وأما إذا احتاج إلى ائتمان الكتابي ، أو استطبابه فله ذلك ، ولم يكن من ولاية اليهود والنصارى المنهي عنها ، وإذا خاطبه بالتي هي أحسن كان حسناً ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ **ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن** ﴾ (العنكبوت : ٤٦)أ . هـ

ولا بأس بعيادة المسلم الكافر .

قال البخاري : « باب عيادة المشرك » وروى عن أنس رضي الله عنه أن غلاماً

ليهود كا ن يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺيعوده فقال : أسلم ، فأسلم .

(٥) الكتابية تموت وهى حامل من مسلم

إذا ماتت المرأة وفي بطنها جنين حي وجب شق بطنها لإخراج الجنين إذا كانت حياته مرجوة ، ويعرف ذلك بواسطة الأطباء الثقات فإذا كانت الزوجة كتابية (يهودية أو نصرانية) وماتت وهى حامل من مسلم فتدفن وحدها .

روى البيهقي عن واثلة بن الأسقع : أنه دفن امرأة نصرانية في بطنها ولد مسلم في مقبرة ليست بمقبرة النصارى ولا المسلمين .

واختار هذا الإمام أحمد لأنها كافرة لاتدفن في مقبرة المسلمين فيتأذوا بعذابها ولا في مقبرة الكفار لأن ولدها مسلم فيتأذى بعذابهم .

(٦) أولاد المشركين إذا ماتوا قبل البلوغ

من مات من أولاد المسلمين الذين لم يبلغوا الحلم فهو في الجنة لقول النبي ﷺ : « لما توفى إبراهيم ابنه : إن له مرضعاً في الجنة » رواه البخاري .

وأما أولاد المشركين فقد رأى بعض أهل العلم أنهم مثل أولاد المسلم في دخولهم الجنة قال النووي : وهو المذهب الصحيح المختار الذي صار إليه المحققون

لقوله تعالى : ﴿ **وماكنا معذبين حتى نبعث رسولاً** ﴾ (الإسراء : ١٥) .

وإذا كان لايعذب العاقل لكونه لم تبلغه الدعوة فلأن لايعذب غير العاقل من باب أولى ولما رواه أحمد عن خنساء بنت معاوية بن صريم عن عمتها قالت : « قلت يارسول الله : من في الجنة ؟ قال : النبي في الجنة ، والشهيد في الجنة ، والمولود في الجنة » قال الحافظ : إسناده حسن أ . هـ .

وقد رأى النبي ﷺ إبراهيم وحوله أولاد الناس في الجنة .

(٧) المسلم والكافر فى إقامة الحد سواء

كما يجب الحد على المسلم إذا ثبت منه الزنا فإنه يجب على الذمي والمرتد ، لأن الذمي قد التزم الأحكام التي تجري على المسلمين ، وقد ثبت أن النبي ﷺ رجم يهوديين زنيا وكانا محصنين (المحصن : البالغ العاقل الحر وكان أصاب نكاحاً صحيحاً في اعتقاده ، ذكره الشافعي وغيره)

فعن ابن عمر : أن اليهود أتو النبي ﷺ برجل وامرأة منهم قد زنيا ، فقال : ماتجدون في كتابكم ؟ فقالوا : تسخم وجوههما ويخزيان ، قال : كذبتم إن فيها الرجم ، فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين .

وجاءوا بقارئ لهم فقرأ حتى إذا انتهى إلى موضع منها وضع يده عليه ، فقيل له : ارفع يدك فرفع يده فإذا هي تلوح فقال ـ أو قالوا ـ يامحمد : إن فيها الرجم ، ولكنا كنا نتكاتمه بيننا ، فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما قال : فلقد رأيته يجنأ عليها يقيها الحجارة بنفسه » رواه البخاري ومسلم

(٨) تحريم الخمر فى المسيحية

ذكر بعض علماء النصارى ، أن المسكرات إجمالاً محرمة في كل كتاب سواء كانت من العنب أم من سائر المواد كالشعير والتمر والعسل والتفاح وغيرها ، ومن شواهد العهد الجديد في ذلك قول بولس في رسالته إلى أهل إفسس « ٥ : ٨ »: «ولاتسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة » ونهيه عن مخالطة السكِّير «إكوه : ١١ » .

وجزمه بأن السكيرين لايرثون ملكوت السموات (غلاه : ٢١)

(إكو ٦ : ٩ : ١٠) .

(٩) دية أهل الكتاب

روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ « قضى بأن عقل أهل الكتاب نصف عقل المسلم » فذهب مالك وغيره إلى أن دية أهل الكتاب[1] إذا قُتلوا

---

١ ـ سواء كانوا ذميين أو معاهدين مستأمنين .

خطأ نصف دية المسلم ، فدية الذكر منهم نصف دية المسلم ، ودية المرأة من نسائهم نصف دية المرأة المسلمة ، وكذلك دية الجراح تكون على النصف ، وتجب الكفارة مع الدية في قتل الذمي والمعاهد على قول ابن عباس والشعبي والنخعي والشافعي واختاره الطبري .

وقد ذهب فريق من أهل العلم إلى أن دية أهل الكتاب مثل دية المسلمين .

(١٠) هل يجوز دفع الصدقات للكتابى ؟

أجاز الزهري وأبو حنيفة ومحمد وابن شبرمة إعطاء الذمي من زكاة الفطر لقول الله تعالى : ﴿ **لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين** ﴾ (الممتحنة : ٨) . وتجوز صدقات التطوع على الذمي والحربي .

لقوله تعالى : ﴿ **ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً** ﴾ (الإنسان : ٨) .

والأسير الحربي ، وعن أسماء بنت أبي بكر قالت : قدمت عليّ أمي وهي مشركة ، فقلت : يارسول الله ، إن أمي قدمت عليّ وهي راغبة أفأصلها ؟قال : نعم صلي أمك » وفي كل ذي كبد رطبة أجر .

وقد ذكر الخطابي : أن الرحم الكافرة توصل من المال ونحوه ، أما بالنسبة لزكاة المال فلا تدفع لكافر ، وقد جوز البعض تأليفاً لقلبه على الإسلام ـ إذا دعت الحاجة ـ ترجيحاً لأخف الضررين وخير المصلحتين .

(١١) ذبائح أهل الكتاب

قال تعالى : ﴿ **وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم** ﴾(المائدة : ٥) .

وهي ذبائحهم بإتفاق المفسرين ، وقد دُعي النبي ﷺ لطعام يهود المدينة وقدمت له الشاة وأكل منها ، والأصل فيهم أنهم يسمون الله ، واليهود أكثر حيطة في الذبح من النصارى فإذا علمنا أنهم لم يذبحوا ذبحاً شرعياً (بمُحدد في منحر بحيث تُنهر

الدم وتفري الأوداج) لم يجز الأكل ، كأن صعقوها صعقاً كهربياً ، أو أطلقوا عليها الرصاص ، فإذا شككنا في التسمية ، سمينا نحن وأكلنا لحديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

ولايجوز أكل ذبائح الملاحدة الشيوعيين ، حتى وإن ذبحوا ذبحاً شرعياً ، ويجوز الإصطياد بكلب اليهودي والنصراني وبازه وصقره إذا كان الصائد مسلماً وذلك مثل شفرته ، ولا إلتفات لتعميم البعض القول عن أهل الكتاب بأنهم ارتدوا عن البقية الباقية من دينهم .

(١٢) إذا تزوج كتابية فانتقلت إلى دين آخر

لاخلاف في أن الكتابي إذا انتقل إلى غير دين أهل الكتاب لم يقر عليه ، فأما إن انتقل إلى دين آخر من أهل الكتاب ، كاليهودي يتنصر أو النصراني يتهود ، فيقر عليه نص عليه الإمام أحمد .

وقد نص أيضاً على أن المنتقل إلى غير دين أهل الكتاب لايُقبل منه إلا الإسلام ، فإذا تزوج المسلم كتابية فانتقلت إلى دين آخر من الكفر (كعبادة الأوثان) غير دين أهل الكتاب ، أجبرت على الإسلام فإن لم تسلم حتى انقضت عدتها انفسخ نكاحها .

(١٣) قول الإمام أحمد فى الرجل له المرأةالنصرانية

نقل ابن قدامة في المغني جـ (٨) ص ٥٣٧ ـ قول الإمام أحمد في الرجل له المرأة النصرانية : لايأذن لها أن تخرج إلى عيد أو تذهب إلى بيعة وله أن يمنعها ذلك وكذلك في الأمة .

قيل له أله أن يمنعها شرب الخمر ؟

قال يأمرها فإن لم تقبل فليس له منعها ، قيل له فإن طلبت منه أن يشتري لها زناراً ؟ قال لايشتري لها زناراً ، تخرج هي تشتري لنفسها .

وسُئل عن الذمي يعامل بالربا ويبيع الخمر والخنزير ثم يسلم وذلك المال في يده فقال لايلزمه أن يخرج منه شيئاً لأن ذلك مضى في حال كفره ، وأشبه نكاحهم في الكفر إذا أسلم .

وسُئل عن المجوسيين يجعلان ولدهما مسلماً فيموت وهو ابن خمس سنين فقال يدفن في مقابر المسلمين لقول النبي ﷺ:« فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه »يعني أن هذين لم يمجسانه فيبقى على الفطرة .

(١٤) لايُمكّن الذمي من شراء المصحف

لايجوز تمكينه من شراء المصحف ولاحديث رسول الله ﷺ ولافقه فإن فعل فالشراء باطل لأن ذلك يتضمن ابتذاله ،وكره أحمد بيعهم الثياب المكتوب عليها ذكر الله تعالى .

قال مهنا سألت أحمد أبا عبد الله ، هل تكره للرجل المسلم أن يعلم غلاماً مجوسياً شيئاً من القرآن ؟

قال : إن أسلم فنعم وإلا فأكره أن يضع القرآن في غير موضعه ، قلت فيعلمه أن يصلي على النبي ﷺ ؟ قال : نعم .

وقال الفضل بن زياد سألت أبا عبد الله (يعنى الإمام أحمد) عن الرجل يرهن المصحف عند أهل الذمة ؟قال : لا . نهى النبي ﷺ أن نسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو .

(١٥) لايجوز لأحد منهم سكنى الحجاز ولادخول الحرم

وذلك لقول النبي ﷺ:« لايجتمع دينان في جزيزة العرب »

وروى أبو داود بإسناده عن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول :

« لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب فلا أترك فيها إلا مسلماً »

قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح .

فأما الحرم فليس لهم دخوله بحال كما ذكر ابن قدامة وهو قول الشافعي وغيره لقول الله تعالى : ﴿ **إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا** ﴾ (التوبة : ٢٨) والمراد به الحرم .

(١٦) الارتضاع بلبن الفجور والمشركات

قال ابن قدامة في المغني جـ(٧) ص ٥٦٢ مانصه :

كره أبو عبد الله (الإمام أحمد) الإرتضاع بلبن الفجور والمشركات .

وقال عمر بن الخطاب وعمر بن عبدا لعزيز رضي الله عنهما :

« اللبن يشتبه فلا تستق من يهودية ولانصرانية ولازانية ولايقبل أهل الذمة المسلمة (أي لاتقوم الكتابية على ولادة المسلمة) ولايرى شعورهن .

ولأن لبن الفاجرة ربما أفضي إلى شبه المرضعة في الفجور ويجعلها أماً لولده فيتعير بها ويتضرر طبعاً وتعيراً ، والإرتضاع من المشركة يجعلها أماً لها حرمة الأم مع شركها وربما مال إليهافي محبة دينها ، ويكره الإرتضاع بلبن الحمقاء كيلا يشبهها الولد في الحمق فإنه يقال إن الرضاع يغير الطباع ، والله أعلم .

(١٧) حكم من لم تبلغه دعوة الإسلام

البعض قد لاتبلغه دعوة الإسلام ، أو تبلغه الدعوة مشوهة ، كدعوة للقتل والعنف والتخريب ، وفي ذلك يقول ابن حزم في الأحكام جـ(١١) ص ٦٠ :

ذلك أن الله تعالى لم يأمرنا قط بشئ من الدين إلا بعد بلوغ الأمر إلى المأمور وكذلك النهي ولافرق وأما قبل انتهاء الأمر والنهي إليه فإنه غير مأمور ولا منهي لقوله تعالى : ﴿ **لأنذركم به ومن بلغ** ﴾(الأنعام : ١٩) .

ولقوله تعالى : ﴿ **لايكلف الله نفساً إلا وسعها** ﴾(البقرة : ٢٨٦) .

ولإخبار رسول الله ﷺ أنه : «لايسمع به يهودي أو نصراني فلم يؤمن به إلا وجبت له النار » .

ولحديث قتادة عن عبد الأسود بن سريع عن النبي ﷺ أنه قال :

« يُعرض على الله سبحانه وتعالى الأصم ، الذي لايسمع شيئاً ، والأحمق والهرم ، ورجل مات في الفترة ، فيقول الأصم رب جاء الإسلام وماأسمع شيئاً ويقول الأحمق رب جاء الإسلام وماأعقل شيئاً ويقول الذي مات في الفترة رب ماأتاني لك من رسول الله فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه فيرسل الله تعالى إليهم : ادخلوا النار فوالذي نفسي بيده لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً » .

وعن أبي هريرة مثله وزاد في آخره: « ومن لم يدخلها دخل النار » .

فصح أنه لانذارة إلا بعد بلوغ الشريعة إلى المنذر ، وأنه لايُكلف أحد بما ليس في وسعه وليس في وسع أحد علم الغيب ، في أن يعرف شريعة قبل أن تبلغ إليه فصح يقيناً أن من لم تبلغه الشريعة لم يكلفها » .

وقال أيضاً : « وهكذا القول في الشريعة كلها كالقتل ووطء الفرج الحرام وأكل الحرام واستباحة العرض الحرام وغير ذلك ، كل هذا من فعله مخطئاً غير عالم بأنه خالف ماجاء من عند الله تعالى على لسان نبيه ﷺ فلا يكفر ولا يفسق ولايعصى ، ومن فعله عامداً غير معتقد لإباحة ماحرم الله تعالى من ذلك فهو فاسق ، ومن فعله عامداً مستحلاً خلاف الله تعالى فهو كافر » الأحكام لابن حزم جـ (٨) ص ١٤٠

فلحوق الوعيد لمن فعله المحرم مشروط بعلمه بالتحريم كما بين ابن تيميه وعلى الإنسان أن يسعى في رفع الجهالة عن نفسه وألا يقصر في معرفة الحق مااستطاع إلى ذلك سبيلاً .

(١٨) الدخول فى الإسلام لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل إمرئ مانوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها ، أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ماهاجر إليه » رواه البخاري ومسلم .

فعلى العبد أن يُخلص أمره لله ، ويبتغي ماعند الله ، ويعلم أن الدنيا لاتصلح عوضاً عن معنى من معاني الآخرة وأن من طلب الله والدار الآخرة أتته الدنيا وهي راغمة ، فعليه أن يصدق في إسلامه .

وقد كانت المرأة إذا أتت النبي ﷺ حلفها بالله ماخرجت من بغض زوج ، وبالله ماخرجت رغبة بأرض عن أرض ، وبالله ماخرجت التماس دنيا ، وبالله ماخرجت إلا حباً لله ورسوله .

وعن ابن مسعود قال : كان فينا رجل خطب امرأة يقال لها أم قيس ، فأبت أن تزوّجه حتى يهاجر فهاجر فتزوجها ، وكنا نسميه مهاجر أم قيس.قال ابن مسعود : من هاجر لشئ فهو له .

وسائر الأعمال كالهجرة في هذا المعنى ، فصلاحها وفسادها بحسب النية الباعثة عليها ، وليس لأحد أن يؤخر إسلامه لشئ كما لايجوز لأحد تأخيره فقد يموت .

(١٩) هل يجوز الإستعانة بالكفار فى الغزو ؟ [١]

يجوز الإستعانة بالكافر في تعليم المسلم مالاتعلق له بالدين كالصناعة والهندسة والطب وفنون القتال ونحو ذلك .

وقد استعان النبي ﷺ بخبرة عبد الله بن أريقط يوم الهجرة كما استعان بأسرى بدر في تعليم أبناء المسلمين الكتابة كفداء .

، وذكر ابن القيم جواز الإستعانة بالمشرك المأمون في الجهاد كجاسوس عند الحاجة لأن عيينة الخزاعي كان كافراً وقت استخدمه عيناً للمسلمين .

وقدذهب جمهور الشافعية والحنابلة والأحناف إلى جواز الإستعانة بالكفار عند الحاجة لحديث :

« ستصالحون الروم صلحاً وتغزون أنتم وهم عدواً من ورائكم »

رواه أحمد وأبو داود .

ويشترط في هذه الإستعانة أن تكون الحاجة داعية ، ويوثق بهم ويغلب على الظن أمانتهم وعدم مكرهم ، وأن يكونوا مغلوبين مقهورين واشترط ابن حزم ألا يتعدى أذاهم لمسلم ولا ذمي وإلا وجب الصبر .

وذهب فريق آخر إلى عدم جواز الإستعانة بالكفار في الحرب مطلقاً ، وعلى كل حال فلا يجوز التحالف مع الكفار لقتال المسلمين .

---

١ ـ راجع كتابنا تحصيل الزاد لتحقيق الجهاد ص ١٧٣ ـ ١٧٦ .

الخاتمة

« اللهم أحيينا مسلمين وتوفنا مسلمين غير خزايا ولامفتونين »

لقد شهد المنصفون من الغربيين وغيرهم بعظمة الإسلام الحضارية ، ومن جملة هؤلاء « سيديلون » في كتابه « تاريخ العرب » إذ يقول :

كان المسلمون في القرون الوسطى متفردين في العلم والفلسفة والفنون ...... وقد نشروها أينما حلت أقدامهم ، وتسربت عنهم إلى أوربا ، فكانوا سبباً لنهضتها وارتقائها ...... ».

وبعد أن عدد « دوبير » في كتابه « المنازعة بين العلم والدين » ـ مآثر المسلمين في العلوم والطبيعة قال :

فإنهم قد رقّوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جداً ، وأوجدوا علوماً جديدة لم تكن معروفة قبلهم ...... إن جامعات المسلمين كانت مفتوحة للطلبة الأوربيين الذين نزحوا إليها من بلادهم لطلب العلم ، وكان ملوك أوربا وأمراؤها يغدون على بلاد المسلمين ليعالجوا فيها .... » .

ويقول « بريفولت » في كتابه « تكوين الإنسانية » :

« العلم هو أعظم ماقدمت الحضارة العربية إلى العالم الحديث ومع أنه لاتوجد ناحية واحدة من نواحي النمو الأوربي إلا ويلحظ فيها أثر الثقافة الإسلامية النافذة إلا وإن أعظم أثر وأخطره هو ذلك الذي أوجد القوة التي تؤلف العامل البارز الدائم في العالم الحديث والمصدر الأعلى لانتصاره أعني العالم الطبيعي والروح العلمية ....»وهذه الحقائق مؤداها أن الإسلام دين بناء حضاري »

ويقول « لين بول » في كتابه « العرب في أسبانيا » :

« ...... فكانت أوربا الأمية تزخر بالجهل والحرمان ، بينما كانت الأندلس تحمل إمامة العلم ، وراية الثقافة في العالم »

ويقول « غوستاف لوبون » في كتابه « حضارة العرب » :

«ولانرى في التاريخ أمة ذات تأثير بارز كالعرب فجميع الأمم التي كانت ذات صلة بالعرب اعتنقت حضاراتهم ولو حيناً من الزمن ...... ولم يتجل تأثير العرب في الشرق في الديانة واللغة والفنون ...... وحدها ، بل كان لهم الأثر البالغ في ثقافتهم العلمية أيضاً .... » .

ونقل عن « ليبري » قوله :

« لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوربا الحديثة عدة قرون »

إنها شهادة إنصاف نعتز بها ، ونحتسب ماأسدينا عند الله ، ونرى أن أعظم هدية وأجل منفعة وأكبر فائدة هي أن نؤمن بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ، وإلا فما قيمة التقدم المادي والعلم والفنون .... بلا إيمان !! .

إن الدنيا لاتصلح عوضاً عن الآخرة والعرب ذاتهم لاقيمة لهم بلا إسلام ، ولايليق بعاقل أن يبيع الآخرة بدنيا لابقاء لها ولا وفاء ، أو أن يتاجر بآخرته بدنيا غيره .

لقد كان من رحمة الله أن يظهر فشل وعطب الشيوعية ، وتنادى الناس هنا وهناك بأهمية الرجوع إلى الدين ، فهيا بنا نُسلم وجوهنا لخالق الأرض والسموات من قبل أن يأتي يوم لامرد له من الله فما الحق إلا واحد ، وعلى الحق نور ، وهويوافق الفطر السليمة والعقول المستقيمة .

أما دعوى البعض إلغاء العقل لكي يكون مؤمناً ، فهذا لايكون إلا بعد التيقن من الدين الذي أنت عليه ، ومعرفة مادلت عليه النصوص ، ولايمكن إلغاء العقل قبل ذلك ، ولابعد ذلك .

ولايُظن وجود تعارض بين نقل صحيح وعقل صريح ولكن كن عاقلاً في التسليم والإذعان لأمر الله ، واترك العادات والأعراف والتقاليد إذا صادمت كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ

قال تعالى : ﴿ **فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً** ﴾(النساء : ٦٥) .

﴿ **وماكان لمؤمن ولامؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ،ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً بعيداً** ﴾ (الأحزاب : ٣٦) .

فهيا بنا نصبغ الدنيا بدين الله ، ونبلغ الحق للخلق، ونرتفع لمستوى إسلامنا ، ونقيم حضارة على منهاج النبوة ، نرضي بها ربنا ، وننتشل بها البشرية من وحل الرذيلة والقلق والطغيان المادي المعاصر .

﴿ **ليهلك من هلك عن بينة ويحيىٰ من حيَّ عن بينة** ﴾(الأنفال : ٤٢) .

﴿**فستذكرون ماأقول لكم وأفوض أمرى إلى الله إن الله بصيربالعباد** ﴾(غافر : ٤٤) .

فإن أصر الباطل على باطله والكافر على كفره فحسبنا أن نردد :

﴿ **وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين، قل لاتسئلون عما أجرمنا ولانسئل عما تعملون ،قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم**﴾ (سبأ : ٣٤، ٣٥، ٣٦)

﴿ **وقل للذين لايؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون وانتظروا إنا منتظرون ولله غيب السماوات والأرض وإليه يُرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وماربك بغافل عما تعملون** ﴾ (هود : ١٢١، ١٢٢، ١٢٣) .

إن الإنحراف مع وضوح الحق دواعيه كثيرة . فالهوى والنفس الأمارة بالسوء وشياطين الإنس والجن وإلف العادة وتقليد الآباء والأجداد والحرص على المال والرئاسة .... كلها أسباب لطمس البصر وعمى البصيرة .

والعجب ممن استقام وأطاع وأخلص الأمر كله لله ، لقد قال قوم شعيب له :

﴿ **مانفقه كثيراً مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفاً ولولا رهطك لرجمناك وماأنت علينا بعزيز** ﴾ (هود : ٩١) وهو خطيب الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه .

وحسبي أن أكون قد وضحت بعض المسائل وربطت الماضي بالحاضر ، وبينت

ماهو الدين الذي يجب على البشرية بصفة عامة واليهود والنصارى بصفة خاصة أن يعودوا إليه ويحتكموا له فإن قبلوا كانت لهم الحسنى وزيادة ، وإن أبوا ورفضوا فقد سلكوا سبيل من كفر برب العالمين ، وساروا على درب من انحرف عن منهج الأنبياء والمرسلين ، لايشفع لهم ولا ينفعهم الإدعاء الكاذب باتباع موسى أو عيسى عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام .

فأسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين قال تعالى : ﴿ **ومن عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وماربك بظلام للعبيد** ﴾ (فصلت : ٤٦) .

وغداً ينكشف الغطاء قال تعالى : ﴿ **أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون** ﴾ (القلم : ٣٥، ٣٦) ..

وختاماً :

فهذه نصيحتي ، إبراءً للذمة وإسداء للنصح وإبلاغاً للحق وأداء للأمانة وغيرة لدين الله الذي ارتضاه للعالمين ، وشفعة ورحمة ورأفة ﴿ **أن تقول نفس ياحسرتى على مافرطت فى جنب الله** ﴾ (الزمر : ٥٦) .

أو تقول أخرى ﴿ **هل إلى خروج من سبيل** ﴾ (غافر : ١١) .

وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين

والحمد لله رب العالمين .

وكتبه

سعيد عبد العظيم

وكان الفراغ منه يوم الأحد ١٧ من ذي الحجة سنة ١٤١٦ هـ

الموافق ٥ مايو سنة ١٩٩٦ م .

الفهرس